سلسلة

في فقه الإصلاح والتجديد

عند الإمام حسن البنا

« ١٠ »

ركــن الثقــة

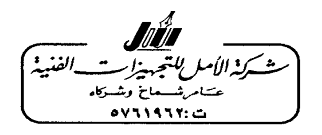
شــرح وتحليل

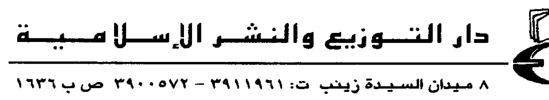
أعــده

الدكتور علي عبد الحليم محمود

مــن علماء الأزهر

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م



بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــداء

إلى المؤمنين الذين يعملون الصالحات ،

وإلى الذين هداهم الله إلى الحق وإلى الطريق المستقيم ،

وإلى الذين يرون أن الثقة المتبادلة بين المسلم وأخيه المسلم ضرورية ليشق موكب الدعوة إلى الله طريقه نحو غاياته وأهدافه ،

إليهم أقدم هذه الحلقة العاشرة من سلسلة :

«فى فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام حسن البنا رحمه الله» .

وهى : ركن الثقة آخر أركان البيعة العشرة .

حامدًا الله تعالى على أن وفق وأعان على إكمال هذه السلسلة ،

داعيًا الله تعالى أن ينفع بهذه السلسلة كل مسلم مخلص لربه ولدينه حريص على أن تكون كلمة الله هى العليا ، وأن يمكّن لدين الله ومنهجه ونظامه فى الأرض .

على عبد الحليم محمود

القاهرة : غرة رجب الفرد من عام ١٤١٩هـ

الموافق ٢١ / ١٠ / ١٩٩٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يَدَىْ هذه السلسلة

الحمد لله والصلاة والسلام على محمد رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه،

وبـــعـــــــد :

فإن هذه السلسلة من الكتب وهى : « فى فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام حسن البنا رحمه الله » تستهدف أهدافا عديدة، أودُّ الإشارة إليها فى هذه المقدمة للحلقة العاشرة من حلقات هذه السلسلة وهى « حلقة الثقة » وكنت أشرت إلى بعضها فى حلقات سابقة.

وهذه الأهداف هى :

أولا :

إلقاء ضوء على المفهوم الصحيح لكل كلمة من الكلمات التى هى عنوان لهذه السلسلة وهى : الفقه، والإصلاح، والتجديد ليكون الناس على علم بها فلا تضطرب لديهم الرؤية، ولا يضل بهم الطريق إلى الإصلاح والتجديد.

ثانيًا :

توضيح أن الإصلاح والتجديد لابد أن يقوما على أساس راسخ من الفقه الصحيح لهذا الدين الخاتم، والفقه فهم عميق وعمل صالح، وذلك من أجل أن يتجنب الناس التقليد والتبعية والجمود، ومن أجل أن يراعوا فيما يمارسون من إصلاح وتجديد ظروف الحياة الإنسانية وما يطرأ عليها من متغيرات، يجب أن يأخذها المصلحون والمجددون فى اعتبارهم، حتى يكون إصلاحهم وتجديدهم ملائما لمقتضيات المنهج الإسلامى فى الحياة.

ثالثا :

بيان أن منهج الإسلام فى الحياة الذى تقتصر أصوله ومرجعياته على أصلين كبيرين هما : الكتاب والسنة، هذا المنهج له جانبان هما :

- **الجانب الثابت من المنهج :**

وهو كل ما يتصل بالعقيدة والعبادة والخُلُق، وهذا الجانب لا يدخله إصلاح ولا تجديد، لأنه ثابت غير قابل للتغيير ولا للتبديل.

- والجانب المتغير من هذا المنهج :

وهو كل ما يتصل بحياة الناس المختلفة باختلاف الزمان والمكان والظروف من نظم اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية أو ثقافية، وهذا الجانب هو الذى يحتاج ما بين آن وآخر إلى الإصلاح والتجديد، وهو الجانب الذى ورد فيه حديث رسول الله ﷺ الذى رواه أبو داود بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»؛ أى لابد من الإصلاح والتجديد لأمر هذه الأمة فى هذا الجانب من المنهج.

رابعا :

تأكيد أن هذا الإصلاح والتجديد للجانب المتغير من المنهج هو من صميم ما يجب على المسلمين من اجتهاد يؤدى بهم إليه، مستعينين فى ذلك بالقياس والمصالح المرسلة وسد الذرائع، حتى يصلوا إلى هذا الإصلاح والتجديد، وذلك يؤكد أن باب الاجتهاد فى أمور الدين مفتوح دائما لمواكبة متغيرات الزمان والمكان.

خامسا :

تأكيد أن المسلمين بغير إصلاح وتجديد لأمور دينهم ودنياهم سيجدون أنفسهم فى جمود وتبعية وقعود عن موكب الحضارة والتقدم، ثم يجدون أنفسهم متراجعين حضاريا[1]، وذلك ما يعانى منه المسلمون اليوم فى معظم أقطارهم، ويدفعون له أبهظ الأثمان.

تلك أهم أهداف هذه السلسلة أردت أن أشير إليها باختصار بين يدى هذا الكتاب.

ولنلق ضوءا على مفهوم كلمات الفقه والإصلاح والتجديد فنقول :

- الفقه - فى هذا العنوان - مصطلح يعنى التعمق فى الفهم، كما يعنى إخراج الفهم من حيز النظرية إلى مجال التطبيق، وكذلك كان يفقه الإمام البنا - رحمه الله - الإصلاح والتجديد، ويحاول - ما وسعه الجهد والجهاد - أن يخرج كلا منهما من مجال الكلام والتنظير إلى ميدان العمل والجهاد.
- والإصلاح : يكون للأمر أو للشيء الذى فيه فساد - أى خروج عن الاعتدال - بعد وجوده صالحا، وقد كان للإمام البنا فقه فى إصلاح ما فسد من حال المسلمين وظروفهم،

---

(١) انظر للمؤلف : التراجع الحضارى فى العالم الإسلامى اليوم، وطرق التغلب عليه. نشر دار الوفاء - القاهرة : ١٤١١ هـ ١٩٩١م.

بل فهمهم للإسلام نفسه، كما كان له فقه في إصلاح مَنْ فسد من المسلمين ليعود به إلى حال الصلاح الذى فطره الله عليه أو الذى يجب أن يكون عليه، وكثيرا ما كان يقول: إن شُعب الإخوان ودُورهم، وإن الدعوة إلى الله تشبه المشفى يدخلها المريض فيصح وينصلح حاله.

- والتجديد هو الترميم والإصلاح والتغيير لما عليه الحال، وبخاصة إذا كان هذا الحال ليس صالحا، وهذا التجديد من سنة الله فى المصلحين المجددين من المسلمين، كما جاء ذلك على لسان النبى الخاتم محمد ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»(١).

- ومن التجديد مواكبة المتغيرات وإحسان التعامل معها، إما بهضمها فكريا وثقافيا بحيث تتلاءم مع العناصر الأساسية للأمة، ولا تتعارض مع شيء من أصول الدين وأحكامه، وآدابه، ولا تؤدى إلى تشويه الشخصية المسلمة؛ وذلك أن العجز عن مواكبة هذه المتغيرات، وبخاصة ما كان منها ملائما أو غير معارض للقيم الإسلامية، هذا العجز يعتبر لونا من ألوان الجمود الفكرى والتخلف العلمى والتراجع الحضارى، وكل ذلك غير محمود، بل غير جائز من الأمة المسلمة التى أراد الله تعالى لها أن تكون الأمة الوسط التى تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

- وكان للإمام البنا فى ذلك التجديد فقه مواكب لهذه المتغيرات موجه لها بما يتفق وقيم الإسلام وأحكامه، وضح ذلك فى كثير من الرسائل التى كتبها للإخوان خاصة، وفى مقالاته التى كتبها للمسلمين عامة.

- وليست رسالة «التعاليم» التى نتصدى منذ فترة لشرح أركان البيعة العشرة فيها، ليست تلك الرسالة إلا فقها للإصلاح والتجديد على نحو ما بينا فى تحليل هذه الأركان فى كتبنا السالفة:

١ – ركن فهم أصول الإسلام،

٢ – وركن الإخلاص فى مجالات العمل الإسلامى.

٣ – وركن العمل، أو منهج الإصلاح الإسلامى للفرد والمجتمع،

٤ – وركن الجهاد أو الركن الذى لا تحيا الدعوة إلا به،

٥ – وركن التضحية،

---

(١) رواه أبو داود والحاكم بسنديهما عن أبى هريرة.

٦ - وركن الطاعة،

٧ - وركن الثبات،

٨ - وركن التجرد،

٩ - وركن الأخوّة،

١٠ - وهذا الركن: الثقة.

- وذلك هو التجديد الذى أشار إليه الحديث النبوى الشريف الذى ذكرنا آنفا: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها».

- ولقد كانت قضية التجديد فى أمور الدين، وما تزال، من أكثر القضايا احتمالا لاختلاف وجهات النظر بين المفكرين والمصلحين من المسلمين.

- ونستطيع أن نرصد فى فاتحة هذا الكتاب مذاهب ثلاثة فى هذا التجديد، نعرضها هنا ليستبين القارئ أيها أولى بالاتباع، وأيها أقرب إلى فقه الإصلاح والتجديد:

المذهب الأول :

وهو مذهب يقوم على رفض التجديد مطلقا، والوقوف بقوة فى مواجهته، واعتباره بكل معطياته خروجا على الشريعة الكاملة التامة، لأنه يتضمن دلالة على أن الشريعة الإسلامية فى احتياج لهذه المتغيرات، والأصل ألا يكون هناك احتياج.

- إن أنصار هذا المذهب يغفلون عن طبائع الأشياء، وطبيعة الحياة الإنسانية المستمرة فى التغيير والتلاؤم مع المستجدات، إنهم لم يقبلوا هذه المستجدات بحجة لو تأملوا فيها وتدبروا لأراحوا واستراحوا، إذ كيف يتخذون هذا الموقف الرافض لكل تجديد دون التدبر فى الحديث النبوى الشريف الذى يخبر بأن الله تعالى يبعث لهذه الأمة من يجدد لها دينها؟!

- إن من شأن المسلمين أن يحاولوا التجديد فى أمور الدين لا فى أمور الدنيا وحدها، وبخاصة فى الأمور المتغيرة وغير الثابتة.

- إن بعض هؤلاء الرافضين للتجديد ينادون بأن المسلمين اليوم يجب أن يعيشوا فى القرن الخامس عشر الهجرى على نحو ما كان يعيش عليه أو به المسلمون الأوائل من وسائل العيش وآلياته، بل أنماطه فى الملبس والمسكن والمطعم والمشرب وما إلى ذلك!!!

- وبعض هؤلاء ينادون بأن التجديد فى أى أمر من أمور الحياة يُعد من المحرمات التى لا يجوز للمسلمين أن يقترفوها!!!

ولا أحب أن أسمى هؤلاء ولا أولئك وإن كانت أسماؤهم وانتماءاتهم لا تخفى على أى مثقف مسلم؛ لأنى لا أرغب فى إدانة من اجتهدوا فأخطأوا، فالله تعالى يتولاهم ويتولانا جميعا بما يصلح لنا أمور ديننا ودنيانا.

- وعلى وجه القطع والتأكيد، لم يكن الإمام حسن البنا من أنصار هذا المذهب، ولا ممن يقبلون ما ينادى به، لا أقول هذا من عند نفسى، ولا استئناسا بما كنت عليه من قرب ومعرفة بالإمام البنا رحمه الله، ولكنى أقول ذلك من خلال دراستى لما كتب الإمام البنا من رسائل ومقالات وكتيبات ومذكرات تعرضت لشرحها وتحليلها فى كتابى: «منهج التربية عند الإخوان المسلمين»(١).

- ويستطيع كل قارئ لوثائق الجماعة وأوراقها التاريخية وكلمات الإمام البنا وخطبه أن يتأكد من ذلك بنفسه.

- وليست دراستنا لهذه السلسلة: فى فقه الإصلاح والتجديد عن الإمام حسن البنا إلا أدلة موثقة على صدق ما نقوله من أن الإمام البنا لم يكن يرفض التجديد رفضا مطلقًا، وإنما كان ممن يأخذون بهذا التغيير والتجديد فى ظل القواعد الشرعية المعروفة.

- وبغض النظر عما جَرَّ إليه هذا المذهب من تهجم أعداء الإسلام على الإسلام نفسه – لا على المسلمين أصحاب هذا المذهب – لأن هؤلاء الأعداء يخلطون غافلين أو عامدين بين الإسلام والمسلمين. وبغض النظر عن هذا – وهو خطير – فإن أنصار هذا المذهب يسيئون إلى فقههم للإسلام، وإلى كل من اتبعهم فسار على مذهبهم بصفة عامة، فإذا نظرنا إلى هذا المذهب من خلال فقه الدعوة والحركة من أجل الإسلام فإن أعدادا كبيرة من المسلمين المثقفين سوف تنصرف عن الإسلام نفسه نفورا من هذا المذهب، وخوفا من نتائج الأخذ به.

---

(١) كتاب موسع من جزءين كبيرين حللت فيه وثائق الجماعة وأوراقها التاريخية وأنا بصدد الوقوف على منهج الجماعة فى التربية نشرته دار الوفاء بالمنصورة بمصر فى طبعته الأولى سنة ١٤١٢هـ – ١٩٩١م.

● وأنصار هذا المذهب ليسوا قليلي العدد، وإنما لهم وجود بل حضور في كثير من بلدان العالم الإسلامي، وإن كانوا بمذهبهم هذا يساندون فكرا لا يستطيع أن يواجه الحياة فضلا عن أن يبقى ويستمر.

● وحسبنا أن نذكر من سلبيات هذا المذهب ما يلي:

– أن التجديد ليس شرا كله – كما يزعمون – وأن بعض هذا التجديد يجب الأخذ به إذا لم يتعارض مع الثوابت في حياة المسلمين.

– وأن التجديد ليس معناه قبول كل جديد دون فحص – كما يتوهمون – لما يوافق الإسلام وما يعارضه، ومعنى ذلك أن رفضه كله دون تمييز، تفويت لمصالح قد تعود على المسلمين في حاضرهم، أو تفويت لأمور قد تدفع عن المسلمين بعض الشر والضرر.

– وأن هذا الموقف منهم معناه رفض الاستفادة من تراث الحضارة الإنسانية برمته،مع أن هذا التراث ملك للبشرية كلها، وأن للناس جميعا أن ينتفعوا بما فيه، بل عليهم ذلك وبخاصة إذا لم يكن هذا التجديد مخالفا لقيم دينهم.

والمذهب الثاني:

وهو مذهب يدعو إلى إعادة النظر في تراث المسلمين برمته، ثم تطويعه وتغييره ليلائم التجديد الذي جاء به هذا القرن العشرون، ويرون في هذا العمل مرونة ومواكبة للمتغيرات، بل يرونه تجديدا!!!

● وهؤلاء وإن قالوا بتقديس كل ما جاء في القرآن الكريم من أحكام وقيم، إلا أنهم يعترضون على أمرين هامين – يعد الاعتراض عليهما في غاية الخطورة، لأنه في الحقيقة اعتراض على بعض ما شرع الله –.

هذان الأمران هما :

الأولى: مكان المرأة في النظام الاجتماعي في الإسلام، حيث يتصورون – مخطئين – أن الإسلام حرمها من بعض حقوقها التي تمارسها المرأة في الغرب.

والآخر: الحدود التي شرعها الإسلام بقطع يد السارق ورجم الزاني المحصن وجلد الزاني غير المحصن، وجلد شارب الخمر والقاذف في الأعراض، حيث يتصورون – مخطئين أيضا –

أن إقامة هذه الحدود قسوة بل وحشية يغنى عنها عقاب بالسجن أو التغريم!!!

- ولست بحاجة هنا إلى أن أرد هذا المذهب والقائلين به إلى منابعهم ومصادرهم ومرجعياتهم، فهى أوضح من أن أنبه إليها أو أفصل القول فيها، بل حسبى أن أشير إشارة عابرة إلى ذلك فأقول:

– إن أصحاب هذا المذهب تأثروا فيه بتقاليد الثقافة الغربية، حيث نجدهم جميعا ممن رُبُّوا تربية غربية أو ثقفوا ثقافة غربية فى جامعات الغرب ومعاهده ومدارسه، أو واصلوا دراساتهم العليا هناك، سواء أكانت هذه الجامعات والمعاهد فى بلاد الغرب أم كانت فى بلدان العالم الإسلامى الذى كان وما يزال يعج بالجامعات والمعاهد التى تفرض ثقافتها وتوجهها المناقض للتوجه الإسلامى على أبناء المسلمين!!!

ولو شئت أن أسمى هؤلاء بأسمائهم لفعلت، ولكن ما جدوى هذا وما تأثيره؟

وهؤلاء جميعا – إلا من رحم ربى – أحدثت فيهم الثقافة الغربية ما لابد لها أن تحدثه، وقد اتضح هذا فى أمرين خطيرين:

أحدهما :

زعزعة ثقتهم فى الإسلام؛ منهجه ونظامه وما جاء به من أحكام وأخلاق وآداب.

والآخر:

إقناعهم بشكل مباشر أو غير مباشر، واقتناعهم بأن الدين الإسلامى دين متجمد غير صالح لهذا الزمان، لأنه جاء فى زمان مضى ومضى أهله معه!

– وهذه وتلك مقولتان لعدد من أعداء الإسلام من المستشرقين من شرق وغرب ممن يدينون باليهودية أو الصليبية.

– وأصحاب هذا المذهب يرددون هذه المقولات دون وعى لأبعادها وآثارها فى نفوسهم وذويهم وأوطانهم، فرحين بأنهم أصبحوا غربيين أو يساريين أو علمانيين أو تقدميين أو ثوريين!!!

– وهؤلاء وإن وقف بعضهم فى مواجهة الاستعمار تجاوبا مع متطلبات سياسية – ربما رسمت

لهم – فطالبوا بالتحرر من الاستعمار إلا أنهم سقطوا فى حمأة الأفكار الاستعمارية الغربية المعادية للإسلام، وتبنَّوا بإخلاص الدعوة إليها والترويج لها، وسموا ما قاموا به فى ذلك تغييرا أو تجديدا أو تطويرا أو تنويرا!!!

– وهؤلاء الذين يدعون إلى هذا المذهب وقعوا بهذا فى أخطاء كثيرة بعضها فكرى ثقافى، وبعضها وطنى سياسى، وبعضها إسلامى، ونحب أن نذكر من هذه الأخطاء ما يلى:

الأول:

سوء فهمهم للإسلام، وضحالة ثقافتهم فيه؛ حتى إن بعضهم يجهل أولياته كما يبدو ذلك فى كتابتهم، ومع هذا الجهل يكتبون عن الإسلام كأنهم يعرفونه!!!

والثانى:

انبهارهم بكل ما هو غربى وتقبله تقبلا مطلقا بكل ما فيه من عيوب –كما قال قائلهم– دون فحص أو تمييز لغثه وسمينه، مع أن الغث فيه مما يخالف الدين ما ليس بالقليل، ولست أدرى كيف تقبلوا ذلك دون أن يخضعوه لمنهج الشك الذى أخضعوا له الدين؟ أو لمنهج العلم والمنهجية الغربية فى البحث التى تعلموها هناك؟

والثالث:

أنهم فقدوا الثقة فى قدرة الإسلام ومنهجه على حل مشكلات الناس، وعلى مواجهة المتغيرات بأسلوب علمى يأخذ ويترك وفق معايير معينة، حتى إن بعض غافليهم – وما أكثر الغافلين منهم – يتندر بمقولة: «إن الإسلام هو الحل» كأنها مقولة غير صحيحة!!!

والرابع:

أنهم تحولوا نتيجة لكل هذا إلى أن أصبحوا دعاة أو أذنابًا للفكر الغربى المناوئ للإسلام فى ماضيه وحاضره – والمعادى للمسلمين فى كل بقعة من بقاع الأرض، حتى ولو كانوا مسلمين أوربيين كمسلمى البوسنة والهرسك وكرواتيا – ومن أجل هذا فإنهم يستعينون دائما بخبراء الغرب فى كل المشكلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتعليمية، ولأن هؤلاء الخبراء أعداء فى الحقيقة فإن المشكلات فى تزايد وتراكم، والدليل على هذا ذلك الكم الهائل من الديون والتبعية والتخلف الحضارى المشاهد على رقعة العالم الإسلامى كله!!!

والخامس:

أنهم رفضوا كل منهج إسلامى للإصلاح مقدما، وأدانوه قبل أن يعرفوه فضلا عن أن يجربوه، وجرموا المنادين به وزجوا بدعاته فى السجون والمعتقلات، بل قتلوا بعضهم فى رائعة النهار، ومن نجا من القتل شرد، وتوبع فى مهربه بما يشق على أحد احتماله، كل هذا مع تبجحهم بأنهم من دعاة الحرية ومن أنصار حقوق الإنسان!!!

والسادس:

أنهم صنفوا من كان معهم فى موالاة الغرب أو الشرق ومعاداة الإسلام بأنهم الشعب وأنهم حماة المكاسب الشعبية ودعاة التنوير، وصنفوا المتمسكين بمنهج الإسلام بأعداء الشعب وأعداء مكاسبه ودعاة الرجعية والغيبيات والظلاميات – كما يقولون!! – يفعلون هذا موالاة للغرب وللعلمانية وللشيوعية المنهارة فى عقر دارها، ويتلقون كل يوم صفعات بأحذية الغرب والشرق على أقفيتهم، وبركلاته الموجعة فى نظامهم الاقتصادى والاجتماعى والثقافى بحيث قد أصبحت استفاقتهم من أثر ذلك مستحيلة أو تكاد!!!

والسابع:

أنهم – وبتأثير أعداء الإسلام فيهم – حرموا الإسلاميين من التعبير عن أنفسهم وبرامجهم السياسية والإصلاحية بوصفهم مواطنين، وأدانوا كل صوت ينادى بالإسلام وكل إصلاح يقوم على منهج الإسلام، وحظروا بقوانينهم الجائرة المصطنعة – التى تناقض ما يزعمون من ديموقراطية – إنشاء أى حزب إسلامى، مع أن العالم الغربى الذى اتخذوه قبلة لهم ملىء بالأحزاب اليهودية والمسيحية. بل إن هناك دولة بكامل كيانها تقوم على المسيحية هى «الفاتيكان»!!!

لقد صرّح أكثر من واحد من رؤسائهم بأنه لن يسمح بقيام حزب إسلامى طالما هو حى!!!

إن الغرب وإن كان يرضيه التضييق على الإسلام والمسلمين إلا أن العقلاء منهم يسخرون من هذا التصريح من رئيس يقول إن نظام الحكم فى بلاده ديموقراطى!!!

والثامن:

أنهم وقد أعماهم الحقد على الإسلام ومنهجه فى الإصلاح حرموا المسلمين من حقوقهم السياسية يوم جاءت بهم صناديق الانتخابات أو لعبة الديموقراطية التى يهذون بها، كما

حدث من جبهة الإنقاذ الإسلامى فى الجزائر، وما هو إلا أن تحركت فرنسا التى كانت تقول: إن أرض الجزائر امتداد لفرنسا، فتحرك الجيش الجزائرى بانقلاب فعزل الشاذلى بن جديد وألغى الانتخابات وقتَّل وسجن وطارد المسلمين فى الجزائر فى قصة، لن ينساها التاريخ ولو بعد ألوف السنين، ولا تزال أحداث القصة تجرى حتى الآن، ولكن الله من ورائهم محيط.

والتاسع:

أن كثيرا من حكام تلك الأنظمة الموالية للغرب فى نظامه القديم أو نظامه «البوشى الجديد» أخذت تستعدى الغرب على الإسلاميين فيها وتطلب منه الخبراء والوسائل التى تقمع بها كل حركة إسلامية، مع أن ذلك فى محصلته على حساب حريتها واستقلالها، وهو مما يتطلب كفاح عشرات السنين من أجل التخلص من هذه التبعية وأولئك الخبراء وتلك الآليات فى التنصت والرصد والتسجيل، ولهولاء وأوليائهم نقول: ﴿ ...**لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ [آل عمران: ٩٩].

والعاشر:

وهو الأخير – فى جمعنا لهذه الأخطاء – هو مناصبة العداء لأى حكم إسلامى أو حكومة إسلامية فى أى مكان من العالم كراهية للإسلام وخوفا على ثقافة الغرب وقيمه ومصالحه، كما حدث فى الوقوف ضد الثورة الإسلامية فى إيران وقوفا غربيا أولا ثم عربيا بإغراء مشئوم العراق بالدخول فى حرب استمرت تسع سنوات أكلت الأخضر واليابس من البلدين المسلميْن، وكما يحدث الآن من التضييق على السودان وحصاره سياسيا واقتصاديا.

تلك مجمل أخطائهم، وهذه غاية جهدهم، غير أن المد الإسلامى آخذ فى الازدياد، وحركة التجديد والإصلاح ماضية فى طريقها، لا تبالى بما يضعه العدو فى هذا الطريق من عقبات ولا بما تقدمه من ضحايا وشهداء، ولابد أن يأتى يوم تتحقق فيه سنة الله فى دعوته ودعاته، فيكتسح ذلك ما أمامه من باطل وزيف وخداع وفساد، وسنة الله كونية لا تعرف توقفا فى أى زمان أو مكان، وهى سنة أكدتها آيات القرآن الكريم وكثير من الأحاديث النبوية الشريفة التى نشير إلى بعضها فيما يلى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الروم: ٤٧].

وقال عز وجل: ﴿ ... **كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ** ﴾ [الرعد: ١٧].

- روى الإمام أحمد بسنده عن معاوية رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتى قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتى أمر الله وهم ظاهرون على الناس».
- وروى مسلم عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق، ظاهرين إلى يوم القيامة، فينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم: تعال صَلِّ لنا - فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمير، تكرمةَ الله لهذه الأمة».

● ولقد تقدم الإمام البنا رحمه الله بأكثر من برنامج للإصلاح إلى الحكام فى مصر.. وفى مختلف أقطار العالم الإسلامى وكان برنامجا نابعا من الإسلام؛ من الكتاب والسنة، وطالبهم بتطبيقه ولكن هؤلاء الحكام - الذين كان أكثرهم إن لم أقل جميعهم يعيشون تبعية للغرب - ورفضوا هذا البرنامج فساقوا البلاد برفضهم هذا إلى المهاوى فى السياسة والاقتصاد والثقافة والتعليم والإعلام، ومكنوا بهذا الرفض لأعداء الإسلام من البلدان الإسلامية، حتى أصبح هذا العدو اليوم يسيطر على رغيف الخبز والثقافة والتعليم والإعلام.. على حرية التعبير، فضلا عن السيطرة السياسية والاقتصادية والدفاعية!!!

والمذهب الثالث:

وهو مذهب يقوم على استبعاد الرفض المطلق للتجديد، واستبعاد القبول المطلق لكل ما هو جديد. وإنما هو مذهب وسطى يقبل ما لا يتعارض مع ثوابت الإسلام، ويرفض ما يتعارض معه فى عقلانية وحيادية وإيمان بأهمية التجديد.

● وهذا المذهب هو الذى أخذ به الإمام البنا وأخذت به جماعة الإخوان المسلمين منذ وضع قانونها الأساسى، كما سنوضح ذلك بنصوص من القانون - وهو أهم وثيقة من وثائق الجماعة -.

● إنه مذهب الإصلاح والتجديد مع المحافظة على الأصالة والحرص على القيم الثابتة التى جاء بها الإسلام.

ولهذا المذهب أسس يعتمد عليها يمكن أن نوجزها فيما يلى:

أولا :

الإصلاح لكل ما فسد من أمور المسلمين فى الأنظمة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والتعليمية والإعلامية والتربوية عموما، والحضارية بوجه أعم.

ثانيا :

التجديد لكل ما بلى أو تقادم أو تآكل فى نفوس الناس من عقائدهم وعباداتهم، وقيمهم الخلقية، بحيث تتفق مع الإسلام.

● وهذان الأساسان يستهدفان أن يستعيد الإسلام حقيقته فى نفوس المسلمين، ويعيد بناء تركيبه الوظيفى فى الحياة ليستقيم به الناس على الحق، وينجحوا به فى تحقيق مصالح دنياهم وأخراهم.

ثالثا :

الاهتمام بالخبرة التاريخية للمسلمين، ووضعها فى الاعتبار عند ممارسة أى إصلاح أو تجديد، إذ من الخطأ الفادح إهمال هذه التجارب التاريخية مع غنائها وقدرتها على إعطاء العظة وتعميق الرؤية، ولقد علمنا القرآن هذا النظر والتأمل فى الماضى قريبه وبعيده لأخذ العبرة، وشق طريق صحيح فى الحياة، وما أكثر الآيات القرآنية التى طالبت بذلك.

- ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا من قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلا تَعْقِلُونَ** ﴾ [يوسف : ١٠٩] وقد تكرر طلب السير فى الأرض فى القرآن الكريم أربع عشرة مرة[١].

رابعا :

وضع الوظيفة الحضارية للإسلام فى الاعتبار، وذلك أن الإسلام ليس مجرد عقائد وعبادات وقيم، وإنما هو حضارة كاملة بكل ما تعطيه الحضارة من معنويات وماديات، وبكل ما تنادى به الحضارة الإسلامية من تقدير وتكريم للإنسان، وبكل ما تطالب به من إحسان التعامل مع الحيوان والنبات والجماد، ومفردات الكون كله.

---

(١) وذلك في سور الحج : ٤٦، والروم : ٩، وفاطر : ٤٤، وغافر : ٢١، وغافر : ٨٢، ومحمد : ١٠، وآل عمران : ١٣٧، والأنعام : ١١، والنحل : ٣٦، والنمل : ٦٩، والعنكبوت : ٢٠، والروم : ٤٢، وسبأ : ١٨.

إنها حضارة تقوم على الاعتراف بالروح والعقل والبدن، كطاقات إنسانية من حق الإنسان أن يعبر عنها فى إطار من الشرعية التى تحفظ حقوقه وحقوق غيره.

إنها حضارة النظم الدقيقة للمجتمع فى سياسته واقتصاده، وفكره، وثقافته، ولذلك كانت حضارة تنشئ الإيمان والإسلام وتلزم بالعدل والإحسان، وتوجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وتدعو للجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا.

خامسا:

إن على الأمة الإسلامية كلها -وعلى الأخص دعاتها- أن تدعو إلى الله وأن تبذل فى سبيل الدعوة إليه ما تستطيع من جهد ووقت ومال وجهاد، فلا دعوة بغير جهاد، وإن الدعوة إذا عطلت أو حصرت فى المتخصصين فى علوم الإسلام ضاق ميدانها وخسرت كثيرا من الرجال القادرين عليها، وهى لا تحتاج إلى أكثر من أن يكون الداعى على بصيرة بما يدعو إليه: ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي** ﴾ [يوسف: ١٠٨].

سادسا:

وعلى المسلمين فى شتى بقاع الأرض أن يتمسكوا بجذور حضارتهم الإسلامية وألا يصرفهم عنها صارف، ويجعلوا ولاءهم لها لا لسواها من حضارات الغرب والشرق، فإن تلك الحضارات تخلو من الإيمان بالله الواحد الأحد، وتهمل التكاليف الشرعية، وتطلق العنان للحيوان الكامن فى الإنسان، فتبيح الصلة الجنسية بغير زواج شرعى بل تبيح اللواط والسحاق «الشذوذ الجنسى» وتعلى قدر المادة على حساب الروح!

سابعًا:

رفض المفهوم المغلوط الشائع القائل بعلمانية الدولة والحكم.

- وإنما كان هذا المفهوم شائعا لأن كل من هب ودب واستطاع أن يمسك قلما ويسوّد قرطاسا، وتوظفه حكومة علمانية كاتبًا وتعطيه فى صحافتها حيزا، أصبح يتبنى فكرة علمانية الدولة؛ بمعنى طرد الدين من الساحة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعليمية فضلا عن الإعلامية!

وكل من جهر بهذا وأساء للإسلام كافأته الدولة بحجة أن هذه هى حرية الرأى، لكن عند ما يعبر الإسلاميون عن آرائهم فتلك جرائم تستوجب الاعتقال والتعقب والمراقبة ورصد حركة السفر والتوقيف فى المطار ذهابا وعودة!!!

إن الدولة فى معظم بلدان العالم الإسلامى بل والغربى تكافئ وتكرم كل من تهجم على الإسلام وافترى عليه المفتريات، بل إن بعضهم يقابله رؤساء الدول، ويُمنح المال والمنصب والجاه والحراسة المشددة كأنه رئيس دولة ظالمة!!!

إن بعض هذه الدول المسلمة تكافئ المتهجم على الإسلام بمكانة ومكان فى إحدى وسائل الإعلام، وتمد له فى الأسباب حتى يتخم وتفيض جوانبه إفرازات مضادة للدين عموما وللإسلام على وجه الخصوص، يحدث هذا فى الوقت الذى يحرمون فيه على الإسلاميين أن يحلموا - مجرد حلم - بحكومة إسلامية!!!(١).

● وأما أن هذا المفهوم مغلوط ينادى به الغافلون عن الفروق الدقيقة بين ما نادت به أوربا من علمانية وما ينادون هم به من علمانية.

فنستطيع أن نذكر من هذه الفروق ما يلى:

- العلمانية التى نادت بها أوربا، هى أقصى درجات عداء أوربا للكاثوليكية وما كان فيها من سلبيات مارستها الكنيسة ورجالها، ومع ذلك لم تصل هذه العداوة إلى رفض الدين جملة وتنحيته عن حياة الناس، واستبعاد الظاهرة الدينية فى عمومها، وإنما كانت رفضا للمنظمات الكنسية التى عانت منها أوربا مئات السنين، ورفض اشتراك هذه المنظمات الكنسية فى المشاركة فى صنع القرار السياسى فحسب.

- والعلمانية التى ينادى بها معظم المسيطرين على الحكم فى البلدان الإسلامية، علمانية ابتدعوها، وزادوا فيها -على علمانية أوربا- رفضهم للدين كله مبادئه وقيمه ودعاته، وتحديهم لكل حركة إسلامية، بل لكل حزب إسلامى، مطلقين أسوأ الصفات وأخسها لكل ما هو إسلامى، بخلطهم بين الإسلام وبين أخطاء بعض المسلمين، والعداء الشديد الذى يصل إلى السجن والقتل لكل من ينادى بالإسلام نظام حكم ومنهج حياة.

كل ذلك فعلوه باسم العلمانية، والعلمانية من كل ذلك براء إذ لم تقتل أوربا من يعرفون عندهم برجال الدين ولم تسجنهم ولم تشردهم ولم تشوههم، وإنما قصارى ما دعت إليه علمانية أوربا هو رفض التنظيمات الكنسية وليس رفض الدين المسيحى!!!

---

(١) انظر جريدة الأهرام المصرية اليومية يوم ١/٨/٩٤ مقال في مكان ثابت للأستاذ سيد ياسين.

إن علمانيتهم مزيج من العلمانية واليسارية والشيوعية والاشتراكية واللادينية!!!

- وثالث الفروق بين علمانية أوربا وعلمانيتهم أنهم جهلوا أن الإسلام لا يوجد فيه منظمات تضم رجال دين لهم سلطة على الناس وسلطة على الجنة والنار وقدرة على مغفرة الذنوب وبيع قراريط فى الجنة، ولهم كراسى اعتراف يجلس عليها العصاة الراغبون فى التوبة.

- تجاهلوا ذلك كله، وأخذوا يحاربون فى غير ميدان ويزورون المعارك ويختلقون أسبابها، وتناسوا أن الإسلام يعرف وحدة العقيدة ووحدة العبادة ووحدة القبلة ووحدة النظام القيمى ولا يعطى سلطة دينية لأحد على أحد.

- وتجاهلوا أن الإسلام منهج حياة كاملة ونظام متكامل للحياة الإنسانية، تأتى فيه السياسة والاقتصاد جزءا صغيرا من كل كبير، وذلك أن الإسلام ومنهجه هو الإطار الكبير لكل مرافق الحياة الإنسانية.

- والفرق شاسع بين الإسلام بسماحته ومرونته وقدرته على مواكبة كل المتغيرات، وبين الحكومة الدينية «الثيوقراطية» كما يعرفها الغرب، وكما غالط فيها دعاة العلمانية المبتدعة، ودعاة نبذ الإسلام بزعم أنه حكومة دينية يجب أن يحمل أوزار «الثيوقراطية والكاثوليكية» والمنظمات الكنسية فى العصور التى كانت تتحكم فيها الكنيسة فى البلاد والعباد!!!

- وهؤلاء العلمانيون المغالطون يصرون على ما يقولون، ويؤيدهم فى ذلك كل حاكم ظالم مستبد يحكم بالحديد والنار والقهر والعبث بحقوق الإنسان، ليقين هذا الحاكم بأنه قد يشترى العلمانيين بعرض من أعراض الدنيا فيسكتون عن ظلمه بل يبررون استبداده ويشيدون به وبعدالته.. ماذا يمنع هؤلاء أن يفعلوا وهم يعلمون أن صاحب السلطة يخلعهم ويجردهم إن هم امتنعوا. بينما هو على يقين بأن الإسلاميين لا يشترون بشىء، ولا يرضون عن استبداد الحاكم بحال!!!

- إن الحاكم المستبد يقول للناس بلسان حاله - كما قال سلفه - ﴿ **أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ** ﴾ [**النازعات**: ٢٤]، ويقول بلسان مقاله ما قاله سلفه أيضًا: ﴿ **مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ** ﴾ [غافر: ٢٩]، وما كان ذلك ليرضى الإسلام ولا المسلمين بحال من الأحوال.

مذهب الإمام البنا فى الإصلاح والتجديد :

يقوم هذا المذهب على الأسس التى أشرنا إليها آنفا حيث وعدنا بأن نستدل على ذلك بالقانون الأساسى لجماعة الإخوان المسلمين.

وجماعة الإخوان المسلمين هى جزء من تاريخ الإصلاح السياسى والاجتماعى والثقافى فى تاريخ مصر منذ عام ١٩٢٨ إلى عام ١٩٥٤م يوم صدر قرار حكومى بحلها، لأنها فى هذه الفترة التى تقارب ربع قرن من الزمان استطاعت أن تحقق إنجازات سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية ورياضية وكشفية لم تحققها جماعة مثلها فى هذه المدة أو مثلها.

فلقد استطاعت الجماعة فى هذه المدة الوجيزة نسبيا أن تنشئ أكثر من ألفى شعبة من شعبها تعج كل واحدة منها بأنواع الأنشطة التى أشرنا إليها، بحيث أصبحت هذه الشعب أندية اجتماعية ثقافية دينية سياسية أقبل عليها الشباب والشيوخ من كل حدب وصوب.

واستطاعت أن تقيم مؤسسات اقتصادية وشركات تجارية سدّت فراغًا ليس بالقليل فى اقتصاد مصر آنذاك.

واستطاعت أن تنشئ عددا من المدارس النهارية والليلية تعلم فيها الصغار وتمحو أمية الكبار وتقدم لهم هذه الخدمة التعليمية بالمجان تقريبا.

واستطاعت أن تنشئ فريقا للجوالة قوامه أكثر من عشرة آلاف جوال طبقوا قانون الكشافة بعد أن أدخلوا عليه من التعديلات ما يجعله غير متعارض مع أخلاق الإسلام ومبادئه.

واستطاعت الجماعة أن تشترك بكتيبة فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨م أبلوا ضد اليهود بلاءً حسنا وفكوا حصار القوات المصرية فى الفالوجا.

وكل تلك أعمال من أجل الوطن العربى والإسلامى لا ينكرها منصف له عين ترى وقلب يعى.

والقانون الأساسى للجماعة وكثير من الوثائق والأوراق التاريخية لجماعة الإخوان المسلمين تنطق بهذا وتؤكده، مما نستشهد به فيما يلى :

ومن ذلك ما نشير إليه فى القانون الأساسى للجماعة على النحو التالى :

١ - الفقرة «أ» من المادة الثانية. ونصها هو :

« شرح دعوة القرآن شرحا دقيقا يوضحها ويردها إلى فطريتها وشمولها، ويعرضها عرضا يوافق روح العصر، ويرد عنها الأباطيل والشبهات » .

٢ – والفقرة « ب » من المادة الثانية أيضا، ونصها هو :

« جمع القلوب والنفوس على هذه المبادئ القرآنية وتجديد أثرها الكريم فيها، وتقريب وجهات النظر بين الفرق الإسلامية المختلفة » .

٣ – والفقرة « جـ » من نفس المادة الثانية، ونصها هو « تنمية الثروة القومية وحمايتها وتحريرها والعمل على رفع مستوى المعيشة » .

٤ – والفقرة « د » من نفس المادة الثانية، ونصها هو :

« تحقيق العدالة الاجتماعية والتأمين الاجتماعي لكل مواطن، والمساهمة فى الخدمة الشعبية، ومكافحة الجهل والفقر والرذيلة، وتشجيع أعمال البر والخير » .

٥ – والفقرة « هـ » من نفس المادة الثانية، ونصها هو :

« تحرير وادى النيل والبلاد العربية جميعا والوطن الإسلامى بكل أجزائه من كل سلطان أجنبى، ومساعدة الأقليات الإسلامية فى كل مكان، وتأييد الوحدة العربية تأييدا كاملا، والسير إلى الجامعة الإسلامية » .

٦ – والفقرة « و » من نفس المادة الثانية، ونصها هو :

« قيام الدولة الصالحة التى تنفذ أحكام الإسلام وتعاليمه عمليا، وتحرسها فى الداخل وتبلغها فى الخارج » .

٧ – والفقرة « ز » من نفس المادة الثانية، ونصها هو :

« مناصرة التعاون العالمى مناصرة صادقة فى ظل المثل العليا الفاضلة التى تصون الحريات وتحفظ الحقوق، والمشاركة فى بناء السلام والحضارة الإنسانية على أساس جديد من تآزر الإيمان والمادة، كما كفلت ذلك نظم الإسلام الشاملة »، فهذه كلها أهداف إصلاحية تجديدية تضمنها القانون الأساسى للجماعة .

ومن رسالة « عقيدتنا » وهى من أقدم رسائل الجماعة حيث كتبت كالقانون الأساسى سنة ١٣٥٠ هـ – ١٩٣١ م .

وقد جاء فيها مما يدل على مذهب الجماعة فى الإصلاح والتجديد ما يلى :

« أعتقد أن من واجب المسلم إحياء مجد الإسلام بإنهاض شعوبه وإعادة تشريعه، وأن راية الإسلام يجب أن تسود البشر، وأن من مهمة كل مسلم تربية العالم على قواعد الإسلام.

وأتعهد : بأن أجاهد فى سبيل أداء هذه الرسالة ما حييت، وأُضحى فى سبيلها بكل ما أملك » .

« أعتقد أن المسلمين جميعا أمة واحدة تربطها العقيدة الإسلامية، وأن الإسلام يأمر أبناءه بالإحسان إلى الناس جميعا .

وأتعهد : بأن أبذل جهدى فى توثيق رابطة الإخاء بين جميع المسلمين، وإزالة الجفاء والاختلاف بين طوائفهم وفرقهم » .

« أعتقد أن السر فى تأخر المسلمين ابتعادهم عن دينهم، وأن أساس الإصلاح العودة إلى تعاليم الإسلام وأحكامه، وأن ذلك ممكن لو عمل له المسلمون، وأن فكرة الإخوان المسلمين تحقق هذه الغاية .

وأتعهد : بالثبات على مبادئها والإخلاص لكل من عمل لها، وأن أظل جنديا فى خدمتها أو أموت فى سبيلها » .

كما سوف نستدل على ذلك بما جاء فى كثير من رسائل الإمام البنا، على نحو ما سنتناوله فى ثنايا هذا الكتاب إذا شاء الله ويسر وأعان .

إن فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام حسن البنا هو الوسط، وهو الاعتدال، وهو المحافظة على الأصالة مع الإصلاح والتجديد، وهو مواكبة المتغيرات بعقل مفتوح وقلب سليم وروح وثابة ذات طموح.

وكل ذلك لا يستطيع أن يرى النور ولا أن يأخذ طريقه إلى التنفيذ إلا بالجهاد، والعمل المستمر، والثبات على مبادئ الإسلام والتمسك بها فى كل موقف والتجرد لله ولدينه ودعوته، ولن يعين على ذلك إلا الأخوة فى الله وفى هذا الدين العظيم والثقة فى القيادة .

وعلى الرغم من أن الجماعة قد حظر نشاطها منذ ذلك التاريخ الذى أشرنا إليه إلا أنها استطاعت أن تمد وجودها خارج مصر فى البلدان العربية والإسلامية، ثم بلدان أوربا وأمريكا .

والذى أراه أن أعمال الجماعة فى مجال الدعوة إلى الله، ومجالات الاقتصاد والثقافة والأنشطة الاجتماعية لا يمكن أن تُنسى – فضلا عن أن تُتجاهل أو يطويها تطاول الأيام، فقد أصبحت جزءا من تاريخ مصر فى العصر الحديث.

ولا يستطيع أحد من الأصدقاء أو الأعداء أن ينكر ما قامت به الجماعة من أنشطة متعددة، ولا ما أحدثته فى المجتمع من تغيير، ولا ما أسهمت به فى حركة الإحياء والتجديد.

وعلى الرغم من أنَّ عددا من الحكومات المصرية تصدى لهذه الجماعة بالحل أو الحظر، فإن ذلك شمل نشاطها ومنعه بعد قرار الحل أو الحظر، أما ما سجلته الجماعة من أعمال وأنشطة ومشاركة فى تطوير المجتمع وتنويره وتشجيعه على الإسهام فى عديد من مناحى الإصلاح، إن ذلك حدث بالفعل ولا يمكن أن يمحى من ذاكرة من يرقب حركة الإحياء والتجديد لأمر هذا الدين.

وهذه السلسلة تتتبع هذه الحقبة التى شاركت فيها الجماعة فى حركة الإحياء والتجديد، لتوضح ما كان لمؤسس هذه الجماعة من فقه للإصلاح والتجديد.

بَيْن يَدَىْ هذا الكتاب

هذا الكتاب الخاص بركن « الثقة » عاشر أركان البيعة وآخرها، تلك البيعة التى كان يبايع عليها أعضاء الجماعة، لكى تكون ممارستهم للأنشطة النظرية والعملية فى مجال العمل الإسلامى موصلة إلى الإصلاح والتجديد لأمر هذا الدين، ومبنية على علم وفقه لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وعلى إخلاص ووعى وإدراك لأغراض الإسلام وأهدافه.

هذا الركن « الثقة » هو موضوع هذا الكتاب، نرجو أن نتمم به هذه الأركان العشرة للبيعة، فنضع بشرحه وتحليله لبنة فى هذا البناء الشامخ فى فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام حسن البنا رحمه الله.

ومن خلال هذا الشرح والتحليل للكلمات الوجيزة التى كتبها الإمام البنا عن « الثقة » أرجو أن أحقق عدداً من الأهداف التى أشرت إليها أو إلى بعضها فى الحلقات التسع السابقة.

وأذكّر هنا بهذه الأهداف فأذكر منها:

- توضيح معنى الثقة فى ديننا الحنيف، وتأكيد أنها ليست مجرد كلمة تقال، وإنما هى عمل وسلوك وواجبات والتزام وولاء وبراء، بل هى عبء يقع على كاهل كل منتم إلى الدعوة إلى الله، فى أى مرحلة من مراحل هذه الدعوة.

- وتوثيق معنى الثقة وتأصيله فى ديننا وتراثنا، بتتبع معنى تلك الكلمة فى النصوص الإسلامية من كتاب وسنة، مع إلقاء ضوء على فقه الثقة بين المسلمين أو بينهم وبين قادتهم فى تاريخهم، علما وعملا، وشفع ذلك بذكر نماذج من تلك الثقة، أؤكد بها ما لهذه الثقة من أهمية فى بناء المجتمع المسلم عموماً، ومجتمع الدعوة إلى الله على وجه الخصوص، إذ هى أساس مكين فى طريق العمل من أجل الإسلام، وفى مراحل الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال - عند الحاجة إليه - بالتى هى أحسن، والجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا، أى للتمكين لدين الله فى الأرض كلها.

وبهذا التوثيق وذاك التأصيل نضيف إلى ثقافتنا الإسلامية مفاهيم نابعة من القرآن الكريم ومن السنة النبوية المطهرة، فيسهم ذلك فى توضيح قيمنا وأخلاقنا وعملنا، ومنهجنا فى

الوصول بهذا الدين إلى مكانه الحقيقى الذى أراده الله له، مصدقًا لما بين يديه من الأديان التى لم يدخل كتبها تحريف ولا تبديل، ومهيمنًا على كل نظام سواه.

– ومن أهداف هذا الكتاب أن يعرض على المسلمين ويضع بين أيديهم مفهوم الثقة كما كان يعطيها رسول الله ﷺ لمن كانوا أهلاً لها، وكما كان يمارسها الصحابة رضوان الله عليهم فيما بينهم، بل كما كان يمارسها التابعون وتابعوهم من أهل القرون الثلاثة الأولى خير القرون، ومن جاء بعدهم من الصالحين والمصلحين والمجددين.

إنهم بهذه الثقة كانوا صفًا واحداً فى مواجهة أعدائهم الظاهرين الذين يحاربونهم، وأعدائهم المستترين الذين يكيدون لهم، لأنه ليس كالثقة المتبادلة بين المسلمين ما يجعل منهم نسيجًا واحداً متماسكًا محكمًا لا يستطيع عدو أن ينفذ إليهم من خلاله، إن الثقة قوة للعقيدة التى تقوم على التوحيد.

– ومن أهداف هذا الكتاب أن يؤكد للمسلمين أن الثقة فى الله وفى القيادة وفى المسلمين عمومًا عمل على جانب كبير من الأهمية فى بناء المجتمع المسلم فالدولة المسلمة، لأنها فوق اعتبارها قيمة رفيعة من قيم الإسلام هى أسلوب فى التعامل يضمن للمتعاملين به أن يكونوا صفًا واحداً كالبنيان المرصوص.

وما أحوج المسلمين اليوم وفى كل يوم إلى أن يتحدوا وتتضام صفوفهم، وتزول من بينهم الخلافات والحزازات، حتى يصبحوا كما أراد الله لهم خير أمة أخرجت للناس، ولن يكونوا كذلك إلا بثقة بعضهم فى بعض، وثقتهم فى قيادتهم وثقة قيادتهم فيهم، وتلك صفة من الصفات التى تؤدى إلى القوة.

– ومن أهداف هنا الكتاب أن أوضح أن غذاء هذه الثقة وزادها هو الحب فى الله والتآخى فيه، وحب النبى ﷺ وحب آله وصحابته والمتمسكين بسنته، بل حب الناس جميعًا، وحب الخير لهم وهدايتهم إلى دين الله الخاتم وصراطه المستقيم.

وإن هذه الثقة ما لم تُدْعم بالإخلاص وتُمَدّ بالطاعة وتسقى بماء الأخوة فى الله، فلن يكون لها كيان قوى، ولن تؤدى ثمارها قوة للإسلام والمسلمين.

– ومن أهداف هذا الكتاب أن يقرر فى وضوح ومن خلال الأدلة والبراهين أن المشكلات العامة التى يعانيها العالم الإسلامى المعاصر، والمشكلات التى يعانيها العاملون فى حقل الدعوة إلى الله، لا تحل إلا بأن تسود الثقة بين المسلمين وبينهم وبين قادتهم وأن يسودهم

احترام بعضهم لبعض وتقدير بعضهم لبعض، وأن يبعد عنهم إعجاب بعضهم بعمله وزرايته بعمل غيره من المسلمين، وذلك داء وبيل لا يقضى عليه مثل ثقة المسلمين بعضهم فى بعض.

إن عشرات المشكلات بين العاملين من أجل الإسلام، يمكن أن تُرَدَّ إلى سبب جوهرى هو فقد الثقة بين المسلمين، فإن وجدت هذه الثقة تكفلت بالقضاء على هذه المشكلات، فإن أفلت من هذه المشكلات بعضها ضعف تأثيرها لأنها تحيا وتقوى بكثرتها وتآزر بعضها مع بعض.

وإن العاملين فى مجال الدعوة إلى الله هم أكثر الناس معرفة بهذه المشكلات، وأدرى الناس بالآثار السيئة التى تتركها هذه المشكلات فى العمل وفى العاملين، وهم أدرى الناس وأكثرهم بصرًا بأن الثقة المتبادلة بين العاملين من أجل الإسلام تقلل من ضرر هذه المشكلات، إن لم تقض عليها نهائيًا.

ولئن عاش المسلمون حينًا من الدهر وهم الظاهرون وأصحاب الكلمة فى رقعة فسيحة من الأرض، فإن التفتيش عن سر هذا النجاح والفلاح سوف يؤكد لنا أن الثقة المتبادلة بينهم كانت من هذه الأسرار أو من تلك الأسباب.

– ومن أهداف هذا الكتاب أن يقول: إن الثقة التى كانت بين المسلمين فى الماضى فساعدت على انتصارهم على أعدائهم، وقضت على أكثر مشكلاتهم، هذه الثقة لا تزال – حتى يومنا هذا وإلى يوم أن يقوم الناس لرب العالمين – قادرة على أن تحقق للمسلمين نصرًا فى كثير من معاركهم، ومن شك فى تلك المقولة فإنى أحيله على قراءة تاريخ المسلمين يوم كانوا منتصرين ومنتشرين وقادرين على ملء الأرض عدلاً ورحمة.

إن الثقة بين القائد وجنده تصنع النصر أو تيسر الوصول إليه وما من معركة هدفها إحقاق الحق يستطيع المشاركون فيها أن يحققوا النصر فيها على أعدائهم، إذا كانوا لا يثقون فى قيادتهم ولا تثق فيهم قيادتهم، ولا يثق بعضهم ببعض.

– ومن أهداف هذا الكتاب أن يؤكد للمسلمين المتشككين فى مستقبل العمل الإسلامى – وهم ينظرون إلى واقع المسلمين الملىء وبالهزائم والانكسارات أمام العدو وأمام أنفسهم – يؤكد لهؤلاء المتشككين، أن الثقة فى الله سبحانه وتعالى وفى وعده للمؤمنين بالنصر، والثقة فى قيادتهم، وثقة بعضهم فى بعض قادرة على أن تخرج هؤلاء المتشككين

مما هم فيه، وأن تملأ نفوسهم بالأمل المقرون بالعمل، وأن تحول بينهم وبين الهزائم والانكسارات وحسبهم للخروج من هذه الهزائم أن يتدبروا قول الله تعالى: ﴿ **وكان حقًا علينا نصر المؤمنين** ﴾ [الروم: ٤٧]، وقوله تعالى: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ..** ﴾ [النور: ٥٥].

إن التدبر فى هاتين الآيتين وأمثالهما ليؤكد للمسلمين المتدبرين أن الأمر كله بيد الله، وأن الموازين العادلة عدلاً مطلقًا لا نجدها إلا عنده سبحانه وتعالى، وأن أسباب التغير والتَّبدل كلها بيده، وأنه سبحانه قد وعد، وحاشا لله أن يخلف وعده.

- ومن أهداف هذا الكتاب أن يؤكد أن أركان البيعة العشرة متماسكة يفضى أولها إلى تاليها وهكذا حتى ركنها العاشر «الثقة» وأنها متكاملة لا يغنى بعضها عن بعض، ولا ينفك بعضها عن بعض إلا أن يحدث خلل فى أركان البيعة.

إن الركن الأول وهو الفهم للإسلام لا يثمر إلا إن كان الفاهم مخلصًا، وأن الإخلاص لا يعبر عن نفسه إلا بالعمل بعد الفهم، وأن الفهم والإخلاص والعمل لابد أن تفضى إلى الجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا وليمكّن لدين الله فى الأرض، ولا جهاد بغير تضحية: تضحية بالوقت والجهد والمال والنفس من أجل بلوغ الهدف، ومادام جهاد وتضحية فلابد من قيادة، والقيادة لها الطاعة،بل تمام الطاعة من غير تردد ولا مراجعة ولا شك ولا حرج.

ومادامت هناك معارك فلابد من الثبات، والثبات على الحق يحتاج إلى تجرد من كل ما يخالف الحق أو يعاديه حتى لو كان من يعادى الحق من أقرب المقربين إلى المتجرد.

وكل هذه الأركان لا تثمر ثمرتها المرجوة إلا أن يكون بين المبايعين عليها أخوة فى الله وفى الدين تعرف حقوقها وتؤدى واجباتها، وثم تأتى الثقة للتتوج كل هذه الأركان على نحو ما سنشرحها ونوضح أبعادها بإذن الله تعالى.

وبختام هذه السلسلة بهذه الحلقة العاشرة الأخيرة أؤكد أن الإصلاح والتجديد لأمر الدين له فقهه وله أركانه وله أخلاقه وآدابه.

كما أؤكد أن هذه الرسالة أوضحت معالم العمل من أجل الإسلام وبينت خطوطه العريضة وأن شرحنا لها وتحليلها أفصح عن كثير من التفصيلات، وأسهم فى تأصيل هذه

التفصيلات وربطها بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

وما كنت أحسبني قادراً على القيام بهذا العمل وحدى منذ بدأت الكتاب الأول « الفهم » من هذه الكتب العشرة، وكان يحزنني ألا أكملها، وأدعو الله أن يمدني بالأسباب التى تمكنني من إكمالها، وأحمد الله تعالى أن استجاب للدعاء ويسَّر الأسباب وأعان ووفق، فأكملت شرحها وتحليلها حسبة لوجه الله تعالى ورغبة فى مثوبته، والله من وراء القصد وهو الهادى إلى سواء السبيل.

وقد أقمت هذا الكتاب الأخير كسابقه من الكتب على منهج التزمته فيها جميعًا، وهو جعل كل كتاب منها بابين :

الأول: فى مفهوم الثقة لغةً ومفهومها فى القرآن الكريم والسنة النبوية وحياة الرسول ﷺ وصحابته وتابعيهم.

وفى هذا الباب فصلان.

والثانى: فى شرح كلمة الإمام البنا فى « الثقة »

وفى هذا الباب فصول ثلاثة.

مع مقدمة وخاتمة.

فللّه الحمد رب السموات والأرض رب العالمين.

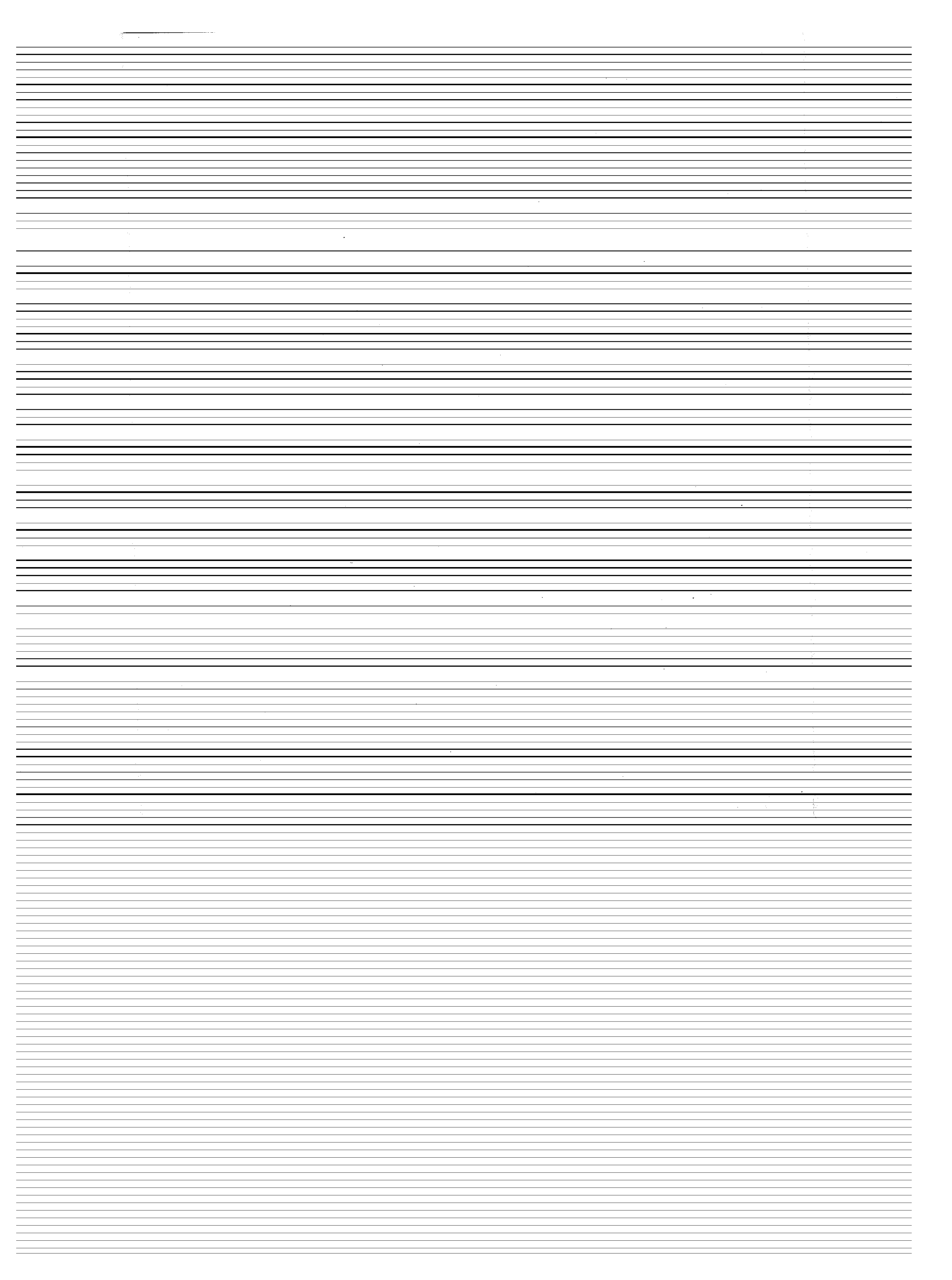
الباب الأول:

فى مفهوم الثقة

وفيه فصلان:

الفصل الأول: مفهوم الثقة فى الكتاب والسنة.

والفصل الثانى: مفهوم الثقة فى تاريخ المسلمين.



تمهيد للباب الأول من الكتاب :

فى هذا الباب نقوم باستعراض مفهوم الثقة فى مظانه التى تدلنا عليه؛ معاجم اللغة العربية، وفى مصطلحات بعض العلوم كعلم الحديث دراية – مصطلح الحديث–، وعند الدعاة إلى الله والعاملين فى حقل الدعوة إلى الله.

ثم نعقد فى هذا الباب فصلين:

الأول منهما: نتحدث فيه عن مفهوم الثقة فى القرآن الكريم، ثم فى السنة النبوية المطهرة، مما نؤصل به مفهوم كلمة «الثقة» ودلالتها فى فكرنا الإسلامى وثقافتنا الإسلامية.

وفى الفصل الثانى: نتحدث عن مفهوم الثقة فى تاريخ المسلمين، بادئين بالحديث عنها عند النبى ﷺ، صادرة منه لمن كان أهلاً لها، أو متجهة إليه على اعتبار أنها عندئذ تكون جزءا من الدين.

ثم نتحدث عنها عند الصحابة رضوان الله عليهم صادرة منهم أو متجهة إليهم، ثم عند التابعين رحمهم الله.

ثم نتحدث عن مفهوم الثقة عند المصلحين المجددين فى تاريخ المسلمين،حيث نذكر من كل قرن هجرى مصلحًا مجدداً ممن يبعثهم الله على رأس كل مائة عام ليجددوا للأمة أمر دينهم.

مفهوم كلمة «الثقة» فى معاجم اللغة العربية

لابد أن نتجه إلى معاجم اللغة العربية لكى نستنبئها عن معانى كلمة الثقة، سواء منها ما كان معنى حقيقيًا أو مجازيًا، لنستطيع بعد ذلك المضى فى الموضوع على بينة وهدى.

– الثقة، والوثاقة: مصدر للفعل: وَثِق.

– ووثق بفلان ثقةً وموثقًا ووثوقًا ووثاقة: ائتمنه فهو واثق به.

– ووثق به: سكن إليه واطمأن إليه واعتمد عليه.

– ورجل ثقة: أى موثوق به، ورجال ثقات ونساء ثقات.

– ووَثَّق فلانًا: إذا قال عنه: إنه ثقة.

– ووثَّق الأمرَ: أحكمه.

– ورجل أو أمر وثيق: أى محكم.

– والثقة: الوثيقة، ومن ذلك قولهم: أخذ بالوثيقة من أمره، أى أخذ بالثقة فيه.

– والثقة فى إنسان تعنى: الثقة فى دينه وخلقه وأمانته، وكفاءته فى العمل الذى يقوم به.

– واستوثق من فلان: أى أخذ فيه بالوثاقة وهى الثقة.

– والميثاق الموثق: العهد، وهما كلمتان قرآنيتان، قال الله تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ..** ﴾ [آل عمران: ٨١]، وقال جل شأنه: ﴿ **حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ** ﴾ [يوسف: ٦٦]، أى عهداً.

– والمواثقة: المعاهدة، ومنها قوله جلا وعلا: ﴿ **وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ..** ﴾ [المائدة: ٧].

– والمواثقة: المحالفة.

– والوثقى: مؤنث الأوثق.

● وفى مصطلح أهل الحديث – أى علماء دراية الحديث –:

– الثقة : هو الراوى للحديث النبوى الموثوق فى روايته.

– والثقة : هى التى يعتمد عليها فى الأقوال والأفعال.

– وكلمة الثقة عندهم لفظ من ألفاظ التعديل.

– والثقة عندهم له أوصاف وألقاب فهم يقولون :

ثقة ثبت،

وثقة حافظ،

وثقة حجة،

وثقة ثقة.

– والثقة من أعلى ألفاظ التعديل، فقد رتب ابن أبى حاتم ألفاظ التعديل على النحو التالى، فقال :

أعلاها : ثقة، أو متقن، أو حجة، أو عدل حافظ أو ضابط.

وقال الخطيب البغدادى : أعلى العبارات فى التعديل والجرح أن يقال فى التعديل : حجة أو ثقة، وأدناها أن يقال فى الجرح : كذّاب.

وقال الذهبى : أعلى العبارات فى الرواة المقبولين :

ثبت حجة، وثبت حافظ، وثقة متقن، وثقة ثقة، ثم : ثقةصدوق، ثم لا بأس به، ولس به بأس، ثم محله الصدقة، وجيد الحديث، وصالح الحديث، وشيخ وسط، وشيخ حسن الحديث، ثم صدوق إن شاء الله، ثم صويلح، ونحو ذلك من العبارات التى تطلق على الرواة المقبولين.

● ومن المعانى المجازية للثقة : الصدق، والأمانة.

فمن الصدق :

قولهم : من كان محلاً للصدق عند الناس فهو محل للثقة.

– ويقال : صَدَقَه الحديث أى أنبأه بالصدق فهو أهل للثقة فيه.

– ويقال : صدقه المودة وصدقه الإخاء أى أخلص له فيهما، فهومحل للثقة أيضاً.

– وصدقه الوعد: أوفى به، فهو أهل لأن يوثق فيه.

– ويقال: رجلُ صِدْق أى قوى وصالح لا شِيَة فيه من نقص أو كذب، فهو محل للثقة.

– والصديق: الصاحب الصادقُ الود، ولا يوثق فى أحد مثلما يوثق فيه.

ومن الأمانة:

قولهم: أمنتُ فلانًا أمنًا وأمانًا أى اطمأننت إليه.

وأمنته على كذا: أى وثقت به.

ويقال: آمَن به: أى وثق فيه وصدقه، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ**﴾ [يوسف: ١٧].

ويقال: ائتمنته على الشيء: وثقت فيه وفى حفظه إياه.

وفى مصطلح الدعوة إلى الله والدعاة:

– الثقة هو: الذى وثَّقه – أى زكاه – غيره ليقوم بعمل أرفع وأهم من العمل الذى يقوم به، ولا يتم التوثيق عندهم إلا بعد ترشيح وتزكية، ثم يحدث التوثيق.

ولدى الدعاة إلى الله مصطلح يخصهم هو: التوثيق والتضعيف، وللتوثيق عندهم شروط وللموثق صفات بعينها، كما أن للتضعيف لديهم مشروط وللمضعَّف صفات تخصه(١).

ومن نتائج الثقة والتوثيق عند الدعاة إلى الله:

– الحب: فمن وثق أحيط بالحب أى الميل إليه وموادته.

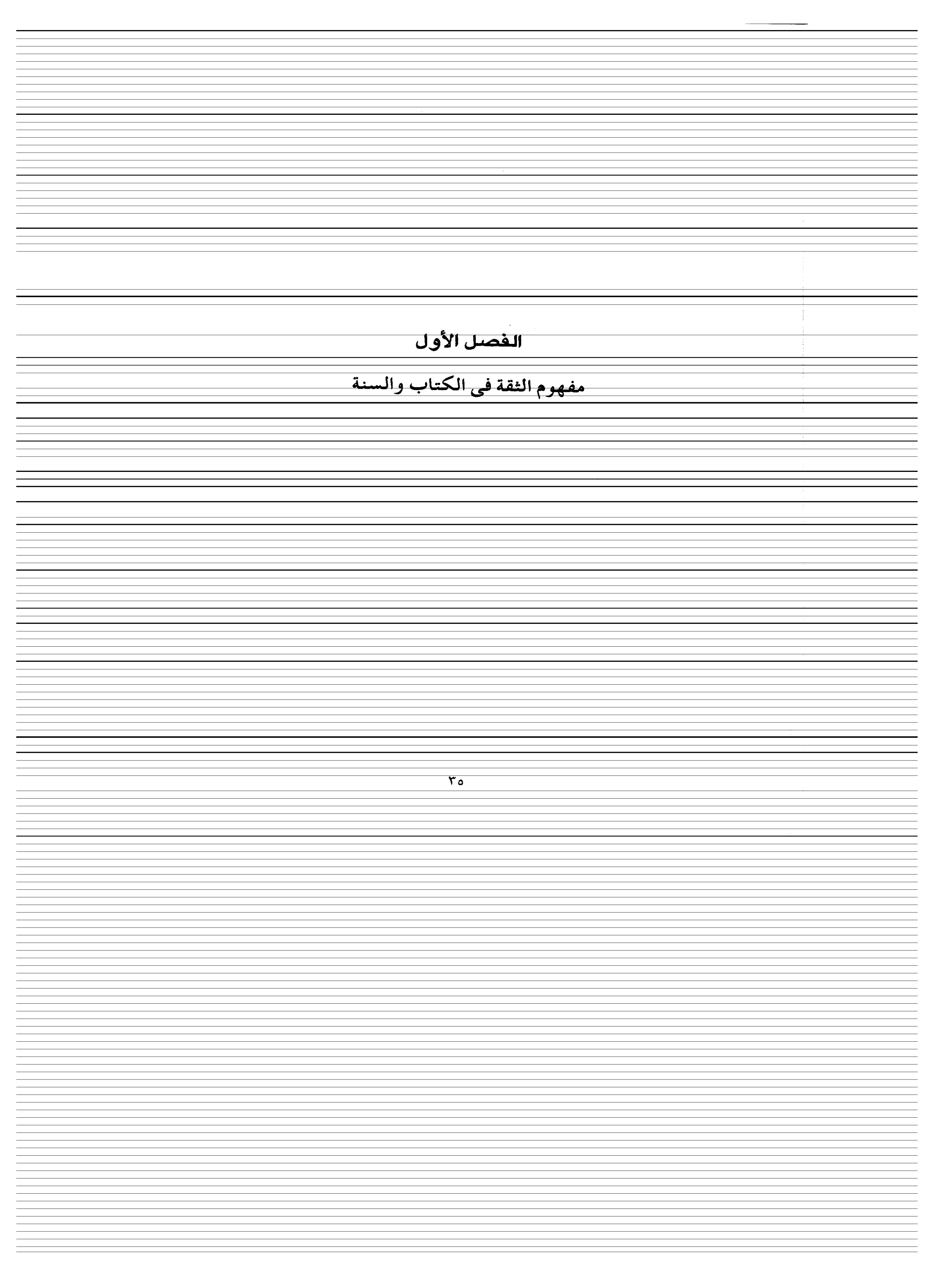
– والاحترام: أى التكريم والتفضيل.

– والتقدير: أى معرفة قدره ومكانته والتعامل معه على أساس هذا التقدير.

– والطاعة: أى طاعة من وُثِّق والانقياد له وموافقته.

---

(١) لمعرفة هذه التفصيلات انظر للمؤلف: التوثيق والتضعيف عند المحدثين والدعاة، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م. دار الوفاء.



الفصل الأول

مفهوم الثقة فى الكتاب والسنة

تمهيد

نحاول فى هذا الفصل – على نحو ما عودنا القارئ عليه فى الكتب التسعة السابقة من هذه السلسلة – أن نلتمس معنى الثقة فى مصدرينا الأساسيين اللذين لايتطرق إليهما ولا إلى عربيتهما وفصاحتهما أدنى شك، وهما:

القرآن الكريم، الذى أُنزل بلسان عربى مبين،

والسنة النبوية المطهرة التى نطق بها أفصح من نطق بالضاد ﷺ، بيد أنه من قريش التى حفظت العربية الفصحى فى نقائها وصفاتها ودلالاتها.

والكلمة العربية إذا وردت فى القرآن الكريم أو فى السنة النبوية فقد استفادت من ذلك شرعية لغوية وفصاحة وأصالة.

ومن المسلم به بين العلماء أن القرآن والسنة وإن كانا مصدرين لكل تشريع ينظم حياة الإنسان فى الدنيا ويكفل له سعادة الآخرة، إلا أن علماء اللغة العربية يؤكدون أن كل كلمة ترد فى القرآن الكريم أو فى السنة النبوية تعد عربية فصيحة.

ومن أقوال العلماء فى ذلك:

– قال الإمام الشافعى (١٥٠ – ٢٠٤هـ) رحمه الله: «جميع ما تقوله الأمة شرح للسنة، وجميع السنة شرح للقرآن، وجميع القرآن شرح لأسماء الله الحسنى وصفاته العليا».

والقرآن والسنة بلسان عربى مبين.

– وقال الإمام الزمخشرى (٤٦٧ – ٥٣٨هـ) رحمه الله فى مقدمة تفسيره «الكشَّاف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل»، قال فى هذه المقدمة عن القرآن الكريم: «.. أنشأه كتابًا ساطعًا تبيانه، قاطعًا برهانه، وحيًا ناطقًا ببينات وحجج، قرآنا عربيًا غير ذى عوج، مفتاحًا للمنافع الدينية والدنيوية، مصداقًا لما بين يديه من الكتب السماوية، معجزًا باقيًا دون كل معجز على وجه الزمان، دائرا بين سائر الكتب على كل لسان فى كل مكان، أفحم به من طولب بمعارضته من العرب العرباء، وأبكم من تحدَّى به من مصاقع الخطباء، فلم يتصدَّ للإتيان بما يوازيه أو يدانيه واحد من فصائحهم، ولم ينهض لمقدار أقصر سورة منه ناهض من بلغائهم..».

ـ وقال بدر الدين الزركشي (٧٤٥ ـــ ٧٩٤هـ) رحمه الله فى مقدمة كتابه : « البرهان فى علوم القرآن » عن القرآن الكريم : « . . بهرت بلاغته العقول، وظهرت فصاحته على كل مقول، وتضافر إيجازه وإعجازه، وتظاهرت حقيقته ومجازه، وتقارن فى الحسن مطالعه ومقاطعه، وحْوَتْ كل البيان جوامعه وبدائعه » .

فالقرآن الكريم أُنزل بلسان عربى مبين فى زمن أفصح العرب محمد ﷺ، فكل كلمة وردت فى القرآن فإنها تحمل بورودها فيه دليل عربيتها وفصاحتها وأصالتها.

وكذلك إذا وردت الكلمة فى السنة النبوية فإنها تحمل شهادة موثقة بأنها عربية فصيحة.

ومن أجل هذا كانت عنايتنا بالبحث عن الكلمة « الثقة » وما يرادفها أو يقاربها فى المعنى والدلالة فى القرآن الكريم وفى السنة النبوية المطهرة، لنعرف معناها ودلالتها بدقة ووضوح.

وقد اشتمل هذا الفصل على موضوعين:

ـ مفهوم الثقة فى القرآن الكريم،

ـ ومفهوم الثقة فى السنة النبوية المطهرة.

والله المستعان

أولاً: مفهوم الثقة فى القرآن الكريم

لم ترد كلمة « ثقة » بلفظها فى القرآن الكريم، وإنما وردت بمعناها أو بما هو قريب من معناها، فى ألفاظ عديدة.

وهذه الألفاظ – فى تقديرنا – هى:

الصدق،

والأمن والأمان والأمانة والإيمان.

١ – **الصدق**: الذى يؤدى إلى الثقة، سواء أكان صدق الحديث أو صدق الموقف، أو صدق الوعد، أو الصدق عموماً.

● ففى صدق الحديث الذى يجعل صاحبه محل ثقة واحترام عند الناس، جاءت آيات كريمة عديدة، منها:

– قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾ [التوبة: ١١٩]. أى لتكونوا أهلاً للثقة فى كلامكم وما قدمتم من اعتذار عن تخلفكم فى غزوة تبوك.

– وقوله جل شأنه: ﴿ **لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** ﴾ [البقرة: ١٧٧].

فهذه الصفات الواردة فى الآية الكريمة هى أحسن ما يوصف به الإنسان، ومن اجتمعت فيه كان محلاً للثقة عند الناس جميعاً، وقد وصف الله تعالى من استجمع هذه الصفات بأنه من الذين صدقوا ومن المتقين.

وهذه الصفات الداعية إلى الثقة فيمن اتصف بها، والتى يسمى من أجلها من الصادقين هى:

- الإيمان بكل فروعه، الإيمان بالله تعالى، وباليوم الآخر، والملائكة والكتاب والنبيين.
- وإنفاق المال فى مستحقيه من ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب.
- وإقام الصلاة لله تعالى كما شرعها،
- وإيتاء الزكاة التى فرضها الله لمستحقيها،
- والوفاء بالعهد،
- والصبر فى الحرب، وعند الفقر والحاجة،

أصحاب كل هذه الصفات هم الذين صدقوا وهم المتقون، أى هم أهل لأن يثق الناس فيهم، وفى كل ما يقولون وما يفعلون.

● وفى صدق المواقف - أى الثبات على الحق والاستمرار على هذا الثبات مهما كلف الصادق من عناء - جاء قوله تعالى: ﴿ **الٓمٓ (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ** ﴾ [العنكبوت: ١ - ٣].

والمعنى أن صدق الموقف عند الفتنة والمحنة، مع الثبات على الحق هو من أسباب ثقة الناس فى هذا الصادق المحتسب أجره عند الله تعالى على صدق موقفه وثباته.

وجاء قوله جل شانه: ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً (٢٣) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً** ﴾ [الأحزاب: ٢٣ - ٢٤].

فقد صدق هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم فى مواقف القتال والفزع، فمنهم من ثبت على الحق واستُشهد فى سبيله، ومنهم من كتب الله له أن يعيش، فعاش ينتظر الموت فى سبيل الله.

● وفى صدق الوعد والوفاء بالعهد، يعتبر كل صادق فى وعده وفىٌّ بعهده من الصادقين أهل الثقة عند الناس، وفى ذلك جاء قوله تبارك وتعالى يمتدح أصحاب هذا الصدق فى الوعد وفى الوفاء بالعهد: ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً**

نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٤].

وقوله جل وعلا: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩١][(١)].

ومن كان من صفاته صدق الوعد والوفاء بالعهد فهو صادق وهو بهذا محل لثقة من يتعامل معه من الناس.

٢ - الأمن والأمان والأمانة والإيمان

● ففى الأمن بمعنى الأمان الذى يشعر الناس به نحو أحدهم، فيصبح بذلك محلاً لثقتهم.

وقد أوضحت آيات قرآنية عديدة ما لهذه الصفة من أهمية فى حياة الناس وفى أمن المجتمع كله؛ لأن الناس إنما يأمنون لمن كان قادراً على أن يلحق بهم ضرراً ثم امتنع عن ذلك خوفًا من الله تعالى واتقاء لعقابه.

وفى هذا المعنى جاء قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٧ - ٩٨] بمعنى أنه لا إحساس بالأمن للإنسان ما دام غافلاً عن الله تعالى منصرفًا عن منهجه ونظامه.

وقوله جل شأنه: ﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا..﴾ [النساء: ٩١].

فهؤلاء المشركون يريدون أن يحصلوا على الأمن من المسلمين ومن أقوامهم، وهم فى ذلك واهمون بل فى ضلال مستمر ونفاق، وليسوا بذلك أهلاً لأن يشعروا بالأمن.

وقوله جل وعلا على لسان إخوة يوسف عليه السلام: ﴿هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ..﴾ [يوسف: ٦٤].

ففى هذه الآيات الكريمة تتضح أبعاد الإحساس بالأمن، ويُنبِّه الناس إلى أن الإحساس بالأمن حق للإنسان متى كان مستقيماً طائعًا لله تعالى، وإلا فلن يشعر بالأمن أبداً.

● وفى الأمن بمعنى الأمانة أو الائتمان؛ بمعنى أن من كان أمينًا على أمور الناس ائتمنوه

---

(١) جاء الوفاء بالعهد فى الآيات الكريمة التالية: البقرة: ٤٠ و١٧٧. والأنعام: ١٥٢، والإسراء: ٦٤.

ووثقوا فيه، جاءت آيات قرآنية كريمة منها:

قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا .. ﴾ [آل عمران: ٧٥].

أى منهم من هو محل للثقة لأمانته، ومنهم من ليس محلاً للثقة لعدم أمانته.

وقوله جل شأنه: ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٨٣]، ففى هذه الآية الكريمة أمر صريح بأداء الأمانة، ومن أدى الأمانة مع تقواه لله عز وجل وثق الناس فيه، واطمأنوا إليه.

وقوله جل وعلا: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا .. ﴾ [النساء: ٥٨]. فهذا - أيضًا - أمر صريح بأداء الأمانة، ومن أدى الأمانة كان محلاً لثقة الناس فيه.

وفى آيات كريمة أخرى يمتدح الله تعالى الذين يؤدون الأمانات ويراعون العهود، لأن هذه وتلك من صميم أخلاق المؤمنين، بل مكارم أخلاقهم التى جاء النبى ﷺ ليتممها.

ومن تلك الآيات الكريمة:

قوله سبحانه وتعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ... ، وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١، ٨]. و[المعارج: ٣٢]. فهؤلاء هم المؤمنون المفلحون، و هم بكل تأكيد أهل لأن يثق الناس فيهم، وفيما يفعلون.

وقوله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٧].

ففى هذه الآية الكريمة نهى عن خيانة الله ورسوله ونهى عن خيانة الأمانة، وعطف خيانة الأمانة على خيانة الله ورسوله يجزم بأن خيانة الأمانة خروج على الدين لأن خيانة الله ورسوله خروج على الدين.

- وفى الأمن بمعنى الإيمان: جاءت آيات كثيرة توضح أن إيمان الإنسان يدعو الآخرين إلى الثقة فيه، وذلك أن الإيمان التزام بقيم وأخلاق وسلوك فى التعامل مع الناس، وكل ذلك يدعو الآخرين إلى الثقة فى هذا المؤمن، إن لم يجبرهم عليها.

وإنما كان الإيمان مدعاة للثقة والاحترام عند الناس، لأنه - كما وصفه الله تعالى - نور

جعله الله فى قلب المؤمن يهتدى به فى حياته وفى تعامله مع الناس.

وقد حبب الله تعالى الإيمان إلى المؤمنين وزينه فى قلوبهم، وقد جعل الله تعالى الإيمان يزداد فى قلوب المؤمنين إذا تليت عليهم آياته.

وجعل سبحانه وتعالى الإيمان سببًا فى الهداية وفى دخول الجنة، بل سببًا فى الحياة الطيبة فى الدنيا.

بكل ذلك وردت آيات كريمة توضح بل تؤكد هذا.

المؤمن بصفاته التى وردت فى القرآن الكريم محل لأن يثق الناس فيه، بل إن الثقة فى غير المؤمن لا توجد أصلا.

وصفات المؤمنين قد دلَّت عليها آيات قرآنية جامعة(١).

ومن استجمع صفات الإيمان الواردة فى الكتاب والسنة فهو أحب الناس إلى الله وإلى الناس، وهو أهل لثقة كل من يتعامل معه، وسوف نذكر - بعدما أشرنا إلى الآيات الجامعة فى صفات المؤمنين - بعض الآيات الكريمة التى أبرزت بعض صفاتهم، ومن ذلك:

قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴾ [الكهف: ٢ - ٣]، والمعنى أنه لا إيمان بدون عمل صالح، ومن آمن وصلح عمله وثق فيه الناس.

وقوله جل شأنه: ﴿ ..وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُوْلَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٢]، فهذه الصفات الست الواردة فى هذه الآية الكريمة إذا اجتمعت فى مؤمن استطاع أن يحصل على ثقة الناس فيه وعلى احترامهم وتقديرهم إياه.

وقوله جل وعلا: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٣ - ٤].

---

(١) الآيات العشر الأوائل من سورة «المؤمنون» والآيتان: ١١، ١٢ من سورة التوبة، والآيات من ٦٣ - ٧٦ من سورة الفرقان، والآية: ١٧٧ من سورة البقرة، وغيرها.

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١ - ١٢].

وغيرها من الآيات الكريمة التى عددت صفات المؤمنين، ومن البدهى أن من اتصف بهذه الصفات كان محلاً لثقة الناس فيه واطمئنانهم إليه، بل حبهم إياه واحترامهم وتقديرهم.

- ولابد أن نؤكد هنا أن ثقة المؤمن فى أخيه المؤمن عنصر من عناصر الأمن والأمان فى الحياة الاجتماعية، وهى سبب هام فى استقرار القيم الفاضلة فى المجتمع، فإذا فقدت هذه الثقة اضطرب المجتمع وفشت فيه الخيانة والجريمة، لأنه يفقد الثقة فى فقد الأمن والأمان.

- ولابُدَّ كذلك أن نؤكد أن آيات القرآن الكريم قد اهتمت بأن تربى المؤمنين على الثقة فيما بينهم، الثقة بكل معنى من معانيها:

- الثقة بمعنى اطمئنان المؤمن إلى أخيه المؤمن.

- والثقة بمعنى حب المؤمن لأخيه المؤمن واحترامه وتقديره.

- والثقة بمعنى طاعة من كان محلاً للثقة لما استجمع من صفات الإيمان والإسلام والأخوة فى الله والولاء لله ولرسوله ولكل مؤمن.

- ولابُدَّ كذلك أن نؤكد أن آيات القرآن الكريم قد اهتمت بأن تربى المؤمنين على الثقة فيما بينهم بكل مستوى من مستوياتها:

- الثقة على مستوى الأفراد.

- والثقة على مستوى الأسرة - التى هى لبنة أساسية فى بناء المجتمع.

- والثقة على مستوى المجتمع كله جماعات وجمعيات وتجمعات فى كل مجال من المجالات.

- والثقة على مستوى المسئولية المكلف بها كل مسئول: الأب والمعلم والشيخ والقائد والرئيس، إذ هو مطالب بأن يجعل كل من يلى أمورهم يثقون فيه، لما يلزم به نفسه من صفات المؤمنين التى تحمل الناس حملاً على الثقة بمن يتصف بها.

ولا ينبغى أن يفقد أحد من المسئولين الذين استرعاهم الله الناس، ثقة هؤلاء الناس، فإن فقدها فإن العيب فيه، والتقصير منه، بل البعد عن الإيمان وعن صفاته صفة من صفاته.

وبعد.. فهذه جولة فى مفهوم الثقة فى القرآن الكريم، نرجو أن يضعها المسلمون نصب أعينهم وموضع اهتمامهم، والله سبحانه يوفق من أراد.

ثانيًا: مفهوم الثقة فى السنة النبوية المطهرة

وردت كلمة الثقة بلفظها فى السنة النبوية المطهرة، كما ورد من مشتقاتها كثير من الكلمات مثل: الموثق، والميثاق، وواثق، وتواثق وغيرها.

كما وردت الثقة بمعناها فى كثير من أحاديث الرسول ﷺ، ومن هذه المعانى ما نذكرك بعضه فيما يلى:

- الثقة فى الله عز وجل، وفيما عنده لعباده أى الاطمئنان، والرضى بل الحب،
- والثقة بمعنى تأكيد العهد والاستيثاق منه،
- والثقة بمعنى العمل،
- وبمعنى الحسن والقرب من الكمال،
- وبمعنى الأخذ بالأحوط،
- وبمعنى العهد والميثاق.

– وسوف نورد شواهد من السنة النبوية المطهرة على كل معنى من هذه المعانى لكلمة الثقة.

غير أننا نقدم بين يدىْ ذلك بذكر مكانة الثقة فى الناس، و بيان أهميتها فى بناء المجتمع المسلم، فنقول وبالله التوفيق:

- إن الرسول ﷺ أرسله الله إلى البشرية كلها بخاتم الأديان وأكملها وأتمها.

– وقد جاء هذا الدين فى أركانه وقيمه، وشروطه وآدابه، وفى الأعمال التى يمارسها المسلم فيؤديها أو يمتنع عن أدائها واجبة عليه أو مندوبة، ومحرّمة عليه أو مكروهة، جاء هذا الدين الخاتم فى كل ذلك معتمداً الثقة بالله تعالى، وبرسوله ﷺ وبالدين نفسه أركانه وسائر مفرداته، وبصحابة الرسول ﷺ، ورضى عنهم بوصفهم المبلغين عن الرسول ﷺ، والذين نشروا دعوة الله، و تحركوا بالدين فى الناس وفى الآفاق، بل الثقة فى المسلمين

جميعًا، بحيث لا تنزع الثقة من أحد من المسلمين إلا إذا أتى عملاً يوجب نزع هذه الثقة.

– جاء هذا الدين ليقرر أن عنصر الثقة عنصر أساسى فى المجتمع المسلم لا يقوم بناؤه إلا عليه، ولا ينتج إلا به، ولا يأمن ولا يطمئن إلا معه، بل لا يوجد حب المسلمين بعضهم لبعض بوصفهم إخوانا فى الدين إلا بهذه الثقة، بل إن احترام المسلم لأخيه المسلم وتقديره إياه لا يكون إلا بهذه الثقة.

ولعمرى ما لم تكن هذه الثقة فكيف يتعامل الناس؟ بل كيف يتعايشون؟

– إن المجتمع المسلم، بل أى مجتمع إنسانى تنتزع منه ثقة الناس بعضهم فى بعض، أو تنتزع فيما بينهم وبين حكامهم وأمرائهم ومن يلون أمورهم، مجتمع قلق مضطرب أولاً، ثم هو مجتمع متعادٍ متصارعٍ بعد ذلك، ثم هو مجتمع متخبط ضال تسيطر عليه القلاقل والفتن، فلا يصبح جديراً بأن يأخذ طريقه الصحيحة فى الحياة الإنسانية الكريمة التى كرم الله فيها الإنسان وفضّله على كثير من خلقه، وماذا يكون شأن مجتمع لا يحترم فيه الإنسان ولا يمارس حقوقه وواجباته؟

● لهذا كانت الثقة ركنًا من أركان البيعة على الحق، وعلى العدل والخير والهدى، بل على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وعلى الدعوة إلى الله والحركة بهذا الدين فى الناس والآفاق وعلى التربية الإسلامية للفرد والمجتمع، بل لولا الثقة ما كان الجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا، لأن الجهاد فى سبيل الله جندى وقائد وخطة عمل، وكل ذلك يحتاج إلى الثقة دون شك.

● وأهم ما تكون الثقة وأولاها بالوجوب والالتزام فى السنة النبوية المطهرة، فهى لب الدين وجوهره، وما نطق بها محمد ﷺ إلا مأموراً من ربه سبحانه وتعالى بأن يبلغ ما أنزل الله من ربه، والله تبارك وتعالى أعلمنا فى محكم كتابه أن الذى يقوله محمد ﷺ ويهدى إليه هو الصراط المستقيم، الذى أمرنا باتباعه، كما يُفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ**﴾ [الشورى: ٥٢ – ٥٣].

فهذه الآية الكريمة توجب على المسلمين أن يسلموا للرسول ﷺ، ويتبعوا أمره، ويجتنبوا مانهاهم عنه، فكل ما بَيَّن رسول الله ﷺ فيما ليس لله فيه حكمٌ فقد سَنَّه الرسول ﷺ فوجب على المسلمين اتباعه، وفى ترك اتباعه معصية لله، إذ لا حَكَم بين الله تعالى وبين خَلْقه إلا الذى جاء به محمد ﷺ ليبين عن ربه سبحانه وتعالى ما أمره أن يبينه للناس جميعًا.

• فالواجب على كل مسلم الإيمان بسُّنة النبى ﷺ، والأخذ بما فيها والتفقه فى الدين من خلالها، ومعرفتها معرفة جيدة، فإذا عرفها وتفقه فيها وجب عليه نشرها فى الناس، وذلك من صميم الدعوة إلى الله تعالى.

وبعد هذه المعرفة بل معها يكون العمل بسنته ﷺ.

وقد كفانا أسلافنا من العلماء مشقة البحث والتنقيب عن صحة ما نُسب إلى رسول الله ﷺ من أقوال وأفعال، بل كفونا مئونة الحكم على من حملها إلينا من الرجال، فبينوا لنا صحيح السنة من سقيمها، أى ما صحت نسبته إليه ﷺ، وما لم تصح نسبته إليه، ومن خلال علوم السنة - وهى كثيرة - أصبح فى إمكان المسلم المثقف فضلاً عن الداعية إلى الله عز وجل أن يعرف المسند من الحديث والمرسل منه، والموقوف والمنقطع[1].

وكذلك مَنَّ الله علينا بأسلاف من العلماء مَيَّزوا لنا الرجال الذين رووا أحاديث رسول الله ﷺ، فقالوا: هذا ثقة وذاك ضعيف وذاك متروك ...[1].

ومن فضل الله علينا وعلى المسلمين إلى يوم الدين أن جاءتهم سنة الرسول ﷺ صحيحة موثقة نقية من الشوائب فى كتب شهيرة بذل فيها العلماء جهودًا مذكورة مشكورة قلَّ أن عرفت البشرية فى تاريخها دقةً وتحرِّيًا أكثر من ذلك.

فهناك الكتب الستة المشهورة:

١ - صحيح الإمام البخارى.

٢ - وصحيح الإمام مسلم.

٣ - وصحيح الإمام الترمذى ويسمى سننه،

---

(١) راجع هذه المصطلحات وغيرها فى دراسة لنا وجيزة هى كتاب: التعريف بسنة الرسول ﷺ أو علم الحديث دراية - نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية. ط ٣.

٤ – وسنن الإمام النسائى،

٥ – وسنن أبى داود،

٦ – وسُنن ابن ماجه.

وهناك:

٧ – موطأ الإمام مالك،

٨ – وسنن الدارمى.

وهناك المسانيد: وهى كثيرة من أشهرها:

٩ – مسند الإمام أحمد بن حنبل،

١٠– ومسند أبى حنيفة،

١١– ومسند الشافعى.

وعشرات المسانيد المشهورة ومنها عشرة ذائعة بين العلماء هى:

١ – مسند أبى داود الطيالسى،

٢ – ومسند عبد الله بن الزيد الحميدى،

٣ – ومسند مسدَّد بن مُسَرْهد،

٤ – ومسند محمد بن يحيى العَدَنى،

٥ – ومسند إسحق بن راهويه،

٦ – ومسند أبى بكر بن أبى شيبة،

٧ – ومسند أحمد بن منيع،

٨ – ومسند عبد بن حميد،

٩ – ومسند الحارث بن أبى أسامة،

١٠– ومسند أبى يعلى الموصلى.

وغير هذه الكتب عشرات من كتب السنة النبوية المطهرة، جمعها العلماء النحارير، وبذلوا فيها من الجهد فى التدقيق والتحقيق ما لا مزيد عليه، حتى وصلتنا السنة النبوية

صحيحة سليمة رواها الثقات عن الثقات، وسُجلت فى كتب محفوظة متداولة مكتوبة حتى عرف الناس الطباعة فطبعوها، وهى بفضل الله بين أيدينا نقلب فى صفحاتها دون أن نفكر فى العناء الذى تحمله الذين جمعوها، ومع أن لهؤلاء العلماء فى أعناقنا من الديون ما لا نستطيع أن نوفيه إلا بالدعاء لهم وطلب الرحمة والمغفرة والرضوان من الله تعالى عليهم.

ونستطيع أن نقول: إن كل حديث نبوى ورد فى هذه الكتب الستة أو فى المسانيد قد بُذل فيها من الجهد ما يفوق وصف الواصفين، وأن كل حديث نبوى شريف قد رواه ثقة عن ثقة إلى أن وصل إلى مؤلفى هذه الكتب، ثم وصل إلينا موثَّقًا على هذا النحو الذى نراه فى تلك الكتب.

وعنصر الثقة قد لازم الجهد فى جمع الأحاديث النبوية الشريفة: الثقة فى متن الحديث بشروط معروفة، والثقة فى سند الحديث بشروط معروفة أيضًا جعلت بعض العلماء يؤلفون كُتبًا فى الثقات من الرجال الذين رووا الأحاديث وبعضهم يؤلفون كتبًا فى الضعفاء من هؤلاء الرواة[1].

وبعد هذا الاستعراض لأهمية الثقة، نحاول أن نذكر فى هذه الصفحات المعانى التى وردت فيها الثقة بلفظها أو بمعناها فى السنة النبوية المطهرة والله المستعان.

● ولقد وجدت للثقة فى سنة الرسول ﷺ معانى ستة أرجو أن أستشهد عليها بأحاديث من كلامه ﷺ وهذه المعانى الستة للثقة هى:

١ – الثقة فى الله تعالى وفيما عنده لعباده الصالحين،

٢ – والثقة بمعنى تأكيد العهد وتوثيقه،

٣ – والثقة بمعنى الاطمئنان إلى العمل وتوقع رضى الله تعالى به،

٤ – والثقة بمعنى الحُسْن، والقرب من الكمال،

٥ – والثقة بمعنى الأخذ بالأحوط،

٦ – والثقة بمعنى العهد والميثاق.

---

(١) من أمثلة ذلك: كتاب الثقات لابن حبان المتوفى ٣٥٤هـ، والضعفاء مثل: كتاب الكامل فى ضعفاء الرجال لابن عدى المتوفى سنة ٣٦٥هـ، وكتاب الجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى المتوفى ٣٢٧هـ.

ولبيان ذلك نقول:

١ - الثقة فى الله عز وجل وفيما عنده لعباده المؤمنين

فى هذا وردت أحاديث نبوية شريفة نذكر منها:

- روى الإمام أحمد بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قال: اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة، إنى أعهد إليك فى هذه الحياة الدنيا أنى أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأن محمداً عبدك ورسولك، فإنك إن تكلنى إلى نفسى تقربنى من الشر وتباعدنى من الخير، وإنى لا أثق إلا برحمتك، فاجعل عندك عهداً توفينيه يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد؛ إلا قال الله لملائكته يوم القيامة: إن عبدى قد عهد إلىّ فأوفوه إيّاه، فيدخله الله الجنة».

فالثقة بالله تعالى فى هذا الحديث تعنى الثقة فى رحمته وفى وفائه وأنه سبحانه وتعالى لا يخلف الميعاد.

ومن وثق فى رحمة الله وشهد أن لا إله إلاالله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ودعا الله، أدخله الله الجنة.

- وروى أحمد بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «إن الله تبارك وتعالى لَيَسْأَلُ العبد يوم القيامة حتى يقول: ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكره، فإذا لَقَّن الله عبداً حجته قال: يا رب وثقتُ بك وفَرِقتُ من الناس».

- وروى ابن ماجة بسنده عن أبى ذرّ الغفارى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الزهادة فى الدنيا بتحريم الحلال، ولا فى إضاعة المال، ولكن الزهادة فى الدنيا أن لا تكون بما فى يدك أوثق منك بما فى يد الله، وأن تكون فى ثواب المصيبة إذا أصبتَ بها أرغبَ منك فيها، لو أنها بقيت لك».

قال أبو إدريس الخولانى[١] فى التعليق على هذا الحديث: مثل هذا الحديث فى الأحاديث كمثل الإبريز فى الذهب.

---

(١) هو عائذ بن عبد الله أبو إدريس، تابعى فقيه، عدّه العلماء عالم أهل الشام، ولد عام ٨ من الهجرة وتوفى عام ٨٠هـ.

والإبريز من الذهب : الخالص منه .

٢ - الثقة بمعنى تأكيد العهد وتوثيقه

- روى أحمد بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : حضرتْ عصابة من اليهود نبى الله ﷺ، فقالوا : يا أبا القاسم، حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلاَّ نبى، قال : سلونى عما شئتم، ولكن اجعلوا لى ذِمَّةَ الله، وما أخذ يعقوب عليه السلام على بنيه، لئن حدثتكم شيئًا فعرفتموه لتتابعنى على الإسلام، قالوا فذلك لك، قال : فسلونى عم شئتم، قالوا :

أخبرنا عن أربع خلالٍ نسألك عنهن :

أخبرنا أى الطعام حرَّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تُنَزَّل التوراة؟

وأخبرنا كيف ماء المرأة وماء الرجل كيف يكون الذكر منه؟

وأخبرنا كيف هذا النبى الأمى فى القوم ومَنْ وليّه من الملائكة؟

قال : فعليكم عهد الله وميثاقه لئن أنا أخبرتكم لتتابعنِّى . فأعطوه ما شاء من عهد وميثاق، قال : « فأنشدكم بالذى أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل - يعقوب - عليه السلام مرض مرضًا شديداً وطال سقمه فنذر لله نذراً لئن شفاه الله تعالى من سقمه ليُحَرِّمَنَّ أَحَبَّ الشراب إليه وأحب الطعام إليه، وكان أحبّ الطعام إليه لحم الإبل، وأحب الشراب إليه ألبانها .

قالوا : اللهم نعم . قال : اللهم اشهد عليهم .

فأنشدكم الله الذى لا إله إلا هو الذى أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض غليظ وأن ماء المرأة أصفر رقيق، فأيهما علا كان له الولد والشَّبَه بإذن الله، إن علا ماء الرجل على ماء المرأة كان ذكراً بإذن الله - وإن علا ماء المرأة على ماء الرجل كان أنثى بإذن الله؟

قالوا : اللهم نعم، قال : « اللهم اشهد عليهم » .

فأنشدكم بالذى أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن هذا النبى الأمى تنام عيناه ولا ينام قلبه؟

قالوا : اللهم نعم، قال : « اللهم أشهد عليهم » .

قالوا: وأنت الآن، فحدثنا مَنْ وليّك من الملائكة فعندها نجامعك أو نفارقك، قال: فإن وليِّي جبريل عليه السلام، ولم يبعث الله نبيًا قط إلا وهو وليه، قالوا: فعندها نفارقك، لو كان وليك سواه من الملائكة لتابعناك وصدَّقناك، قال: فما يمنعكم من أن تصدقوه؟

قالوا: إنه عدونا، فعند ذلك قال الله عز وجل: ﴿ **قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزّله على قلبك بإذن الله..** ﴾ إلى قوله عز وجل: ﴿ **كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون** ﴾ فعند ذلك باءوا بغضب على غضب.. الآية.

فالثقة فى الحديث الشريف: عهد وذمّة وموثقٌ واجب الوفاء.

– وروى أحمد بسنده عن جابر رضى الله عنه قال: كان العباس رضى الله عنه آخذاً بيد رسول ﷺ يواثقنا، فلما فرغنا قال رسول الله ﷺ: «أخذت وأعطيتُ» فسألت جابراً: كيف بايعتم رسول الله ﷺ، يومئذ؟ على الموت؟ قال: لا، ولكن بايعنا على أن لانفر، قلت له: أفرأيت يوم الشجرة؟ قال: كنت آخذاً بيد عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – حتى بايعناه.

قلتُ: كم كنتم؟

قال: كنا أربع عشرة مائة، فبايعناه كلنا إلاَّ الجَدُّ بن قيس اختبأ تحت بطن بعير..».

فالتواثق هنا: البيعة نفسها، وهى قائمة على الثقة بين المتبايعين.

٣ – الثقة بالعمل

وتعنى هذه الثقة بالعمل أمرين اثنين:

الأول: الاطمئنان إلى العمل وإلى أنه تَمَّ على وجهه الصحيح وفى مكانه الملائم وزمانه المطلوب أداؤه فيه.

والآخر: الاطمئنان إلى أن هذا العمل مما يرضى الله تعالى عنه.

– روى أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يتمنى أحدكم الموت ولا يدعو به قبل أن يأتيه، إلاَّ أن يكون قد وثق بعمله، فإنه إن مات أحدكم انقطع عنه عمله، إنه لا يزيد المؤمن من عمره إلا خيراً».

وهنا نتساءل:

هل يستطيع أحد أن يثق بعمله؟ وأين تلك الثقة بالعمل من قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه « والله لئن وضعت إحدى قَدَمَىَّ فى الجنة ما أمنت مكر الله »؟

وهل يستطيع أحد مهما جد واجتهد أن يثق بأن عمله قد نال رضى الله تعالى؟

معنى ذلك أنه لايجوز لأحد من المسلمين أن يتمنى الموت ولا يدعو به، لأنه لا يدرى فربما كان الخير فى عدم موته، لعله يزداد فيه خيراً، فينال عليه أجراً.

والأصل ألا يدعو الموت ولا يتمناه إلا إنسان هلوع، والأصل فى المسلم ألا يكون هلوعًا.

والهلوع من الناس مَنْ إذا مسَّه الشر جزع ولم يصبر ولم يحتسب جزاء صبره عند الله، ومَنْ إذا أصابه خير استأثر به، ومنعه الناس.

٤ - الثقة بمعنى الحُسْن والقرب من الكمال

ثقة الإنسان بعمله تعنى أنه بعد أن جدَّ فيه واجتهد أصبح واثقًا فى أن هذا العمل قد جاء حسنًا قريبًا من الكمال، وبذلك يتفاءل الإنسان ويحتسب عند الله أجره على عمله.

- روى أحمد بسنده عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ أن ثلاثة نفر فيما سلف من الناس، انطلقوا يرتادون لأهلهم فأخذتهم السماء فدخلوا غاراً، فسقط عليهم حجر متجاف، حتى ما يرون منه خصاصة، فقال بعضهم لبعض: قد وقع الحجر وعفا الأثر، ولا يعلم بمكانكم إلا الله، فادعوا الله بأوثق أعمالكم - أى أحسنها وأقربها إلى الله -:

فقال رجل منهم: اللهم إن كنت تعلم أنه قد كان لى والدان، فكنت أحلب لهما فى إنائهما فآتيهما، فإذا وجدتهما راقدين قمتُ على رءوسهما حتى يستيقظا متى استيقظا، اللهم إن كنت تعلم أنى إنما فعلتُ ذلك رجاء رحمتك ومخافة عذابك ففرّج عَنَّا، فزال ثلث الحجَر.

وقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنى استأجرت أجيراً على عمل يعمله فأتانى بطلب أجره وأنا غضبان فَزَبَرْتُه، فانطلق فترك أجره ذلك فجمعته وثَمَّرتُه حتى كانت منه كل المال، فأتانى يطلب أجره فدفعتُ إليه ذلك كله ولو شئتُ لم أعطه إلاَّ أجره الأول، اللهم إن كنتَ تعلم أنى إنما فعلت ذلك رجاء رحمتك ومخافة عذابك، ففرّج عنا، فزال ثلثا الحجر.

وقال الثالث: اللهم إن كنت تعلم أنه أعجبته امرأة، فجعل لها جعلا، فلما قدر عليها،

وفَّر لها نفسها وسلَّم لها جعلها، اللهم إن كنت تعلم أنى إنما فعلت ذلك رجاء رحمتك ومخافة عذابك ففرِّج عنا، فزال الحجر، وخرجوا معانيق[1] يتماشون».

فأوثق أعمالهم التى ذكروها هى أحسنها وأقربها إلى الكمال وأرضى لله تعالى.

ورواه البخارى فى غزوة تبوك[2].

٥ - الثقة بمعنى الأخذ بالأحوط

من أراد أن يثق أو يستوثق من عمل أخذ بالأحوط، أى حال بين نفسه وبين احتمال الوقوع فى الخطأ.

والأوجب أن يحتاط الإنسان لنفسه فى أى عمل يقوم به، حتى يجنب نفسه فوات الفرصة، أو فوات الأجر على العمل.

- روى أحمد بسنده عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لأبى بكر رضى الله عنه: متى توتر؟ قال: أول الليل بعد العتمة، قال: «فأنت يا عمر»؟ قال: آخر الليل، قال ﷺ: أما أنت يا أبا بكر فأخذت بالثقة - أى بالأحوط - وأما أنت يا عمر فأخذت بالقوة».

وفى رواية لأحمد عن جابر أيضًا رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: أما أنت يا أبا بكر فأخذت بالوثقى - بدل كلمة الأوثق فى الرواية الأولى - والمعنى واحد - وهو أن الثقة هى الأخذ بالأحوط.

٦ - الثقة بمعنى العهد والميثاق

الثقة تحمل معنى العهد نفسه والميثاق ذاته، فتطلق ويراد بها نفس العهد والميثاق.

- روى الإمام أحمد بسنده عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جاءته جهينة فقالوا: إنك نزلت بين أظهرنا فأوثق لنا - أى عاهدنا - حتى نأتيك وتؤمنا، فأوثق[3] لهم فأسلموا.

---

(١) أى سراعًا.

(٢) فى رواية البخارى اختلاف فى بعض الألفاظ.

(٣) أى عاهدهم.

قال سعد رضي الله عنه : فبعثنا رسول الله ﷺ في رجب – ولا تكون مائة – بل أقل – وأمرنا أن نغير على حيّ من كنانة إلى حيث جهينة، فأغرنا عليهم، وكانوا كثيراً فلجأنا إلى جهينة فمنعونا وقالوا : لم تقاتلون في الشهر الحرام؟

فقلنا : إنما نقاتل من أخرجنا من البلد الحرام في الشهر الحرام فقال بعضنا لبعض : ما ترون؟

فقال بعضنا : نأتي نبي الله ﷺ فنخبره،

وقال قوم : لا بل نقيم هنا.

وقلتُ أنا في أُناسٍ معي : لا بل نأتي عير قريش فنقتطعها، فانطلقنا إلى العير – وكان الفيء إذ ذاك : من أخذ شيئًا فهو له،فانطلقنا إلى العير وانطلق أصحابنا إلى النبي ﷺ فأخبروه الخبر، فقام غضبان مُحْمَرٌّ الوجه، فقال : أذهبتم من عندي جميعًا، وجئتم متفرقين؟ إنما أهلك من كان قبلكم الفُرقة، لأبعثن عليكم رجلاً ليس بخيركم أصبركم على الجوع والعطش، فبعث علينا عبد الله بن جحش الأسدي، فكان أوَّل أمير أُمِّر في الإسلام.

– وروى أحمد بسنده عن أُبي بن كعب رضي الله عنه في قول الله عز وجل : ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ** . . ﴾ [الأعراف : ١٧٢] .

قال : جمعهم فجعلهم أرواحًا ثم صورها فاستنطقهم فتكلموا، ثم أخذ عليهم العهد والميثاق، وأشهدهم على أنفسهم : ألست بربكم، قال : فإني أشهد عليكم السموات السبع والأرضين السبع، وأشهد عليكم آباكم آدم عليه السلام أن تقولوا يوم القيامة : لم نعلم بهذا، اعلموا أنه لا إله غيري ولا رب غير فلا تشركوا بي شيئًا، سأرسل إليكم رسلي يذكّرونكم عهدي وميثاقي وأنزل عليكم كتبي، قالوا : شهدنا بأنك ربنا وإلهنا،لا رب لنا غيرك، فأقروا بذلك، ورفع عليهم آدم ينظر إليهم – فرأى الغَنِيَّ والفقير وحسن الصورة ودون ذلك، فقال يا رب : لولا سَوَّيْتَ بين عبادك ؟

قال : إني أحببتُ أن أشكر.

ورأى – أي آدم حين نظر – الأنبياء فيهم مشعل السرج عليهم النور، خصوا بميثاق آخر في الرسالة والنبوة وهو قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ** . . ﴾ الآية

– إلى قوله تعالى : ﴿ . . وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ [الأحزاب : ٧] .

وبعد : فهكذا ورد لفظ الثقة فى السنة النبوية المطهرة، مما يدل على أصالته فى ثقافتنا الإسلامية، ويؤكد أنه من صميم أخلاق المسلمين فى تعاملهم كبيرهم مع صغيرهم وبعضهم مع بعض، بحيث لا تخلو هذه التعاملات من الثقة إلا إذا قام الدليل على أن غير الموثوق به قد فقد الصفات التى تؤهله لهذه الثقة .

الفصل الثانى

مفهوم الثقة فى تاريخ المسلمين

تقديم وتمهيد لمحتوى هذا الفصل

نحاول فى هذا الفصل أن نعرف مفهوم الثقة من خلال التصفح السريع لتاريخ المسلمين فى تعامل بعضهم مع بعض بالثقة أو بفقد الثقة.

وتاريخ المسلمين يبدأ بمحمد ﷺ، ولا ينتهى إلا بأن يقوم الناس لرب العالمين، وتلك مدة طويلة ربما استمرت بعد يومنا هذا - فى آخر العقد الثانى من القرن الرابع عشر الهجرى - ألوف السنين.

وهى حقب كان ما مضى منها حافلاً بالأحداث والأعمال التى تقرب المسلمين من ربهم ودينه ومنهجه أو تباعد بينهم وبين ذلك، أو تجعل لهم فى الأرض تمكيناً وسلطاناً ودولة وكياناً، أو تذهب بهم إلى مؤخرة ركب الحضارة الإنسانية، وتجعلهم مطمعاً لكل من يعادى الإسلام والمسلمين.

والله سبحانه من وراء ذلك محيط، متكفل بأن يجعل النصر لعباده المؤمنين الذين يقتدون بخاتم الأنبياء والمرسلين فيبلغون دعوة الله لعباده، ويتحركون بمنهجه ونظامه يبلغون رسالات الله، ويخشونه ولا يخشون أحداً سواه.

وتاريخ المسلمين - كما سنوضح فى إيجاز - حافل بصور الثقة التى تربط بين المسلمين أفراداً وأُسَراً، وجماعات وأُمماً، وحكاماً وقادة ومحكومين وجنوداً.

● ولنا من وراء هذا التصفح الوجيز لتاريخ المسلمين أهداف نرجو أن نحققها بفضل من الله وعونا، ومن هذه الأهداف ما نذكر بعضه فيما يلى:

أولا:

تأكيد أن عنصر الثقة - فى هذا الدين الخاتم التام الكامل - ركن من أركانه التى لا يمكن أن يقوم بناؤه ولا أن تبنى حضارته إلاَّ بها، إذ الإيمان فى جوهره ثقة بالله تعالى الذى أكرم الإنسانية بخاتم أديانه، والإسلام ثقة فى الرسول ﷺ وفى صدق تبليغه عن ربه سبحانه وتعالى. والعدل والإحسان والشورى والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ثقة فى التشريع الإسلامى، وفى قدرته على أن يحل مشكلات الناس وأن يهيئ لهم الحياة الإنسانية الكريمة التى أرادها الله تعالى للإنسان الذى كرّمه وفضّله على كثير من خلقه.

- وتلتمس هذه الثقة فى المسلمين على مر حقب التاريخ عليهم فى ثقتهم بالعناصر الثابتة من هذا الدين وهى :

العقيدة والعبادة والخُلُق، كما تلتمس فى العناصر المتغيرة من هذا الدين وهى منهجه فى نظام الاجتماع والسياسة والاقتصاد، وغيرها من مفردات المنهج التى أمَّنت للناس كل احتياجاتهم فى الماضى، وهى على استعداد لأن توفرها فى المستقبل وإلى أن يشاء الله رب العالمين.

- والقاعدة التى نريد أن نخلص إليها ونحن نحقق هذا الهدف الأول من تصفح تاريخ المسلمين، هى :

أن المسلمين أقوياء وسادة وأهل للحياة الإنسانية الكريمة، كلما تمسكوا بهذا الدين ووثقوا فى ثوابته ومتغيراته، وأنهم ضعفاء وأتباع خانعون لكل من طمع فيها كلما قصروا أو ابتعدوا عن الثقة فى ثوابت هذا الدين ومتغيراته.

ولتوضيح ذلك بإيجاز نقول :

أ - فى مجال الثوابت :

- ثقة المسلم بعقيدته فى الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، والإيمان بأن الشياطين من قوى الشر وهى من مخلوقات الله تعالى.

بمعنى أن يوقن بأنها العقيدة الصحيحة التى جاءت من عند الله تعالى على لسان خاتم رسله محمد ﷺ، وأن التمسك بهذه العقيدة هو النجاة للمسلم فى آخرته ودنياه، وأنه بغير هذه الثقة بتلك العقيدة يخسر دينه ودنياه.

وأن يوقن بأن كل تصور آخر لله وملائكته وكتبه ورسله إلى آخر ما قررته العقيدة من تصورات، كل تصور مغاير لذلك إنما هو خطأ وضلال جاءت به تصورات الناس المفطورين على القصور والعجز، وقليل العلم الذى لن يؤتوا أكثر منه على مر الأزمان، أو جاءت به أديان حُرفت عما أنزلها الله فاضطربت فيها الحقائق الثابتة عن العقيدة الصحيحة بفعل الهوى.

- وثقة المسلم فى عبادته لله تعالى وفق ما شرع.

بمعنى يقينه بأن كل عبادة لله تخالف ما شرع وما أمر وما نهى هى باطل من أوهام من قالوا بها.

وأن عبادة الله وفق ما شرع من: طهارة وتَطهُر وصلاة وزكاة وصوم وحج إلى البيت الحرام، ودعوة إلى الله وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وجهاد فى سبيل الله وغير ذلك من العبادات، هى الصحيحة والسليمة والباقية دون تغيير على مَرّ الزمان وطالما على الأرض حياة إنسانية.

مع يقين كل مسلم بأن كل عبادة لله تخالف ما شرعه على لسان خاتم أنبيائه ورسله محمد ﷺ هى من تخرصات المبطلين، ومن يسمون أنفسهم رجال الدين، ومن يمارسون المنكر ويلبِّسون على الناس دينهم ودنياهم.

– وثقة المسلم فى القيم الخلقية التى جاء بها الإسلام – وهى قيم ثابتة لا تتغير ولا تتبدل بتغير الزمان والمكان، وأنها جاءت من عند الله على لسان خاتم رسله محمد ﷺ، وتمثلت فى أخلاقه التى تخلق بها عليه الصلاة والسلام.

ويقين كل مسلم فى أن كل قيمة خلقية مخالفة لقيم الإسلام هى من مفتريات أهل الباطل والضلال والهوى، وأنها لا تصلح للإنسان الذى كرَّمه الله تعالى.

ويقينه بأن التمسك بأخلاق الإسلام هو الذى يسهم فى بناء مجتمع إنسانى راقٍ، يتحقق فيه لكل إنسان أَمْنُه وسعادته فى دنياه وآخرته.

● هذه هى الثوابت فى الإسلام وهى ما يجب أن تنال ثقة كل مسلم فيلتزم بها، فإذا فقدت هذه الثقة ضاع الإنسان فى دنياه فاضطرب وأصيب بالقلق ثم عاش فى صراع مع نفسه ومع غيره من الناس فتعادى وتقاتل وامتلأت حياته بالآلام، وضاع الإنسان فى آخرته كذلك فاستحق – بعدم التزامه بهذه القيم وفَقْد ثقته فيها – عقاب الله وعذابه.

وبعد: فهكذا تتضح أهمية الثقة فى هذه الثوابت الإسلامية من عقائد وعبادات وأخلاق.

ب – وفى مجال المتغيّرات:

المتغيرات فى حياة المسلم كثيرة يؤدى إليها تغير الزمان والمكان، وكثرة المستحدثات فى حياة الإنسان.

ومن عظمة الإسلام، ومن الدلالة على أنه منهج تام كامل أن تشريعاته جاءت مرنة قادرة على مواكبة هذه المتغيرات لا على مواجهتها ورفضها.

وعلى سبيل المثال :

- فإنَّ كلَّ ما يتصل بالحياة الاجتماعية للإنسان من نظم لا تتصل بالعقيدة والعبادة والخلق، يستطيع المسلمون أن ينظروا فيه ويتفقوا على ما يرونه محققًا لمصالحهم الدنيوية، أو دافعًا عنهم الأضرار دون تضييق أو تَسَيُّب، ودون جمود أو جنوح أو جموح، فيأخذون به أو يتركونه حسب ما يقتضيه تغير الزمان والمكان والمستجدات.

- وكل ما يتصل بالنظم السياسية للإنسان مما لا يرتبط بالثوابت التى أوضحناها، فإن للمسلمين الحرية فى ابتكار ما يرونه ملائمًا لنظم السياسة، ولهم الحرية فى الأخذ عن سواهم من غير المسلمين؛ وذلك أن الإسلام لم يأت بنظام تفصيلى للحكم، وإنما ترك ذلك لاجتهادات المسلمين طالما حافظوا على الثوابت وهى فى هذا المجال فيما يتصل بالعلاقة بين الحاكم والمحكوم أصول معروفة راجعة إلى القيم الإسلامية وهى: الشورى والعدل والإحسان والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد فى سبيل الله.

أما شكل الحكومة وطريقة اختيارها وتنوع السلطات فيها وصلة كل سلطة بغيرها فإنه متروك لاجتهادات علماء المسلمين المختصين فى النظم السياسية.

ومن المقرَّر الذى لا خلاف عليه بين علماء المسلمين أن نظم الحكم السياسية ليس لدى الإسلام فيها أنموذج أو مثال يحتذى، وإنما يجتهد المختصون من العلماء فى اختيار ما يرونه محققًا للمصلحة أو دافعًا للمضرة فى زمانهم وأوطانهم، وعندما يصلون إلى ذلك فإنه هو النظام السياسى الواجب الأخذ به.

- وكل ما يتصل بالنظم الاقتصادية مادام غير متعارض مع شيء من الثوابت، فإن للمسلمين الحرية فى أن يبتكروا فيه ويجددوا، ولهم أن يأخذوا عن غيرهم، ما لم يصطدم شيء من ذلك مع الثوابت لديهم من عقيدة وعبادة وقيم أخلاقية، وبتبسيط شديد فإن الاقتصاد عند المسلمين لا يجوز أن يقوم على غش أو ظلم أو ربًا أو سوء استغلال لحاجة الإنسان فضلاً عن قهره للونه أو جنسه أو الإقليم الذى يعيش فيه!!!

ومعنى ذلك أنه لا يوجد نظام اقتصادى يعد أنموذجًا يحتذى فى كل زمان ومكان مهما أثبت هذا النظام نجاحه فى حينه، لأن الطراز أو المثال الواجب الاحتذاء به فى مجال المتغيرات غير موجود أصْلاً.

وهكذا سائر ما يتصل بحياة المسلمين كلها ما دام غير مرتبط بالثوابت، سواء أكان ذلك

فى العلم أم فى الثقافة أم فى التقنية فى زمان الحرب أو السلم.

ثانيًا:

من أهداف هذا الفصل من الكتاب معرفة مكانة الثقة فى تاريخ المسلمين من حيث ما نؤكد به أن معطيات الحضارة الإسلامية فى عصورها المختلفة، وما حققته هذه الحضارة للمسلمين وغيرهم من تقدم وازدهار، وعيش كريم، هذه الحضارة الإسلامية وكل معطياتها ما نجحت فى توفير ما وفَّرته من أجل الإنسان إلا فى إطار من الثقة المتبادلة بين المسلمين أفراداً وأُسراً وجماعات، حكامًا ومحكومين، قادة وجندا.

هذا هدف لنا نريد أن نوضحه بل نؤكده من خلال ما دار فى تاريخ المسلمين من أحداث وأعمال وفتوحات وحروب ومسالمات كلها قامت على الثقة المتبادلة فيما بينهم، كما نريد أن نشير من خلال هذا الاستعراض الوجيز لتاريخ المسلمين إلى أن كل خلل أو قصور أو ضعف أو انحسار للحضارة الإسلامية ومعطياتها إنما جاء نتيجة مباشرة أو غير مباشرة لفقد الثقة بين المسلمين عمومًا، أو فقدها بين الحكام والمحكومين.

ثالثًا:

ولنا هدف ثالث من هذا الفصل من الكتاب - ونحن نتعرف الثقة فى تاريخ المسلمين - هو أن نقرر حقيقة، لا ينكرها إلا من لا يحسن قراءة تاريخ المسلمين أو لا يحسن الاستفادة مما يقرأ وتلك الحقيقة هى: أن الدعوة إلى الله والحركة بهذا الدين فى الناس والآفاق، ما حدث لها هذا الانتشار السريع والانطلاق اللافت لأنظار المراقبين، بل ما شاع الأمر بالمعروف ولا مورس النهى عن المنكر، بل ما أدَّى الجهاد فى سبيل الله وظيفته إلا فى إطار الثقة التى كانت تسود الناس دعاة ومدعوين وآمرين بالمعروف ومأمورين به، ومنهيين عن المنكر وناهين عنه، ومجاهدين فى سبيل الله وقادة لهم وأمراء لجيوشهم.

ومما أرغب فى تأكيده أن انحسار الدعوة إلى الله، وانكماش الحركة بالإسلام فى الناس والآفاق، وضمور الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وترك الجهاد فى سبيل الله وتعطيله، ما حدث ذلك فى أى حقبة من حقب تاريخ المسلمين إلا أن يكون من بين أسبابه الجوهرية فقدُ الثقة بين هذه الفئات التى تمارس الدعوة، والحركة والتربية والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد فى سبيل الله أو بينهم وبين قيادتهم فى مجالات أعمالهم.

وحسبنا فى هذه الحلقة الأخيرة «الثقة» من تلك السلسلة « فى فقه الإصلاح والتجديد

عند الإمام حسن البنا » أن نحقق هذه الأهداف الثلاثة التى أشرنا إليها آنفًا، فإن تحقيق هذه الأهداف كفيل بإذن الله تعالى بأن يجلو للمسلمين ما يرين على رؤيتهم للناس والمتغيرات من شوائب تحول بينهم وبين الفقه الصحيح للدعوة إلى الله - على اعتبار أن الدعوة إلى الله هى منطلق الحركة والتربية والتنظيم -[1].

وسوف نتناول فى هذا الفصل:

- الثقة عند الرسول ﷺ،
- والثقة عند الصحابة رضوان الله عليهم،
- والثقة عند التابعين وتابعيهم رحمهم الله،
- والثقة عند المصلحين المجددين.

---

(١) لمعرفة تفاصيل ذلك، انظر لنا: فقه الدعوة إلى الله. كتاب موسع من جزءين كبيرين.

ويتناول هذا الفصل الأول ما يلى :

١ – الثقة عند الرسول ﷺ

الرسول ﷺ وخاتم الأنبياء والمرسلين؛ جاء للبشرية كلها بخاتم الأديان وأتمها وأكملها وأرضاها لله تعالى منهجًا لخلقه من الناس لإصلاح معاشهم ومعادهم.

والرسول ﷺ هو الذى نأخذ عنه ونتعلم منه ما ينفعنا فى ديننا ودنيانا، وكل ما يدفع عنا الضرر والضرار، من أجل ذلك كان ﷺ معصومًا لا ينطق عن الهوى، وكانت أخلاقه هى الأسوة والقدوة لكل مسلم يريد أن يحظى برضا الله تبارك وتعالى، ويريد أن يشق طريقه فى الحياة الدنيا آمنًا مطمئنًا. متمتعًا بطيباتها فى غير سرف أو مخيلة، مجتنبًا لمتاعبها وخبائثها وصراعاتها التى يجلبها عليه هواه وبعده عن منهج الله تعالى.

● والثقة عند الرسول ﷺ نعنى بها أمرين:

الأول: ثقة المسلمين فيه ﷺ فيما يقول وفيما يفعل وفيما يأمر وفيما ينهى.

والآخر: ثقة الرسول ﷺ فيمن حوله من المسلمين مع علمه ﷺ أن منهم من يخطئ.

أ – أما الثقة فى الرسول ﷺ فإنها صميم الدين وأصل التدين، بل هى معيار إيمان المؤمن ودليل صلاحه وفلاحه.

ومن الواضح أنَّ مَنْ فقد هذه الثقة فى النبى ﷺ، فليس بمؤمن، بل لم يدخل الإيمان قلبه، لأن الله تعالى جعل طاعة الرسول ﷺ كطاعة الله سبحانه وتعالى، فقال جل شأنه: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾** [النساء: ٥٩].

وقال عز وجل: **﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا﴾** [الأحزاب: ٣٦].

وقال سبحانه وتعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾** [الفتح: ١٠].

وقال عز من قائل: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠].

وقال جل وعلا: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وهذه الآيات الكريمة تؤكد أن طاعة الرسول ﷺ هي طاعة لله تعالى ومعصيته ﷺ معصية لله تعالى، ومعنى ذلك أنه لا إيمان بغير طاعة الرسول ﷺ، فقد وجبت طاعة الرسول ﷺ، ومن وجبت طاعته وجبت الثقة فيه، وإذا كانت الثقة في رسول الله ﷺ واجبة شرعًا فإن فَقْدَ هذه الثقة ينفي الإيمان ويلغيه تمامًا.

فالثقة فيه ﷺ لا تحتاج إلى أدلة أكثر من آيات القرآن الكريم.

- وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم، والتابعون وتابعوهم وأهل القرون الثلاثة الأولى خير القرون يطيعون رسول الله ﷺ ويثقون في قوله وفعله وهديه كله.

وهكذا استمر المؤمنون في تاريخنا الإسلامي يتقربون إلى الله تعالى بطاعة الرسول ﷺ والثقة في كل ما يقول ويفعل ويهدى إليه من الأمور، وبكل ما شرعه من تشريعات.

- وفي كل عصر إلى أن يرث الله الأرض ومَنْ عليها، يقاس إيمان المؤمن بمقدار ثقته في الرسول ﷺ وفيما جاء به للناس من تشريع وهدْي، وكلما ازدادت هذه الثقة ازداد إيمان صاحبها، وكلما قلَّت أو اهتزت أو تزعزعت ضعف إيمان صاحبها وظل يضعف حتى يزول تمامًا بزوال الثقة في الرسول ﷺ.

ب - وأما ثقة الرسول ﷺ في أصحابه رضوان الله عليهم، فقد كانت متناسبة - في البداية - مع أسبقيتهم في دخول الإسلام، ومدى صبرهم وتحملهم للمشاقّ والمكاره من أجل دخولهم في الدين، ومدى تقبلهم للهجرة بإيمانهم وتركهم الأهل والمال والولد والوطن حماية لأنفسهم ولدينهم من أن يفتنهم المشركون بأن يحملوهم من العذاب ما لا يطيقون.

ثم كانت ثقته ﷺ في أصحابه - بعد استقراره في المدينة المنورة - متناسبة مع مدى قرب أحدهم منه وتعامله معه ﷺ.

غير أن ثقته ﷺ كانت كبيرة فى كل أصحابه لأنه ﷺ - وهو القدوة - هو الذى أمر الناس بأن يحسنوا الظن فى غيرهم، وألا يظنوا فى أحد المسلمين إلا خيراً، والثقة تقوم أساساً على حسن الظن، وبكل أنواع التأكيد فقد أحسن الرسول ﷺ الظن فى أصحابه والذين عاصروه.

- وبكل تأكيد قد تفاوت المسلمون والصحابة رضوان الله عليهم فى التضحيات من أجل هذا الدين والتجرد له، والثبات عليه، لأنهم لم يكونوا على قدر واحد من هذه التضحيات.

وليس من شأننا هنا أن نوضح هذا التفاوت بين الصحابة رضوان الله عليهم، بل ليست هى من شأن أى مسلم آخر، لأن ذلك متروك لله تعالى وحده، فهو الذى أحاط بكل شىء علماً.

غير أن الذى أكده علماء المسلمين فى مختلف عصورهم أن الذين نالوا من الرسول ﷺ أكبر قدر من الثقة كانوا فئات ودرجات أوضحها العلماء، ومن هذه الفئات:

- فئة العشرة المبشرين بالجنة،

- والفئة التى قاتلت فى معركة بدر الكبرى،

- والفئة التى بايعت تحت الشجرة بيعة الرضوان يوم الحديبية.

- ثم الصحابة الذين صحبوه ونصروه وبذلوا فى سبيل الله أموالهم وأنفسهم من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان.

● وسوف نذكر طرفاً من ثقته ﷺ ببعض أصحابه رضوان الله عليهم، ممن استفاضت سِيَرهم فى كتب تاريخ المسلمين، أولئكم الذين كانوا - ولا يزالون - علامات هادية فى طريق الدعوة إلى الله، والحركة بالإسلام فى الناس والآفاق وفى مجال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا، وسيكون كذلك إلى يوم الدين. ومن هؤلاء الأعلام الأفذاذ الذين حظوا بمزيد من ثقة الرسول ﷺ فيهم:

١ - أبو بكر الصديق رضى الله عنه:

ومن دلائل ثقة الرسول ﷺ فيه مواقف بارزة فى حياته - حفلت بها كل مراجع التاريخ الإسلامى أو معظمها. ومنها:

– اختيار رسول الله ﷺ لأبى بكر الصديق ليرافقه فى الهجرة من مكة إلى المدينة، فتلك ثقة ما فوقها ثقة.

روى الإمام مسلم بسنده عن أبى سعيد رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر، فقال: «عَبدٌ خَيَّره الله بين أن يؤتيه زهرة الحياة الدنيا، وبين ما عنده فاختار ما عنده، فبكى أبو بكر – رضى الله عنه، فقال: فديناك بآبائنا وأمهاتنا. قال أبو سعيد: فكان رسول الله ﷺ هو المخيَّر، وكان أبو بكر – رضى الله عنه – أعلمنا به.

وروى مسلم بسنده عن أبى سعيد رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ أَمَنَّ الناس علىّ فى ماله وصحبته أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكن أخوة الإسلام، لا تبقَيَّن فى المسجد خوخة[1] إلا خوخة أبى بكر».

وروى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما رجل يسوق بقرةً له، قد حمل عليها، التفتت إليه البقرة فقالت: إنى لم أخلق لهذا ولكنى خلقت للحرث» فقال الناس: سبحانه الله بقرة تتكَلَّمُ!! فقال رسول الله ﷺ: «فإنى أومن به، وأبو بكر وعمر».

وروى الثقات من أهل الحديث وعلمائه حديث النبى ﷺ حين عاد من حجة الوداع قبيل وفاته ﷺ فقال: «أيها الناس إن أبا بكر لم يسؤنى قط، فاعرفوا له ذلك.. يأيها الناس إنى راض عن عمر وعلى وعثمان وطلحة بن عبد الله والزبير بن العوام وسعد بن مالك – ابن أبى وقاص – وعبد الرحمن بن عوف، والمهاجرين والأنصار».

وهؤلاء هم أهل الشورى الذين اختارهم عمر ليكون الخليفة بعده منهم، كما سنوضح ذلك فى حينه.

تلك نماذج قليلة من نماذج كثيرة من كلمات الرسول ﷺ التى يفهم منها ثقة الرسول ﷺ فى أبى بكر.

وكان أبو بكر رضى الله عنه أهلاً لهذه الثقة لما اتصف به من صفات وما تحلى به من أخلاق فاضلة قلما توجد فى سواه، فقد روى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أصبح منكم اليوم صائماً؟ قال أبو بكر أنا، قال: فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبو بكر: أنا، قال فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟ قال أبو بكر: أنا،

(١) الخوخة الباب الصغير بين بيتين.

قال: فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟ قال أبو بكر: أنا، فقال رسول الله ﷺ: «ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة».

٢ - عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

عن ثقة الرسول ﷺ في عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما نذكر بعضه مدعوماً بالشواهد فيما يلي:

- دعا رسول الله ﷺ - وهو في مكة والمسلمون قلة ضعاف يعرضهم المشركون للمحن والتعذيب - سائلاً الله تبارك وتعالى أن يُعِزَّ الإسلام بأحد رجلين هما عمرو بن هشام أبو جهل، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه فاستجاب الله سؤاله ودعاءه فأعزَّ الإسلام بعمر بن الخطاب رضي الله عنه.

روى الإمام أحمد بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك؛ بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب، فكان أحبهما إلى الله عمر بن الخطاب».

- وقد كان عمر بن الخطاب أهلاً لهذه الثقة التي وثقها النبي ﷺ فيه.

فقد روى مسلم بسنده عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: استأذن عمر على رسول الله ﷺ وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه عاليةً أصواتهم، فلما استأذن عمر قمن يَبْتَدِرْنَ الحجاب، فأذن له رسول الله، ورسول الله ﷺ يضحك، فقال عمر: أضحك الله سنك يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب، قال عمر رضي الله عنه: فأنت يارسول الله أحق أن يهبن، ثم قال عمر رضي الله عنه: أي عدوَّات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ؟ قُلْنَ: نعم، أنت أغلظ وأفظ من رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان قط سالكاً فَجًّا إلا سلك فَجًّا غير فجك».

وروى مسلم بسنده عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «قد كان يكون في الأمم قبلكم مُحَدَّثون، فإن يكن في أمتي أحد منهم فإن عمر بن الخطاب منهم».

٣ - عثمان بن عفان رضي الله عنه:

أقوى الأدلة على ثقة الرسول ﷺ في عثمان رضي الله عنه أن رضيه زوجاً لابنته أم

كلثوم رضى الله عنها، ثم لَمّا ماتت زوجه ابنته رقية رضى الله عنها، ثم لَمّا ماتت قال: لو كانت لنا ثالثة لزوجناك.

وقد روى ابن عباس رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال لعثمان رضى الله عنه مواسيًا بعد موت رقية رضى الله عنها: «والذى نفسى بيده لو أن عندى مائة بنت تموت واحدة بعد واحدة، زوجتك أخرى حتى لا يَبْقَى من المائة شىء».

وقد كان عثمان رضى الله عنه أهْلاً لهذه الثقة..

فقد روى أبو نعيم الأصبهانى فى كتابه «حلية الأولياء» بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «عثمان أَحْيَا أمتى وأكرمها».

وروى محمد بن إسحق بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: اشترى عثمان بن عفان من رسول الله ﷺ الجنة مرتَيْن، بيع الخَلْق - أى كما يبيع الناس بعضهم لبعض - حين حفر بئر رومة، وحين جَهَّزَ جيش العُسْرة».

وروى أحمد بسنده عن جَدَّة عمر بن إبراهيم العسكرى لأمه، قالت: دخلتُ على عائشة رضى الله عنها، قلتُ يا أم المؤمنين: إنّ بعض بنيك بعثَ يقرئك السلام، وإن الناس قد أكثروا فى عثمان فما تقولين فيه؟ قالت: لعن الله من لعنه - لا أحسبها إلا قالت ثلاث مرار - لقد رأيت رسول الله ﷺ وهو مسند فخذه إلى عثمان وإنى لأمسح العرق عن جبين رسول الله ﷺ وإنَّ الوحى يتنزل عليه، ولقد زوجه ابنتيه إحداهما على أثر الأخرى، ،وإنه ليقول: «اكتب عثمان» قالت: ما كان الله لينزل عبداً من نبيه بتلك المنزلة إلا عبداً عليه كريمًا».

- وعثمان رضى الله عنه هو الذى اختاره رسول الله ﷺ ليرسله إلى قريش - وهم على الكفر فى يوم الشجرة - الحديبية - وهو اليوم الذى بايع المسلمون فيه رسول الله ﷺ على الموت من أجل ما أشيع من أن قريشًا قتلت عثمان رضى الله عنه،فأى شرف أعلى من هذه المكانة عند النبى ﷺ؟ ويومهــا وضع رسول الله ﷺ إحدى يديه على الأخرى وقال: «هذه بيعة عثمان» فأى ثقة فى رجل تكون هذه مكانته عند رسول الله ﷺ؟

- وعثمان رضى الله عنه رجل تستحى منه الملائكة كما جاء ذلك على لسان رسول الله ﷺ.

فقد روى مسلم بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ مضطجعًا فى بيتى كاشفًا عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال، فتحدث، ثم استأذن عمر، فأذن له وهو كذلك، فتحدث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوَّى ثيابه، فدخل، فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتشَّ له ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله،ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك فقال: «ألا أستحى من رجل تستحى منه الملائكة».

٤ - على بن أبى طالب رضى الله عنه:

ثقة رسول الله ﷺ فى علىّ رضى الله عنه هى ثقة الرجل فى ابنه الذى رباه فأحسن تربيته وتأديبه، ومن فرط ثقة الرسول ﷺ فى على رضى الله عنه أن أمَره بأن ينام فى مكانه وأن يتسجَّى بغطائه ليلة هاجر إلى المدينة المنورة فامتثل على رضى الله عنه.

وكيف تكون الثقة فى رجل يقول عنه النبى ﷺ إنه منه بمنزلة هارون من موسى؟.

فقد روى مسلم بسنده عن سعد بن وقاص رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لعلىّ: «أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى».

وروى مسلم بسنده عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال[1]: ثلاث قالهن رسول الله ﷺ لعلىّ، لأن تكون لى واحدة منهن أحب إلىَّ من حمر النعم، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول؛ حين خلّفه فى بعض مغازيه، فقال له علىٌّ: يارسول الله خلفتنى مع النساء والصبيان، فقال رسول الله ﷺ: «أما ترى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى».

وسمعته يقول يوم خيبر: لأُعطينَّ الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، قال سعد: فتطاولنا لها، فقال إلىَّ عليًّا فأُتى به أرمد فبصق فى عينيه ودفع الراية إليه، وفتح الله عليه.

ولما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ..﴾ [آل عمران: ٦١]. دعا رسول الله ﷺ عليًّا وفاطمة وحسنا وحسينا، فقال: اللهم هؤلاء أهلى.

---

(١) وذلك فى حوار دار بين معاوية بن أبى سفيان وسعد بن أبى وقاص حول علىّ بن أبى طالب - رضى الله عنهم -.

وروى مسلم بسنده عن سهل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطين هذه الراية رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»، قال سهل: فبات الناس يدوكون - يتحدثون - ليلتهم؛ أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجوه أن يعطاها - فقال: أين علىّ بن أبى طالب؟ فقالوا: هو يا رسول الله يشتكى عينيه، قال: فأرسلوا إليه فأُتى به، فبصق رسول الله ﷺ فى عينيه ودعا له، فبرأ، حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية فقال علىّ: يا رسول الله: أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، فقال: انفذ على رِسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى، فوالله لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم.

ومن دلائل ثقته ﷺ فى علىّ رضى الله عنه أن أرسله خلف أبى بكر - رضى الله عنه ليقرأ - على المسلمين فى موسم الحج - الذى أُمِّر فيه أبو بكر رضى الله عنه - سورة براءة. وعلم فيها الناس حكم الدين فى حج المشركين وزيارتهم بيت الله الحرام.

- ومن دلائل ثقته ﷺ فى علىّ أنه بعثه إلى اليمن للدعوة إلى الإسلام.

- ومن هذه الدلائل أنه أرسله فى سَرِيَّة إلى فَدَك، لغزو قبيلة بنى سعد اليهودية.

٥ - سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه:

كان سعد رضى الله عنه موضع ثقة رسول الله ﷺ فى كثير من المواقف.

وحَسْبُ سعد رضى الله عنه أنه أول من رمى بسهم فى سبيل الله، وأنه لُقِّبَ فارس الإسلام، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة وممن شهد بدراً.

وكان سعد رضى الله عنه جديراً بأن يكون موضع ثقة النبى ﷺ لمواقفة المشهورة، ومنها:

- روى مسلم بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: أَرِقَ رسول الله ﷺ ذات ليلة فقال: ليت رجلاً صالحًا من أصحابى يحرسنى الليلة، قالت: وسمعنا صوت السلاح فقال رسول الله ﷺ من هذا؟ قال سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه: يا رسول الله جئتَ أحرسك، قالت عائشة: فنام رسول الله ﷺ حتى سمعتُ غطيطه».

- وروى مسلم بسنده عن علىّ رضى الله عنه قال: ما جمع رسول الله ﷺ أبويه لأحد غير سعد بن مالك(١)، فإنه جعل يقول يوم أُحُد: «ارم فداك أبى وأمى».

---

(١) مالك أبوه ويُكْنَى أبا وقاص.

– وروى مسلم بسنده عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أن النبى ﷺ جمع له أبويه يوم أُحد، قال: وكان رجل من المشركين قد أحرق المسلمين[1] فقال النبى ﷺ له – أى لسعد –: «ارم فداك أبى وأمى»، قال سعد: فنزعتُ له بسهم ليس فيه نصل فأصبتُ جنبه فسقط، فانكشفتْ عورته فضحك رسول الله ﷺ حتى نظرت إلى نواجذه».

– وروى مسلم بسنده عن مصعب بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه رضى الله عنه قال: نزلتْ فىَّ آيات من القرآن؛ قال: حَلَفتْ أم سعد ألا تكلمه أبداً حتى يكفر بدينه، ولا تأكل ولا تشرب، قالت له أُمُّه: زعمتَ أن الله أوصاك بوالديك.. أنا أُمك، آمرك بهذا، قال سعد: مكثتْ ثلاثًا حتى غُشِيَ عليها من الجهد، فقام ابن لها يقال له عمارة فسقاها فجعلت تدعو على سعد، فأنزل الله عز وجل فى القرآن هذه الآية: ﴿**وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [لقمان: ١٤ – ١٥].

– وقال سعد رضى الله عنه: مرضتُ فأرسلت إلى النبى ﷺ فأتانى فقلتُ: دعنى أقسم مالى حيث شئتُ[2] قال: فأبَى، قلتُ: فالنصف، قال: فأبَى، قلتُ: فالثلث، قال: فسكت، فكان بعدُ: الثلث جائز.

٦ – الزبير بن العوام رضى الله عنه:

هو أول من سلَّ سيفه فى الإسلام، وأُمُّه صفية بنت عبد المطلب عمة النبى ﷺ.

وزوجه أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما أخت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها.

وفى ثقة الرسول ﷺ فيه مواقف وأحداث نذكر منها:

– ما رواه مسلم بسنده عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: ندب[3] رسول الله ﷺ الناس يوم الخندق، فانتدب[4] الزبير، ثم ندبهم، فانتدب الزبير، ثم ندبهم فانتدب الزبير،

---

(١) أى أكثر فيهم الجراح والقتل.
(٢) كان يريد أن يجعل ماله كله لله – كما ثبت ذلك فى روايات عديدة.
(٣) أى دعاهم للقتال وحثهم عليه ووعدهم الأجر من الله تعالى.
(٤) أى استجاب لما نُدب له.

فقال النبى ﷺ : « لكل نبى حوارىّ، وحوارِيّى الزبير » .

– وروى مسلم بسنده عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما قال : كنتُ أنا وعمر بن أبى سلمة يوم الخندق مع النسوة فى أُطم[1] حسَّان، فكان يطأطئ لى مرة وأطأطئ له مرة فينظر، فكنت أعرف أبى إذا مَرَّ على فرسه فى السلاح إلى بنى قريظة .

قال فذكرت ذلك لأبى، فقال : رأيتنى يا بنى؟ قلتُ : نعم . قال : أما والله لقد جمع لى رسول الله ﷺ يومئذ أبويه؛ فقال : « فِداك أبى وأمى » .

وغير ذلك من المواقف التى دلَّت على ثقة النبى ﷺ فيه رضى الله عنه .

٧ – طلحة بن عبيد الله التَّيْمِىّ رضى الله عنه :

هو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام .

وقد ثبت مع رسول الله ﷺ فى أحد، وبايعه على الموت فأصيب بأربعة وعشرين جرحًا، وسَلِم منها فشهد الخندق وسائر المشاهد، رضى الله عنه .

ومن ثقة رسول الله ﷺ فيه ما تدل عليه الأحاديث النبوية التالية :

– روى أحمد بسنده عن عبد الله بن الزبير قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول يومئذ – أى يوم أحد – أوجب طلحة حين صنع برسول الله – ﷺ – ما صنع » .

– وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان أبو بكر رضى الله عنه إذا ذُكر يوم أحد قال : ذاك كله يوم طلحة .

– وروى ابن الأثير فى كتابه – أُسد الغابة – بسنده عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أراد أن ينظر إلى شهيد يمشى على رجليه فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله » .

– ومن ثقته ﷺ فى طلحة أن أطلق عليه ألقابًا تشرفه بين المسلمين وترفع قدره، فقد أطلق عليه :

طلحة الخير، وكان ذلك فى يوم أحد .

---

(١) الأطم : القصر، وكل حصن مبنى بالحجارة .

وطلحة الفياض، وكان ذلك يوم تجهيز جيش العسرة.

وطلحة الجود، وكان ذلك يوم حنين.

– وروى الترمذى بسنده عن موسى بن طلحة عن أبيه رضى الله عنه قال: لما رجع رسول الله ﷺ من أُحد، صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قرأ هذه الآية: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]، فقام إليه رجل فقال: يارسول الله من هؤلاء؟ فأقبلتُ وعليّ ثوبان أخضران، فقال: «أيها السائل هذا منهم».

٨ – أبو عبيدة عامر بن الجراح رضى الله عنه:

هو أمين الأمة الإسلامية بشهادة الرسول ﷺ، بل هو الأمين حق الأمين.. كما أطلق عليه هذا الوصف رسول الله ﷺ.

وحسبه ذاك ليدل بما لا يدل عليه مثله على ثقة رسول الله ﷺ فيه وتقديره إياه.

– فقد روى البخارى بسنده عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن لكل أمة أمينًا، وإن أميننا أيتها الأمة أبو عبيد بن الجراح».

وروى هذا الحديث مسلم عن أنس كذلك.

– وروى مسلم بسنده عن حذيفة رضى الله عنه قال: جاء أهل نجران إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله ابعث إلينا رجلاً أمينًا، فقال: «لأبعثن إليكم رجلاً أمينا حق أمين، حق أمين» قال: فاستشرف لها الناس(١) قال حذيفة: فبعث أبا عبيدة بن الجراح رضى الله عنه.

٩ – مصعب بن عمير رضى الله عنه:

هو الذى وثق فيه رسول الله ﷺ ليدعو إلى الله ويعلم الناس الدين، إذ كان عند رسول الله ﷺ أهلا لذلك وقادراً عليه مع جلال قدر هذه المهمة وهى الدعوة إلى الله وتعليمٌ لمن دخلوا فيه.

---

(١) استشرف: أى تطلع وأراد أن يشرف بأن يكون صاحب هذا الوصف: أمين حق أمين، أمين حق أمين، فلم يكن ذلك الوصف إلا من نصيب أبى عبيدة رضى الله عنه.

فقد روت كتب السنة والسِّيرة أن أهل المدينة مهاجرين وأنصاراً عندما دخلوا فى الإسلام وبايعوا رسول الله ﷺ فى العقبة أرسل إليهم رسول الله ﷺ – قبل أن يهاجر إلى المدينة – مصعب بن عمير رضى الله عنه ليعلمهم القرآن والإسلام.

وكان من قصة ذلك أن أهل العقبة الأولى بعد أن بايعوا النبى ﷺ على الإسلام، وعادوا إلى قومهم بيثرب دعوهم إلى الإسلام سراً أول الأمر، وتلوا عليهم القرآن الكريم، بعثوا إلى رسول الله ﷺ معاذ بن عفراء ورافع بن مالك: أن ابعث إلينا رجلاً من قِبَلك، فليدعُ الناس بكتاب الله، فإنه قَمِنٌ أن يُتَّبع.

فبعث إليهم رسول الله ﷺ مصعب بن عمير رضى الله عنه، ولم يزل مصعب رضى الله عنه يدعوهم ويعلمهم حتى قلَّ دار من دور الأنصار إلا وقد أسلم أشرافهم.

١٠ – زيد بن حارثة وابنه أسامه بن زيد رضى الله عنهما:

ثقة الرسول ﷺ فى زيد بن حارثة وولده أسامة بن زيد لم تكن موضع شك أو تردد من أحدٍ من المقربين إلى النبى ﷺ، فقد كانت ثقة ممزوجة بالحب، فزيد رُبِّىَ فى بيت الرسول ﷺ، وآثر رسول الله ﷺ على أبيه وعمه عندما خيراه بين العودة معهما أو البقاء فى كنف رسول الله ﷺ.

وكان يطلق عليه: «زيد بن محمد» حتى نزلت الآية الكريمة التى تنهى عن ذلك وتأمرهم بدعوة كل أحد إلى أبيه وهى قوله تعالى: ﴿ **ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ..** ﴾ [الأحزاب: ٥].

لقد أعتقه رسول الله ﷺ وأحبه وألحقه بنفسه حتى نزلت تلك الآية الكريمة.

– ومن ثقته ﷺ فى زيد أن أمَّره على جيش مؤتة، واستشهد فيها وقد نال أعلى الدرجات.

أما أسامة ابنه رضى الله عنه، فقد كان كما تذكر كتب السيرة والسنة حبَّ رسول الله ﷺ، أخبر بذلك رسول الله نفسه فى ملأ من الناس وهو على المنبر.

فقد روى مسلم بسنده عن سالم عن أبيه رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال وهو على المنبر – وكان قد أمّر أسامة فطعن الناس فى إمرته –: «إن تطعنوا فى إمارته – يريد أسامة بن

زيد – فقد طعنتم فى إمارة أبيه من قبله، وأيْم الله إن كان لخليقًا لها، وأيْم الله إن كان لأحب الناس إلىّ، وايم الله إن هذا لخليق – يريد أسامة بن زيد – وايم الله إن كان لأحبهم إلىَّ من بعده فأوصيكم به فإنه من صالحيكم».

وقد أمَّر رسول الله ﷺ أسامة بن زيد على جيش لقتال الروم، وكان فى جيشه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما، وكان أسامة دون العشرين من عمره.

١١ – سلمان الفارسى وبلال الحبشى وصهيب الرومى رضى الله تعالى عنهم :

لم يفرق الإسلام فى الحقوق الإنسانية للإنسان بين من كان أصله رقيقًا ومن لم يُضْرب عليه الرق.

فقد روى مسلم بسنده عن عائذ بن عمرو رضى الله عنه أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال فى نفر، فقالوا: والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدوّ الله مأخذها، فقال أبو بكر رضى الله عنه: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟.

فأتى أبو بكر – رضى الله عنه – النبى فأخبره، فقال النبى ﷺ: يا أبا بكر لعلك أغضبتهم، لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك، فأتاهم أبو بكر رضى الله عنه فقال: يا إخوتاه أغضبتكم؟ قالوا: لا، يغفر الله لك يا أخى.

– وأى ثقة من رسول الله ﷺ فى هؤلاء الذين يعد إغضابهم إغضاباً لله تعالى؟

١٢ – سائر الصحابة رضوان الله عليهم

الصحابة رضى الله عنهم – فى مجموعهم – من أفضل المسلمين وأقربهم إلى رسول الله ﷺ وأبرهم به وأحرصهم على نصره وتأييده، وهم الذين أخذوا عنه القرآن الكريم والدين كله وهو رطب فى فمه ﷺ.

والمسلمون فى كل عصر وإلى أن يقوم الناس لرب العالمين مدينون للصحابة رضوان الله عليهم فى أنهم نقلوا إليهم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

بل إن هؤلاء الصحابة رضى الله عنهم هم الذين نشروا الدين فى مختلف الأقطار التى أمكنهم الوصول إليها.

وما بلغت الدعوة إلى الله مداها، ولا انجلت معالمها وعرفت أبعادها واتضحت وسائلها

وأساليبها، ولا عرف المسلمون من بعد كيف يتغلبون على الصعاب ويزيلون العقبات التى تعترض طريق الدعاة إلى الله.

– روى مسلم بسنده عن أبى بردة عن أبيه رضى الله عنهما قال: صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلى معه العشاء، فجلسنا، فخرج علينا فقال: مازلتم هنا؟ قلنا: يا رسول الله صلينا معك المغرب ثم قلنا: نجلس حتى نصلى معك العشاء، قال أحسنتم أو أصبتم، فرفع رأسه إلى السماء – وكان كثيراً ما يرفع رأسه إلى السماء – فقال: النجوم أَمَنَةُ السماء، فإذا ذهبت النجومُ أَتَى السماءَ ما توعد، وأنا أَمَنَةٌ لأصحابى فإذا ذهبتُ أَتَى أصحابى ما يوعدون، وأصحابى أَمَنَةٌ لأمتى، فإذا ذهب أصحابى أتى أُمتى ما يوعدون».

– وروى مسلم بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتى على الناس زمان يغزو فئامٌ[1] من الناس فيقال لهم: فيكم مَنْ رأى رسول الله؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس، فيقال لهم: فيكم مَنْ رأى مَنْ صَحِبَ رسول الله؟ فيقولون: نعم فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم: هل فيكم مَنْ رأى مَنْ صَحِبَ رسول الله؟ فيقولون: نعم فيفتح لهم».

– وروى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أصحابى، لا تسبوا أصحابى، فوالذى نفسى بيده، لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه»[2].

– وروى ابن ماجة بسنده عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال: خطبنا عمر بالجابية فقال: إن رسول الله ﷺ قام فينا مثل مقامى فيكم، فقال: «احفظونى فى أصحابى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفشوا الكذب، حتى يُشْهد الرجلُ وما يُسْتَشهد، ويحلف ما يُسْتَحلف».

– وروى أحمد بسنده عن عبد الله بن مغفل المزنى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الله الله فى أصحابى، الله الله فى أصحابى[3]، لا تتخذوهم غرضًا بعدى، فمَنْ أحبهم

---

(١) الفئام: الجماعة.

(٢) المدّ: مكيال يعدل ملء كفَّى الإنسان، والنصيف: النِّصْف منه.

(٣) أى اتقوا الله واحذروا عقابه إن أسأتم إلى أصحابى.

فَبِحُبِّى أَحَبَّهم، ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله تبارك وتعالى، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه».

– وروى الترمذى بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: خطبنا عمر بالجابية فقال: يا أيها الناس إنى قمتُ فيكم مقام رسول الله ﷺ فينا، فقال: «أوصيكم بأصحابى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يفشوا الكذب، حتى يحلف الرجل ولا يستحلف، ويشهد الشاهد ولا يستشهد، ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان، عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، ومن سرته حسنته وساءته سيئه فذلك المؤمن».

وبعد: فهذه الأحاديث النبوية الشريفة توضح مدى حب الرسول ﷺ لأصحابه ومدى تقديره وتكريمه لهم، وذلك معناه ثقته ﷺ فيهم.

غير أن هذه الثقة ليس معناها أنهم معصومون عن الخطأ، فالمعصوم هو الرسول ﷺ وحده، وأما سائر الناس فكلهم يخطئ ويصيب، وإن كان معظم الصَّحابة رضوان الله عليهم أو جميعهم من التوابين عن أخطائهم، كما هو ثابت فى تاريخهم وتاريخ أعمالهم رضى الله عنهم.

وقد أخبر الرسول ﷺ بتعرضهم للخطأ فى أكثر من حديث نبوى شريف، نذكر منها:

– ما رواه البخارى بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض، ليرفعنَّ إلىَّ رجال منكم، حتى إذا أهويتُ لأناولهم اختلجوا دونى، فأقول، يارب أصحابى، يقول: لا تدرى ما أحدثوا بعدك».

– وروى أحمد بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أنا فرطكم على الحوض وسأنازع رجالاً فأغلب عليهم، فلأقولن: رب أصحابى أصحابى، فليقالَنَّ لى: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك».

– وأخرج رزين[1] فى كتابه: «التجريد للصحاح الستة» بسنده عن عمر بن الخطاب رضى

---

(١) هو الإمام رزين بن معاوية بن عمار العبدرى السَّرقسْطى الأندلسى، كنيته أبو الحسن، جاور بمكة زمنًا طويلا وتوفى بها سنة ٥٣٥هـ وله تصانيف كثيرة.

الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سألت ربى عن اختلاف أصحابى من بعدى، فأوحى إلىّ: يا محمد، إن أصحابك عندى بمنزلة النجوم من السماء بعضها أقوى من بعض، ولكل نور، فمن أخذ بشيء مما هم عليه من اختلافهم فهو عندى على هدى».

– وأخرج محمد بن محمد بن سليمان الفاسى فى كتابه: «جمع الفوائد» قول الرسول ﷺ: «أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم».

وأخيراً فإن من كانوا على تلك الحال عند الله تعالى ورسوله ﷺ، فهم أهل لثقة الرسول ﷺ فيهم.

٢ – الثقة عند الصحابة رضوان الله عليهم

لابد أن تكون الثقة بين الصحابة رضى الله عنهم قائمة بل قوية، فهم أكثر المسلمين اقترابًا ومشاركة لرسول الله ﷺ فى الأخلاق والتعامل، والاقتداء به ﷺ إذ كان حيًا بين ظهرانيهم، فمنه تعلموا التحلى بفضائل الأخلاق والتخلى عن سفافها فضلاً عن مساوئها، فهم – كما ينبئ عنهم تاريخهم – أمثلة ونماذج للرسول ﷺ.

ومن أجل ذلك كان لابد أن يكون حب بعضهم لبعض – وهو أمر مسلَّم لأن الله تعالى أمرهم به وبالأخوة فى الدين، ولأن الرسول ﷺ آخى بينهم مرتين إحداهما فى مكة والأخرى فى المدينة – وهذا الحب وتلك الأخوة فى الدين لا بد أن تزرع فى نفوسهم ثقة بعضهم فى بعض.

وتاريخ الصحابة رضى الله عنهم حافل بما لا يمكن حصره من المواقف التى كانت نماذج لهذه الثقة التى نتحدث عنها فيما بينهم.

وليس فى وسعى – فى هذا الكتاب – أن أتتبع أو أستقصى تلك النماذج لثقة بعضهم فى بعض، ولكن حسبى أن أذكر أطرافًا من ثقتهم فى مشاهيرهم وكبارهم وأصحاب السابقة فيهم وأصحاب المواقف العظيمة التى وقفوها من أجل هذا الدين العظيم، وأصحاب التضحيات والبطولات فى ميادين القتال وميادين البذل والعطاء، ذلك حسبى، وهو بإذن الله صالح لأن يقدم الشاهد والدليل على ثقة الصحابة بعضهم فى بعض رضى الله عنهم، بغض النظر عما بدر بينهم من خلاف.

أولا:

نماذج من ثقة الصحابة رضى الله عنهم فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه:

– من ذلك ثقة الذين دعاهم أبو بكر إلى الإسلام فقبلوا فقدمهم إلى رسول الله ﷺ وهم عدد أصبحوا بعد إسلامهم من كبار الصحابة علماً وفقهاً وشجاعة وكرمًا وتضحية وفداء، من هؤلاء:

عثمان بن عفان ذو النورين رضى الله عنه،

والزبير بن العوام رضى الله عنه،

وطلحة بن عبيد الله رضى الله عنه،

وسعد بن مالك أبى وقاص رضى الله عنه،

وأبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه،

وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه،

وهؤلاء ستة من العشرة الذين بشرهم الرسول ﷺ بالجنة.

وممن أسلم بدعوة أبى بكر، وثقته فيه غير هؤلاء:

عثمان بن مظعون رضى الله عنه،

وعبد الله بن عبد الأسد رضى الله عنه،

وخالد بن سعيد رضى الله عنه،

كل هؤلاء كانت ثقتهم فى أبى بكر الصديق ثقة كبير.

- وثقة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى أبى بكر، حيث رشحه للخلافة بعد التحاق رسول الله ﷺ بالملأ الأعلى.

وكان ذلك يوم السقيفة، حيث يقول عمر رضى الله عنه: إنه كان من شأن الناس أنّ رسول الله ﷺ تُوفى فأتينا فقيل لنا: إن الأنصار قد اجتمعت فى سقيفة بنى ساعدة مع سعد ابن عبادة رضى الله عنه يبايعون.

فقمتُ وقام أبو بكر وأبو عبيدة بن الجراح - رضى الله عنهم - نحوهم فزعين أن يحدثوا فى الإسلام، حتى انتهينا إلى القوم وإذا هم عكوف هنالك على سعد بن عبادة - وهو على سرير له مريض - فلما غشينا تكلموا فقالوا: يا معشر قريش: منا أمير ومنكم أمير..

فقال أبو بكر: على رسلكم، فذهبت لأتكلم فقال: أنصِتْ يا عمر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا معشر الأنصار، إنا والله ما ننكر فضلكم، ولا بلاغكم فى الإسلام، ولا حقكم الواجب علينا، ولكنكم قد عرفتم أن هذا الحى من قريش بمنزلة من العرب، فليس بها غيرهم، وأن العرب لن تجتمع إلا على رجل منهم، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء فاتقوا الله ولا تصدعوا الإسلام، ولا تكونوا أول من أحدث فى الإسلام.

ألا وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين: عمر وأبى عبيدة، فأيهما بايعتم فهو لكم ثقة.

قال عمر: فوالله ما بقى شىء كنتُ أحبُّ أن أقول إلا قد قاله يومئذ، غير هذه الكلمة(١)، فوالله لأن أقتل ثم أُحيا، ثم أقتل ثم أحيا فى غير معصية أحب إلىّ من أن أكون أميراً على قوم فيهم أبو بكر.

ثم قلتُ: يا معشر الأنصار، يا معشر المسلمين: إن أولى الناس بأمر رسول الله ﷺ من بعده؛ ثانى اثنين إذ هما فى الغار، أبو بكر السباق المُسِنَ، ثم أخذتُ بيده، وبادرنى رجل من الأنصار فضرب على يده قبل أن أضرب على يده، فتتابع الناس، ومِيلَ عن سعد بن عبادة.

– وثقة عثمان بن عفان فى أبى بكر رضى الله عنه:

جاء فى كنز العمال(٢)، عن عُمران، قال: قال عثمان بن عفان رضى الله عنه: إن أبا بكر الصديق – رضى الله عنه – أحق الناس بها – يعنى الخلافة – إنه لصِدِّيق، وثانى اثنين، وصاحب رسول الله ﷺ.

– وثقة أبى عبيدة بن الجراح فى أبى بكر رضى الله عنه:

أخرج الإمام أحمد عن أبى البخترى قال: قال عمر لأبى عبيدة رضى الله عنهما: ابسط يدك حتى أبايعك، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنت أمين هذه الأمة» فقال أبو عبيدة: رضى الله عنه: ما كنت لأتقدم بين يدى رجل أمَّره رسول الله أن يؤمنا، فأمَّنا حتى مات.

– ثقة على والزبير فى أبى بكر – رضى الله عنهم –:

على الرغم من أن عليًّا والزبير رضى الله عنهما تأخرا فى بيعة أبى بكر بعض الوقت، إلا أنهما قالا: «ما غضبنا إلا لأنا أُخِرّنا عن المشاورة، وإنا نرى أبا بكر أحق الناس بها بعد رسول الله ﷺ، إنه لصاحب الغار وثانى اثنين، وإنا لنعرف شرفه وكِبَره، ولقد أمَّره رسول الله ﷺ بالصلاة بالناس وهو حىّ».

---

(١) يقصد كلمة: وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين: عمر وأبى عبيدة.

(٢) كنز العمال – للتقى الهندى.

ولما بويع أبو بكر رضى الله عنه بالخلافة ظل ثلاثة أيام يقوم على منبر رسول الله ﷺ فيقول: هل من كاره فاقيله؟ ثلاثًا يقول ذلك. فعند ذلك يقوم على رضى الله عنه فيقول: لا والله لا نقيلك ولا نستقيلك، من ذا الذى يؤخرك؟ وقد قدمك رسول الله ﷺ.

ثانيًا: ثقة الصحابة رضى الله عنهم فى عمر بن الخطاب رضى الله عنه:

- من ثقة أبى بكر الصديق رضى الله عنه فى عمر أن جعله وأبا عبيدةً بن الجراح مرشحين لأن يبايع المسلمون أحدهما بالخلافة يوم السقيفة.

- ومن ثقة أبى بكر الصديق فى عمر رضى الله عنهما فيما رواه ابن عساكر عن الحسن قال: لما ثقل أبو بكر رضى الله عنه استبان له فى نفسه، فقد جمع الناس إليه، فقال لهم: إنه قد نزل بى ما قد ترون، ولا أظننى إلا لماماتى، وقد أطلق الله تعالى أيمانكم من بيعتى، وحَلَّ عنكم عقدى، وردّ عليكم أمركم، فأَمِّروا عليكم من أحببتم، فإنكم إن أَمَّرتم فى حياة منى كان أجدر أن لا تختلفوا بعدى.

فقاموا فى ذلك وخلوه تخلية، فلم تستقم لهم، فرجعوا إليه فقالوا: رَهْ لنا يا خليفة رسول الله. قال: فلعلكم تختلفون؟

قالوا: لا، فقال: فعليكم عهد الله على الرضا؟

قالوا: نعم قال: فأمهلونى أنظر لله ولدينه ولعباده.

فأرسل أبو بكر إلى عثمان رضى الله عنه فقال: أَشِرْ علىّ برجل، فوالله إنك عندى لها لأهل وموضع.

فقال عثمان رضى الله عنه: عمر. قال: اكتب فكتب حتى انتهى إلى الاسم، فغُشِى عليه، فأفاق، فقال: اكتب عمر.

- وأخرج ابن أبى شيبة عن زيد بن الحارث أن أبا بكر رضى الله عنه حين حضره الموتُ، أرسل إلى عمر يستخلفه، فقال الناس: تستخلف علينا عمر، فظا غليظًا، فلو قد ولينا كان أفظ وأغلظ!!! فما تقول لربك إذا لقيته وقد استخلفت علينا عمر؟

فقال أبو بكر: «أبربى تخوفوننى؟ أقول: اللهم استخلفت عليهم خير أهلك».

- ومن ثقة عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فى عمر رضى الله عنه: ما أخرجه الطبرانى

بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما أن ابن عباس قال لعمر بعد طعن المجوسى إياه، وعمر يحتضر: أليس قد دعا رسول الله ﷺ أن يعز الله بك الدين والمسلمين إذ يخانون بمكة؟ فلما أسلمت كان إسلامك عزاً، وظهر بك الإسلام ورسول الله ﷺ وأصحابه، وهاجرت إلى المدينة فكانت هجرتك فتحا، ثم لم تغب عن مشهد شهده رسول الله ﷺ من قتال المشركين، من يوم كذا ويوم كذا ثم قُبض رسول الله ﷺ وهو عنك راض، فوازرت الخليفة بعد على منهج رسول الله ﷺ، فضربت بمن أقبل على من أدبر حتى دخل الناس فى الإسلام طوعًا وكرهًا، ثم قُبض الخليفة وهو عنك راض، ثم وليت بخير ما ولى الناس، مصَّر الله بك الأمصار، وجبى بك الأموال، ونفى بك العدو، وأدخل الله بك على كل أهل بيت من توسعتهم فى دينهم وتوسعتهم فى أرزاقهم، ثم ختم لك بالشهادة فهنيئًا لك.

فقال عمر: والله إنّ المغرور لَمَنْ تغرونه. ثم قال: أتشهد لى يا عبد الله عند الله يوم القيامة؟ فقال: نعم.

فقال: عمر: اللهم لك الحمد.

ثم قال عمر رضى الله عنه لولده عبد الله بن عمر: ألصق خدّى بالأرض يا عبد الله بن عمر، فوضعته من فخذى على ساقى، فقال: ألصق خدى بالأرض، فترك لحيته وخده حتى وقع بالأرض، فقال عمر رضى الله عنه: ويلك وويل أمك يا عمر! إن لم يغفر الله لك يا عمر! ثم قُبض رحمه الله.

ثالثًا: ثقة الصحابة رضى الله عنهم فى عثمان بن عفان رضى الله عنه:

- ثقة الصديق فى عثمان رضى الله عنهما، كانت بعيدة الغور ضاربة فى أعماق تاريخ عثمان بن عفان، فقد كان ابن عفان ممن عرض عليهم أبو بكر الإسلام فقبلوا، فدخل عثمان فى الإسلام على يد أبى بكر، فهل يعرض أبو بكر الإسلام إلا على من يثق فيه ثقة كبيرة؟

- واستمرت ثقة أبى بكر فى عثمان رضى الله عنهما حتى آخر يوم من حياة أبى بكر، إذ طلب منه الصديق - وهو على فراش الموت- أن يكتب عهداً لمن يتولى الأمر بعده، وكان الكُتَّاب حول أبى بكر من الصحابة رضى الله عنهم كثيرين لكنه اختار عثمان!!!

- بل كانت ثقة أبى بكر فى عثمان وفى حسن اختياره ليسمى من يتولى الأمر بعد أبى بكر؛ إذ تقول الروايات التاريخية: إن أبا بكر أملى عليه العهد وترك تعيين اسم من يتولى

بعده، إذ أخذته غشية، فلما أفاق استقرأ عثمان ما كتب، فإذا عثمان قد وضع اسم عمر خشية ألا يفيق أبو بكر من غشيته، فأقره أبو بكر رضى الله عنه، وأبلغه أنه كان سوف يملى عليه اسم عمر رضى الله عنه ثم قال له: «هكذا الظن بك لو كتبت اسمك لكنت لها أهلاً».

– ومن ثقة عمر فى عثمان رضى الله عنهما أن سماه بين الستَّة أصحاب الشورى، وقد روَّج[1] عمر رضى الله عنه فى الاستخلاف مرة بعد مرة فقال: «ما أردت أن أتحملها حيًّا وميتًا، وعليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله ﷺ: إنهم من أهل الجنة: علىّ وعثمان وعبد الرحمن وسعد والزبير وطلحة، فليختاروا منهم رجلاً، فإذا ولوا منهم واليًا فأحسنوا مؤازرته وأعينوه».

– وفى ثقة علىّ رضى الله عنه فى عثمان رضى الله عنه ما روى عن شداد ابن أوس قال: لما اشتد الحصار بعثمان رضى الله عنه يوم الدار؛ أشرف على الناس فقال: يا عباد الله، فرأيت على بن أبى طالب رضى الله عنه خارجًا من منزله مُعْتَمًّا بعمامة رسول الله ﷺ، متقلداً سيفه، أمامه الحسن وعبد الله بن عمر رضى الله عنهم، فى نفر من المهاجرين والأنصار حتى عملوا على الناس وفرقوهم، ثم دخلوا على عثمان، فقال له على رضى الله عنه: السلام عليك يا أمير المؤمنين، إن رسول الله ﷺ لم يلحق هذا الأمر حتى ضرب بالمقبل المُدْبِر، وإنى والله لا أرى القوم إلا قاتليك، فمرنا فلنقاتل، فقال عثمان: «أنشد الله رجلاً رأى لله حقا وأقرَّ لى عليه حقًا أن يهريق فى سببى ملء محجمة من دم أو يهريق دمه فِىّ» فأعاد علىّ القول، فأجابه عثمان بما أجابه.

قال شداد: فرأيت عليا خارجًا من الباب وهو يقول: اللهم إنك تعلم أنا بذلنا المجهود، ثم دخل المسجد وحضرت الصلاة، فقالوا له: يا أبا الحسن تقدم فصلّ بالناس، فقال: لا أصلى بكم والإمام محصور، ولكن أصلى وحدى، فصلى وحده وانصرف إلى منزله، فلحقه ولده وقال: والله يا أبت قد اقتحموا عليه الدار، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، هم والله قاتلوه. قالوا: أين هو يا أبا الحسن؟ قال: فى الجنة والله زُلْفَى، قالوا: وأين هم يا أبا الحسن؟: قال: فى النار والله، ثلاثًا»[2].

---

(١) روّج فى الكلام زيّنه، أو أبهمه فلا تعلم حقيقته والأقرب فى هذا السياق هو الإخفاء والإبهام.

(٢) المحب الطبرى أحمد بن عبد الله (٦١٥-٦٩٤ هـ) الرياض النَّضِرة فى مناقب العشرة.

رابعًا: ثقة الصحابة رضى الله عنهم فى على بن أبى طالب رضى الله عنه:

علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه هو أول من أُطلق عليه لقب الإمام بين الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم، وكان لقبا قد صادف أهله؛

فقد كان إمامًا فى السبق إلى الإسلام،

وإماما فى أنه لم يسجد لصنم فى الجاهلية،

وإمامًا فى حسن الخلق، وحسبه أنْ ربى فى بيت النبوة،

وإمامًا فى التواضع والزهد،

وإمامًا فى الصلاح والتقوى،

وإماماً فى الإنفاق فى سبيل الله يطعم الطعام على حبه مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا، وإمامًا فى الشجاعة والفروسية والصبر والثبات، وحسبه أن فتح الله على يديه خيبر بعد أن استعصى فتحها على المسلمين أيامًا.

وكان إمامًا فى الفتيا، وحسبه قول عمر رضى الله عنه: قضية ولا أبا حسن لها.

وإماما فى الفقه والتوريث،

وإماما فى السماحة والغفران وإيثار التراضى.

وما أطلق عليه المسلمون لقب الإمام إلا لثقتهم فيه وحبهم إياه، متأثرين فى ذلك بحب النبى ﷺ له وثقته فيه رضى الله عنه.

– ومن ثقة عمر فيه أن جعله أحد السِّتَّة الذين حصر الخلافة من بعده فى أحدهم.

– ومن ثقة كثير من الصحابة فيه أن بايعوه بعد مقتل عثمان رضى الله عنه.

– وقد كان كبار الصحابة يثقون فى على رضى الله عنه ثقة كبيرة، ولو أردنا أن نحصى أولئك الواثقين منهم فى علىّ لما وسعتنا هذه الصفحات، وفى مقدمتهم عمر رضى الله عنه الذى ولاه القضاء، وعثمان الذى أبقاه على القضاء واستشاره فى كثير من أمور المسلمين، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبى وقاص، والزبير بن العوام – على الرغم من أنه حاربه يوم وقعة الجمل.

وكان موضع ثقة عبد الله بن عباس وعمار بن ياسر ومن لا أحصى من الصحابة رضى الله عنهم.

– ومن ثقتهم فيه أن لاموه بل اتهموه بالتقصير فى مقتل عثمان رضى الله عنه بأنه قصّر فى الدفاع عنه وطالبوه بتسليم قاتليه ولم يكن خليفة بعد، ولا سلطة له يقبض بسطوتها على القتلة، فكان مطلبهم هذا من علىّ – فى تصورى – دليل ثقتهم فيه أكثر من أنه دليل على رغبتهم فى إحراجه وإلقاء اللوم عليه ظلمًا وبهتانًا، إذ كان رضى الله عنه قد حمل سلاحه واصطحب ولديه الحسن والحسين وابن عمه عبد الله بن عباس رضى الله عنهم ودافعوا الناس عن بيت عثمان وطلب هو من عثمان أن يأذن له فى قتالهم فرفض قائلاً كلمته الدالة على الورع والتقوى وإيثار حقن الدماء: «أنشد الله رجلاً رأى لله حقًا وأقَرّ أن لى عليه حقا، أن يهريق فى سببى ملء، محجن من دم أو يريق دمه فىّ».

ولما قُتل عثمان رضى الله عنه ونُقل خبر مقتله إلى المسجد، وعلىّ رضى الله عنه جالس فيه في نحو عشرة من المصلين، قال لحامل الخبر: «ويحك ما وراءك؟ قال: والله لقد فُرَغ من الرجل، فصاح به: «تبًا لكم آخر الدهر، وأسرع إلى دار الخليفة المقتول، فلطم الحسن وضرب الحسين وشتم محمد بن طلحة وعبد الله بن الزبير، وجعل يسأل ولديه: كيف قُتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب؟ فأجاب محمد بن طلحة: لا تضرب يا أبا الحسن ولا تشتم ولا تلعن، لو دفع إليهم مروان ما قتل. يقصد مروان بن الحكم.

خامسًا: ثقة الصحابة رضى الله عنهم فى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه:

– من ثقة عمر بن الخطاب فى سعد أنه يراه أهلاً لأن يتولى الخلافة إذ اختاره بين الستة اصحاب الشورى الذين جعل إليهم التشاور ليختاروا أحدهم خليفة له، غداة طعنه – وهو على فراش الموت – وهؤلاء الستة هم: على وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله، وهم الذين مات النبى ﷺ وهو عنهم راضٍ، وبشرّهم بأنهم من أهل الجنة.

– ومن ثقة عمر فى سعد رضى الله عنهما أن قال فيه إنه أهل للخلافة إذ قال: «فإن تولوه فهو أهل وإلا فليستعن به من يولى، فإنى لم أعزله عن ضعف ولا خيانة».

– وقال عنه عمر –رضى الله عنه: إذا روى سعد حديثًا فلا تسألوا عنه غيره، لصدقه وأمانته(١).

* وكانت الثقة فى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه لها ما يبررها من ميزات فيه:

(١) لسعد رضى الله عنه ٢٧١ حديثًا، رواها عنه علماء الحديث فى كتب السنة الصحيحة المشهورة بين المسلمين.

– فهو أول من رَمَى بسهم فى سبيل الله، فقد روى سعيد بن المسيب عن سعد بن أبى وقاص قوله: ما أسلم أحد فى اليوم الذى أسلمت فيه، ولقد مكثتُ سبعة أيام وإنى لثلث الإسلام.

– وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة،

– وأحد الستة أصحاب الشورى،

– وفاتح العراق.

– وفاتح مدائن كسرى،

– وفاتح القادسية.

– وعن ثقة عبد الرحمن بن عوف فى سعد رضى الله عنهما، أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه عندما استشار أصحابه فأشاروا عليه بالسَّيْر إلى فارس، فكان عمر رضى الله عنه يرتاد رجلاً لقيادة جيش المسلمين المتجه إلى فارس ويستشير الصحابة رضى الله عنهم قال له عبد الرحمن بن عوف: وجَدْتَه، قال: من هو؟ قال: الأسد فى براثنه سعد بن مالك –أبى وقاص– ومالأه– أى وافقه– على ذلك أصحاب الرأى.

– ومن ورعه وتقواه رضى الله عنه موقفه من الفتنة التى تحارب فيها المسلمون فى خلافة علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه، فقد روى أيوب السختيانى قال: اجتمع سعد بن أبى وقاص وابن مسعود وابن عمر وعمار بن ياسر رضى الله عنهم فذكروا الفتنة، فقال سعد: «أما أنا فأجلس فى بيتى ولا أدخل فيها».

– وروى ابن سيرين قال: قيل لسعد بن أبى وقاص رضى الله عنه: ألا تقاتل؟ فإنك من أهل الشورى، وأنت أحق بهذا الأمر من غيرك؟ فقال: «لا أقاتل حتى تأتونى بسيف له عينان ولسان وشفتان، يعرف المؤمن من الكافر، فقد جاهدت وأنا أعرف الجهاد».

سادساً: ثقة الصحابة رضى الله عنهم فى الزبير بن العوام رضى الله عنه:

الزبير بن العوام رضى الله عنه أسلم فتى يافعًا وهو فى الثامنة من عمره، وقيل فى الثانية عشرة أو الخامسة عشرة.

وهو ابن عمة رسول الله ﷺ صفية بنت عبد المطلب رضى الله عنها، وأبوه العوام أخو خديجة رضى الله عنها زوج النبى ﷺ.

– وقد هاجر إلى الحبشة، وكان رابع المسلمين أو خامسهم.

- من ثقة عثمان فيه رضى الله عنهما أن عثمان لما أخذه الرعاف فى سنة الرعاف فى سنة فتخلف عن الحج وأوصى، فدخل عليه رجل من قريش فقال: استخلف، قال: وقالوه؟ قال: نعم.

قال: من هو؟ قال: فسكت، ثم دخل عليه رجل آخر فقال مثل ما قال الأول، وردّ عليه نحو ذلك. قال: فقال عثمان: الزبير بن العوام، قال: نعم، قال: أما والذى نفسى بيده إن كان لأَخْيرهم - ما علمتُ - وأحبهم إلى رسول الله ﷺ.

- ومن ثقة عمر فيه رضى الله عنه أن جعله من الستة أصحاب الشورى؛ إذ هو من العشرة المبشرين بالجنة ومن الذين مات النبى ﷺ وهو عنهم راضٍ، وهو حوارى النبى ﷺ، فقد روى البخارى بسنده عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل نبى حواريًّا وحواريّ الزبير بن العوام».

- ومن ثقة الصحابة رضى الله عنهم فيه أن أوصى إليه سبعة من الصحابة بأولادهم منهم: عثمان، وعبد الرحمن بن عوف، والمقداد، وابن مسعود، وكان يحفظ على أولادهم مالهم، وينفق عليهم من ماله، وكان للزبير بن العوام ألف مملوك يؤدون إليه الخراج، فما يُدْخِل إلى بيته منها درهمًا واحدًا، كان يتصدق بكل ذلك.

- ومن ثقة على بن أبى طالب فيه - رضى الله عنهما - على الرغم من أنه خرج يوم الجمل مقاتلاً لعلى - رضى الله عنه، فلما ناداه علىّ وذكّره بقول النبى ﷺ للزبير عن علىّ: ولتقاتلنه وأنت له ظالم»؛ انصرف عن القتال، ونزل بوادى السباع وقام يصلى فأتاه ابن جرموز - من أنصار علىّ رضى الله عنه - فقتله غدراً من خلفه، وجاء بسيفه إلى علىّ رضى الله عنه، فقال: إن هذا سيف طالما فَرَّج الكرب عن رسول الله ﷺ، ثم لم يأذن لابن جرموز، وقال للمستأذن له عليه: بشِّر ابن جرموز قاتل ابن صفية بالنار.

- ومن ثقة حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ فيه رضى الله عنهما أن قال فيه من شعره:

أقـــام على عـــهـــد النبى وهديه	حـــواريّه والقـــول بالفـــعل يُعْـــدَل
أقـــام على منهـــاجـــه وطريقـــه	يوالى ولىّ الحق والحـــقُّ يَعْـــدل
هو الفـــارس المشـــهـــور والبطل الذى	يصـــول إذ مـــا كـــان يوم مـــحـــجَّل(١)

---

(١) يوم محجّل: أى معلّم مشهور.

له من رسول الله قربى قريبة ومن نُصرة الإسلام مجد مؤثل(١)

فما مثله فيهم ولا كان مثله وليس يكون الدهر ما دام يذبل(٢)

سابعًا: ثقة الصحابة رضى الله عنهم فى عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه:

أسلم عبد الرحمن بن عوف قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم بن أبى الأرقم، وكان أحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبى بكر الصديق رضى الله عنهم.

وكان من المهاجرين الأولين إلى الحبشة.

وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد أصحاب الشورى الذين عوّل عليهم عمر رضى الله عنه ليختاروا من بينهم من يكون خليفة للمسلمين.

– ومن ثقة الصحابة رضى الله عنهم فيه أن روى عنه عدد من الصحابة منهم:

عبد الله بن عباس رضى الله عنهما،

وعبد الله بن عمر رضى الله عنهما(٣)،

وجابر بن عبد الله رضى الله عنهما – وهو من الصحابة المكثرين من الرواية عن النبى ﷺ فله فى كتب السنة ١٥٤٠ حديثًا(٤).

وأنس بن مالك رضى الله عنه(٥).

وجبير بن مطعم(٦) رضى الله عنه.

والمسوَّر بن مخرمة رضى الله عنه(٧) وغيرهم.

وروى عنه بنوه: إبراهيم وحميد وأبو مسلمة ومصعب.

(١) مؤثل: أصيل عريق.

(٢) يذبل: جبل مشهور الذكر بنجد.

(٣) نشأ فى الإسلام وهاجر مع أبيه إلى المدينة، أفتى الناس ستين سنة وله فى كتب الحديث: ٢٦٣٠ حديثًا.

(٤) له ولأبيه صحبة غزا تسع عشرة غزوة، وله حلقة فى المسجد النبوى كان يؤخذ عنه فيها العلم.

(٥) صاحب رسول الله وخادمه، روى عنه رجال الحديث ٢٢٨٦ حديثًا.

(٦) قرشى من علماء قريش وسادتهم ومن كبار النسّابين له: ٦٠ حديثًا.

(٧) قرشى زهرى من فقهاء الصحابة خاله عبد الرحمن بن عوف، روى عن الخلفاء الأربعة وغيرهم من كبار الصحابة.

– ومن ثقة أصحاب الشورى فيه أنهم وكلوا إليه أن يختار أحدهم ليُبَايع بعد عمر، وكان عبد الرحمن قد قال لأصحاب الشورى: مَنْ يخرج نفسه منها؟ ويختار للمسلمين؟ فلم يجيبوه إلى ذلك، فقال: أنا أخرج نفسى من الخلافة واختار للمسلمين، فأجابوه إلى ذلك، وأخذ منهم مواثيقهم عليه، فاختار عثمان رضى الله عنه فبايعوه.

– ومن ثقة على رضى الله عنه فيه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول له: «أنت أمين فى أهل الأرض وأمين فى أهل السماء».

ثامنًا: ثقة الصحابة رضى الله عنهم فى أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه:

أبو عبيدة من السابقين إلى الإسلام، أسلم على يد صديقه أبى بكر الصديق رضى الله عنه، وهو من العشرة المبشرين بالجنة، ومن أهل الهجرة إلى الحبشة.

وقد شهد بدراً وأحداً وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ.

وقد سماه رسول الله ﷺ أى لَقَّبَه: «أمين هذه الأمة».

– ومن ثقة أبى بكر الصديق فى أبى عبيدة –رضى الله عنهما– أن رشحه مع عمر بن الخطاب يوم السقيفة ليختار المسلمون أحدهما للخلافة، حيث قال: «رضيت لكم أحد هذين الرجلين: عمر بن الخطاب وأبا عبيدة بن الجراح».

وأنه سيَّره أميراً على جيش إلى الشام ففتح الله على يديه الشام.

– ومن ثقة عمر بن الخطاب فيه رضى الله عنهما ما ذكره زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب أنه قال لأصحابه: تمنوا: فقال رجل: أتمنى لو أن لى هذه الدار مملوءة ذهبًا وفضة أنفقه فى سبيل الله.

ثم قال: تمنوا:

فقال رجل: أتمنى لو أنها مملوءة لؤلؤاً وزَبَرْجَدا وجوهراً أنفقه فى سبيل الله.

ثم قال: تمنوا:

فقالوا: ما ندرى يا أمير المؤمنين، فقال عمر رضى الله عنه: أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة رجالاً مثل أبى عبيدة بن الجراح.

– ومن ثقة عمر فيه، أنه لما عزل خالد بن الوليد من عمله وكان أمير الجيوش فى الشام، لم يجد أفضل من أبى عبيدة فولاه الشام مكان خالد بن الوليد.

– ومن ثقة خالد بن الوليد فى أبى عبيدة رضى الله عنهما أنه عندما عزله عمر، عمل تحت إمرة أبى عبيدة حتى تم الفتح سنة ١٤ هـ.

وأن خالداً قال عندما عزل وتولى أبو عبيدة مكانه: و« وُلِّيَ عليكم أمين هذه الأمة ».

– وممن روى عن رسول الله ﷺ فى أمانة أبى عبيدة:

أبو بكر الصديق،

وعبد الله بن مسعود،

وحذيفة بن اليمان،

وخالد بن الوليد،

وأنس بن مالك،

وأم المؤمنين عائشة رضى الله عنها.

– ومن ثقة الصحابة رضى الله عنهم فى أبى عبيدة أن روى عنه عدد منهم أحاديث رسول الله ﷺ، ومن هؤلاء:

العرباض بن سارية،

وجابر بن عبد الله،

وأبو أمامة الباهلى،

وأبو ثعلبة الخشنى،

وسمرة بن جندب رضى الله عنهم.

وإن كان أبو عبيدة لم يكثر من رواية الحديث.

تاسعاً: ثقة الصحابة رضى الله عنهم فى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه:

كان إسلامه قديماً أول الإسلام حين أسلم سعيد بن زيد وزوجه فاطمة بنت الخطاب، وذلك قبل إسلام عمر بزمان.

وقال عبد الله بن مسعود: لقد رأيتنى سادس ستة ما على ظهر الأرض مسلم غيرنا.

- وكان أول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله ﷺ .
- وهاجر الهجرتين وصلى إلى القبلتين، وشهد بدراً وأحداً والخندق وبيعة الرضوان وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ .
- وهو الذى أجهز على أبى جهل فى غزوة بدر.
- وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة.

– ومن ثقة عمر بن الخطاب فيه رضى الله عنهما أن سيَّره إلى الكوفة وكتب إلى أهل الكوفة: إنى بعثت عمار بن ياسر أميرا، وعبد الله بن مسعود معلما ووزيرًا، وهما من النجباء من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل بدر، فاقتدوا بهما، وأطيعوا واسمعوا قولهما، وقد آثرتكم بعبد الله على نفسى».

- وقال عنه عمر رضى الله عنه: «كُنَيِّف ملئ علمًا»[1].

– ومن ثقة على بن أبى طالب فيه رضى الله عنهما أنه قال: كنا عنده جلوسًا، فقالوا: ما رأينا رجلاً أحسن خُلُقًا ولا أرفق تعليمًا ولا أحسن مجالسة ولا أسد درعا من ابن مسعود، قال علىّ: أنشدكم الله أهو الصدق من قلوبكم؟ قالوا: نعم، قال: اللهم أشهد أنى أقول مثل ما قالوا، وأفضل.

– ومن ثقة حذيفة بن اليمان فيه ما رواه عبد الرحمن بن يزيد[2]. قال: أتينا حذيفة فقلنا حدثنا بأقرب الناس من رسول الله ﷺ هديًا ودَلاً[3] فنأخذ عنه ونسمع منه قال: كان أقرب للناس هديًا ودَلاً وسمتا برسول الله ﷺ ابن مسعود، ولقد علم المحفوظون[4] من أصحاب محمد ﷺ أن ابن أم عَبْد – أى عبد الله بن مسعود – أقربهم إلى الله زلفى».

---

(١) كنيف تصغير كِنْف، وهو الوعاء، والتصغير فى كلمة عمر للتعظيم.

(٢) هو عبد الرحمن بن يزيد بن جارية الأنصارى المدنى كنيته: أبو محمد ولد فى حياة رسول الله ﷺ فى المدينة.
وهو تابعى من علماء الحديث الثقات، وقد ولى القضاء لعمر بن عبد العزيز رحمه الله.
قال عنه عبد الرحمن بن هرمز الأعرج الذى أدرك أبا هريرة وأخذ عنه: قال عن ابن مسعود ما رواه عن حذيفة رضى الله عنه.

(٣) دَلاً أى: جرأة وثقة فى حبه إياه، وقد كان ﷺ يحب ابن مسعود ويقربه.

(٤) المحفوظون هم الذين حفظهم الله من تحريفٍ فى قول أو فعل لتقواهم وقوة حفظهم وضبطهم.

- ومن ثقة أبى موسى الأشعرى فيه قوله: قدمتُ أنا وأخى من اليمن، وما نُرى[1] إلا أن عبد الله بن مسعود رجل من أهل بيت رسول الله ﷺ لما نرى من دخوله ودخول أمه على النبى ﷺ.

- ومن ثقة الصحابة فيه رضى الله عنه أن روى عنه عدد كبير منهم ثقة فيه وفى صدقه ودقته فيما يرويه إذ كان خادم رسول الله ﷺ وصاحب سِرِّه، ومن هؤلاء:

عبد الله بن عباس رضى الله عنهما،

وعبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما،

وأبو موسى الأشعرى، رضى الله عنه،

وعمران بن حصين، رضى الله عنه،

وعبد الله بن الزبير رضى الله عنهم، وغيرهم.

وقد روى أحمد بسنده عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اقتدوا بالذين من بعدى أبى بكر وعمر، واهتدوا بهدى عمار، وتمسكوا بعهد ابن أم عبد».

عاشراً: ثقة الصحابة رضى الله عنهم فى عمار بن ياسر رضى الله عنه:

عمار من السابقين الأولين فى الإسلام، إذ أسلم ورسول الله ﷺ فى دار الأرقم، وكان إسلامه بعد بضعة وثلاثين رجلاً.

وكان من الصابرين على البلاء والتعذيب فى سبيل الله، فقد عذّبه الكفار فى بداية الإسلام وعذبوا أباه وقتلوا أمه فى التعذيب حتى كانت أول من استشُهد فى سبيل الله عز وجل.

ولقد مرّ بهم رسول الله ﷺ وهم يعذَبون فقال لهم: صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة.

هاجر إلى المدينة وشهد بدراً وأحداً والخندق وبيعة الرضوان وجاهد فى سبيل الله جهاداً كبيراً.

(١) نُرى بضم الراء: معناها نظن، وبفتحها معناها: نعلم.

– ومن ثقة عمر بن الخطاب فيه رضى الله عنهما أنه ولاه أميرًا على الكوفة وجعل ابن مسعود وزيره.

– ومن ثقة علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فى عمار أن كانت له عنده مكانة واحترام وتقدير، وقد قاتل عمار فى صفوف على رضى الله عنه فى وقعتى الجمل، وصِفِّين.

– ومن ثقة أنس رضى الله فيه ما رواه أبو داود بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: وإن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة: علىّ، وعمار، وسليمان» وفى رواية: «والمقداد».

– ومن ثقة عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فيه قول عبد الله: «ما أعرف أحداً خرج يبتغى وجه الله والدار الآخرة إلا عماراً» رضى الله عنه.

- وفى فضل عمار رضى الله عنه روى الإمام أحمد بسنده عن خالد بن الوليد – رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ عادى عماراً عاداه الله، ومن أبغض عماراً أبغضه الله».
- وروى الترمذى بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما خُيِّر عمار بين أَمْرَيْن إلا اختار أرشدهما».
- وكان النبى ﷺ يلقبه: «الطَّيِّب المطَيَّب».
- وعمار أول من بنى مسجداً فى الإسلام فقد بنى مسجد قباء.

– ومن ثقة الصحابة رضى الله عنهم فيه أن رووا عنه عدداً من الأحاديث النبوية، وممن رووا عنه:

على بن أبى طالب رضى الله عنه،

وعبد الله بن عباس رضى الله عنهما،

وأبو موسى الأشعرى رضى الله عنه،

وجابر بن عبد الله رضى الله عنهما،

وأبو أمامة الباهلى رضى الله عنه، وغيرهم.

ولعمار رضى الله عنه فى كتب السنة ٦٢ حديثًا.

- وروى عنه من التابعين:

ولده محمد،

وسعيد بن المسيب،

وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومى أحد الفقهاء السبعة بالمدينة المنورة.

ومحمد بن الحنفية بن على بن أبى طالب.

وزر بن حبيش، وغيرهم رحمهم الله.

حادى عشر : ثقة الصحابة رضى الله عنهم فى خَبَّاب بن الأَرَتّ رضى الله عنه :

هو من السابقين الأولين إلى الإسلام، فقد كان سادس ستة فى الإسلام.

وقد عُذب فى سبيل الله تعالى، وأوذى أذى كثيراً فصبر ولم يُنِل معذبيه شيئًا مما أرادوه.

● وشهد بدراً وأُحداً والمشاهد كلها.

قال مجاهد[1] : أول من أظهر الإسلام سبعة :

رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وخبَّاب، وصهيب، وبلال، وعمار وسمية أم عمار.

فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه أبى طالب، وأما أبو بكر فمنعه قومه.

وأما الآخرون فألبسوهم أدراع الحديد، ثم صهروهم فى الشمس فبلغ منهم الجهد ما شاء الله أن يبلغ من حَرّ الحديد والشمس.

وقال الشعبى[2]: «إن خبَّابا صبر ولم يعط الكفار ما سألوا، فجعلوا يلزقون ظهره بالرَّضْف[3] حتى ذهب لحم متنه»[4].

– ومن ثقة على رضى الله عنه فى خباب رضى الله عنه أن أثنى عليه لما رأى قبره بظهر الكوفة فقال: «رحم الله خبَّابا؛ أسلم راغبًا، وهاجر طائعًا، وعاش مجاهداً وابتُلى فى جسمه،

---

(١) هو مجاهد بن جبر (٢١ – ١٠٤ هـ) تابعى مفسر، من أهل مكة قال عنه الذهبى: شيخ القراء والمفسرين أخذ التفسير عن ابن عباس رضى الله عنهما، يقال: إنه مات وهو ساجد.

(٢) هو عامر بن شراحيل الشَّعْبى الحميرى (١٩ – ١٠٣ هـ) تابعى يضرب به المثل فى الحفظ، وهو من ثقات رجال الحديث ولاَّه عمر بن عبد العزيز القضاء، وكان فقيها، شاعراً.

(٣) الرَّضْفَ: جمع رضفة وهى الحجر المحمى على النار أو بالشمس.

(٤) المتن: الظهر، ومتن الكتاب هو الأصل الذى يشرح.

ولن يضيع الله أجر من أحسن عملاً . . » .

– ومن ثقة الصحابة والتابعين فيه أن روى عنه عدد كبير منهم :

ابنه عبد الله بن خبَّاب،

وقيس بن أبى حازم،

وعبد الله بن سخبرة،

وأبو ميسرة عمرو بن شرحبيل،

والشعبى عامر بن شراحيل، وغيرهم .

● ولخباب فى صحيحى البخارى ومسلم اثنان وثلاثون حديثًا .

– ومن ثقة العلماء وطلاب الحديث فيه ما رواه الأعمش عن مالك بن الحارث[1] عن أبى خالد[2] قال : بينما نحن فى المسجد إذ جاء خباب بن الأَرَتُ فجلس فسكت فقال له القوم : إن أصحابك قد اجتمعوا إليك لتحدثهم أو لتأمرهم؛ فقال : بما آمرهم؟ ولعلى آمرهم بما لست فاعلاً .

ثانى عشر : ثقة الصحابة رضى الله عنهم فى بلال بن رباح رضى الله عنه :

من السابقين إلى الإسلام، وممن عذبوا فى سبيل الله عز وجل فصبروا على التعذيب، وكان أبو جهل يعذبه بأن يبطحه على وجهه ويضع الرَّحَى عليه حتى تصهره الشمس، ويقول له : اكفر بمحمد فيقول : أَحَدٌ أَحَد، فاجتاز به ورقة بن نوفل وهو يُعذَب ويقول : أحد أحد، فقال : يا بلال؛ أحد أحد والله لئن مِتَّ على هذا لأتخذن قبرك حنانًا – أى مكانًا أتمسح به وألتمس الرحمة .

● وكان أمية بن خلف يعذبه ويتابع عليه العذاب، فشاء الله تعالى وقدَّر أنَّ بلالا يقتله يوم بدر فقتله .

● وكان بلال رضى الله عنه مؤذن رسول الله ﷺ، وخازنه على بيت المال .

---

(١) هو مالك بن الحارث السلمى كنيته : أبو موسى . روى عن على وابن عباس رضى الله عنهم وروى عنه أهل الكوفة توفى سنة ٩٥ هـ آخر ولاية الحجاج بن يوسف الثقفى .

(٢) هو أبو خالد الوالبى هرمز ويقال هرم مولى الكوفيين يروى عن جابر بن سمرة وأبى جحيفة، توفى سنة ١٠٠هـ فى خلافة عمر بن عبد العزيز .

– ومن ثقة عمر بن الخطاب فى بلال رضى الله عنهما أنه قال: أبو بكر سيدنا، وأعتق سيدنا، يعنى بلالا.

وذلك أن أبا بكر رأى بلالا فى العذاب فاشتراه فأعتقه.

● وروى البخارى ومسلم وأحمد بأسانيدهم عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيتنى دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبى طلحة، وسمعتُ خَشْنًا(١) من أمامى، فقلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا بلال...» الحديث.

● ولبلال فى كتب السنة ٤٤ حديثًا.

ثالث عشر: ثقة الصحابة رضى الله عنهم فى صهيب بن سنان الرومى رضى الله عنه:

كان صهيب من السابقين إلى الإسلام، قال الواقدى: أسلم صهيب وكان رسول الله ﷺ فى دار الأرقم فى اليوم الذى أسلم فيه عمار بن ياسر – رضى الله عنهما، وكان إسلامهما بعد إسلام بضعة وثلاثين رجلاً.

وكان صهيب من المستضعفين بمكة الذين عُذبوا فى الله عز وجل، ولما هاجر إلى المدينة والرسول ﷺ بقباء – وكان قد افتدى نفسه من قريش بأواقيّ من الذهب وحلتين، فلما قدم على رسول الله ﷺ قال له عندما رآه: «ربح البيع أبا يحيى».

وقد كناه رسول الله ﷺ: «أبا يحيى».

وصهيب هو الذى أنزل الله فيه: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ**﴾ [البقرة: ٢٠٧].

كما قال ذلك سعيد بن المسيب فيما ذكره الواحدى فى كتابه «أسباب النزول».

● شهد صهيب بدرا وأحداً والخندق والمشاهد كلها.

– ومن ثقة عمر بن الخطاب فيه أن قال له يومًا وقد ذهب إليه فى بستانه بالعالية: ما فيك شىء أعيبه يا صهيب إلا ثلاث خصال، لولاهن ما قدَّمتُ عليك أحداً؛ أراك تنتسب عربيا ولسانك أعجمى، وتكتنى أبا يحيى وهو اسم نبى، وتبذر مالك!

---

(١) أى صوتا وحركة.

فقال: تبذير مالى فما أنفقه إلا فى حقه. وأما اكتنائى أبا يحيى فإن رسول الله ﷺ كنَّانى بأبى يحيى فلن أتركها. وأما انتمائى إلى العرب فإن الروم سبتنى صغيراً فأخذت لسانهم، وأنا رجل من النمرين قاسط، ولو انفلقت عنى روثة لانتميت إليها.

● ومما رواه العلماء عن صهيب رضى الله عنه أنه قال: «لم يشهد رسول الله ﷺ مشهداً قط إلا كنتُ حاضره، ولم يبايع بيعة قط إلا كنت حاضرها، ولم يُسَيِّر سرية قط إلا كنت حاضرها، ولا غزاة قط إلا وكنت أمامهم، ولا ما وراءهم إلا كنت وراءهم، وما جعلت رسول الله ﷺ بينى وبين العدو قط حتى توفى رسول الله ﷺ.

رابع عشر: ثقة الصحابة رضى الله عنهم فى سلمان الفارسى رضى الله عنه:

هو أبو عبد الله سلمان الفارسى، ويعرف بسلمان الخير، مولى رسول الله ﷺ.

● سئل سلمان عن نسبه فقال: أنا سلمان بن الإسلام.

كان مجوسيا سادن نارٍ قبل أن يدخل فى الإسلام، ودخل فى الإسلام ورسول الله بقباء وساعده المسلمون على شراء نفسه من مالكه القرظى فأظهر إسلامه.

وأول مشاهده مع رسول الله ﷺ «الخندق» ولم يتخلف عن مشهد بعد الخندق، وهو الذى أشار على رسول الله ﷺ بحفر الخندق لما جاءت الأحزاب، فلما أمر الرسول ﷺ بحفر الخندق، احتج المهاجرون والأنصار كلاهما يقول: سلمان مِنّا، فقال رسول الله ﷺ: «سلمان منا أهل البيت».

– ومن ثقة على بن أبى طالب فى سلمان رضى الله عنهما عندما سئل عنه قال: «امرؤ منا أهل البيت، من لكم بمثل لقمان الحكيم، عَلِمَ العِلْم الأول والعِلْم الآخر، وقرأ الكتاب الأول والكتاب الآخر، وكان بحرا لا ينزف».

● وكان سلمان من خيار الصحابة وزهادهم وفضلائهم، وذوى القرب من رسول الله ﷺ.

قالت عائشة رضى الله عنها: كان لسلمان مجلس من رسول الله ﷺ بالليل حتى يغلبنا على رسول الله ﷺ.

– ومن ثقة الصحابة رضوان الله عليهم فيه أن رووا عنه أحاديث رسول الله ﷺ، فقد روى عنه:

عبد الله بن عباس رضى الله عنهما،

وعقبة بن عامر رضى الله عنه،

وأبو سعيد الخدرى رضى الله عنه،

وكعب بن عجرة رضى الله عنه،

وشرحبيل بن السِّمْط الكندى رضى الله عنه،

وأبو عثمان النهدى عبد الرحمن بن مل – تابعى.

● لسليمان فى كتب السنة ٦٠ حديثًا.

خامس عشر: ثقة الصحابة رضى الله عنهم فى أبى الدرداء رضى الله عنه:

هو عويمر بن مالك أنصارى خزرجى، من الحكماء الفرسان القضاة، كان قبل البعثة تاجراً بالمدينة، ثم انقطع للعبادة.

ولما ظهر الإسلام دخل فيه، واشتهر بالشجاعة والنسك،

وشهد المشاهد كلها بعد أحد.

● وهو أحد الذين جمعوا القرآن الكريم حفظا على عهد النبى ﷺ بلا خلاف.

– ومن ثقة عمر بن الخطاب فى أبى الدرداء رضى الله عنهما أنْ أمر معاوية بأن يوليه قضاء دمشق، فكان أول قاض بها.

وكانت شهرته فى الفقه وفى حفظ القرآن الكريم معروفة بين الصحابة رضوان الله عليهم.

– ومن ثقة الصحابة فيه رضى الله عنه أن رووا عنه الأحاديث فكان ممن رووا عنه:

أنس بن مالك رضى الله عنه،

وفضالة بن عبيد رضى الله عنه،

وأبو أمامة الباهلى رضى الله عنه،

وعبد الله بن عباس رضى الله عنهما،

وأبو إدريس الخولاني رضى الله عنه.

ومن التابعين:

جبير بن نفير رحمه الله،

وسعيد بن المسيت رحمه الله وغيرهم.

● وله في كتب الحديث ١٧٩ حديثًا.

٣ - الثقة عند التابعين وتابعيهم رحمهم الله

التابعون رحمهم الله هم الذين رأوا الصحابة رضى الله عنهم أو تحدثوا إليهم، فهم خير الناس بعد الصحابة، ويليهم فى الفضل من رأوا التابعين.

● فمن المعروف المسلم به لدى علماء المسلمين أن الصحابة رضوان الله عليهم هم الطبقة الأولى من رواة الحديث النبوى، وربما دوَّن بعضهم ما كان يسمع أو يرى من النبى ﷺ، ومن لم يُدَوِّن فقد حفظ ووعى ثم بلغوا عن رسول الله ﷺ كما أمرهم بذلك فقد روى الترمذى وأحمد بسنديهما عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نضر الله أمرأ سمع منا شيئًا فبلغه كما سمعه، فربَّ مُبَلَّغ أوعى من سامع».

وروى البخارى بسنده عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «بلغوا عنى ولو آية، وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علىّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار».

والصحابة رضوان عليهم عدول ثقات مصدقون، لكن مع هذا قد يخطئ أحدهم أو ينسى، فيدرك خطأه صحابى آخر أو تابعى فيعلنه من باب الأمانة العلمية والحرص على صحة السنة النبوية.

والتابعون هم الطبقة الثانية بعد الصحابة رضى الله عنهم فى رواية الحديث، وربما أخطأ أحدهم أو نسى فأدرك ذلك سواه معاصرا له أو جاء بعده فنبه إلى ذلك من باب الأمانة العلمية والحرص على سلامة السنة وصحتها.

وتابعو التابعين هم الطبقة الثالثة بعد الصحابة والتابعين من رواة الحديث النبوى.

وربما أخطأ أحدهم أو نسى فأدرك ذلك معاصر له أو من جاء بعده فنبه على ذلك من باب الأمانة العلمية والحرص على سلامة السنة النبوية المطهرة.

وتاريخ التابعين وما كان بينهم من ثقة تنوء به صفحات هذا الكتاب، وأسماء التابعين وأشخاصهم والعلماء منهم ورواة الحديث النبوى بالذات أكثر من أن تحصى.

والثقة المتبادلة بين هؤلاء التابعين كانت أهم أنواع الثقة التى تبادلها المسلمون فيما

بينهم لما لهذه الثقة من صلة وثيقة بالسنة النبوية المطهرة.

● وما أحوج المسلمين اليوم وفى كل يوم إلى أن يقرءوا ويتدبروا فيما يقرءون، وأن يتعلموا من تاريخ هؤلاء التابعين ما ينفعهم فى دينهم ودنياهم.

● وكم كنت أودّ – وأنا بصدد الحديث عن الثقة – أن أذكر من الوقائع والأحداث التى جرت بين التابعين وتابعيهم حول هذه الثقة، ولكن ذلك يحتاج إلى جهود عدد كبير من العلماء ويحتاج إلى عشرات من الكتب، وهذا فوق طاقة فرد واحد مهما أوتى من القدرة والصبر.

* ولذلك سوف أكتفى هنا بذكر بعض مشاهير التابعين وتابعيهم أسمائهم وألقابهم وكناهم، سائلاً الله تبارك وتعالى أن ينفع القراء بهذا السَّرْدِ الوجيز، وأن يحبب إليهم القراءة والدراسة لحياة هؤلاء الأفذاذ الصالحين الذين حفظوا لنا سنة الرسول ﷺ وحملوها إلينا سليمة نقية من الشوائب فى متنها وسندها، فجزاهم عن ذلك الجهد فى التوثيق والتضعيف أحسن الجزاء.

● إن المثقف المسلم اليوم بل القارئ المسلم فضلا عن الدعاة إلى الله والمهمومين بالعمل الإسلامى، يجد من الضرورى أن يقرأ عن هؤلاء التابعين وتابعيهم وعمن أخذوا عنهم من الصحابة رضوان الله عليهم، حتى يؤدى بعض الواجب فى انتمائه لهذا الدين الخاتم.

أشهر الكتب فى تاريخ التابعين

● ومن أجل أنَّ الكتب فى الصحابة والتابعين وتابعيهم بحر زاخر يقضى الإنسان عمره ولا يستطيع أن يقرأها جميعًا، لذلك أرشح عددًا قليلاً منها أراه كافيًا ومحققًا للفائدة إن شاء الله تاركًا لمن أراد أن يتوسع أن يلجأ إلى الكثير مما لم أذكر من هذه الكتب. وهذه الكتب التى أرشحها هى:

١ – تاريخ الرسل والملوك للطبرى ط القاهرة ١٩٣٦م.

٢ – ذيل المذيَّل فى تاريخ الصحابة والتابعين للطبرى ط القاهرة ١٩٤٦م.

٣ – الثقات لابن حبان البستى ط حيدر أباد الدكن – ١٩٧٣ – ١٩٨٣م.

٤ – تاريخ الثقات للعجلى ط بيروت ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م.

٥ – تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام – للذهبى ط القاهرة دون تاريخ.

٦ – سِيَرُ أعلام النبلاء – للذهبى ط القاهرة وط بيروت ١٤٠١ هـ – ١٩٨١م.

٧ – صفة الصفوة لابن الجوزى ط بيروت ١٩٧٩م.

٨ – حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبى نعيم الأصبهانى ط القاهرة ١٢٩٩ هـ – وصور فى بيروت ١٣٥٧ هـ.

٩ – لسان الميزان لابن حجر العسقلانى ط حيدر أباد الدكن ١٣٢٩ هـ.

١٠ – حسن المحاضرة.. للسيوطى ط القاهرة ١٣٨٧ هـ.

١١ – تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى ط حيدر أباد الدكن ١٣٢٥ هـ.

١٢ – وَفَيَات الأعيان... لابن خلكان ط بيروت ١٩٧٨م.

وغيرها من مئات الكتب التى عنيت بتاريخ الصحابة والتابعين وتابعيهم رحمهم الله تعالى.

● **ومن مشاهير التابعين:**

أولاً: فقهاء المدينة السبعة وهم:

١ – أبو بكر عبد الرحمن بن الحارث المخزومى (١ – ٤٣ هـ).

٢ – وعروة بن الزبير بن العوام (... – ٩٣ هـ).

٣ – وسعيد بن المُسَيَّب المخزومى (١٣ – ٩٤ هـ).

٤ – وعبيد الله بن عبد الله بن مسعود (... – ٩٨ هـ).

٥ – وخارجة بن زيد بن ثابت الأنصارى (٢٩ – ٩٩ هـ).

٦ – وسليمان بن يسار (٣٤ – ١٠٧ هـ).

٧ – والقاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق (٣٧ – ١٠٧ هـ).

ثانياً: الزهَّاد الثمانية، وهم:

١ – هرم بن حيان العبدى الأزدى (... – ٢٦ هـ).

٢ – وأويس بن عامر بن جَزْء القرنى (... – ٣٧ هـ).

٣ – وعامر بن عبد الله بن عبد قيس البصرى (... – ٥٥ هـ).

٤ – والربيع بن خثيم أبو زيد الثورى التميمى (... – ٦٣ هـ).

٥ – ومسروق بن عبد الرحمن الهمدانى الكوفى الأجدع (... – ٦٣ هـ).

٦ – وعبد الله بن ثوب أبو مسلم الخولانى (... – ٦٢ هـ).

٧ – والأسود بن يزيد النخعى (... – ٧٥ هـ).

٨ – والحسن بن أبى الحسن بن يسار أبو سعيد البصرى (٢١ – ١١٠ هـ).

ثالثًا : من مشاهير التابعين وغيرهم من العلماء :

١ – شريح القاضى (... – ٧٨ هـ).

٢ – وعلى بن الحسين بن على بن أبى طالب (٣٦ – ٩٤ هـ).

٣ – وسعيد بن جبير (٤٥ – ٩٥ هـ).

٤ – وعمر بن عبد العزيز بن مروان (٦٢ – ١٠١ هـ).

٥ – وعامر بن شراحيل (١٩ – ١٠٣ هـ).

٦ – ومجاهد بن جبير (٢١ – ١٠٤ هـ).

٧ – وطاووس بن كيسان (... – ١٠٦ هـ).

٨ – وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب (... – ١٠٦ هـ).

٩ – ووهب بن منبه (... – ١١٠ هـ).

١٠ – أبو جعفر محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب (... – ١١٤ هـ).

١١ – وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج (٤٦ – ١١٤ هـ).

١٢ – وعطاء بن أبى رباح (... – ١١٥ هـ).

١٣ – وعلى بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب (... – ١١٧ هـ).

١٤ – ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهرى (٥٨ – ١٢٤ هـ).

١٥ – ومحمد بن كعب القرظى (... – ١٢٩ هـ).

١٦ – وسلمة بن دينار الأعرج (... – ١٤٠ هـ).

١٧ – وجعفر الصادق بن محمد (. . . – ١٤٨ هـ) .

١٨ – وسفيان الثورى (٩٧ – ١٦١ هـ) .

١٩ – والفضيل بن عياض (. . . – ١٨٧ هـ) .

٢٠ – وسفيان بن عيينة (١٠٧ – ١٩٨ هـ) .

٢١ – ومعروف الكرخي (. . . – ٢٠٠ هـ) .

٢٢ – وبشر الحافي (. . . – ٢٢٧ هـ) .

٢٣ – والحارث المحاسبى (. . . – ٢٤٣ هـ) .

٢٤ – والسَّرِىّ السقطى (. . . – ٢٥٣ هـ) .

٢٥ – والجنيد بن محمد بن الجنيد (. . . – ٢٩٨ هـ) .

رابعًا : من أئمة الفقه المشهورين :

١ – الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت (٨٠ – ١٥٠ هـ) .

٢ – والإمام مالك بن أنس الأصبحى (٩٤ – ١٧٩ هـ) .

٣ – والإمام محمد بن إدريس الشافعى (١٥٠ – ٢٠٤ هـ) .

٤ – والإمام أحمد بن حنبل الشيبانى (١٦٤ – ٢٤١ هـ) .

خامساً : من مشاهير الفقهاء الثقات :

١ – مكحول بن أبى مسلم الشامى (. . . – ١١٢ هـ) .

٢ – وعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعى (٨٨ – ١٥٧ هـ) .

٣ – وأبو يوسف يعقوب بن إبراهيم صاحب أبى حنيفة (١٢٣ – ١٨١ هـ) .

٤ – ومحمد بن الحسن الشيبانى صاحب أبى حنيفة (١٣١ – ١٨٩ هـ) .

٥ – ويحيى بن سعيد القطان (. . . – ١٩٨ هـ) .

٦ – وإسحق بن راهوية (١٦١ – ٢٣٨ هـ) .

سادساً: ومن أئمة الحديث النبوى وثقات رواته:

١ - الإمام مالك صاحب المقوطأ (٩٣ - ١٧٩ هـ).

٢ - والإمام أحمد بن حنبل صاحب المسند (١٦٤ - ٢٤١ هـ).

٣ - والإمام الدارمى صاحب المسند (١٨١ - ٢٥٥ هـ).

٤ - والإمام البخارى صاحب الصحيح (١٩٤ - ٢٥٦ هـ).

٥ - والإمام مسلم صاحب الصحيح (٢٠٤ - ٢٦١ هـ).

٦ - والإمام أبو داود صاحب السنن (٢٠٢ - ٢٧٥ هـ).

٧ - والإمام الترمذى صاحب السنن (٢٠٩ - ٢٧٩ هـ) ويسمى كتابه هذا: «صحيح الترمذى».

٨ - والإمام ابن ماجة صاحب السنن (٢٠٩ - ٢٧٩ هـ).

٩ - والإمام النسائى صاحب السنن (٢١٥ - ٣٠٣ هـ).

سابعاً: ومن مشاهير حفاظ الحديث النبوى الشريف:

١ - الحافظ أبو بكر البراز (... - ٢٩٢ هـ).

٢ - والحافظ أبو يعلى الموصلى (... - ٣٠٧ هـ).

٣ - والحافظ محمد بن إسحق بن خزيمة (... - ٣١٠ هـ).

٤ - والحافظ أبو حاتم محمد بن حبان البستى صاحب كتاب: الثقات (... - ٣٥٤هـ).

٥ - والحافظ سليمان بن أحمد الطبرانى - صاحب المعاجم الثلاثة فى الحديث: الكبير والأوسط والصغير (٢٦٠ - ٣٦٠ هـ).

٦ - والحافظ أبو أحمد بن عدى - صاحب االكاملى فى الحديث (... - ٣٦٧ هـ).

٧ - والحافظ أبو الحسن الدارقطنى (٣٠٦ - ٣٨٥ هـ).

٨ - والحافظ أبو نعيم الأصبهانى - صاحب حلية الأولياء (٣٠٧ - ٤٠٣ هـ).

٩ – والحافظ الحاكم[١] أبو عبد الله النيسابورى (... – ٤٠٥ هـ) .

١٠ – والحافظ عبد الغنى بن سعيد المصرى (٣٣٢ – ٤٠٩ هـ) .

١١ – والحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى (٣٦٤ – ٤٥٨ هـ) .

١٢ – والحافظ أبو عمر النمرى (٣٦٨ – ٤٦٣ هـ) .

١٣ – والحافظ أبو بكر أحمد بن على الخطيب البغدادى (٣٩٢ – ٤٦٣ هـ) .

وغير هؤلاء كثير ممن أُطلق عليهم لقب حافظ وهو مصطلح يعنى أن صاحبه حفظ من السنة النبوية أكثر مما لم يحفظ[٢] – وله تعريفات أخرى يرجع إليها فى مظانها .

● وهؤلاء العلماء الأفاضل من رواة الحديث وحفاظه، وأصحاب المؤلفات فيه، هم الذين حفظوا لنا سنة الرسول ﷺ ونقلوها جيلا بعد جيل، بحيث لم يخل قرن من القرون من عدد منهم، وقفوا جهودهم على الاهتمام بالسنة حفظا ودراية وتأليفًا وتحقيقًا وتدقيقًا، رحمهم الله تعالى رحمة واسعة .

ثامنًا : وكتابنا هذا عن الثقة فى فقه الإمام حسن البنا رحمه الله قطرة من هذا البحر :

والثقة والثقات والضعفاء شغلت علماء الإسلام فى عصور عديدة، فأصبح فيها مؤلفات كثيرة تحرى مؤلفوها ذكر الثقات والضعفاء فى مجال علوم الإسلام عمومًا وعلم الحديث على وجه الخصوص، وأذكر من هذه الكتب التى تشكل فى رأيى عمد كتبنا الإسلامية ما يلى :

١ – الطبقات الكبرى لابن سعد (١٦٨ – ٢٣٠ هـ) .

٢ – والتاريخ ليحيى بن معين (١٥٨ – ٢٣٣ هـ) .

٣ – والتاريخ الكبير للإمام البخارى (١٩٤ – ٢٥٦ هـ) .

٤ – والضعفاء للإمام البخارى (١٩٤ – ٢٥٦ هـ) .

٥ – والضعفاء الكبير للنسائى (٢١٥ – ٣٠٣ هـ) .

---

(١) الحافظ لقب علمى، والحاكم كذلك، وهما يشبهان فى عصرنا مثلاً : درجة الدكتوراه فى تخصصه، وهناك تفريق دقيق بين ألقاب المحدثين تلتمس فى كتب علم الحديث دراية . وانظر لنا : التعريف بسنة الرسول ﷺ أو علم الحديث دراية – نشر دار التوزيع (١٤١٥ هـ – ١٩٩٤م) .

(٢) هذا التعبير يعنى : أنه حفظ أكثر الأحاديث النبوية وما فاته إلا الأقل .

٦ – وذيل المذيَّل فى تاريخ الصحابة لابن جرير الطبرى (٢٤٢ – ٣١٠ هـ).

٧ – والضعفاء للعقيلى محمد بن عمرو (... – ٣٢٢ هـ).

٨ – وكتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين لابن حبان البستى (... – ٣٥٤ هـ).

٩ – وكتاب : الثقات له أيضاً.

١٠ – والكامل فى معرفة ضعفاء المحدثين لابن عدى (... – ٣٦٠ هـ).

١١ – وكتاب المتروكين لأبى الحسن الدارقطنى (... – ٣٨٥ هـ).

١٢ – وحلية الأولياء لأبى نعيم الأصبهانى (٣٣٦ – ٤٣٠ هـ).

١٣ – والإكمال فى المختلف والمؤتلف من أسماء الرجال لابن ماكولا العجلى على بن هبة الله (٤٢١ – ٤٨٦ هـ).

١٤ – وطبقات الفقهاء للشيرازى (... – ٤٨٦ هـ).

١٥ – ومعرفة الثقات للعجلى.

١٦ – الجمع بين كتابى : الكلاباذى والأصبهانى فى رجال الصحيحين لابن القيسرانى (٤٤٨ – ٥٠٧ هـ).

١٧ – طبقات الحنابلة لابن أبى يعلى (٤٥١ – ٥٢٦ هـ).

١٨ – وصفة الصفوة لابن الجوزى (٥١٠ – ٥٩٧ هـ).

١٩ – وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان لابن خلكان (٦٠٨ – ٦٨١ هـ).

٢٠ – وتهذيب الكمال فى أسماء الرجال ليوسف بن عبد الرحمن المِزِّى (٦٥٤ – ٧٤٢هـ).

٢١ – وميزان الاعتدال للحافظ الذهبى (٦٧٣ – ٧٤٨ هـ).

٢٢ – ولسان الميزان للحافظ الذهبى أيضاً.

٢٣ – وتذهيب تهذيب الكمال للحافظ الذهبى أيضاً.

٢٤ – وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام للحافظ الذهبى أيضاً.

٢٥ – والمغنى فى الضعفاء للحافظ الذهبى أيضاً.

٢٦ – وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى (٧٢٧ – ٧٧١ هـ).

٢٧ – والجواهر المضية فى طبقات الحنفية لعبد القادر بن محمد القرشى وهو أول من ألف فى طبقات الحنفية (٦٩٦ – ٥٧٥ هـ).

٢٨ – وشرح كتاب: عِلَل الترمذى لابن رجب (٦٢٦ – ٧٩٥ هـ).

٢٩ – وطبقات المدلِّسين لابن حجر العسقلانى (٧٧٣ – ٨٥٢ هـ).

٣٠ – وتقريب التهذيب للحافظ ابن حجر أيضاً.

٣١ – وتهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر أيضاً.

٣٢ – وتعجيل المنفعة بزوائد رجال المسانيد الأربعة للحافظ بن حجر أيضاً.

٣٣ – وكتاب الثقات ممن لم يقع فى الكتب الستة للشيخ زين الدين قاسم قُطْلوبُغا الحنفى (٨٠٢ – ٨٧٩ هـ).

٣٤ – وطبقات الحفاظ للحافظ السيوطى (٨٣٧ – ٩١١ هـ).

٣٥ – وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال للخزرجى (... – ٩٢٣ هـ).

● ولأهمية الثقة بين رواة الحديث تَوَلَّد علمٌ جديد سمى:

«علم الثقات والضعفاء من رواية الحديث».

يقول عنه مصطفى بن عبد الله المشهور بحاجى خليفة (الحاج خليفة).

(١٠١٧ – ١٠٦٧ هـ) فى كتابه: «كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون» يقول فى علم الثقات:

«وهو: أجل نوع وأفخمه من أنواع علم أسماء الرجال، فإنه المرقاة إلى معرفة صحة الحديث وسقمه وإلى الاحتياط فى أمور الدين وتمييز مواقع الغلط والخطأ فى هذا الأصل الأعظم الذى عليه مبنى الإسلام وأساس الشريعة».

٤ – الثقة عند المصلحين المجددين فى تاريخ المسلمين

ما لم تكن ثقة بين مصلح ومجدد لاحق بمن سبقه من المصلحين المجددين لا يحدث استفادة الآخر من الأول أو ممن سبقه، وإذا فقدتْ هذه الاستفادة خسر المصلحون والمجددون بل خسرت الأمة المسلمة شيئًا كثيرًا ونفعًا عظيمًا فى أمور الدين والدنيا، فسنة الله فى خلقه أن يستفيد الآخر من الأول ثم يضيف إلى ما استفاده ما يراه ملائمًا للظروف المحيطة به والمتغيرات المتوالية فى حياة الناس وبخاصة إذا كان الأولون من المصلحين المجددين.

● والمصلحون المجددون لأمور الدين والدنيا – لأن الدنيا جزء مما يصلحه الدين – هم ضرورة لهذه الأمة وسنة لا تتخلف بحال لأن الرسول ﷺ أخبر بذلك، فقد روى أبو داود بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها».

ورواه الحاكم فى: «مستدركه» والبيهقى فى: «المعرفة» بسنديهما عن أبى هريرة أيضًا.

فهذا الإصلاح والتجديد لأمور الدين على رأس كل مائة سنة على الأكثر سُنَّة من سنن الله أخبر بها المعصوم ﷺ.

● ومعنى ذلك أن الإصلاح والتجديد للدين ولأموره فى قلوب الناس وعقولهم وجوارحهم، هو عمل لابد لهم منه أولاً بل لا فكاك لهم عنه ما داموا مسلمين عقلاء يرغبون فى أن يصلحوا من شأنهم فى الدين والدنيا.

● ومهما اختلف العلماء بالدين فيما بينهم حول من هم المجدّدون لأمر الدين؟ ومهما اختلف المفكرون فيما بينهم حول: من هم المصلحون لشأن الدين والمجتمع؟ فإن اختلافهم بالغا ما بلغ لن يؤثر فى إقرار هذه الحقيقة التى أخبر بها المعصوم ﷺ، وهى: أن الإصلاح والتجديد من الأعمال الراسخة المستمرة فى تاريخ المسلمين مهما تطاولت مدته واتسعت أمداؤه، وهو على أبعد تقدير يكون على رأس كل مائة سنة، وقد يكون على فترات أقرب من هذا فيكون كل نصف قرن أو ثلثه أو ربعه أو ما شاء الله تعالى.

● ولابد لى – من باب التذكير – أن ألقى ضوءاً على مفهوم الإصلاح والتجديد، قبل

الحديث عن المصلحين المجددين عبر القرون الأربعة عشر التى مضت من يوم مَنَّ الله على البشرية بهذا الدين العظيم فأقول :

– مفهوم الإصلاح :

● الإصلاح : هو الإتيان بما هو نافع وصالح، وهو إزالة الفساد عن الشىء أو الأمر.

● والصلاح والفساد مختصان فى أكثر الاستعمال فى الأفعال والأعمال والسلوك التى تصدر من الإنسان.

● والصلاح : الاستقامة والسلامة من العيب.

● وأصلح فلان أمره : جاء بما هو صالح نافع أو أزال عنه ما فيه من فساد.

● وإصلاح الله تعالى الإنسان : تارة يكون بخلقه إياه صالحا، وتارة يكون بإزالة ما فيه من فساد بعد وجوده.

● والإصلاح للمسلمين هو إزالة ما فى حياتهم من فساد وعيوب، والعمل على أن يستقيموا على أمر الله ونهيه.

وشأن الناس معظمهم أن يضيقوا بالأمر والنهى – إلا من هدى الله – حتى لو كان الأمر أو النهى صادراً من الله تبارك وتعالى، فهم غالبًا يحاولون أن يتمردوا على الأمر والنهى يعينهم على ذلك التمرد شياطين الإنس والجن.

والمصلحون هم الذين يردون الناس عن هذا الضيق بالأمر والنهى والتمرد عليهما، وخصوصًا أمر الله ونهيه، يردون الناس بعد بحث وتحرٍ وتأمل للأسباب التى صرفتهم عن الامتثال لأمر الله ونهيه، ويحاولون إزالة هذه الأسباب، وهذا هو لب الإصلاح.

بل المصلح الحق هو من يفعل ذلك، ويزيد عليه أن يدل الناس على ما يحببهم فى امتثال أمر الله ونهيه، فذلك هو جوهر الإصلاح وهو أقرب ما يكون إلى العمل الذى قام به الأنبياء والمرسلون.

والمصلح بهذه الصفات هو الذى يبعثه الله على رأس كل قرن يجدد للمسلمين أمور دينهم.

– ومفهوم التجديد :

- التجديد هو : تصيير الشيء جديداً بعد أنْ قد تقادم، ويكون ذلك على وجه الإصلاح له.

- والمجددون للدين أو لأمور الدين هم الذين يخلصون الناس من الجمود والتقليد والتبعية لغير شرع الله ومنهجه ونظامه.

وهم الذين يحسنون تبديد ما علق بأذهانهم وقلوبهم من أوهام وأباطيل دَسَّها أعداء الإسلام على الإسلام والمسلمين.

- والمجددون هم الذين يفتحون باب الاجتهاد فى الدين، ويستطيعون بعلمهم وما أوتوا من خبرة وقدرة أن يجعلوا المسلمين يعيشون زمانهم، وما فيه من تغيرات ومستجدات، دون الإخلال بأى شيء جاء به الإسلام.

- والمجددون هم الذين يوضحون للناس أن منهج الله ونظامه نوعان من حيث الثبات والتجدد هما :

الثوابت، والمتغيرات.

– **فالثوابت** : هي ما لا تقبل التجديد بحال، بل لابد أن تظل على ما كانت عليه من أيام رسول الله ﷺ وإلى أن يقوم الناس لرب العالمين.

وهذه الثوابت هى كل يتصل بالعقيدة والعبادة والأخلاق فتلك ثوابت لا تتغير بتغير الزمان أو المكان أو الناس.

– فعقيدة التوحيد باقية على ما كانت عليه إلى يوم الدين، بكل ما تشتمل عليه من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

– والعبادة التى شرعها الله وفرضها فرضا من : نطق بالشهادتين وصلاة وصيام وزكاة وحج لبيت الله، وما شرعه الله من نوافل من جنس هذه الفرائض كالذكر والتسبيح والتحميد... والتطوع بالصلاة والصيام والصدقة، والعمرة، ليتاح للمتعبد التقرب إلى الله تعالى.. هذه العبادات ثوابت غير قابلة للتغيير ولا التجديد ما بقى الناس على وجه هذه الأرض.

والأخلاق التى أمر الإسلام بالتحلى بها، أو الأخلاق التى أمر الإسلام بالتَّخَلىِّ عنها، ثوابت غير قابلة للتغيير أو التجديد بحال من الأحوال، أو لسبب من الأسباب.

تظل هذه الأخلاق باقية على ما كانت عليه منذ جاء بها محمد ﷺ، وإلى يوم القيامة، لن تتحول فيها فضيلة إلى رذيلة، ولا رذيلة إلى فضيلة إلى يوم القيامة.

الإصلاح والتجديد فى المتغيرات فقط

- **والمتغيرات**: هى كل ما عدا هذه الثوابت الثلاث - العقيدة والعبادة والأخلاق.

● والمصلحون المجددون هم الذين يجددون للناس ما يصلح لهم أمور دينهم ودنياهم، ويدعونهم إلى الأخذ بهذا التجديد والإصلاح لكى يعيش الناس زمانهم ويواكبوا المتغيرات التى تحيط بهم بالنسبة للزمان والمكان وسائر الظروف، بحيث تبقى الثوابت على ما هى عليه لا تتغير ولا تتبدل.

وعلى سبيل المثال:

- فإن الحياة الاجتماعية بكل شعبها وبكل ما يحكمها من نظم وقوانين هى من المتغيرات يجدد الناس فيها وفق ما تقتضيه مصالحهم الدينية والدنيوية، وذلك بشرطين:

الأول: منهما:

أن لا يمسوا الثوابت ولا يغيروا منها شيئًا قد تتعارض معه نظم معمول بها فى المجتمع، بل تبقى الثوابت على حالها، وأن تتغير النظم والقوانين التى يرى المصلحون المجددون تغييرها.

والأمر الآخر:

أن يستبعد من القوانين والنظم الاجتماعية كل ما يتعارض مع ما جاء به الإسلام من قريب أو بعيد.

● مع ضرورة أن يُلحظ أن ما جاء به الإسلام مؤيداً بنصوص من القرآن والسنة، فيما يتصل بالأسرة من حيث الزواج والطلاق والنفقات والحضانة، وما يتصل بنظام الميراث والوصية والوقف، وغير ذلك يعد من الثوابت ما دام قد قرره نص من النصوص الإسلامية.

- **والحياة الاقتصادية:**

بكل شعبها ومرافقها وما يتصل بتنظيم هذه الشعب والمرافق من قوانين ونظم، فى مجالات الحياة الاقتصادية كلها عملاً وعمالاً وثروة وإنتاجًا فى الزراعة والصناعة والتجارة وغيرها، كل هذه القوانين والنظم من المتغيرات التى يجوز للمصلحين المجددين أن يغيروا فيها ويبدلوا ويجددوا ويبتكروا، بنفس الشرطين السابقين:

أن لا يمسوا الثوابت ولا يبدلوا فيها شيئًا.

وأن لا يبتكروا شيئًا من النظم والقوانين التى تتعارض مع ما جاء به الإسلام من تحريم الربا والغش واستغلال حاجة المحتاج.

- **والحياة السياسية:**

بكل شعبها وأهدافها ووسائلها، وما فيها من أنظمة للحكم والمجالس النيابية والقضاء والسلطة التنفيذية، وما يخص النظام العسكرى والأمن الداخلى، كل ذلك من المتغيرات التى يستطيع المصلحون المجددون أن يغيروا فيها ويبدلوا فى ضوء هذين الشرطين اللذين ذكرناهما آنفا.

وعلى سبيل المثال:

- فإن أى نظام حكم جمهورى أو غيره، يؤدى الأخذ به إلى التضييق على الناس فى حرياتهم العامة وحقوقهم، أو يترتب على الأخذ به ظلم للإنسان مسلمًا كان هذا المظلوم أو غير مسلم، فإنه نظام يجب العمل على تغييره وتبديله بالوسائل السلمية المشروعة فى التغيير، دون الالتجاء إلى العنف لما يؤدى إليه العنف من فتنة ودماء.

ومهما ادعى نظام حكم أنه إسلامى وكان ينتقص شيئًا من حقوق الناس فإن دعواه باطلة، والعمل على تغييره جائز بل واجب عندما يزيد الظلم والاستبداد، لكن مع حذر التصرفات التى تؤدى إلى الفتنة وإراقة الدماء.

- وإن المجالس النيابية، وتمثيل بعض الناس لبعض واختيار الوزراء أو انتخابهم انتخابًا مباشرًا أو غير مباشر، بحيث لا يتولى الوزارة إلا من رضى الناس عنه وانتخبوه، وكذلك الشأن فى القضاة يُنتخبون لثقة الناس فى عدلهم وأمانتهم، أو يترك ذلك الاختيار والانتخاب كله أو بعضه ليفوض فيه رئيس أو ملك أو أمير.

كل هذه الأمور من المتغيرات التى يمكن أن يتصدى لها المصلحون المجددون، ويضيفوا إليها أو يستبدلوها.

ولا قبول لرأى من يقول: إن لنظام الحكم فى الإسلام قالبًا بعينه أو شكلاً أخذ به فى الماضى ويجب أن يؤخذ به الآن، لأن أى نظام حكم يحقق للناس العدل والأمن فى الداخل والخارج ويرفع عنهم الظلم والاستبداد ولا يحول بينهم وبين ممارسة حقوقهم وحرياتهم هو نظام مقبول فى الإسلام مهما يكن شكله.

وكل أشكال الحياة السياسية التى تحقق العدل والأمن وممارسة الحقوق وأداء الواجبات، يجب على المصلحين المجددين لأمر الدين أن يقبلوها، أو يغيروا فيها ما يحتاج إلى تغيير فى ظل ذينك الشرطين السابقين.

● وبعيداً عن الحياة الاجتماعية بشعبها العديدة والحياة الاقتصادية بأنظمتها وقوانينها، والحياة السياسية وأهدافها ووسائلها، بعيداً عن كل ذلك - إن أمكن إبعاده - فإن كل أمر من أمور الحياة الإنسانية بعامة وحياة المسلمين على وجه الخصوص قابل للتغيير والتبديل والإصلاح والتجديد ما لم يَمَسَّ الثوابت التى أشرنا إليها آنفًا.

تلك هى المهمة الأساسية للمصلحين والمجددين.

● ولا أجد حرجا فى أن أعيد بإيجاز ما قلته فى مقدمة هذا الكتاب تحت عنوان: «بين يدى هذه السلسلة».

- فى بداية هذا الإيجاز أقول:

إن مذاهب الإصلاح والتجديد كثيرة، وهى واجبة اليوم وجوبا عينيا على كل قادر على الإصلاح والتجديد يملك القدرات والآليات التى تمكنه من ممارسته.

● وإنما كان ذلك واجبًا عينيًا اليوم لأن العالم الإسلامى المعاصر يعيش فى هذا القرن أسوأ أيامه حلكة وسوادا وتخلفا علميا وثقافيا، وعمليا وإنتاجيًا، وحضاريًا، وسياسيًا، واقتصاديًا، واجتماعيًا، وأدبيًا، وخلقيًا، إذا قورن بما يجب أن يكون عليه عالم ينتمى للإسلام الذى جاء بأقوم منهج وأكمل نظام وأشمله.

إننا نستطيع أن نقول مطمئنين إلى صحة ما نقول وسلامته: إن العالم الإسلامى المعاصر يعيش تراجعًا حضاريًا عامًا، تحالفت على حصره فى دائرته قوى معادية من داخله

وخارجه وتيارات خبيثة فاعلة تعادى الدين أى دين والإسلام على وجه الخصوص[1].

ولسنا نخجل من أن يكون هذا واقع المسلمين، ولكن الخجل كل الخجل فى أن يستمر هذا الواقع على ما هو عليه.

- لابد لكى ينصلح أمر المسلمين من أن نعرف الأسباب التى أدت إلى هذا التراجع الحضارى، وهى فى مجملها تعود إلى سبب واحد هو: إقصاء الدين الإسلامى ومنهجه عن حياة الناس ونظامهم الاجتماعى والاقتصادى والسياسى والفكرى والثقافى والأدبى والفنى، وإقصاء منهج الإسلام عن شعب الحياة الإنسانية خسارة للحياة والأحياء، لأن من أقصوا هذا المنهج عطلوا نهجًا أتمة الله وأكمله ورضيه للبشرية كلها دينا ونظامًا وأسلوب حياة!!

أسباب إقصاء منهج الله عن الحكم والسياسة

ولقد بذل المصلحون والمجددون أقصى ما فى وسعهم - ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها - فى تعرف الأسباب التى أدت بالغافلين إلى أن يقصوا منهج الله عن الحياة، وأشاروا إلى أسباب يمكن أن نوجزها فيما يلى:

أولاً:

تقليد الغرب - أوربا بالذات - حين حاربت الدين الممثَّل فى الكنيسة «الكاثوليكية» بسبب ما مارسته الكنيسة باسم الدين من فساد وإفساد وتحكم فى البلاد والعباد، وشن حروب لا طائل تحتها أكثر من جلب الخراب والدمار؛ عندئذ كان للناس هناك أن يجدوا مبررًا لإقصاء الدين عن الحياة حتى يعيشوا آمنين مطمئنين عازلين الدولة عن الدين، مبتدعين حكومة تقوم على إبعاد الدين ومحاربته سموها حكومة علمانية أو لا دينية، وهى عند التحقيق الدين نفسه وإنما أقصيت الكنيسة ونظامها المستبد، ورفضت المنظمات الكنسية بكل أنواعها وعزلتها عن المشاركة فى أى قرار سياسى.

- وما دامت أوربا قد أقصت الكنيسة ونظمها، فلابد لأتباع أوربا المبهورين بها الذين يعلنون فى غير حياء أنهم يأخذون عن أوربا أو يجب أن يأخذوا عنها كل خير وشر وكل ما ينفع أو يضر، لابد لهم، أن يقصوا الدين الإسلامى عن الحياة، مع أن المسلمين ليست

---

(١) عالجنا هذه القضية المؤلمة للمسلمين اليوم فى كتاب لنا سميناه «التراجع الحضارى للعالم الإسلامى اليوم وطريق التغلب عليه» - نشر دار الوفاء بمصر عام ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

لهم كنيسة فاسدة أصلاً، وليس للإسلام منظمات تقهر الناس أو تكرههم على ما لا يريدون، ولم يكن له ذلك فى يوم من الأيام، فإن ظَلَم ظالم من حكام المسلمين فإثمه عليه لا على الإسلام والمسلمين.

وليس للإسلام رجال دين يتسلطون على الناس ويأخذون أموالهم باسم الدين، وإنما للإسلام علماء به يدعون الناس إليه وإلى سماحته، ويُفتونهم فيما يسألون عنه دون مقابل ودون حساب للدقائق والساعات التى يفتون الناس فيها وترجمتها إلى أموال!!!

- على أن علمانية الحكم فى العالم الإسلامى المنكوب بأعدائه فى الخارج والداخل، تقوم على مغالطة كبيرة فى تقليد أوربا؛ إذ علمانية الحكومة فى العالم الإسلامى تعنى عزل الدين كله عن الحياة وعلمانية أوربا تعنى عزل الكنيسة ورجالها لا الدين نفسه.

وعلمانية الغرب لم تسمح لهم بقتل المسيحيين واضطهادهم ومحاكمتهم أمام محاكم عسكرية، وتشريدهم والتضييق عليهم، وحرمانهم من التعبير عن رؤيتهم السياسية والإصلاحية، وحرمانهم من تشكيل حزب سياسى، كما تفعل كثير من حكومات العالم الإسلامى اليوم. حتى لو جاء الإسلاميون إلى الحكم من خلال الانتخابات التى تطنطن بها بعض الحكومات، فإنهم يُقصون عن ممارسة حقوقهم السياسية بقوة العسكر المتربصة بكل عمل إسلامى، لأنها رُبيت على كراهية الإسلام وعدائه والتربص به - كما حدث ذلك فى الجزائر وفى تركيا مثلا - نسجل هذا مع بالغ أسفنا على علمانية الدولة هناك وعلى الديمقراطية الذبيحة بأيدى دعاتها ومدعيها!!!

- إن علمانية الدولة فى كثير من بلدان العالم الإسلامى ليست علمانية بالمعنى الدقيق للعلمانية - وإن كنا نرفضها - لكنها مزيج غير متآلف من: العلمانية واليسارية والشيوعية والاشتراكية والدكتاتورية واللادينية والقمع والأحكام العرفية والمحاكم العسكرية، والاعتقالات دون إبداء الأسباب، إنها مزيج من كل ما من شأنه أن يكون حربا للإسلام والمسلمين.

هذا أحد أسباب إقصاء الإسلام ومنهجه عن الحياة.

ثانياً:

خوفهم من أن يكون منهج الإسلام ونظامه فى الحياة هو ما أطلقت عليه أوربا - فى نفورها من الكنيسة - الحكومة الدينية «الثيوقراطية» على ما فى هذا النظام «الثيوقراطى»

من مثالب وأوجاع للمحكومين، كما يتضح ذلك من التأمل فى نظام الحكومة الدينية الـ"THEOCRACY" نظام يستند إلى التفويض الإلهى الخارج عن إرادة البشر، حيث يتولى السلطة فيها رجال الدين المفوضون من الله، فليس لأحد من الناس أن يراجع حكماً من أحكامهم على الإطلاق!!!

– والثيوقراطية بهذا المفهوم تتعارض مع النزعة الإنسانية(١) عموماً من الناحية الفلسفية.

– كما أن الثيوقراطية تتعارض مع الديموقراطية من الناحية السياسية.

● مع أن المتخوفين من الحكومة الدينية فى العالم الإسلامى مخطئون أشد الخطأ، لأن نظام الحكم فى الإسلام لا علاقة له بحكومة دينية بهذا المفهوم من قريب ولا من بعيد، لأن نظام الحكم فى الإسلام يقوم على دعامتين:

الإيمان.

والعمل.

– فالإيمان؛ مفرداته: أو مكوناته: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

– والعمل؛ مفرداته أو مكوناته: الإسلام بأركانه المعروفة، والإحسان، والعدل، والشورى، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، والجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا، والقيم الخلقية التى أمر الإسلام بالتحلى بها، والقيم التى أمر بالتخلى عنها.

وليس فى ذلك ما يتعارض مع النزعة الإنسانية ولا ما يتعارض مع الديموقراطية بأى صورة من الصور – فإن جاء رجل كالحجاج بن يوسف فظلم واعتسف وادعى أنه حاكم مسلم، فإنما عليه ما حمل وعلى المسلمين ما حُمِّلوا – والإسلام برىء من الحجاج وأمثاله ما داموا يستهينون بحقوق الإنسان وحرياته.

● ونقطة أخرى يغالطون فيها وأظن أنهم يدركون أنهم يغالطون، وهى أن دعامتى الحكم فى الإسلام وهما الإيمان والعمل بكل مفرداتهما التى ذكرنا آنفا من الثوابت فى الإسلام إذ هما: عقيدة وعبادة وخلق، والتمسك بذلك هو الأصالة الإسلامية، وليست الأصولية التى يزعمون!!! والتى يتهمون بها المسلمين اليوم. لأن تسمية التمسك بثوابت الإسلام

---

(1) Humanism.

أصولية تسمية مقصودة تقوم على المغالطة، فهى تسمية قُصد بها أن تضفى على المتمسك بثوابت الإسلام كل السلبيات والتجاوزات التى مارسها رجال الكنيسة فى الغرب باسم المسيحية أو باسم الكنيسة أو باسم التفويض الإلهى أى الأصولية.

● وإذا كانت هذه فى الإسلام هى الثوابت - كما أوضحنا آنفا - وما عداها متغيرات، فإن الإسلام يتيح لأهل العلم والخبرة من المسلمين أن يتعاملوا مع هذه المتغيرات من خلال قنوات معروفة هى:

- الاجتهاد،

- والقياس،

- والاستحسان،

- والمصالح المرسلة (العامة)،

وسد الذرائع،

ولكل قناة من هذه القنوات أدلتها الشرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

● وعلى المسلمين أن يتعاملوا مع هذه المتغيرات ونصب عيونهم وعقولهم وقلوبهم هذه النصوص الإسلامية التى نذكرها فيما يلى:

- قول الله تعالى: ﴿ **وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ... ﴾ [الحج: ٧٨].

- وقوله جل شأنه: ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾ [البقرة: ١٨٥].

- وما رواه الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها».

- وما رواه ابن ماجة بسنده عن أبى صِرْمة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من ضارَّ أضرَّ الله به، ومن شاقَّ شق الله عليه».

- وما رواه ابن ماجة بسنده عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ضَرَرَ ولا ضِرار».

- وما رواه أحمد بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «... فما

رأى المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن».

ـ وما روى الدارمي بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

ثالثًا:

غطرسة بعض الحكام فى العالم الإسلامى وغرورهم الذى يحول بينهم وبين الاستجابة لمنهج الإسلام فى الحكم، خشية منه على أنفسهم ونظامهم وما يمارسونه من ظلم واستبداد بالمحكومين، إذ هم يعلمون أنهم لا يعدلون فى حكمهم ولا يأخذون بالشورى على الرغم من ترديدهم لشعارات العدل والشورى.

وأكثر ما يكون هؤلاء الحكام خوفًا من منهج الإسلام فى الحكم؛ حين يجدون من ينادون بأن منهج الإسلام هو الأصل فى الحكم العادل وهو الحل لمشكلات الناس، ولكل ما يعانونه.

ومعظم هؤلاء الحكام إما جاءوا إلى الحكم بعد انقلاب عسكرى، أو ورثوا الحكم والمحكومين عن آبائهم وأجدادهم، فلا معقب عليهم فيما يفعلون.

ومن وراء هؤلاء الحكام من ينتفعون بحكمهم فيزينون لهم ما هم فيه، ويخوفونهم من الإسلام ومنهجه ونظامه، وربما كان لهم من المستشارين غير المسلمين مَنْ يشوهون لهم الإسلام ومنهجه ونظامه.

● من أجل هذا ينادى بعضهم بأنه شخصيًا لن يسمح لنظام غير نظامه أن يحل محله!!!

رابعًا:

الجهل بالإسلام وبمنهجه ونظامه، وهذا الجهل عند كثير من هؤلاء الحكام بالإسلام، مردّه إلى أسباب كثيرة يعود بعضها إلى النشأة التى نُشّئوا عليها والمدارس التى تعلموا فيها إذ هى فى أغلب الأحيان مدارس معادية للإسلام ومنهجه ونظامه.

وما تهمل فيه المدارس من تشويه الإسلام فى عقولهم يتداركه المستشارون غير المسلمين بمزيد من المغالطة والتضليل.

ومن مقولاتهم الضالة المضلة:

ـ إن نظام الإسلام لحياة الناس كان ملائمًا للعصر الذى جاء فيه الإسلام، وللناس الذين تَنزَّل عليهم القرآن، وأما الآن فلا يصلح نظام الإسلام للزمان ولا للناس!!!

– وأن النظام الإسلامى الذى يقطع يد السارق ويجلد الزانى أو يرجمه نظام دموى متوحش لا يصلح للعصر الذى يعيشون فيه!! مع أن العصر الذى يعيشون فيه يقتل الأبرياء «بالنابالم»، وغاز الأعصاب والقنابل الذرية «والهيدروجينية» وتسميم الآبار، والبذور، وتكسير العظام وعناقيد الغضب وهم أبرياء لم يسرقوا ولم يزنوا ولم تقم عليهم حدود، وإنما قتلوا بغير ذنب جنوه!!!

– وإن منهج الإسلام ونظامه يضطهد غير المسلمين ويعاملهم بتعنت وإذلال!!! ومع أن تلك الادعاءات باطلة، فإن الذين يروجونها هم الذين أقاموا محاكم التفتيش، وبقروا بطون الحوامل من المسلمات وارتكبوا أفظع الجرائم وأبعدها عن الإنسانية فى البوسنة والهرسك وكوسوفا، كما شهد على ذلك أعداء الإسلام!!!

ماذا فعل اليهود والصرب والكروات والروس فى المسلمين؟ لعل أحد هؤلاء الحكام الذين يرفضون منهج الإسلام – جهلا به– يسأل مستشاريه عن الأسباب التى أدت إلى هذه المجازر البشرية، وهذا الاغتصاب لنساء مسلمات؟ ولعله إن سأل يجد الإجابة!!! ولعله إن سمع الإجابة يدرك ما وراء هذه الحرب للإسلام والمسلمين!!!

خامساً:

عدم ثقتهم فى أنفسهم وأنظمة حكمهم، وإمكانات بلادهم، وخشيتهم من الوقوع فى ضوائق اقتصادية أو سياسية لا يرون لها حلاً إلا على أيدى بعض الدول الكبرى عن طريق الهبات والدعم والمعونات، والديون غير المشروطة، والديون المشروطة.

وخشيتهم من عدوان بعض جيرانهم عليهم، ولجوئهم نتيجة لهذه الخشية إلى الدول الكبرى التى تصنع السلاح وتسوقه فى الأماكن التى تصطنع فيها الصراعات والحروب، وتغرى بها بعض الغافلين من هؤلاء الحكام!!!

- وإذا كانت إسرائيل التى زُرعت فى قلب العالم العربى غير كافية بعدوانها المستمر على البلاد العربية واحتلال أرضها بدعم من الغرب والشرق، فإن فى القلاقل التى تثيرها الهند ضد باكستان والصرب ضد المسلمين فى البلقان، وحربى الخليج ما يكفى لأن يجعل بعض الحكام يلهث إلى الدول الكبرى يستجدونها أن تبيع لهم السلاح وآليات الحرب!!!

- وإذا كان ما يحدث ضد إيران وضد السودان وضد مسلمى كشمير ومسلمى تيمور، غير

كاف لترويج السلاح ورفع أسعاره إلى أبعد الحدود، فإن فى القلاقل التى يحركونها ويقفون وراءها فى إفريقيا ما يجعل السلاح أهم من كل سلعة يحتاج إليها الناس!!!

● إن كثيراً من هؤلاء الحكام لا يستطيعون إنتاج السلاح والقمح فى بلادهم بحيث يتحقق لهم بذلك اكتفاء، فلابد أن يتجهوا إلى الذين يملكون فائضاً من السلاح، وفائضاً من القمح يلقونه فى المحيط خشية من انخفاض أسعاره!!!

سادساً:

التقرب إلى الدول الكبرى لنيل رضاها ومعوناتها وديونها وقمحها وأسلحتها، ومباركتها وأنظمة الحكم المناصبة العداء للإسلام ومنهجه ونظامه، وتلك المكافآت فى نظر بعض الحكام فى العالم الإسلامى تساوى محاربة المنهج الإسلامى وإقصاءه عن الحياة والأحياء.

وهذه الدول الكبرى معادية للإسلام والمسلمين بوضوح وبغير موارية منذ ما يقرب من قرن من الزمان عندما تحالفت على إسقاط دولة الخلافة العثمانية منذ مطلع هذا القرن العشرين، وقد ورثت هذه العداوة للإسلام والمسلمين من اليهود وممن شنوا حروباً صليبية على العالم الإسلامى، وحروباً تبشيرية تخلع بها المسلمين من إسلامهم، وحروباً استشراقية تبث فيها السموم والأحقاد على يد بعض من يدعون العلم والموضوعية العلمية!!!

● ولا يخفى على متابع أن هذه الدول الكبرى تعمل فى عدائها للإسلام ومنهجه فى اتجاهين:

- اتجاه إضعاف المسلمين وتفتيت وحدتهم وتمزيقهم إلى دويلات متناحرة أو متحاربة، وإضعافهم اقتصادياً بإغراقهم فى الديون وربوياتها واجتماعياً وثقافياً بمسخ الشخصية المسلمة وتشويه فكرها وثقافتها، وزرع الثقافة المعادية لها التى تفرز أعداء للإسلام من المسلمين ممن يسمون: أحمد ومحمد ومصطفى وغيرهم من المسلمين بالتسمية علماً وكنية ولقباً!!

- واتجاه ضرب الدول التى تعلن أنها تأخذ بمنهج الإسلام فى الإصلاح أو تسمى نفسها دولة إسلامية، كما هو حادث فى إيران والسودان وغيرهما، ومقتضى ذلك ضرب كل حركة إسلامية، وكل دعوة إلى الأخذ بمنهج الإسلام، وضرب المصلحين المجددين من المسلمين!!!!

سابعًا :

توجس أن تكرر إسرائيل غاراتها وعدوانها على العالم العربى تأخذ من أرضه ما تشاء بعد أن استولت على فلسطين كلها وأجزاء من البلدان العربية المجاورة، وهذا التوجس وارد، وربما لوح به المستشارون والخبراء أو صرحوا فى جلساتهم مع الحكام المسلمين.

- وإسرائيل تحمل ضمانًا من الغرب ومن الولايات المتحدة الأمريكية بالذات بأن تُمَدَّ بالسلاح «والتكنولوجيا» التى تجعلها دائمًا أقوى من دول العالم العربى مجتمعة!!! ومع ذلك – وهو فادح ومهين– لا يملك العالم العربى إلا أن يكون صديقًا ووليًا للولايات المتحدة الأمريكية صاحبة القمح والسلاح!!!
- ومن المسلَّم به لدى كل مراقب للأحداث الإسرائيلية أن العرب والمسلمين لن يفرطوا فى فلسطين فضلاً عن القدس الشريف، تدرك إسرائيل ومَنْ وراءها هذا وتعلمه علم اليقين، فتخطط لضرب العروبة والإسلام بإقصائهما عن حياة العرب والمسلمين.
- إن الطموح المشروع هو أن تعود فلسطين إلى أبنائها الذين شُردوا عنها، لا أن تنحصر الطموحات فى استعادة أرض ما قبل عدوان ١٩٦٧م، وأن تكون فلسطين للفلسطينيين، وليس التراجع المخزى من مدريد إلى أوسلو إلى واى ريفر!!!
- وإن الذى يحرك هذا الطموح المشروع هو الإسلام ومنهجه ونظامه، فلابد إذن من إقصائه واتهامه وتشويهه، وضربه فى كل مجال!!!
- إن الإسلام وحده هو العلاج لمشكلة فلسطين، ولكل مشكلة يعيشها المسلمون فى أى مكان فى العالم.

وبعد :

فهذا ما توصل إليه المصلحون المجددون من أسباب أدَّت إلى إقصاء الإسلام عن الدولة ومؤسساتها ونظمها وقوانينها.

وهذا ما يراه المشغولون بقضايا العالم الإسلامى من المفكرين والعلماء والدعاة إلى الله والعاملين فى الحركة الإسلامية.

- والمصلحون المجددون بل المشغولون بالعمل من أجل الإسلام وسيادة منهجه، ليسوا على طريق واحدة، وما كان لهم أن يكونوا كذلك وعملهم كله مرجعه الاجتهاد وما يؤدى

إليه من اختلاف فى الرؤية فى كثير من مناهج الإصلاح.

- وقد تحدثنا عن مذاهب المصلحين المجددين فى هذا الكتاب تحت عنوان: «بين يدى هذا الكتاب» فى أكثر من حلقة من حلقات هذه السلسلة مما لا نرى إعادته هنا.
- والذى نؤمن به إيمانًا راسخًا أن جميع هؤلاء المصلحين المجددين مخلصون فيما دعوا إليه من إصلاح وتجديد، وأنهم يستهدفون من أعمالهم أن ينقلوا المسلمين من حال التشرذم والضعف والضياع وإقصاء المنهج الإسلامى فى الحكم عن الحياة، إلى الحال التى أرادها الله تعالى لهذه الأمة المسلمة الخاتمة التى أوتيت أكمل منهج وأتم دين وأكمله، وهى أن تكون خير أمة أخرجت للناس، بإيمانها بما تدعو إليه من خير، وما تأمر به من معروف، وما تنهى عنه من منكر.
- والثقة كبيرة بين كل مصلح مجدد وبين من يلتقون معه ويعاونونه فى مجال الإصلاح والتجديد، وما كان لها أن تضمر أو تضعف أو تضيع أو تتأثر بقالات الشر والسوء التى يبثها أعداء الإسلام فى مختلف وسائل الإعلام عن هؤلاء المصلحين المجددين، بل إن هذه الثقة قائمة ومستمرة بين أجيال المصلحين المجددين فى العصور المتتالية، يسعى بعضهم فى أثر بعض، ويأخذ بعضهم عن بعض، بل يدعو لاحقهم لسابقهم، ويُكِنُّ له الحب والاحترام والتقدير، على الرغم من اختلاف برامج الإصلاح والتجديد لديهم.

– ولعل هذه الثقة بين المصلحين المجددين هى ما تغيظ أعداء الإسلام وتجعلهم فى حيرة من أمرهم!!!

- وثقة الناس عمومًا فى المصلحين المجددين، ليست محل جدل أو شك أو ارتياب إلا عند مرضى القلوب من أعداء الإسلام.

– ومن الحقائق التاريخية أن المصلحين المجددين فى القرون السابقة قد التف حولهم المسلمون خاصتهم وعامتهم، وأَوْلَوْهم من الثقة بل الحب ما كانوا أهلاً له، فمشوا على درب إصلاحهم وكانوا لهم جنداً مخلصين، ودعاة مروجين لأفكارهم الإصلاحية ومناهجهم فى التجديد.

– نعم لم يخل عصر من العصور ولا قرن من القرون التى كان فيها الإصلاح من عدو يَذْرُّ الرماد على بعض المصلحين المجددين، ولكن بقى المصلحون المجددون على الرغم من ذلك أطوادا شامخة لم ينل منها هذا الحقد على الإصلاح والتجديد.

● وتاريخ المسلمين حافل بهؤلاء المصلحين المجددين على رأس كل مائة من السنين، ومليء بالدلائل والبراهين على ثقة الناس فى هؤلاء المصلحين المجددين أحياءً بمؤازرتهم وطاعتهم، وأمواتًا بحبهم والدعاء لهم وترسم خطاهم، وسوف أذكر أطرافًا من هذه الثقة عند الحديث عن بعض مجددى القرون.

● ونحاول فى هذه الصفحات من الكتاب أن نختار نماذج من المصلحين المجددين، لنوضح مدى ثقة المسلمين فيهم، وأهمية هذه الثقة فى نجاح برامج إصلاحهم.

ولم نتحدث عن المصلحين المجددين فى القرن الأول الهجرى لأنه القرن الذى سعد بالرسول ﷺ وبالخلفاء الراشدين وبالصحابة رضوان الله عليهم وبكبار التابعين، فهو قرن البناء والتأسس، ثم جاءت بعده قرون الإصلاح والتجديد.

● وقد اخترنا من كل قرن مصلحًا مجددًا فيما عدا القرن الثانى الهجرى فقد اخترنا منه مصلحين مجددين هما:

عمر بن عبد العزيز رحمه الله. (٦١-١٠١ هـ).

والإمام جعفر الصادق رحمه الله (٨٠-١٤٨ هـ).

لما كان لكل منهما من تأثير عميق فى المسلمين ولما تمتع به كل منهما من ثقة الناس فيه وحبهم إياه، وتبنِّيه لمنهج فى الإصلاح والتجديد كان محل إعجاب معاصر به والآتين من بعده من المصلحين المجددين، ومن علماء المسلمين وعامتهم على السواء.

وقد اعتبرنا عمر بن عبد العزيز من القرن الثانى وإن لم يعش فيه إلا سنة واحدة لأن إصلاحاته امتدت فى القرن الثانى الهجرى وأثمرت فيه.

ففى هذه القرون بعث الله للأمة الإسلامية من يجدد لها أمر دينها، وبخاصة بعد أن دخل الناس فى دين الله أفواجًا وكانوا فى حاجة إلى مصلحين مجددين.

فمن القرن الثانى الهجرى:

عمر بن عبد العزيز رحمه الله (٦١-١٠١ هـ).

أطلق عليه سفيان الثورى: «الخليفة الخامس» أى خامس الخلفاء الراشدين الأربعة.

وقال أحمد بن حنبل رحمه الله: يروى فى الحديث عن رسول الله ﷺ أن الله تبارك وتعالى يبعث على رأس كل مائة سنة من يصحح لهذه الأمة دينها فنظرنا فى المائة الأولى فإذا هو عمر بن عبد العزيز، ونظرنا فى المائة الثانية فإذا هو الشافعى.

- وقد اعتبرت عمر بن عبد العزيز مصلحًا مجددًا لسببين رئيسيين: -فوق ما رآه الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله-

أحدهما:

أنه أصلح وجدد ما كان أفسده بعض حكام بنى أمية من أمور الدين، بممارستهم ظلم بعض الناس وبطشهم ببعضهم، بل قد طبعوا دولتهم بطابع لا يقره الإسلام فى كثير من أمور الإسراف والزينة واتخاذ الحجاب، والتعصب مع التعقب لكل من كانوا مع على رضى الله عنه، فأقاموا دولتهم على العصبية القبلية التى نهى عنها الإسلام، ولجعلهم نظام الخلافة ملكليًا يتوارثه الأبناء عن الآباء!!!

- كل ذلك أصلحه عمر بن عبد العزيز ما وسعه، وما وجد إليه السبيل، وجدَّد أمور الدين فى نفوس الناس، فألزمهم طاعة الله وتقواه وألزم نفسه بذلك قبلهم.

وأى إصلاح أكبر من هذا الإصلاح؟

والسبب الآخر:

أنه ردّ المظالم التى مارسها بعض حكام بنى أمية ضد بعض المسلمين، فأعاد بذلك الحقوق إلى أصحابها، فجدّد بذلك أمر الدين فى نفوسهم وفى نفوس الناس جميعًا.

- وهذان الأمران هما ما نستشهد عليهما ببعض الأحداث التى كانت فى حياة عمر بن عبد العزيز رحمه الله لنؤكد أنه مصلح مجدّد.

- ففى مجال الإصلاح والتجديد:

روى الضحَّاك - وهو من مشاهير التابعين- قال: لما انصرف عمر بن عبد العزيز عن قبر سليمان بن عبد الملك الخَليفة الأموى الذى حكم من (٥٤-٩٩ هـ) والذى اختار عمر بن عبد العزيز للخلافة، صُفَّتْ له مراكب سليمان فتمثل ببيتين من الشعر، وقال: مالى ولها، نَحُّوها عنى، قدموا إلىّ بغلتى فقدمت إليه فركبها، فجاءه صاحب الشرطة يسير بين يديه بالحربة، فقال: تنحَّ عَنِّى، مالى ولك إنما أنا رجل من المسلمين.

فسار وسار الناس حتى دخل المسجد فصعد المنبر واجتمع الناس إليه فقال: أيها الناس إنى قد ابتُليت بهذا الأمر من غير رأى كان مِنِّى فيه ولا طَلَبَةَ له ولا مشورة من المسلمين(١)

---

(١) كان سليمان بن عبد الملك قد عهد بالخلافة لعمر دون أولاده، لثقته فى صلاح عمر وتقواه وحسن ولايته على المدينة المنورة.

وإنى قد خلعت ما فى أعناقكم من بيعتى فاختاروا لأنفسكم.

فصاح المسلمون صيحة واحدة: قد اخترناك يا أمير المؤمنين ورضينا بك، فَلِ أمرنا باليمن والبركة.

ثم خطب الناس فطالبهم بالتقوى والعمل وذكر الموت.. وختم خطبته بقوله: «يأيها الناس من أطاع الله فقد وجبتْ طاعته، ومن عصى الله فلا طاعة له، أطيعونى ما أطعت الله فيكم، فإذا عصيت فلا طاعة لى عليكم».

ثم نزل فأمر بالستور فهتكت، وبالثياب التى كانت تبسط للخلفاء فحملتْ، وأمر ببيعها وإدخال أثمانها فى بيت مال المسلمين.

● وعن جابر بن حنظلة الضبى قال: كتب عدىّ بن أرطاة إلى عمر بن عبد العزيز: أما بعد، فإن الناس قد كثروا فى الإسلام وخفت أن يقل الخراج[1]، فكتب إليه عمر بن عبد العزيز: فهمتُ كتابك، ووالله لوددت أن الناس كلهم أسلموا، حتى نكون أنا وأنت حَرَّاثين نأكل من كسب أيدينا».

● وعن عمرو بن مجاهد قال: قال لى عمر بن عبد العزيز: إذا رأيتنى ملتُ عن الحق فضع يدك فى تلبابى، ثم هزنى، ثم قل: يا عمر، ما تصنع؟

● وروى الثقات من العلماء أن عمر بن عبد العزيز، لما كانتْ الصرعة التى هلك فيها، دخل عليه مسلمة بن عبد الملك - ابن عمه - فقال له: يا أمير المؤمنين: إنك أقفرت أفواه ولدك من هذا المال، وتركتهم عيلة لا شىء لهم، فلو أوصيت بهم إلىّ وإلى نظرائى من أهل بيتك؟

فقال عمر: أسندونى، فسندوه، ثم قال: أما قولك إنى أقفرت أفواه ولدى من هذا المال؛ فوالله ما منعتهم حقًا هو لهم ولم أعطهم ما ليس لهم.

وأما قولك: لو أوصيت بهم، فإنَّ وَصِيِّ وولَيىِّ فيهم الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين.

---

(١) الخراج: هو المال الذى يوظف على الأرض صلحًا بين أهلها وحاكم المسلمين، أو ما يخرج من غَلّة الأرض، وفيه حق لله يعطى لبعض عباد الله، أو الجزية التى تضرب على أهل الذمة - المقيمين فى الدولة المسلمة، أو الإتاوة التى تؤخذ من أموال الناس برضاهم.

بَنِىَّ أحد رجلين، إما رجل يتقى الله فيجعل الله له مخرجًا، وإما رجل مكب على المعاصى فإنى لم أكن أقويه على معاصى الله.

– وفى مجال ردّ المظالم[1].

روى المؤرخون الثقات أن عمر بن عبد العزيز خرج بعد توليه الولاية بساعات، وأمر مناديه أن ينادى: ألا من كانت له مظلمة، فليرفعها، فقام إليه رجل ذِمَىّ من أهل حِمْص أبيض الرأس واللحية فقال: يا أمير المؤمنين: أسألك كتاب الله.

قال عمر: وما ذاك؟.

قال: العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبنى أرضى – والعباس جالس – فقال له عمر: يا عباس: ما تقول؟ قال: أقطعنيها أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك، وكتب لى بها سجلا.

فقال عمر: ما تقول يا ذمِّى؟

قال الوجل الذِّمى: يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله عز وجل، فقال عمر: كتاب الله أحق أن يتَّبع من كتاب الوليد بن عبد الملك، ثم قال للعباس: قُم فاردد عليه يا عباس ضيعته، فردّ عليه أرضه.

فجعل عمر بن العزيز لا يدع شيئًا كان فى يده أو فى يد أهل بيته من المظالم إلاّ ردَّها مظلمة مظلمة.

● وقد كان عمر يضيق بالظلمة من عمال بنى أميّة فيعزلهم أو يعزل من تعاون معهم، فقد حدَّث خالد بن يزيد عن جعونة قال: استعمل عمر عاملا فبلغه أنه عمل للحجاج بن يوسف فعزله، فأتاه يعتذر إليه قائلاً: لم أعمل له إلا قليلاً، فقال له عمر: حسبك من صحبة شر يوم أو بعض يوم.

– وروى الإمام أحمد بسنده عن ابن شوذب قال: كتب صالح بن عبد الرحمن وصاحب له – وكان قد ولأهما عمر شيئًا من أمر العراق – فكتبا إلى عمر يعرضان عليه أن الناس لا يصلحهم إلا السيف، فكتب عمر إليهما: خبيثين من الخبث، رديئين من الردى، تعرِّضان لى بدماء المسلمين، ما أحد من الناس إلا ودماؤكما أهون علىّ من دمه.

---

(١) ردّ المظالم، وإعطاء الحقوق لأهلها من صميم الإصلاح بل هو أحسن الإصلاح.

– وروى عبد الله بن أحمد بن حنبل بسنده عن أبى الفرات قال: كتبت الحجبة – حجبة البيت الحرام – إلى عمر بن عبد العزيز يأمر للبيت بكسوة كما يفعل من كان قبله، فكتب إليهم: إنى رأيت أن أجعل ذلك فى أكباد جائعة، فإنهم أولى بذلك من البيت.

● هذا هو عمر بن عبد العزيز مصلحًا مجدداً لأمر الدين فى نفوس المسلمين، محلاً لثقة أولى العلم والفقه، وكل من أحاط به أو تعامل معه أو عاش فترة حكمه، ولقد استطاع عمر بتأصل الإصلاح والتجديد عنده أن يعالج فى نفوس المسلمين بعض الجراح التى تسببت فيها أسرتى عمر بن العزيز بنى أمية وبنى مروان، فبنو أمية على يد يزيد بن معاوية قتلوا الحسين بن على رضى الله عنه وقتلوا عمار بن ياسر رضى الله عنه، وبنو مروان من بعدهم أطلقوا يد الحجاج بن يوسف فى دماء المسلمين، حتى قتل العلماء والزاهدين والصالحين.

والإمام أبو عبد الله جعفر الصادق: (٨٠ – ١٤٨ هـ)

وهو ابن الإمام محمد الباقر، وجده زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب – رضى الله عنهم.

● والإمام جعفر: أكثر أهل البيت العلوى علمًا وصلاحًا وإصلاحًا وتجديداً لأمر الدين فى نفوس الناس فى تلك الفترة الحالكة السواد التى اشتط فيها بنو أمية فى الظلم، فى أخريات أيام حكمهم حتى قتلوا من أحفاد علىّ رضى الله عنه وأبناء أحفاده عدداً كبيراً منهم: الإمام زيد بن على بن الحسين، ومحمد النفس الزكية، وإبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن على، وغيرهم.

كل هذه الأحداث الجسام لم تجعل الإمام أبا جعفر الصادق يخوض فى الفتنة حتى لا يفرق أمر المسلمين وإن اجتمعوا على واحد من بنى أمية!!! وإنما ظل طودا شامخًا يعلو على هذه الإحن وتلك الخصومات، مما جعله أهلا للثقة والحب والتقدير عند القاصى والدانى والولِىّ والعدو.

– ومن ثقة أبى جعفر المنصور فيه – على الرغم مما للمنصور من مواقف ضد البيت العلوى – أنه فى عهد أبى جعفر المنصور قُتل الإمامان محمد النفس الزكية وأخوه إبراهيم.

فقد ذكر اليعقوبى فى تاريخه: قال: قال إسماعيل بن على: دخلت على أبى جعفر

المنصور وقد اخضلت لحيته بالدموع وقال لى: أما علمت بما نزل بأهلك؟ قلت: وماذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: فإن سيدهم وعالمهم وبقية الأخيار منهم توفى. فقلت: ومن هو يا أمير المؤمنين؟ قال: جعفر بن محمد، فقلت: أعظم الله أجر أمير المؤمنين وأطال بقاءه، فقال لى: إن جعفرا ممن قال الله فيهم: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢].

وكان ممن اصطفى الله وكان من السابقين بالخيرات»[١].

– ومن ثقة الإمام مالك صاحب المذهب فى الإمام جعفر قوله: «إن الرجل الصادق لا يصيبه خرف الشيخوخة، ولا يفقد وعيه عند الحشرجة، ومن يكون أصدق قولا ممن لقَّبه الخصوم والأولياء والتاريخ كله بالصادق؟ وهو الإمام الصادق أبو عبد الله رضى الله عنه وعن آبائه الأكرمين الأبرار الأطهار».

– ومن ثقة مشاهير العلماء وأئمة الفقهاء فيه أن تتلمذوا عليه وأخذوا عنه،

- فقد أخذ عنه مالك صاحب المذهب (ت – ١٧٩ هـ).
- وأخذ عنه أبو حنيفة صاحب المذهب (ت – ١٥٠ هـ).
- وأخذ عنه سفيان الثورى أمير المؤمنين فى الحديث (ت – ١٦١ هـ).
- وأخذ عنه سفيان بن عيينة (ت – ١٩٨هـ).
- وأخذ عنه يحيى بن سعيد الأنصارى (ت ١٤٣ هـ).
- وأبان بن تغلب بن رباح البكرى (ت – ١٤١ هـ).
- وأيوب الشميتانى (ت – ١٣١ هـ).
- وأبو عمرو بن العلاء (ت – ١٥٤ هـ).

– ولا عجب أن يأخذ عنه هؤلاء الأعلام لأن علمه موضع احترام وتقدير من أوليائه وأعدائه، وحسبه أنه أخذ العلم عن أبيه محمد الباقر وهو إمام العلم فى عصره، وعن جده لأمه القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق – والقاسم أحد فقهاء المدينة السبعة كما قلنا آنفا – وقد أخذ القاسم علم عمته عائشة أم المؤمنين وعلم عبد الله بن عباس، رضى الله عنهم

(١) ابن واضح: تاريخه ٣/ ١١٧ ط النجف.

أجمعين[1].

ومن القرن الثالث الهجرى:

أبو داود السجستانى سليمان بن الأشعث (٢٠٢ - ٢٧٥ هـ) صاحب سنن أبى داود، وأحد أئمة الحديث المتقنين، وإمام أهل الحديث فى زمانه - أصله من سجستان ولكنه رحل فى طلب العلم إلى خراسان والعراق والجزيرة والشام والحجاز ومصر، وتوفى فى البصرة. وكتابه السنن أحد الكتب الستَّة المعتمدة فى السنة النبوية.

● وقد اعتبرناه مصلحًا مجددًا للعمل الجليل الذى قام به فى السنة النبوية، وأى إصلاح وتجديد لأمر الدين أهم من تنقية أحاديث الرسول ﷺ وجمعها وترتيبها وحفظها؟ وعلمه بأسانيدها وحال رواتها؟

- فهو مصلح مجدد فى العلم بل فى أفضل أنواع العلم وهو السنة النبوية المطهرة.

ومما يتميز به كتابه أنه جمع ٤٨٠٠ حديث نبوى كلها فى الأحكام ولم يذكر فى كتابه ما جاء فى السنة النبوية من أحاديث فى الزهد والفضائل وغيرها.

- وقد كان القرن الثالث قد بدأت فيه الاضطرابات العلمية والخلافات المذهبية والفكرية، وكثر فيه التأويل لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فكان قصر كتابه على أحاديث الأحكام التى تدور عليها رحى الشريعة الإسلامية حتى يتوقف الناس عن الخوض فيما لا يحق لهم الخوض فيه عملا جليلاً من أبى داود رحمه الله.

- وقد تميز كتابه بهذه الميزة بين كتب السنة النبوية المطهرة، مما جعله بهذا العمل غير المسبوق أهلا لأن يعد فى المصلحين المجددين فى مجال العلم.

---

(١) الإمام جعفر الصادق هو سادس الأئمة عند الإماميين الاثنى عشرية، وهو برىء من كل ما نسب إليه من آراء شاذة ذكرها بعض المؤرخين الغلاة من الشيعة مثل «الكلينى» وغيره.

ولابد أن نؤكد أن الإمام جعفرة الصادق كأبيه وجده رضى الله عنهم بَرِيئون تمامًا مما فعله بعض غلاة الشيعة من: سَبٍّ أبى بكر وعمر رضى الله عنهما، لأن كثيراً من الاثنى عشرية يجلون أبا بكر وعمر رضى الله عنهما، ولا يجيزون سبهما بل لهما عندهم كل التقدير والاحترام.

بل إن كثيراً من كتَّاب الشيعة المعاصرين أكدوا ذلك فى مؤلفاتهم وأنا على ذلك من الشاهدين وقد زرت إيران وصليت فى مساجدها واستمعت إلى خطبة الجمعة فلم أسمع شيئًا من ذلك.

فالخوض فى هذه المسائل لا يجلب على المسلمين إلا الخلاف والفرقة أعاذنا الله منهما.

– ومما تميز به كتابه «السنن» أن كان يعقّب على رواة الحديث فى آخر الحديث، وهذا دليل رغبته الأكيدة فى الإصلاح والتجديد لأمر الدين، إذ كان تعقيبه ذلك نواة وبداية لعلم قائم بذاته فى علوم السنة هو: «علم الجرح والتعديل» فيما بعد، حيث أصبح الجرح والتعديل أو التضعيف والتوثيق من أهم أبواب علم مصطلح الحديث أو علم الحديث دراية.

– بل هو مصلح مجدد فى مجال العلم فيما ذكره من ملاحظ على الأحاديث النبوية فى النقد والتعليل كانت أساساً أقام عليه العلماء من بعده بحوثهم ودراساتهم فى النقد والتعليل كعلم من علوم الحديث.

● وإن نظرة إلى الشيوخ الذين أخذ عنهم أبو داود لتؤكد رسوخ قدمه فى العلم وفى الإصلاح والتجديد لأمر هذا الدين.

فمن هؤلاء الشيوخ الأجلاء:

١ – الإمام الحافظ الحجة أحمد بن حنبل الشيبانى (١٦٤ – ٢٤١ هـ) صاحب المذهب، ومن عجب أن الإمام أحمد بن حنبل روى فيما بعد عن أبى داود فأصبح الشيخ تلميذاً والتلميذ شيخا، وما ذاك إلا لفرط ثقة أحمد بن حنبل فى أبى داود.

٢ – وإمام الحديث يحيى بن معين (١٥٨ – ٢٣٣ هـ) الذى وصفه الذهبى بأنه سيد الحفاظ، وفى يحيى بن معين يقول أحمد بن حنبل: كان أعلمنا بالرجال.

٣ – والحافظ عثمان بن محمد بن أبى شيبة (١٥٦ – ٢٣٩ هـ) صاحب كتاب جليل القدر فى الحديث سماه «مسنداً».

٤ – والحافظ الحجة مُسَدَّد بن مسرهد البصرى (ت – ٢٢٨ هـ).

وهو أول من صنف المسند بالبصرة، وقيل عنه إنه من الأثبات.

٥ – والحافظ الثبت أبو كريب محمد بن العلاء الكوفى (ت – ٢٤٨ هـ).

٦ – والحافظ شجاع بن مخلد البغوى (١٥٥ – ٢٣٥ هـ).

٧ – وهشام بن عبد الملك الباهلى الطيالسى (١٣٣ – ٢٢٧ هـ) وهو من كبار حفاظ الحديث من أهل البصرة، روى عنه البخارى ١٠٧ أحاديث.

وغيرهم ممن كانت لهم قدم راسخة فى العلم وفى السنة النبوية وتلقَّى عنهم وتتلمذ عليهم.

● أما تلاميذه فكثيرون جداً بحيث يصعب عدهم، ويثير الدهشة والعجب سرد أسمائهم لما كانوا عليه من قدم راسخة فى العلم والمكانة، ومع ذلك تتلمذوا على أبى داود، وحسبه وحسب علمه مكانة أن كان تلاميذه:

– شيخه الإمام أحمد بن حنبل صاحب المذهب.

– والحافظ الإمام أبو عيسى الترمذى صاحب السنن، وهو أحد الكتب الستة المعتمدة فى السنة النبوية.

– والحافظ الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن على بن شعيب النسائى صاحب السنن، وهو أحد الكتب الستة كذلك.

ونمسك عن ذكر باقيهم لكثرتهم.

● ومن ثقة العلماء فيه أن قالوا فيه وفى سننه الكلمات التالية:

١ – قال الحافظ بن حبان البستى صاحب المسند (... – ٣٥٤ هـ): «إن أبا داود أحد أئمة الدنيا فقها وعلما وحفظا ونسكا وورعا وإتقاناً».

٢ – وقال عنه الحافظ الحربى إبراهيم بن إسحق بن بشير (١٩٨ – ٢٨٥ هـ) وهو من أعلام الحديث والفقه، قال عن أبى داود: «ألين لأبى داود الحديث كما ألين لداود[١] الحديد».

٣ – وقال عنه ابن الأعرابى أحمد بن محمد بن زياد (٢٤٦ – ٣٤٠ هـ) وهو من أعلام المحدثين وكان شيخًا للحرم المكى، قال عنه وعن كتابه: «لو أن رجلا لم يكن عنده شيء من العلم إلا المصحف الذى فيه كلام الله تعالى ثم كتاب أبى داود، لم يحتج معهما إلى شيء من العلم البَتَّة»[٢].

٤ – وقال عنه الحافظ الخطابى حمد بن محمد بن إبراهيم البستى أبو سليمان (٣١٩ – ٣٨٨ هـ) صاحب «معالم السنن» الذى شرح فيه سنن أبى داود، قال عنه: «كتاب السنن لأبى داود كتاب شريف لم يصنَّف فى علم الدين كتاب مثله».

٥ – وقال عنه الحافظ الإمام ابن القيم الجوزى (٦٩١ – ٧٥١ هـ)، وهو من أركان الإصلاح الإسلامى، قال عن أبى داود وكتابه: «كتاب السنن لأبى داود سليمان بن الأشعث

---

(١) يقصد داود النبى عليه السلام.
(٢) أى قطعًا أو ثباتًا.

السجستانى رحمه الله، من الإسلام بالموضع الذى خصه الله به، بحيث صار حكما بين أهل الإسلام وفَصْلاً فى مواد النزاع والخصام، فإليه يتحاكم المنصفون، وبحكمه يرضى المحقون، فإنه جمع شمل الحديث والأحكام ورتبها أحسن ترتيب ونظمها أحسن نظام، مع انتقائها أحسن انتقاء، وإطراحه منها أحاديث المجروحين والضعفاء».

● أليس أبو داود بما عمل فى السنة أحد المصلحين المجددين لأمر الدين؟ اللهم بلى.

«ومن القرن الرابع الهجرى:

الحافظ الطبرانى سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمى الشامى أبو القاسم (٢٦٠ - ٣٦٠هـ) من كبار المحدثين، أصله من طبرية الشام وإليها ينسب وإن ولد بعكا -

- ورحلته فى طلب العلم واسعة، فقد رحل إلى الحجاز، واليمن، ومصر، والعراق، وفارس، والجزيرة.

- له فى السنة ثلاثة معاجم:

المعجم الكبير،

والمعجم الأوسط،

والمعجم الصغير.

- جَمَعَ من أحاديث النبى ﷺ ما شاء الله له أن يجمع.

- وله مؤلفات كثيرة عددها العلماء سبعة ومائة كتاب، منها ثمانية وعشرون مسنداً.

● وقد اعتبرناه مصلحا مجدداً الأمر الدين لجهوده الدائبة المضنية فى رواية الحديث، والتصنيف فيه، حتى إن مصنفاته فيه تعد من أوسع المصنفات، وحسبه فى ذلك المعاجم الثلاثة.

● ووجه الإصلاح الذى قام به فى السنة أن عنايته بها كانت ذات ثلاث شعب:

- الشعبة الأولى:

العناية بالصحابة الذين رووا الأحاديث رجالا ونساء، كما يتضح ذلك فى معجمه الكبير إذ يؤرخ لهم بدقة وتوسع.

- والشعبة الثانية:

عنايته بالحديث نفسه، حيث ألزم نفسه بأن يروى عن كل صحابى أو صحابية ممن عرفوا

بكثرة ما يروون عن النبى ﷺ ؛ حديثين أو ثلاثة على الأقل، فإن كان الصحابى أو الصحابية مقلا فى الرواية، روى كل ما أخبر به عن النبى ﷺ .

– والشعبة الثالثة :

عنايته الفائقة بمن روى عن الصحابة رضى الله عنه، حيث ينص أحيانًا على أن هذا الحديث انفرد به فلانٌ عن الصحابة رضى الله عنه.

وينص فى كثير من الأحيان على أن هذا الصحابى لم يُرْوَ عنه هذا الحديثُ إلا بهذا الإسناد.

وتلك عملية بالغة الدقة ودالة على سعة العلم فى النقد والتعليل ومن أُوتيها فقد تأكد أنه ذو قدم راسخة فى العلم.

● وهذا المنهج الذى تمثل فى هذه الشعب الثلاثة يجعله فى قمة المصلحين المجددين لأمر الدين. فما الدين إلا الكتاب والسنة، وما الإصلاح والتجديد لأمر الدين إلا العناية بهذين الأصلين وتيسير الوصول إليهما، وبخاصة الأحاديث النبوية، إذ لم تُدَوَّن السنة بصورة عامة ودقيقة وشاملة إلا فى نهاية القرن الأول من الهجرة – بينما دُوِّن القرآن الكريم من يوم نزل على الرسول ﷺ – حتى إن النبى ﷺ لما رأى بعض الصحابة يدون كلامه خشى أن يختلط بالقرآن فنهى عن ذلك فى بادئ الأمر، ثم سكت عنه فيما بعد، وإن كان بعض الصحابة رضى الله عنهم كان قد كتب بعض الأحاديث، وبعضهم لم يعرف بهذا النهى لبعدهم عن المدينة مثلاً أو لغير ذلك من الأسباب.

– فآية الإصلاح والتجديد لأمر الدين العناية بأحاديث النبى ﷺ .

– ومن دلائل إصلاحه وتجديده لأمر الدين قيامه بهذا العمل الجليل فى السنة النبوية استجابة لقول رسول الله ﷺ فيما رواه الطبرانى بسنده عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، ومن لا يصبح ويمسى ناصحًا لله ولرسوله ولكتابه ولإمامه ولعامة المسلمين فليس منهم»(١).

● ولعل الطبرانى وأمثاله من علماء الحديث هم المقصودون بحديث رسول الله ﷺ الذى رواه النيسابورى بسنده – فى مناقب أصحاب الحديث – كما فسَّره الإمام أحمد قال:

---

(١) الطبرانى: المعجم الصغير باب من اسمه محمد (وهو محمد بن شعيب الذى روى عن حذيفة) ٢/ ٥٠ ط ثانية ١٤٠١ هـ – ١٩٩١ م نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

قال رسول الله ﷺ: «لا يزال الناس فى أمتى منصورين، لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة».

قال الإمام أحمد بن حنبل فى تفسيره – حينما سئل عنه –: إن لم تكن هذه الطائفة المنصورة أصحاب الحديث فلا أدرى من هم؟ وقال الحاكم ابن البَيِّع النيسابوى صاحب المستدرك على الصحيحين (٣٢١ – ٤٠٥ هـ): وفى مثل هذا قيل: مَنْ أَمَّرَ السنَّة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة.

– ومن ثقة العلماء فى الطبرانى:

- ما قاله الحافظ أحمد بن عبد الرحمن الشيرازى (المتوفى سنة ٤٠٧ هـ) فى كتابه: «القاب الرجال»: «سليمان بن أحمد بن أيوب الطبرانى أشهر من أن يُدَلَّ عليه وعلى فضله وعلمه، حدَّث بأصبهان ستين سنة، فسمع منه الآباء ثم الأبناء ثم الأسباط، حتى لحقوا بالأجداد، وكان رحمه الله واسع العلم كثير التصانيف».

- وقال عنه ابن العميد الوزير الكاتب العالم الأديب (ت: ٣٦٠ هـ) الذى عدَّه ابن الأثير من محاسن الدنيا، قال عن الطبرانى: «ما كنتُ أظن أن فى الدنيا حلاوة ألذ من الرياسة والوزارة التى أنا فيها حتى شهدتُ مذاكرة سليمان بن أحمد الطبرانى وأبى بكر ابن الجعابى[1] بحضرتى، فكان الطبرانى يغلب بن الجعابى بكثرة حفظه، وكان ابن الجعابى يغلب الطبرانى بفطنته وذكاء أهل بغداد، حتى ارتفعت أصواتهما، ولا يكاد أحدهما يغلب صاحبه.

فقال ابن الجعابى: عندى حديث ليس فى الدنيا إلاَّ عندى.

فقال الطبرانى: هاته.

فقال: حدثنا أبو خليفة حدثنا سليمان بن أيوب.. وحدَّث بالحديث.

فقال له الطبرانى: أنا سليمان بن أيوب، ومنِّى سمع أبو خليفة فاسمع منى يعلو إسنادك، فإنك تروى عن أبى خليفة عَنِّيَ. فخجل ابن الجِعابى. وغلبه الطبرانى.

قال ابن العميد: فوددت فى مكانى أن الوزارة والرياسة ليتها لم تكن لى، وكنتُ

---

(١) هو محمد بن عمر بن أبو بكر ابن الجعابى (٢٨٤ – ٣٥٥ هـ) قاض من كبار حفاظ الحديث قيل عنه: لم يبق فى آخر عمره من يحقق العلل وتراجم الرجال سواه.

الطبراني، وفرحتُ مثل الفرح الذى فرحه الطبرانى لأجل الحديث.

● وقال عنه الحافظ بن عقدة أحمد بن محمد (المتوفى سنة ٣٣٢ هـ): «كان محمد بن عبد الله بن الهيثم المعروف بابن أبى السرى عند الطبرانى فسأله - وكان يلح عليه أن يعيد عليه ما فاته من المجلس - ابن عقدة: سَمعت من سليمان بن أحمد الطبرانى؟ قال: لا أعرفه، فقال: يا سبحان الله أبو القاسم ببلدكم وأنت لا تسمع عنه، وتؤذينى هذا الأذى بالكوفة! ما أعرف لأبى القاسم نظيراً، سمعتُ منه وسمع منى وسمعنا من مشايخنا..».

ومن القرن الخامس الهجرى:

ابن حزم الظاهرى على بن أحمد بن سعيد أبو محمد (٣٨٤ - ٤٥٦ هـ) عالم الأندلس فى عصره، وأحد أئمة الإسلام. زهد فى الوزارة وانصرف إلى العلم والتأليف.

وكان قوى الحجة يعتمد فى أدلته على الكتاب والسنة. لكن كان يدعو إلى إبطال القياس، لذلك هاجم الإمام أبا حنيفة فى أخذه بالقياس.

وكان شديداً فى عرض آرائه حتى قيل فيه: «لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقان».

وكان بعيداً عن المصانعة، انتقد كثيراً من العلماء والفقهاء، مما جعل بعضهم يحذر منه الحكام والأمراء فاقصى وطرد، فرحل إلى بادية لَبْلَة من بلاد الأندلس.

وكان واسع التأليف؛ قال ابنه أبو الفضل: إنه اجتمع عنده من مؤلفات أبيه أربعمائة مجلد تقارب ثمانين ألف ورقة.

● ومن أشهر مؤلفاته:

- الفِصَل: فى الملل والأهواء والنِّحَل،
- والمُحَلىَّ: فى الفقه،
- والإحكام فى أصول الحكام: فى علم أصول الفقه،
- والناسخ والمنسوخ،
- وجمهرة الأنساب،
- ومداواة النفوس: فى الأخلاق، وكتبه هذه مطبوعة، وهناك غيرها من عشرات الكتب المخطوطة.

● والإمام ابن حزم مصلح مجدد لأمر الدين في عصره وفي موطنه الأندلس، والأندلس عاشت اضطرابات سياسية أدت إلى وجود فرق كثيرة، كما عاشت اضطرابات عقيدية أدت إلى وجود فرق كثيرة في هذا المجال.

– وكان مولد هذه الفرق في عهد عثمان رضى الله عنه، ثم اشتد أمرها وشهرت واستعلنت في عهد عليّ رضى الله عنه.

وأهم هذه الفرق ثلاث:

الشيعة، والناصبية، والخوارج.

● فالفرقة الأولى:

هم الذين أيدوا عليًّا رضى الله حتى استشهد وهؤلاء هم الشيعة، ثم والوا أهل بيته من بعده، ويقوم مذهبهم على عدد من القواعد أهمها:

الإمامة: وهي عندهم قاعدة الإسلام وأنها في اثنى عشر إمامًا من نسل عليّ رضى الله عنه.

وأن عليًّا هو الخليفة المختار من النبي ﷺ.

وأن عليًّا أفضل الصحابة رضى الله عنهم.

على أن من الشيعة من غالى في عليّ رضى الله عنه فرفعوه إلى مرتبة النبوة، بل إن بعضهم قال: إن الله تعالى حَلَّ في عليّ!!! وهؤلاء الغلاة هم أتباع عبد الله بن سبأ (ت – ٤١هـ) وأصله من اليمن، وكان يهوديًا يظهر الإسلام، وقال الإمام الحافظ بن حجر في ابن سبأ: هو من غلاة الزنادقة وأحسب أن عليًّا حرقه بالنار(١).

والفرقة الثانية:

هم الذين أيّدوا معاوية بن أبي سفيان، ونصروه، واستمروا على ولائهم له من بعده(٢).

ومن هؤلاء: الناصبية – أي الذين ناصبوا عليًّا رضى الله عنه العداء، بل ناصبوا أهل بيته

---

(١) ومن فرق الشيعة في الأندلس: الزيدية، والكيسانية، والإمامية الاثنا عشرية، والإمامية الإسماعيلية.

(٢) وممن كانوا موالين للأمويين في الأندلس حزم جد علي، إذ كان من موالى بنى أمية وهو فارسي الأصل اشتغل بالفلسفة، وقيل كان متشيعا لبني أمية منحرفًا عن سواهم من قريش.

العداء من بعده رضى الله عنه.

والفرقة الثالثة:

هم الخوارج الذين حَمَلوا عليًا رضى الله عنه على قبول التحكيم ثم عارضوه، واعتبروا التحكيم من الكفر وأطلقوا مقولتهم:

لا حكم إلا لله - أى لا تحكيم للأشخاص!!!

وقد تبرأ الخوارج من عثمان رضى الله عنه، ومن علىٍّ ما لم يتب، ومن هؤلاء الخوارج فى الأندلس: الأزارقة، والنجدات، والصفرية، والعجاردة والإباضية - وإن كان الإباضية أكثرهم اعتدالا -.

- وكان ابن حزم يقف من هذه الفرق جميعًا موقف المصلح المجدد الذى يحاول ما وسعه أن يضع الأمور فى نصابها - وإن غلبته الحدة فى التعبير عن رأيه - الذى يؤيده دائمًا بالنصوص الإسلامية من الكتاب والسنة.

- وموقفه من الفرق السياسية كان الدعوة إلى الوحدة والوئام وتبصيرهم بما جلبته وتجلبه الفرقة والانقسام من أخطار على المسلمين جميعًا فى الأندلس.

وكان يذكّرهم بالأحاديث النبوية التى تحذر من الفرقة والفِتَن ويؤكد لهم أن اتباع الأهواء هو الذى أدى بهم إلى الفرقة، والتناحر والانقسام، ويضع أمامهم:

- ما رواه أحمد وأبو داود والترمذى بأسانيدهم عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشى، والماشى فيها خير من الساعى، قيل: أفرأيت يا رسول الله إن دخل علىّ بيتى وبسط إلىّ يده ليقتلنى؟ قال: كن كابن آدم»(١).

وما رواه البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ستكون

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٧ - ٢٨].

فتَن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشى، والماشى فيها خير من الساعى، ومن تشَرَّف لها تستشرفه، ومن وجد فيها ملجئًا أو معاذا فليعذ به».

ورواه مسلم وأحمد بأسانيدهما عن أبى هريرة أيضًا.

● ابن حزم دعا إلى الأخذ بالكتاب والسنة وسط هذا الاضطراب السياسى، كما دعا إلى التعقل، وإعمال العقل غير المقلد، وإلى العلم الحقيقى النافع المهتدى بالكتاب والسنة.

– وأما الفرق الاعتقادية فقد حفل بها عصر ابن حزم، وإن كان منشؤها قبل عصره، ولقد ارتبطت الفرق الاعتقادية بالفرق السياسية بل كان كثير منها نتيجة للفرق السياسية، حيث أثيرت مسائل: القدر، والجبر، والاختيار، وعقاب مرتكب الكبيرة، وصفات الله، وخلق القرآن.

ومن أشهر هذه الفرق:

– الجبرية: الذين نفوا أفعال العباد وجعلوها لله وحده، وقالوا بظلم الإنسان إذا عوقب على فعله.... وقد قال الجبرية بخلق القرآن، وبأن الجنة والنار فانيتان، وأن علم الله وكلامه حادثان[1]..

وقد كان ابن حزم يتصدى لهم ويحاول أن يعيدهم إلى الصواب بتذكيرهم بآيات القرآن وسنة الرسول ﷺ.

– والمعتزلة: وهم القائلون بأن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن، ولا كافر وإنما هو منزلة بين المنزلتين، وأن الإنسان يخلق أفعال نفسه، وأنه مختار حر الإرادة ولذلك كلفه الله.

وقد لخص العلماء قضايا المعتزلة فى خمس: «التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر» ومن المعتزلة المرجئة بنوعيهم: مرجئة السنة ومرجئة البدعة.

---

(١) تنسب هذه الفرقة إلى الجعد بن درهم (ت ١١٨ هـ) قال عنه الذهبى: «عداده فى التابعين، ضال متبدع، زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى، فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر» وأجمع على ضلاله وزندقته العلماء فى عصورهم المختلفة.

مرجئة السنة يقولون : إن مرتكب الكبيرة مرجأ أمره لله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه .

ومرجئة البدعة يقولون : إنه لا تضر مع الإيمان معصية ولا تنفع مع الكفر طاعة .

● والمعتزلة كانت لهم مكانة فى عصر المأمون الخليفة العباسى وتسببوا فى سجن الإمام أحمد وتعذيبه وظلوا كذلك حتى كان عصر المتوكل فاضطهدهم وأطلق سراح بن حنبل .

– والماتوريدية : أتباع أبى منصور الماتوريدى الذى تصدى للرد على المعتزلة فى كتب له منها : أوهام المعتزلة، والرد على الرافضة، والرد على الكعبى المعتزلى، والرد على القرامطة .

– والأشاعرة : أنصار أبى الحسن الأشعرى، الذى تصدى للرد على المعتزلة فى كتب له منها : مقالات الإسلاميين، والإبانة عن أصول الديانة، والرد على المجسمة، ومقالات الملحدين .

والأشاعرة والماتوريدية من أهل السنة .

● وقد تصدى ابن حزم للرد على كل هذه الفرق الاعتقادية فجادلهم معتمداً على العقل، واختار لمجادلتهم أسلحتهم فى الجدال وأفحمهم فيما قال وفيما كتب .

● وكانت آراء ابن حزم فى التوحيد وقضاياه يستمدها من الكتاب والسنة، وقرر أن الخوارق لا تقع من غير نبى واستدل على ذلك فاقتلع بأدلته شجرة الزعم بأن الخوارق تقع من بعض الناس وما يترتب على ذلك من باطل .

وابن حزم هو الذى فتح الباب واسعًا أمام ابن تيمية من بعده فصال فيه وجال وقمع البدعة ونصر السنة .

● وقد كان ابن حزم بهذا مصلحا مجدداً غيوراً على الإسلام والمسلمين، يجدد من أمر الدين فى النفوس ما يزيل به الفرقة فى السياسة والاعتقاد، وقد نجح فى ذلك إلى حد كبير .

● على أن كثيراً من آراء ابن حزم – لأسباب عديدة – لم تكن موضع رضا بعض معاصريه وبخاصة من أهل السياسة والتزلف إلى الحكام، ومن أهل الفرق الضالة .

أمّا العلماء فكان ابن حزم موضع ثقتهم وتقديرهم، ولولا أن نطيل لذكرنا طرفا من كلماتهم وثنائهم .

ومن القرن السادس الهجرى :

صلاح الدين الأيوبى (٥٣٢ - ٥٨٩ هـ).

وهو الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذى، من أشهر ملوك المسلمين، ومن أبرز مصلحيهم.

وهو من الأكراد، نزل أبوه وأهله بتكريت، وبها وُلد صلاح الدين ونشأ فى دمشق، ودخل مع أبيه وعمه شيركوه فى خدمة نور الدين محمود بن عماد الدين زنكى صاحب دمشق وحلب والموصل.

ثم توجه صلاح الدين مع عمه شيركوه إلى مصر بأمْرٍ من نور الدين محمود، فاستولى عمه على مصر باسم نور الدين - وكانت مصر فى أخريات العهد الفاطمى آنذاك، فاستوزره الخليفة العاضد الفاطمى، فلما مات شيركوه استوزر العاضد صلاح الدين وعهد إليه بقيادة الجيوش ولقبه بالملك الناصر.

- ولما هاجم الصليبيون مصر صدّهم صلاح الدين فى دمياط.

- وعندما ضعف أمر الخلافة الفاطمية استطاع صلاح الدين أن يستقل بمصر مع اعترافه بسيادة نور الدين محمود، ولما مات الخليفة العاضد قطع صلاح الدين الخطبة للفاطميين وجعلها للعباسيين.

- ولما مات نور الدين محمود سنة ٥٦٩ هـ واضطرب لذلك أمر الشام والجزيرة، دُعَى صلاح الدين لضبط الأمور، فذهب إلى دمشق سنة ٥٧٠ هـ، ثم استولى على بعلبك وحماة وحلب وحمص.

- ثم اتجه صلاح الدين إلى الإصلاح الداخلى فى مصر والشام، فأصلح وجدَّد واستقربه نظام الحكم، وأمّنَ الناس من الظلم، ومن الأعداء الخارجيين من الصليبيين.

● وإنما اعتبرناه مصلحا مجدداً لأمر الدين، لأنه قام بأعمال جليلة هى :

أولاً :

توحيده مصر والشام والعراق فى جبهة قوية مستقرة من الداخل، مليئة بالعدل والرحمة فى الداخل.

ثانيًا:

اهتمامه بالعلم والعلماء - على الرغم من الأعباء التى تلقيها القيادة والسياسة - فقد كان له اهتمام كبير بالعلم وبخاصة الحديث النبوى الشريف، إذ كان يعقد مجلسًا فى بيته يوم الاثنين من كل أسبوع لتدارس الحديث، ووضعه نصب العين والسمع، وكم شارك فى حوار العلماء.

ثالثًا:

واجه الصليبيين بسلاحين ماضيين:

سلاح الحكمة وحسن التأتى للأمور، ومعرفة متى تكون معهم الملاينة ومتى تكون المعركة.

وسلاح الإعداد للحرب وحشد الرجال والعتاد.

- وقد استطاع بذلك أن يستعيد منهم معظم البلدان الإسلامية التى أقاموا فيها ممالك صليبية مملكة وراء أخرى حتى كانت المعركة الأخيرة ضدهم فى حطين ثم استعادة بيت المقدس عى الرغم من أنه ظل فى أيديهم ما يقرب من تسعين عامًا. أما طبرية، وعكا، ويافا، وصيدا، وجبيل، وبيروت، وعسقلان، واللاذقية، وجبلة، وقلعة صهيون، وقلعة الذقن، وبرزية، ودرياك، وبغراس، والكرك، وصفد، وكوكب، والشقيف فقد استعادها قبل أن يستعيد بيت المقدس.

- وإنما عُدَّ صلاح الدين مصلحًا مجدِّدًا، لأن بلاد المسلمين كانت قبله على حال من الفرقة والضعف لا ترضى أى غيور على دينه، ولا يلتئم شملها ولا تستعيد قوتها ووحدتها إلا بعملية إصلاح وتجديد كبيرتين، وقد قام بهما صلاح الدين خير قيام.

- فقد كانت الخلافة العباسية قبله شكلا وصورة، وفرقا ودويلات، وكانت الخلافة الفاطمية آخذة فى الانهيار، وقد عجزت الدولتان عن صد هجوم الصليبيين على مصر والشام!!!

فاستطاع صلاح فى هذا الجو المكفهر أن يصلح وأن يجدد أمر الدين فى النفوس لتنطلق جيوش المجاهدين عجلى إلى المعارك ترد عن الإسلام والمسلمين أعداءهم وتجليهم عن بلادهم.

- وقد واجه صلاح أعداء فى الداخل كالباطنيين بالإضافة إلى أعداء الخارج وهم الصليبيون،

ولكنه انتصر عليهم جميعًا فى قصة طويلة وحديث يطول سرده.

- ومما يؤكد أنه مصلح مجدد، وأنه موضع ثقة القاصى والدانى ما رواه ابن شداد القاضى[1] رفيق صلاح الدين، قال: «لما أراد الملك الظاهر غازى ابن صلاح الدين أن يستأذن أباه قبل رحيله إلى إمارة حلب وشمالى الشام التى ولاّه إياها أبوه قال له صلاح الدين يوصيه: «أوصيك بتقوى الله فإنها رأس كل خير، وآمرك بما أمر الله به، فإنه سبب نجاتك، وأحذرك من الدماء والدخول فيها، والتقلد لها، فإن الدَّم لا ينام، وأوصيك بحفظ قلوب الرعية والنظر فى أحوالهم فأنت أمينى وأمين الله عليهم، وأوصيك بحفظ قلوب الأمراء وأرباب الدولة والأكابر؛ فما بلغتُ ما بلغتُ إلا بمداراة الناس، ولا تحقد على أحد فإن الموت لا يبقى على أحد، وحذار ما بينك وبين الناس فإنه لا يغفر إلا برضاهم، وما بينك وبين الله يغفره الله بتوبتك إليه فإنه كريم».

- وهذه الوصية وحدها منهج إصلاح كامل للحاكم والمحكوم على السواء، ومن أوصى بذلك المنهج فلابد أن يكون ملتزمًا به، وقد كان؛ كما تدل على ذلك سيرته رحمه الله.

- وفى ثقة العلماء والكتاب والقادة فى صلاح الدين أحاديث لا تحصى، وأنواع من الثناء لا يستحقها إلا المصلحون المجددون لأمر الدين، ومن ذلك:

– ما قاله ابن جبير الرحالة الأديب (٥٤٠ – ٦١٤ هـ)[2]:

قال: «... هذا السلطان العظيم الذى سنّ هذه السنن المحمودة ورسم هذه الرسوم الكريمة... مآثر هذا السلطان فى العدل، ومقاماته فى الذب عن حوزة الدين لا تحصى كثرة... وآثاره التى أبقاها ذكراً جميلاً للدين والدنيا أنه أمر بإزالة المكوس والضرائب تخفيفًا عن الناس، ورفعًا للظلم عن كواهلهم...».

– وما قاله ابن شداد: «لقد كان حبه للجهاد والشغف به قد استولى على قلبه وسائر جوانحه استيلاءً عظيمًا، بحيث ما كان له حديث إلا فيه ولا نظر إلا فى آلته، ولا كان له اهتمام إلا برجاله، ولا ميل إلا إلى من يذكره ويحثّ عليه.

---

(١) هو يوسف بن رافع بن شداد من كبار العلماء والقضاة، حدّث فى حلب ودمشق ومصر وغيرها، وولاه صلاح الدين قضاء العسكر وبيت المقدس، ومن أهم كتبه: «النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية» فى تاريخ صلاح وسيرته، ومن هذا الكتاب نقلنا هذه الكلمات.

(٢) جاء ذلك فى كتابه: رحلة ابن جبير، سجل فيها زيارته لمصر والشام فى عهد صلاح الدين – وهو أندلسى رحالة طواف عالم أديب. من صفحات متفرقة من الرحلة.

لقد هجر فى محبة الجهاد فى سبيل الله أهله وأولاده، ووطنه، وسائر بلاده، وقنع من الدنيا بالسكون فى ظل خيمة، تهب بها الرياح ميمنة وميسرة».

– وفى رغبة صلاح الدين القوية فى تخليص البلاد من الصليبيين يقول لابن شداد: «أما أحكى لك شيئًا فى نفسى؟.

إنه متى ما يسَّر الله تعالى فتح بقية الساحل، قسَّمت البلاد وأوصيتُ وودعتُ، وركبت هذا البحر إلى جزائره، واتبعتهم – يقصد الصليبيين – فيها، حتى لا أبقى على وجه الأرض من يكفر بالله أو أموت»[1].

● ولقد شهد لصلاح بنبل أخلاقه ألَدّ أعدائه: «ريتشارد قلب الأسد» الذى أبدى شماتة أكثر من مرة فى صلاح الدين، فلما مرض «ريتشارد» وكان صلاح الدين محاصراً له – وعرف أن أطباءه وصفوا له الفاكهة والثلج، أمده بذلك وهو عدو شرس، لكنها أخلاق الإسلام التى تحلى بها صلاح الدين فى حربه وسلمه ووصاياه وقوله وعمله، مما جعل «ريتشارد» يمتَنّ له ويشكره، ويقول لأحد قواد صلاح الدين: «سلم على السلطان وقل له: بالله عليك أجب سؤالى فى الصلح، فهذا الأمر لابد له من آخر، وقد هلكت بلادى وراء البحر وما فى دوام هذا مصلحة لنا ولا لكم»[2].

● هذا هو صلاح الدين المصلح المجدد لأمر الدين فى هذا القرن السادس الهجرى الذى خلص بلاد المسلمين من الصليبيين الذيت عاثوا فيها فساداً.

ومن القرن السابع الهجرى:

عز الدين سلطان العلماء عبد العزيز بن عبد السلام (٥٥٧ – ٦٦٠ هـ):

وهو فقيه شافعى بلغ رتبة الاجتهاد، ولد ونشأ فى دمشق وسافر إلى العراق ولكنه عاد سريعًا إلى دمشق، وتولى فيها الخطابة والتدريس بالجامع الأموى.

– وعندما سلَّم الصالح إسماعيل بن العادل أخى صلاح الدين قلعة صفد للفرنج اختياراً أنكر عليه ذلك العز بن عبد السلام، ولم يدعُ له فى الخطبة، فغضب عليه إسماعيل وحبسه.

– ولما أُطلق سراحه من السجن هاجر إلى مصر – وكانت فى حكم نجم الدين أيوب – فأرسل الصالح إسماعيل إلى الشيخ بن عبد السلام من يتلطف به ويقول له: ما بينك وبين أن

(١) ابن شداد: النوادر السلطانية فى المحاسن اليوسفية. من صفحات متفرقة.
(٢) ابن واصل: مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب.

تعود إلى مناصبك وما كنت فيه إلا أن ترضّى السلطان وتقبل يده.

فقال له الشيخ: يا مسكين، أنا لا أرضى أن يقبل السلطان يدى!!!

– وكان لما قدم مصر فى سنة ٦٣٩ هـ أقبل عليه السلطان نجم الدين أيوب، وولاه خطابة مصر وقضاءها، ومكنه من الأمر والنهى.

وكان الشيخ مضرب المثل فى العلم والفقه، حتى شاع فى مصر مثل يقال لمن يدعى العلم: «ما أنتَ إلا من العوامّ ولو كنتَ ابن عبد السلام».

– وقد عُدَّ الشيخ ابن عبد السلام سلطانًا للعلماء بكل جدارة، إذ كان ذلك رأى علماء عصره بكل تأكيد وعلماء كل العصور عند كثير من تلاميذه ومحبيه، لأنه العالم المصلح الذى لا يخاف فى الحق لومة لائم، لذلك عُدَّ من المصلحين المجددين لأمر هذا الدين، وتاريخه شواهد على ذلك وأدلة وبراهين.

– كان لا يرى خللاً فى سلوك الناس أو سلوك الحكام إلا سارع إلى سده أو التنبيه إليه، مناديًا بأعلى صوته: أن هذا من الخلل أو الخطأ، أو مما حرم الله، فلابد من إزالته.

ونستطيع أن نقدم على ذلك الأمثلة والنماذج:

– عندما استنجد الملك الصالح إسماعيل بالصليبيين على الملك نجم الدين أيوب حاكم مصر فى ذلك الوقت، وسلم الصليبيين فى مقابل ذلك قلعة «صفد» أنكر عليه الشيخ هذا العمل، ولم يكتف بهذا الإنكار بل توقف عن الدعاء له فى الخطبة، مما أغضب الملك فجرده من مناصبه وسجنه – على نحو ما ذكرنا آنفا – فلم يبال الشيخ بذلك بل أعلن خطأ الملك فى هذا العمل الشنيع.

– ولما هاجر إلى مصر وتلقاه ملكها نجم الدين أيوب وأحسن لقاءه ومقامه فى مصر وولاه قضاءها والخطابة وجعل له الأمر والنهى، لم يجعله ذلك كله يسكت على منكر يراه حتى لو كان صادراً من الملك نفسه، لأنه مصلح والمصلح لا يسكت على خلل أو خطأ منكر.

وقد حدث أن رأى الملك نجم الدين يستعرض مماليكه فيقبلون الأرض بين يديه – وكان نجم الدين يكثر من المماليك ويربيهم تربية عسكرية ليكوّن منهم جيشًا قويًا ويجعل منهم قادة لجنوده، عندما رأى الشيخ تقبيل الجنود للأرض بين يدى الملك ناداه بأعلى صوته ليسمع الناس جميعًا وليسمع الأمراء على وجه الخصوص، وليسمع نجم الدين بوجه

أخص قائلاً له: يا أيوب!!! دون ذكر لقبه، وأمر بإبطال هذا المنكر، كما طالبه بإغلاق حانة تبيع الخمر، فأمر بإغلاقها واعتذر للشيخ. وهكذا يكون العلماء.

– ولما كثر طغيان المماليك وثقلت وطأتهم على الناس، فكر الشيخ فى هذا الطغيان وهذا التعالى منهم على الناس، وكيف يصلحه؟ وهو المصلح المجدد الذى لا يخاف فى إصلاحه أحداً، فهداه تفكيره إلى أن هؤلاء المماليك الأمراء أرقاء لا يجوز لهم أن يلوا إمارة، بل لا يصح لهم بيع ولا شراء ولازواج ولاطلاق إلا بأمر سيدهم، لأنهم رقيق مملوكو الرقاب، ورأى الشيخ أن الأصلح أن يباعوا وأن يوضع ثمن بيعهم فى بيت مال المسلمين، ثم يعتقهم من اشتراهم، فعندئذ يجوز لهم تولى الإمارة بشرط الصلاح. فأعلن ذلك.

فجزع المماليك وأخذوا يتحملون عليه بالشفاعات، وهو مصر على رأيه غير عابئ بشفاعاتهم.

فرفعوا الأمر للسلطان فأرسل إليه السلطان فلم يتحول عن رأيه وحكمه.

فغضب السلطان نجم الدين، ورأى أن الشيخ يتدخل فيما لا يعنيه.

وعلم الشيخ بغضب السلطان فلم يبال، بل أزمع الهجرة من مصر، فاكترى حميراً وحمل عليها أهله وأولاده ومشى خلفهم يريد الخروج من مصر إلى الشام، ففزع الناس فى القاهرة، وتبعوه لم يتخلف منهم رجل أو امرأة أو صبى، وفى مقدمتهم العلماء والصلحاء والتجار وأرباب الحرف.

فقيل للسلطان: إن ذهب الرجل ذهب ملكك، فارتاع السلطان، فركب بنفسه ولحق بالشيخ يترضاه وأطلق له أن يأمر بما يشاء.

ورجع الشيخ وأمر أن يُعقد المجلس ويُجمع الأمراء وينادى عليهم ليساوم فى بيعهم، وجعل لجلسة البيع موعداً.

وجاء المشترون، واشتط الشيخ فى أثمانهم.

وكان المماليك قد أعدوا من أشياعهم من يشتريهم، فاشتروهم، ووضع الشيخ ثمنهم فى بيت المال.

– وكان للشيخ رأيه فى الحكام والأمراء فى ذلك الوقت، إذ هم يرون لأنفسهم الحق فى إسكات كلمة الحق وطمسها أو تحريفها، فلابد إذن أن يقابلهم العلماء والمصلحون بما يردهم

إلى الحق وإلى الصواب.

وهذا ما قام به الشيخ خير قيام، وهذا هو الإصلاح حق الإصلاح.

– ومن مواقفه في مواجهة القوة والباطل ما رواه المؤرخون من أن نائب السلطان يومئذ – وكان من المماليك – هاله ما يطالب به الشيخ من بيع المماليك، فقرر أن يقتله في عقر داره.

فركب نائب السلطنة في عسكره وجاء إلى دار الشيخ واستل سيفه وطرق الباب بعنف، فخرج ابن الشيخ ورأى ما رأى، فانقلب إلى أبيه قائلاً له: انج بنفسك، إنه الموت، إنه السيف.

فقال له الشيخ غير مكترث بجزعه وخوفه: يا بني أبوك أقل من أن يُقتل في سبيل الله!!!

وخرج الشيخ إلى نائب السلطان الذي يشهر سيفه فنظر إليه وملء عينيه الجد والثقة في الحق، فوقع السيف من يد نائب السلطنة.

وتناول الشيخ السيف، فارتاع نائب السلطنة وتزلزل وأخذ يبكي ويسأل الشيخ أن يدعو له، ثم قال للشيخ: يا سيدي ما تصنع بنا؟ قال: أنادي عليكم وأبيعكم.

قال نائب السلطنة: وفيم تصرف ثمننا؟

قال الشيخ: في مصالح المسلمين.

قال: ومن يقبضه؟

قال الشيخ: أنا.

وتم للشيخ ما أراد من بيعهم – على نحو ما ذكرنا آنفا.

ومن القرن الثامن الهجري:

الحافظ السبكي، علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الأنصاري الخزرجي (٦٨٣ – ٧٥٦ هـ) شيخ الإسلام تقي الدين، أحد كبار الحفاظ المبشرين بالإسلام المناظرين عنه وعن الحق.

- وُلد السبكي في قرية سبك من أعمال محافظة المنوفية بمصر، وانتقل إلى القاهرة وتعلم في الأزهر وتفقه على والده، وأخذ القرآن والسنة عن الباجي تلميذ العز بن عبد السلام،

وأخذ علم الخلاف عن السيف البغدادى، والنحو عن أبى حيّان، وطلب الحديث بنفسه ورحل فيه إلى الإسكندرية وإلى الشام والحجاز.

وتولى التدريس فى المنصورية وجامع الحاكم وغيرهما بالقاهرة.

– وكان كبار الشيوخ والحكام يقدرونه، ويقضون بشفاعته الأعمال، ويستجيبون لما يطلب للناس من مصالح وحاجات.

– ولما تولى القاضى جلال الدين القزوينى قضاء دمشق، طلبه فى جماعة من العلماء ليختار منهم من يخلفه فى مكانه، فوقع الاختيار على تقى الدين السبكى فتولى قضاء دمشق فى شهر جمادى الآخرة من سنة ٧٣٩ هـ، وأضيفت إليه الخطابة فى الجامع الأموى، وتولى التدريس بدار الحديث الأشرفية.

● وقد كان تقى الدين السبكى مصلحًا مجدداً لأمر الدين فى مجالات ثلاث:

الأول:

العلم والتأليف:

وهذا التأليف لإصلاح العلماء وتجديد معلوماتهم وإضافة النافع المفيد إليهم، فقد كثرت مؤلفاته وتعددت موضوعاتها، وتناولت عديداً من المجالات التى تهم حياة المسلمين.

وكانت مؤلفاته تهدف إلى أهداف إصلاحية منها:

– تحرير عقول المسلمين من الأوهام التى كانت سائدة آنذاك.

– وتجلية حقائق الدين ووضعها أمام العلماء وعموم الناس، ليفيدوا منها فى معاشهم ومعادهم.

– وإصلاح ما يحتاج إلى إصلاح من أمور المسلمين.

وكان له من المؤلفات فى تفسير القرآن الكريم، وفقه المعاملات، والتربية، وكيفية إلقاء الدروس، وغيرها إنتاج كبير، غير فتاواه التى جُمعت فى أكثر من كتاب.

والمجال الثانى:

من مجالات الإصلاح هو وقوفه إلى جانب الحق مهما كان صاحبه ضعيفًا، وجرأته فى إحقاق الحق مهما كان منصب من كان عليه الحق أو مكانته.

وفى ذلك يقول الصَّفدى: «كان من جملة ما اتَّفَق: قضية حسام الدين الغورى وهو أحد الولاة إذ رفع بعض الناس قضايا ضده إلى السلطان، ففوض السلطان الحكم فيه إلى القاضى تقى الدين السبكى، فكان أن حكم بعزل حسام الدين من مناصبه، فنفذ القاضى عز الدين بن جماعة حكم تقى الدين السبكى، وسُفِّر حسام الدين الغورى من يومه إلى بلاده، وكان ذلك فى شهر شوال ن سنة ٣٤٢ هـ.

والمجال الثالث:

من مجالات إصلاحه، هو عمله الدائب على دفع الحاجة عن المحتاجين الذين يصل إليه علم بهم.

فقد كان متعوداً على تعهد الأيتام والمحاويج من ماله الخاص - على الرغم من أنه لم يكن من الأثرياء - وذلك أنه عندما توفى رحمه الله وجدوه مديناً بمائتين وثلاثين ألف درهم!!! وقد التزم ولداه: تاج الدين وبهاء الدين بالوفاء بها.

فأين كان ينفق هذه الآلاف من الدراهم؟

لا شك أنها كانت تنفق فى دفع الحاجة عن المحاويج واليتامى وأمثالهم، إذ كانت حياته على درجة كبيرة من الزهد والتقشف حتى قالوا: إن ملابسه كانت تقوم بثلاثين درهما فقط.

- ولقد جمع تقى الدين السبكى مجالات إصلاحه التى ذكرنا فى بيتين من الشعر له - فقد كان شاعراً مجيداً - هما:

إن الولاية ليس فيها راحة ... إلا ثلاث يبتغيها العاقل

حكم بحق، أو إزالة باطل ... أو نفع محتاج، سواها باطل

- ومن ثقة العلماء فيه أن قرظوا مؤلفاته وأشادوا بها فى كلمات وقصائد شعرية.

- وكان موضع ثقة الحكام والعلماء وعموم الناس:

أما الحكام فدليل ثقتهم فيه أن ولوه أرفع المناصب وأجلها قدرا، كالقضاء والخطابة، وتفويضه فى الحكم على الولاة.

وأما العلماء فقد كثرت كلمات الثناء عليه منهم.

فقد قال عنه الشيخ الإسنوى إبراهيم بن هبة الله (المتوفى سنة ٧٢١ هـ) فى كتابه: «الطبقات»: «كان تقى الدين السبكى أنْظَرُ[1] مَنْ رأينا من أهل العلم، ومن أجمعهم للعلوم وأحسنهم كلامًا فى الأشياء الدقيقة وأجلهم..».

وقال عنه العراقى: «انتصب للإقراء، وتفقه على يد ابن جماعة، وانتشر صيته، وتواليفه، ولم يخلِّف بعده مثله».

– وأما ثقة الناس فيه، فحسبه دليلا عليها ما كان يقوم به من قضاء حوائجهم عند الولاة والحكام، وما يدفع به عنهم الحاجة من ماله الخاص الذى يستدينه أحيانًا!!!

ومن القرن التاسع الهجرى:

الشيخ الحافظ تقى الدين المقريزى أحمد بن على بن عبد القادر (٧٦٦ – ٨٤٥ هـ).

أصله من بعلبك، ونسبته إلى حارة المقارزة إحدى حارات بعلبك، ولكنه ولد ونشأ ومات فى القاهرة.

وهو مؤرخ الديار المصرية فى عصره.

– سمع الحديث وأخذه عن جده لأمه شمس الدين بن الصائغ، وعن البرهان الآموى وغيرهما. ورحل إلى مكة وسمع من كثير من علمائها وأفاضلها.

وتولى عدداً من المناصب منها: نائب الحاكم، وكتابة التوقيع الذى يوقعه الحاكم على الرقاع التى ترفع إليه، كما تولى الحسبة فى القاهرة أى وظيفة المحتسب الآمر بالمعروف الناهى عن المنكر، وتولى الخطابة بجامع عمرو بن العاص، وجامع السلطان حسن، وتولى الإمامة بجامع الحاكم بأمر الله.

ودرّس الحديث بالمدرسة المؤيدية.

وتولى مناصب كثيرة فى دمشق حين دخلها مع الناصر بن الظاهر برقوق سنة ٨١٠ هـ وعرض عليه قضاء دمشق فأبى، وظل فى دمشق عشر سنوات يدرس ويتولى الخطابة وغيرها من المناصب، ثم استقر به المقام فى القاهرة وانقطع إلى العلم واشتغل بالتاريخ وألّف فيه

(١) أى أكثر علماء الكلام – التوحيد – إجادة للمناظرة.

مؤلفات مهمة هي مرجع الناس في تاريخ مصر السياسي والاجتماعي في هذه الحقبة من الزمان.

● وإنما اخترنا المصلح المجدد من القرن التاسع الهجري مؤرخًا وهو تقي الدين المقريزي، لما يراه كثير من العلماء والمؤرخين من أن هذا القرن التاسع الهجري – الخامس عشر الميلادي – أهم القرون التاريخية، بسبب ما كان فيه من أحداث وتغييرات في أحوال الدول في الشرق والغرب، ومن ذلك:

– أخذ الغربيون في غزو الهند – وهي آنذاك دولة مسلمة – وتعاملوا معها بقسوة وضراوة معروفة عن الأوربيين منذ الحروب الصليبية ومحاكم التفتيش في إسبانيا، وإلى يومنا هذا، فأصبح الشرق كله بعد غزو الهند في خطر استمر حتى اليوم.

– وفي هذا القرن اكتُشفت أمريكا من الناحية الغربية من الهند وسموا أهلها الهنود الحمر، وهذا حدث له قيمة كبرى من الناحية التاريخية.

– وفي هذا القرن حدثت في مصر وفي العالم الإسلامي حركة إفاقة قوية بسبب ما تركته الحروب الصليبية في مصر والشام من نتائج فظيعة وآثار سيئة.

● ومن طلائع المؤرخين الذين رصدوا أحداث هذا القرن:

عبد الرحمن بن خلدون الذي توفي سنة ٨٠٨ هـ في مطلع هذا القرن، في تاريخه المعروف باسمه.

والمقريزي من تلاميذ ابن خلدون في التاريخ ومدرسته.

وله من المؤلفات التاريخية المهمة الكتب التالية:

– المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار «خطط المقريزي».

– وعقد الجواهر الأسفاط في أخبار مدينة الفسطاط، وهو تاريخ لمصر الإسلامية في عهد الولاة.

– أتعاظ الحنفا بأخبار الخلفا – في دولة الفاطميين بمصر.

– والسلوك لمعرفة دول الملوك – في تاريخ الدولتين الأيوبية والمملوكية.

● وإنما نعُد المقريزي من المصلحين المجددين لتأليفه كتابين شهيرين غير ما ذكرنا من كتبه هما:

– كتاب : النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم .

– وكتاب : المجاعات والطواعين – المسمى : إغاثة الأمة بكشف الغمة .

● ففى الكتاب الأول : «النزاع والتخاصم . .» ردّ أسباب الخلاف بين نبى أمية وبنى هاشم إلى عصبيات الجهالة القديمة، وأفاض فى بيان ذلك، محذراً المسلمين من الوقوع فى مثل هذه الجهالة أو تلك العصبية، وكان العالم الإسلامى فى هذا القرن تفشو فيه الخصومات والمنازعات وأصبح – بعد أن كان دولة – دويلات!! وتلك نزعة إصلاحية عميقة عند الشيخ يحمد عليها وتعد له فى مجال الإصلاح والتجديد، والدعوة إلى وحدة الأمة وطرح خلافاتها .

نعم لم يتحدث المقريزى عن هذه الدعوة بشكل مباشر – ولو فعل لكان واعظا لا مؤرخا، ولكن قراءة كتابه توقظ فى نفوس المسلمين العمل على الوحدة والاتحاد، ونبذ أسباب الفرقة والتنازع والخصام .

● وفى الكتاب الثانى : «المجاعات والطواعين» ردّ أسباب المجاعات إلى سوء تدبير الزعماء والحكماء، وغفلتهم عن النظر فى مصالح العباد، وفى هذا ما فيه من دعوة الحكام إلى الإصلاح برعاية مصالح العباد، وإلى حسن تدبير الحكم والأخذ بأسباب العدل .

وكأنه يقول للحكام : حصنوا بلادكم التى تحكمون بالعدل، ونقوها من الظلم، تتحول عنكم المجاعات والطواعين، ويبارك لكم الله فيما أعطاكم ويرزقكم من حيث لا تحتسبون، لم يقل ذلك صراحة وإنما قاله ضمنا .

● فهو بهذين الكتابين مصلح مجدد لأمر الدين والدنيا معًا .

● وحسب المقريزى فضلاً وفخراً أن سمى كتابه الأم فى التاريخ : سماه المواعظ والاعتبار . . . ليقول للقارئ اتعظ واعتبر بما تقرأ، فالتزم الحق وابتعد عن الباطل، وخذ لأمر نفسك ودينك من هذه المواعظ والاعتبارات ما ينجيك مما يغضب الله تعالى .

وكذلك تسميته أحد كتبه : «إغاثة الأمة بكشف الغمة» دليل على رغبة أكيدة عنده فى الإصلاح والتجديد، وإذا كانت التسمية للكتاب لها هذه الدلالة، فما بالنا بما أثار فى الكتاب من قضايا ومسائل(١)؟

---

(١) نشر هذا الكتاب فى مصر بتحقيق : محمد مصطفى زيادة، وجمال الدين الشيال – دار الفكر – القاهرة .

● ومن مؤلفاته:

- إمتاع الأسماع بما للرسول ﷺ من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع - وقد نشر بمصر بتحقيق محمود محمد شاكر.

- والبيان المفيد فى الفرق بين التوحيد والتلحيد.

- والدرر المضيئة فى تاريخ الدول الإسلامية - من مقتل عثمان رضى الله عنه إلى المستعصم آخر خلفاء بنى العباس.

وكتب كثيرة بلغت فى مجموعها سبعة وعشرين كتابًا ما بين مخطوط منها ومطبوع.

● وكان المقريزى موضع ثقة الحكام إذ تولى هذه المناصب التى ذكرنا. وموضع ثقة العلماء والمؤرخين حتى من انتقده منهم كالسخاوى المؤرخ صاحب كتاب: «الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع» فقد قال عن المقريزى: «إن المقريزى على جانب عظيم من حسن الخلق وكرم العهد، وكثرة التواضع، وعلوّ الهمة لمن يقصده، والمحبة فى المذاكرة، والمداومة على التهجد والأوراد، وحسن الصلاة ومزيد الطمأنينة والملازمة لدينه، وأنه حُمِدتْ سيرته فى مباشراته» أى فى الأعمال التى تولاها وباشرها.

ومن القرن العاشر الهجرى:

علي بن عبد الملك حسام الدين المتَّقِي الهندى ثم المدنى فالمكى (٨٨٨ - ٩٧٥ هـ) ولقب أيضًا بعلاء الدين، فقيه من علماء الحديث.

● أصله من «جونفور» ومولده في رهانور.. من بلاد الدكن بالهند - سكن المدينة المنورة، وأقام بمكة مدة طويلة، وتوفى بها وقد جاوز خمسة وثمانين عامًا.

- وتلقى العلم فى الهند على مشايخها ومنهم الشيخ حسام الدين الملتانى.

- ولما رحل إلى الحرمين الشريفين سنة ٩٥٣ هـ تلقى العلم عن الشيخ أبى الحسن البكرى وصحبه.

وفى مكة تلقى العلم على يد الشيخ ابن حجر الهيتمى (٩٠٩ - ٩٧٤ هـ) شيخ الإسلام الفقيه الشافعى المصرى.

وعمل بالتدريس والتأليف.

● وله مؤلفات عديدة بلغت مائة مؤلف كما قال: صديق حسن خان فى كتابه: أبجد

العلوم[١].

● على أن أوسع مؤلفاته وأجمعها - وأهمها عندى - هو موسوعته التى سماها: كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال.

وهو يشبه جمع الجوامع للسيوطى رحمه الله، بل فيه كثير من النقل عنه، مع اختلاف فى المنهج.

فنهج السيوطى فى كتابه: جمع الجوامع أو الجامع الكبير، قد اشتمل - كما قال السيوطى فى مقدمته - : على واحد وسبعين كتاباً من كتب الحديث، على رأسها صحيح البخارى ومسلم وسائر الصحاح ثم السنن، ثم المسانيد، حتى لقد جمع فيه أحاديث أربعة عشر مسنداً، ثم المعاجم، وغيرها من كتب السنة.

ومنهج تقى الدين الهندى فى كتابه كنز العمال... هو ترتيب ما جمع السيوطى فى كتابه جمع الجوامع على أبواب الفقه، ليسهل على الراغب الاهتداء إلى الحديث فيه[٢].

● وكتاب: «كنز العمال..» عمل علمى جليل فى هذا القرن العاشر الهجرى، توفر عليه المتقى الهندى، وبذل فيه من الجهد ما نسأل الله أن يجزيه عنه أحسن الجزاء.

وقد بلغ عدد أجزاء الكتاب فى طبعة مؤسسة الرسالة ببيروت ستة عشر جزءاً فى ستة عشر مجلداً.

● ونود أن نؤكد أن العكوف على تأليف هذا الكتاب وبذل هذا الجهد فيه، لتيسير سنة رسول الله ﷺ لمن أراد، عمل إصلاحى تجديدى له وزنه العلمى فى هذا القرن، بل فى غيره من القرون؛ فما آفة المسلمين فى أى عصر، وما سبب تأخرهم أو ضعفهم إلا بُعْدُهم عن السنة النبوية المطهرة.

وكل مَنْ يَسَّر للمسلمين الاطلاع على سنة الرسول ﷺ ليتمسكوا بها عن علم ومعرفة، فهو بغير شك مصلح لأحوال المسلمين مجدد لأمر دينهم بعثه الله فى القرن الذى عاش فيه ليجدد للمسلمين أمور دينهم.

● وللشيخ المتقى الهندى مؤلفات علمية إصلاحية أخرى نذكر منها:

- الحكم العرفانية فى معانٍ إرشادية وإشارات قرآنية.

---

(١) سوف نذكر صديق حسن خان على أنه المصلح المجدد فى القرن الثانى عشر الهجرى بإذن الله تعالى.

(٢) وقد فعل ذلك الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا فى مسند الإمام أحمد.

- والرتبة الفاخرة فى نصائح الملوك.

- والمواهب العلية فى الجمع بين الحكم القرآنية والحديثية.

● وأستطيع القول: بأن كل من عمل فى جمع أحاديث النبى ﷺ أو تبويبها أو شرحها أو استنباط الأحكام الشرعية منها، أو اعتنى بعلومها وأصولها هو من غير شك من المصلحين المجددين، وهو إن شاء الله من المأجورين عند الله أجرًا حسنًا.

● وكل من اهتم بالسنة النبوية على نحو من أنحاء الاهتمام فهو موضع ثقة العلماء، ومحل تقديرهم واحترامهم. وقد كان الشيخ المتقى الهندى من أجل عمله بالسنة يحظى بثقة العلماء المسلمين وتقديرهم سواء من معاصريه أو من الذين أتوا بعده.

- ومنهم: الشيخ عبد الحق الدهلوى (٩٥٩ - ١٠٥٢ هـ) صاحب كتاب زاد المتقين فى سلوك طريق اليقين. ترجم فيه للشيخ المتقى الهندى ترجمة حافلة اثنى فيها عليه وذكر أحواله الشريفة فى خمسة أبواب.

- ومنهم: الشيخ عبد القادر بن أحمد الفاكهى الذى ألّف فى الشيخ المتقى الهندى كتابًا سماه: «القول النقى فى مناقب المتقى وفى سيرته أيضًا».

- ومنهم: الشيخ عبد الوهاب المتقي الذى ألّف كتابًا فيه سماه: «إتحاف التقى فى فضل الشيخ على المتقى وسيرته.

- ومنهم الشيخ صديق حسن خان (١٢٤٨ - ١٣٠٧ هـ) الذى قال عن الشيخ المتقى: «وقفت على تواليفه فوجدتها نافعة ممتعة..».

ومن القرن الحادى عشر الهجرى:

المُلأ على بن محمد سلطان، الهروى المعروف بالقارى المتوفى سنة ١٠١٤ هـ.

وهو فقيه حنفى يعد من صدور العلم فى عصره.

ولد فى هراة، وانتقل إلى مكة المكرمة وسكنها وتلقى العلم على علمائها ومشايخها، وعاش فيها إلى أن توفاه الله بها.

- قالوا عنه: إنه كان يكتب بخط يده فى كل عام مصحفًا شريفًا، وعليه طرز من القراءات والتفسير، فيبيعه، فيكفيه قوته من العام إلى العام.

● وقد ألف كتبا كثيرة فاقت المائة – كما عدها إسماعيل باشا البغدادى فى كتابه :« هدية العارفين فى أسماء المؤلفين وآثار المصنفين »(١).

● ومن أبرز هذه الكتب التى جعلتنا نعده من أجلها من المصلحين المجددين تلك الكتب التى ألفها يلح فيها على وجوب التمسك بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم القولية والفعلية، وغير أن اهتمامه بصفات الرسول ﷺ وشمائله كان أكبر وأكثر، فهو يريد من المسلمين القدوة العملية به ﷺ.

● وهو يرى أن الناس إذا تمسكوا بسنة الرسول ﷺ واقتدوا به واتخذوه أسوة فى صفاته وأخلاقه وشمائله، استطاعوا بذلك أن يهتدوا إلى الطريق القويم، وإلى الصراط المستقيم، وأن يعزوا وأن يسودوا، وأن يبنوا دولتهم بل حضارتهم بناء قويا راسخا.

ومن هذه الكتب :

١– شرح الشمائل – والشمائل كتاب للإمام الترمذى صاحب السنن – عليه رحمة الله.

شرحه الملا على القارى فى كتاب سماه : « الشمائل النبوية والخصائل المصطفوية ». وقد شرح فيه كتاب الشمائل للترمذى المتوفى ٢٧٩هـ. بتوسع استهدف فيه وصف أخلاق النبى ﷺ بإسهاب وتفصيل، ليتعلم المسلمون كيف يتأسون به ﷺ، فيحظون بسعادة الدنيا والآخرة.

٢– وشرح الشفا فى التعريف بحقوق المصطفى ﷺ، وهو كتاب جامع فى حقوق النبى ﷺ على أمته وفيه بيان لصفاته وأخلاقه ﷺ ألفه القاضى عياض المتوفى سنة ٥٤٤هـ.

وقد شرحه الشيخ الملا على القارى بتوسع وإسهاب كما فعل فى كتاب الشمائل للترمذى.

● فهذا جانب من كتبه جعله فى مصاف المصلحين المجددين لأمر الدين فى نفوس المسلمين، لأن إحياء السنة النبوية فى نفوس الناس وفى أخلاقهم إصلاح لهم ليس كمثله إصلاح، وإصلاح بالتالى للأسرة وللمجتمع كله وللحاكم والدولة والولاة وكل ذى رعية مسئول عنها بين يدى الله تعالى.

---

(١) طبع هذا الكتاب فى مجلدين كبيرين من القطع الكبير فى مدينة إستانبول سنة ١٩٥١.

وفى إحياء السنة قمع للبدعة أى دفع للضرر عن الناس ورفع للحرج عنهم، وذلك هدف القرآن والسنة: جلب المصالح للناس ودفع المضار عنهم.

– ومن أهم كتبه فى الإصلاح والتجديد عدد من الرسائل دافع فيها عن العقيدة الصحيحة، ودحض فيها حجج أهل الباطل والضلال والزيغ عن الحق والانحراف عن الصراط المستقيم، وهذه الكتب أو الرسائل من أقربها عندى – للدلالة على مذهبه الإصلاحى – رسالتان:

الأولى منها:

رسالة فى الرد على ابن العربى فى كتاب له روج فيه مذهبه الضال وعقيدته الفاسدة فى قوله بالحلول والاتحاد ونحو ذلك، وكتاب ابن العربى (٦٠٥–٦٣٨هـ) هو: الفصوص «فصوص الحكم» وعن ابن العربى هذا – وهو غير ابن العربى القاضى – قال الذهبى: «هو قدوة القائلين بوحدة الوجود»(١).

فكتب الشيخ الملا على القارى رسالة فى الرد على ابن العربى وعلى كتابه ليقمع الزيغ والضلال عن عقيدة التوحيد.

والرسالة الثانية:

سماها: «سلالة الرسالة فى ذم الروافض وأهل الضلالة»، وفى هذه الرسالة يبطل حججهم ويفند أقوالهم، وفى ذلك تحذير للمسلمين منهم، وهذا من صميم الإصلاح والتجديد.

ومن القرن الثانى عشر الهجرى:

الشيخ محمد صديق بن حسن بن على الحسينى البخارى القنوجى (١٢٤٨–١٣٠٧هـ) المشهور باسم صديق حسن خان، ولقبه: أبو الطيب.

– ولد فى بلدة قنوج من بلاد الهند، ويرجع نسبه الى زين العابدين على بن الحسين بن على ابن أبى طالب رضى الله عنهم.

وتلقى العلم على شيوخ عصره، ومنهم:

---

(١) هو محمد بن على ابن العربى المشهور بمحيى الدين فيلسوف يسمونه الشيخ الأكبر. ولد فى الأندلس ونشأ فيها وزار بلاداً إسلامية عديدة، ولما نزل مصر انكر عليه علماؤها مذهبه ومقالاته وشطحاته، فحبس ثم أخرج من الحبس فذهب إلى دمشق واستقر فيها إلى أن مات، له أكثر من ٤٠٠ كتاب ورسالة فى الفلسفة والتصوف وجمع بعض الأحاديث النبوية والقدسية.

● الشيخ الفاضل المفتى محمد صدر الدين خان الدهلوى.

● والقاضى حسن بن محسن السبعى.

● والشيخ المعمر الصالح عبد الله بن فضل الهندى.

– ثم عكف على المطالعة فى شتى العلوم والفنون، بما أغناه من الاستفادة من أبناء الزمان، وتبحر فى التفسير والحديث، ثم رحل إلى بهوبال من بلاد الدكن بالهند فأقام بها، وتوطن وأخذ الدار والسكن.

وقد تزوج من ملكة بهوبال – وهى امرأة مسلمة صالحة، أعانته وشجعته، وطبعت كثيرا من كتبه – ومن كتبه المطبوعة ما ذكره المؤلف بنفسه:

– أبجد العلوم – فى مجلدات ثلاثة.

– وإكليل الكرامة فى تبيان مقاصد الإمامة.

– وبلوغ السول فى أقضية الرسول ﷺ.

– والحطة بذكر الأصول الستة.

– وخبية الأكوان فى افتراق الأمم على المذاهب والأديان.

– ورياض الجنة فى تراجم أهل السنة.

– وعون البارى بحل أدلة البخارى – فى أربع مجلدات.

– والعبرة مما جاء فى الغزو والشهادة والهجرة.

– وغنية القارى فى ترجمة ثلاثيات البخارى.

– وفتح البيان فى مقاصد القرآن – فى عشر مجلدات.

وله عشرات الكتب الأخرى ما بين مخطوط ومطبوع.

● وقد كان صديق حسن خان مصلحا مجددا للدين بمؤلفاته وأعماله وسياساته، ومشاركته أهله فى الحكم والإصلاح والتجديد فى إعمار البلاد وبناء المساجد وحفر الآبار وغرس الحدائق والأشجار.

وكان مجددا بإحيائه السنة وإماتته البدعة، وخلع أسباب الفجور والفسوق، وتطهير الديار من أدناس الإشراك، وخبيث البدع والضلالات.

– ومن ثقة العلماء فيه يصفه الشيخ الفاضل المولوى عبد البارى السهسوانى بقوله:

«.. وبالجملة فهذا زمان الجور والجهل والتبعات، وأوان فيه ظلمات فوقها ظلمات، ولكن حيث سبق الوعد من خير البشر بوجود من يجدد أمر الدين على رأس كل مائة من السنين، من الله تعالى على أهل الأرض – لاسيما على من ميز بين النفل والفرض – بنخبة علمائها وعمدة عرفائها.. من نشر الشرائع الدينية والأحكام النبوية، وعمر بيت العلم والدين غِب ما انهدم وخرب.. واجتهد فى تحقيق الحق، ودون أحكام السنة المطهرة على وجهها..».

ومن القرن الثالث عشر الهجرى:

الشيخ محمد تقى الدين الشيرازى بن محب بن على الحائرى (١٢٧٨–١٣٣٨هـ) وهو إمام مجتهد إمامى، يعد من أركان الثورة العراقية ضد الإنجليز سنة ١٩٢٠م سنة وفاته؛ إذ كان أول من دعا إلى الثورة على الإنجليز من علماء الدين.

– ولد بشيراز فى فارس، ونشأ فى الحائر، وانتقل إلى العراق فأقام بسامراء، وأجمع عليه حملة الفكرة الاستقلالية ومقاومة الاحتلال الإنجليزى، ففى النجف ولوه زعامتهم الدينية وقيادتهم الثورية، فانتقل إلى كربلاء، ومن هناك أصدر فتواه التى قال فيها: «إن المسلم لا يجوز له أن يختار غير المسلم حاكما عليه».

● وكان لهذه الفتوى أثر قوى فى إيقاظ الثورة ضد الإنجليز، وتحدى الإنجليز هذه الثورة، فلم يستطع الشيرازى أن يعمل ضدهم فى العلن، فألف مجلسا سريا للثورة كان من أعضائه:

– مهدى الخالص.

– وأبو القاسم الكاشانى.

– ومحمد على هبة الدين الشهرستانى.

– أحمد الخراسانى.

– ومحمد رضا الشيرازى.

وتوالت اجتماعات هذا المجلس، واتصل أعضاؤه برؤساء العشائر فى الفرات، وأوفدوا السيد هادى زوين إلى بغداد فقابل كبراءها، ثم عاد إلى كربلاء ومعه محمد جعفر أبو التمن

– وهو من زعماء الحركة الوطنية فى العراق وممن قاوموا الاحتلال الإنجليزى، وبرز نشاطه فى ثورة ١٩٢٠هـ.

● وعقد الشيرازى اجتماعا، وقرر المجتمعون أن يكتبوا إلى السلطة البريطانية يطالبونها بإنجاز ما وعدت به من استقلال العراق، فإن لم تف بما وعدت بدأوا العمل.

– وكتب الشيرازى إلى القبائل الإمامية فى السماوة والرميثة بالاستعداد للثورة.

وكتب رسالة عامة إلى أهل العراق جميعا، جاء فيها: «إن إخوانكم فى بغداد والكاظمية والنجف وكربلاء وغيرها اتفقوا على القيام بمظاهرات سلمية، وقد قامت جماعات منهم بتلك المظاهرات، طالبين حقوقهم المشروعة المؤدية إلى استقلال العراق إن شاء الله بحكومة إسلامية، فعليكم أن توفدوا مندوبيكم إلى بغداد للمطالبة بهذه الحقوق، وإياكم والإخلال بالأمن أو التشاجر فيما بينكم، وأوصيكم بالمحافظة على جميع الملل والنحل التى فى بلادكم..» وجاء فى التوقيع: الأحقر محمد تقى الحائرى الشيرازى.

– وتتابعت الوفود إلى بغداد، ولكن الإنجليز ماطلوا ولم يفوا –وهى عادتهم وعادة كل غاصب محتل– ثم استعملوا الشدة مع هذه الوفود.

فكان من جملة ما أفتى به الشيخ تقى الشيرازى: «إن المطالبة بالحقوق واجبة على العراقيين، وعليهم رعاية السلم والأمن، ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية إذا امتنع الإنجليز عن قبول مطالبهم».

– وظل الشيخ محمد تقى الدين الشيرازى يخطط لهذه الثورة ويحشد لها، حتى وافاه أجله قبل اندلاعها سنة ١٩٢٠م.

فهو بهذا التخطيط وذاك العمل وذلك التنظيم مصلح مجدد أمضى حياته فى الإصلاح والتجديد، وحسبه فى ذلك ما بذل من جهد فى الثورة العراقية ضد الإنجليز المحتلين الغاصبين الغادرين الناكثين لعهدهم وما وعدوا.

– وقد دفن الشيخ محمد تقى الدين الشيرازى بكربلاء، ورثاه العلماء والشعراء والأدباء الذين وثقوا فيه واجتمعوا عليه وأسلموه زمامهم وقيادتهم.

ومن القرن الرابع عشر الهجرى

السيد الشيخ محمد رشيد رضا بن على رضا القلمونى (١٢٨٢–١٣٥٤هـ).

- ولد ونشأ فى قلمون بطرابلس الشام، وتعلم فيها، وفى طرابلس، وهو بغدادى الأصل حسنى النسب.

وقد التحق بالمدرسة الوطنية الإسلامية بطرابلس وهى المدرسة التى أنشأها الشيخ حسين الجسر، الذى كان أستاذا لمحمد رشيد رضا وموجها له، بل معجبا بذكائه وإخلاصه فى طلب العلم.

- غير أن الوصف الملائم لمحمد رشيد رضا هو أنه شاب نشأ فى طاعة الله وعبادته، فهو من بيت علم وصلاح وتقوى.

● ولقد بدأ الشيخ محمد رشيد الإصلاح بإرادته ورغبته الشديدة، وفقهه لسبب النجاح فى الإصلاح فانكب على علوم الدين وأخلاقه يصقل بها قلبه وعقله وجوارحه فأصلح نفسه أولا، ثم انبرى لإصلاح غيره آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر، لا يخاف فى الحق لومة لائم.

وقد بدأ ذلك وهو فى سن العشرين تقريبا، وكان لا يزال طالبا فى المدرسة الوطنية الإسلامية.

● لقد كان رحمه الله من المصلحين المجددين لأمر الدين فى عصره، ومما يؤيد ذلك ويعززه تلك المواقف التى كانت له إزاء أحداث بعينها، منها:

- تصديه للمولوية - وهى طريقة جلال الدين الرومى - حيث رأى الشيخ غلمانا مُرْداً يرتدون ملابس بيضاء ويرقصون أمام شيخ الطريقة ثم يركعون له عندما يمرون أمامه فى تكية المولوية، فاعترض على ذلك وأعلن أنه حرام لا يجوز عمله ولا تجوز مشاهدته، وعلى الرغم من معارضته فى ذلك أستاذه حسين الجسر، إلا أنه لم يكف عن مهاجمة هذا المنكر.

- وكان داعية إلى الإسلام وإلى مبادئه وقيمه لا تفارقه أعمال الدعوة على أى حال، ففى المسجد فى خطبة الجمعة، وفى الدروس التى يلقيها على الناس، وفى اهتمامه بتعليم النساء، وفى عظته لأصحاب السلطان المنكبين على الملذات والشهوات ولبس الذهب والحرير، وفى عظته للحكام دون مهابة، كما فعل مع حاكم بيروت الذى وعظه بأن يطمئن فى صلاته، ووعظه لحاكم طرابلس فى حضرة والد الشيخ، فى كل ذلك لم تفارق الشيخ أخلاق الداعية إلى الله، ولا وسائله، فكان هذا منه إصلاحا على المستوى الاجتماعى من الإصلاح.

- ثم اتجه الشيخ إلى الإصلاح السياسى للوطن الإسلامى كله، وكان أستاذاه فى ذلك التوجيه السيد جمال الدين الأفغانى، والشيخ الأستاذ الإمام محمد عبده، وما يكتبانه فى جريدة العروة الوثقى التى تصل إلى طرابلس من فرنسا، وكانت مجلة هادفة تربى الناس على قيم الدين وعلى كراهية المستعمر والثورة عليه، حتى إن الزعيم العراقى الأكبر آنذاك السيد سلمان الكيلانى نقيب الأشراف كان يقول كلما جاءه عدد من العروة الوثقى :«يوشك أن تقع ثورة من تأثير هذه المجلة قبل أن يجيء العدد الذى بعد هذا».

فأعانت هذه المجلة السيد محمد رشيد رضا على معرفة المنهج الصحيح للإصلاح، إذ كانت المجلة قد نشرت منهجها فى الإصلاح فى العدد الأول منها.

- ولما التقى السيد محمد رشيد رضا بالشيخ الإمام محمد عبده فى سوريا سنة ١٣١٢هـ ولازمه من أول النهار إلى وقت النوم يغترف من علمه وما تسفر عن مناقشاته، تعمق فى فهمه منهج إصلاح الأمة الإسلامية سواء أكان إصلاحا سياسيا كما يرى جمال الدين الأفغانى أم علميا ثقافيا تعليميا كما يرى الشيخ محمد عبده، واستطاع بذكائه واستعداده أن يمزج فى إصلاحه بين المنهجين.

- ومن جهوده الإصلاحية إصداره مجلة (المنار) فى مصر أسبوعية ذات ثمان صفحات، حيث صدر العدد الأول منها فى الثانى والعشرين من شهر شوال سنة ١٣١٥هـ الموافق ١٨٩٨/٣/١٧م.

وفى العدد الأول نشر كلمة عن الأهداف التى تسعى الصحيفة لتحقيقها، وأول هذه الأهداف هو:

- نشر الإصلاحات الاجتماعية والدينية والاقتصادية

وسائر الأهداف هى:

- إقامة الحجة عن أن الإسلام باعتباره نظاما دينيا لا يتنافر مع الظروف الحاضرة.
- والقضاء على الخرافات والاعتقادات الدخيلة فى الإسلام.
- ومحو الأفكار الخاطئة السائدة عند كثير من الناس عن القضاء والقدر.
- ومحاربة ما دخل على العقائد من بدع الاعتقاد فى الأولياء، وما تمارسه بعض الطرق الصوفية من بدع وضلالات.

– والحض على ترقية التعليم العام وإصلاح كتب التدريس وطرائق التعليم.

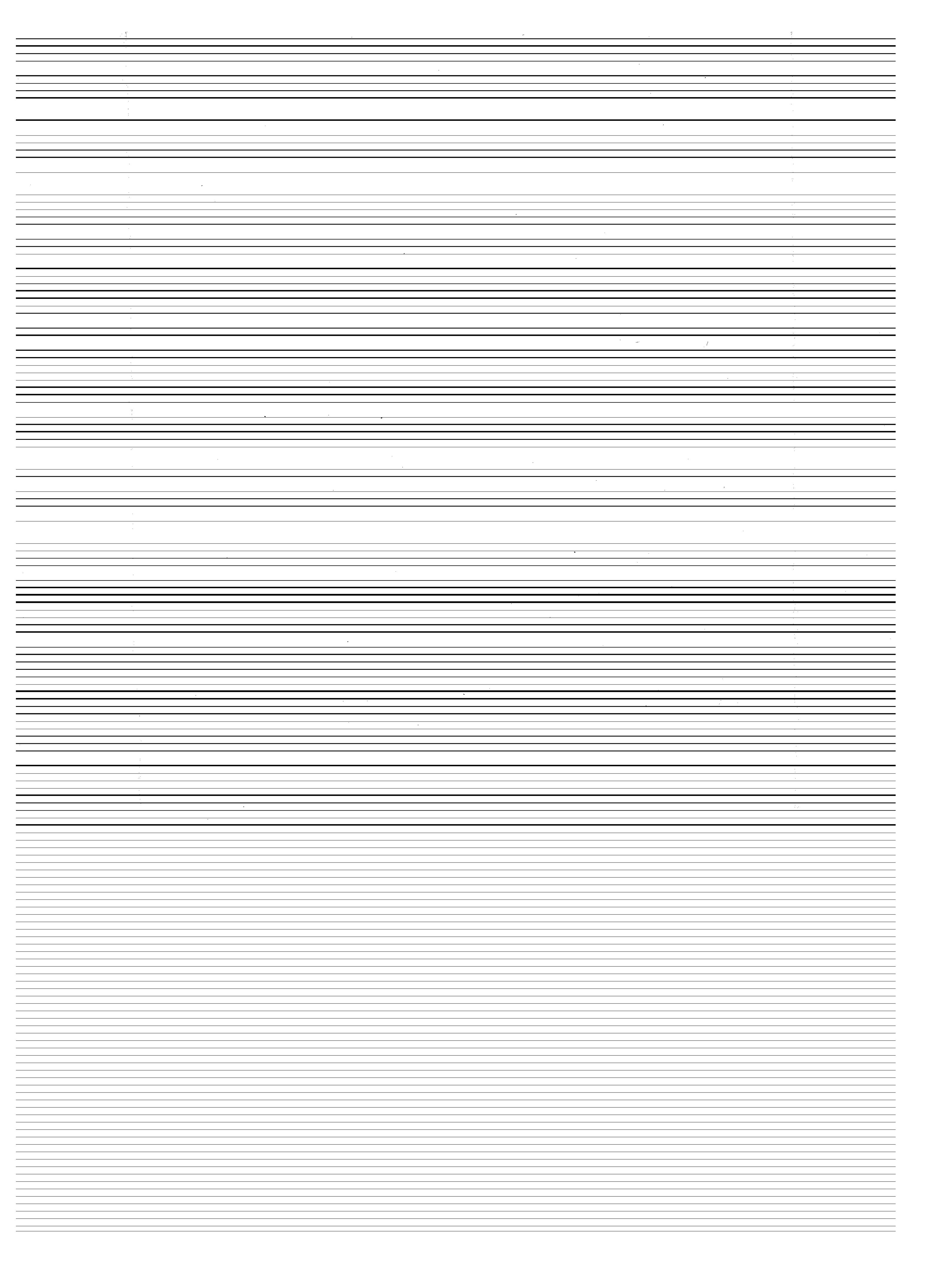
– ودفع الأمة الإسلامية إلى مباراة الأمم الأخرى فى جميع الأمور الضرورية لتقدم الأمم.

هذا هو السيد محمد رشيد رضا المصلح المجدد فى القرن الرابع عشر الهجرى، الذى كان موضع ثقة القاصى والدانى، وأساتذته وتلاميذه، وكل من تعامل معه.

وبعد: فتلك نماذج للمصلحين المجددين عبر قرون الإسلام كانت الثقة بينهم متينة وكانت ثقة الناس بهم كبيرة، وكذلك ثقة بعض الحكام الصالحين.

وتلك هى الكلمات التى أحببت أن أكتبها عن الثقة بين المصلحين والمجددين، أرجو أن ينتفع بها المصلحون المجددون اليوم وفى كل زمان أيا إن شاء الله.

وإلى الحديث عن لب الكتاب وجوهره وهو ركن الثقة كما رآها المصلح المجدد الإمام حسن البنا رحمه الله.



الباب الثاني

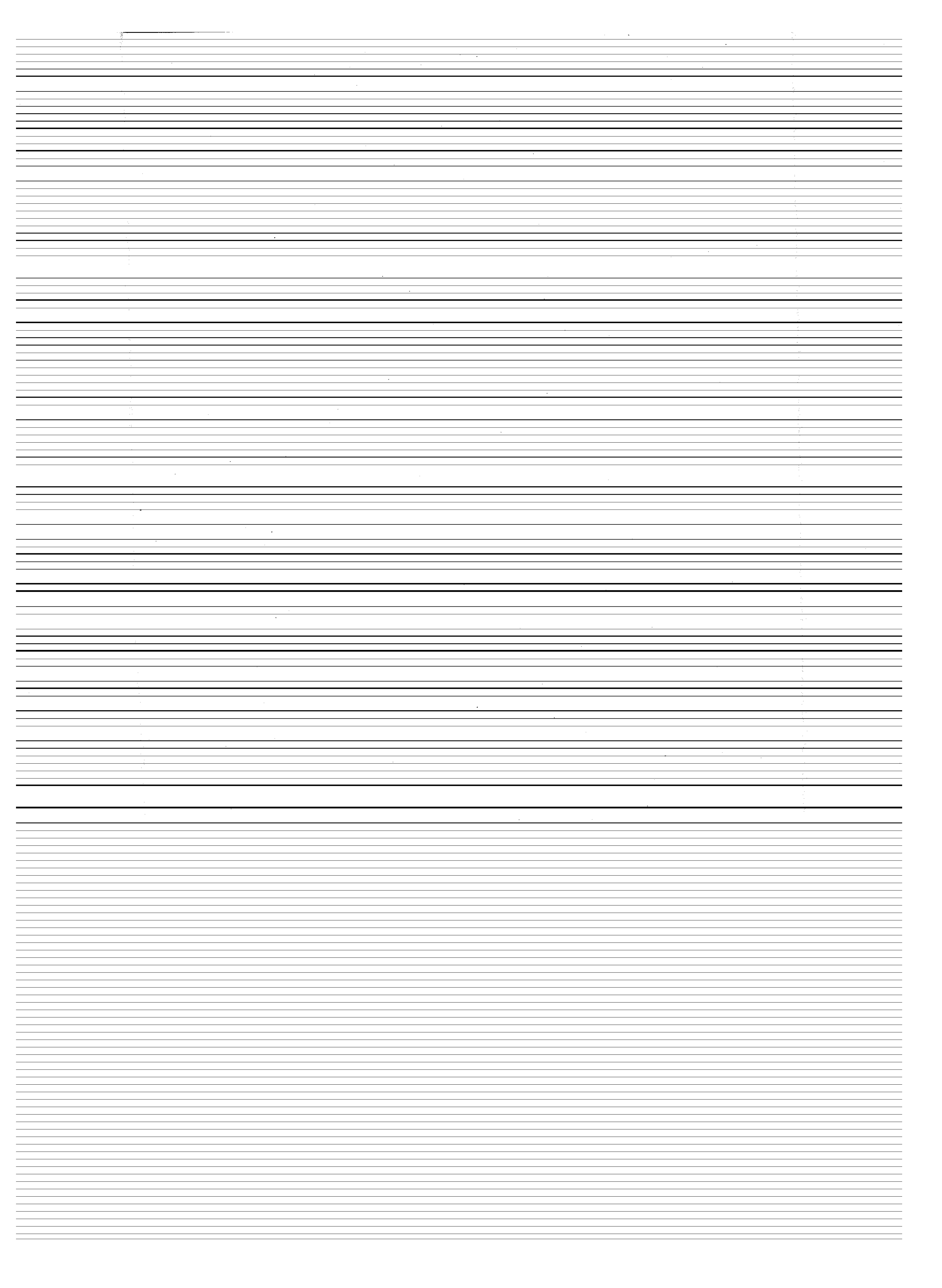
شرح كلمة الإمام البنا فى الثقة

وفيه فصول ثلاثة :

الفصل الأول : مفهوم الثقة وأبعادها .

والفصل الثاني : حقوق القيادة فى الدعوة إلى الله .

والفصل الثالث : واجبات الأخ الصادق نحو قيادته .



تمهيد لهذا الباب من الكتاب

في هذا الباب الثاني من الكتاب نلقي ضوءا يشرح ويحلل كلمة الإمام البنا في الركن العاشر من أركان البيعة: ركن الثقة.

● بعد أن قمنا بتأصيل مفهوم الثقة في الباب الأول من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وتاريخ الصحابة رضوان الله عليهم، ومشاهير القرون الثلاثة الأولى خير القرون.

وبعد أن قدمنا أنموذجا من كل قرن من القرون الأربعة عشرة الهجرية، وأوضحنا في هذا الأنموذج المصلح المجدد كيف كانت الثقة فيه مؤكدين حقيقة حرصنا على إيضاحها وهي أن بناء المجتمع المسلم لا يتم على وجهه الصحيح إلا إن كان بناته ومصلحوه يثق بعضهم في بعض، بل يحب بعضهم بعضا.

وفي هذا الباب الثاني نبذل من الجهد والطاقة ما يسره الله لنا لشرح كلمة الإمام البنا الوجيزة في الثقة، محاولين أن نرد كل جملة فيها إلى أصلها الذي نبعت منه من الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة.

وقد أقمنا هذا الباب على ثلاثة فصول:

الفصل الأول:

وفيه نشرح مفهوم الثقة عند الإمام البنا رحمه الله ونحللها، ونعرف آثارها وأبعادها في القيادة وفي الأخ الصادق الذي يبايع على الثقة، موضحين مكانة القيادة في الدعوة إلى الله وفاعليتها.

والفصل الثاني:

نتحدث فيه عن حقوق القيادة في الدعوة إلى الله وواجباتها نحو العمل ونحو الأخوة الصادقين، وقد صاغها الإمام البنا في أبعاد أربعة كل منها يدل على الحق والواجب، وهذه الأبعاد هي: حق الوالد وواجبه، وحق الأستاذ وواجبه، وحق الشيخ وواجبه، وحق القائد وواجبه.

واعتبار أنَّ ممارسة هذه الحقوق والواجبات هى الأسباب الرئيسية فى نجاح الدعوة إلى الله.

والفصل الثالث:

نتحدث فيه عن واجبات الأخ الصادق نحو قيادته، وقد تمثلت فى كلمة الإمام البنا عن الثقة فى ستة واجبات:

التعارف، والطاعة فى غير معصية، والتسامح بالتنازل عن الرأى الشخصى من أجل القيادة، وإخضاع الظروف الشخصية للدعوة، وإعطاء القيادة حق الترجيح بين المصلحة الشخصية ومصلحة الدعوة.

تمهيد لهذا الباب

وفى التمهيد للباب الثانى من الكتاب نقول:

إن للثقة مفهوما واسعا وشاملا عند بعض العلماء والباحثين والمصلحين والمجددين، فكل منهم هو ابن عصره الذى عاش فيه، وعايش مشكلاته وقضاياه، وبدت له فيه وفى إصلاح عيوبه رؤى تختلف عن رؤى العلماء والمصلحين الذين سبقوه، وبالتالى ستختلف عن رؤية من يأتون بعده من المصلحين، وتلك سنة عامة لا تتغير، بل هذا هو الذى يجعل هؤلاء العلماء والمصلحين المتجاوبين مع قضايا عصرهم وسائله من أصلاء المصلحين المجددين.

- وعلى قدر ما كان الإمام البنا متبعا سلفيا فى تفكيره ومنهجه - حيث استمد كل ذلك من الكتاب والسنة؛ وهو بذلك يمارس صميم السلفية - إلا أنه لم يجهل أو يتجاهل متطلبات العصر الذى يعيش فيه، وما يدور فيه من قضايا ومسائل ومشكلات تتصل بالاجتماع والاقتصاد والسياسة والثقافة، وما ران على هذا العصر من أسباب الضعف والتراجع الحضارى لما يكيد له أعداؤه فى الداخل والخارج، حتى أصبح دون مبالغة عصر التبعية والضعف أمام القوى المعادية للإسلام.
- لم يتجاهل الإمام البنا ذلك وإنما جعله نصب عينيه، ونهبة سمعه وبصره وفؤاده، وذلك شأن المصلح المجدد الذى يبعثه الله على رأس كل قرن ليجدد للأمة دينها.
- لقد سُبق الإمام البنا بمجددى القرون من علماء المسلمين ومصلحيهم وكانوا كثرة إذ لم يخل قرن من القرون من أكثر من واحد منهم..
- غير أن الإمام البنا قد اختلف عنهم أو عن كثير منهم فى أنه استوعب قضايا عصره استيعابا دقيقا، سواء منها ما كان داخل الوطن الذى يعيش فيه وهو مصر، أو فى أوطان المسلمين جميعا نابعا من داخل هذه الأوطان وهو فساد نظام الحكم، والابتعاد عن منهج الإسلام وقيمه.

وسواء من هذه المشكلات ما كان مفروضا على تلك الأوطان الإسلامية من قوى معادية تحتل أرضها أو تسيطر عليها بالوصاية أو الانتداب أو الحماية أو غيرها، أو ما كان من قوى معادية تعيش خارج الأوطان الإسلامية لكنها تكيد لها وتترصد وتدبر لها ما يجعلها

ضعيفة متنافرة متناحرة.

وهذه القوى المعادية للإسلام والمسلمين قوى تقليدية من حيث الحقيقية والجوهر وإن كانت تتزيا بأزياء عديدة من حيث الشكل والمظهر، فالصهيونية والصليبية القديمة والحديثة والإلحادية هى العدو التقليدى للإسلام من يوم ظهر الإسلام ولكن الأزياء تتغير أحيانا، فقد تلبس الصهيونية ثوب اليهودية لتقول: إنها دين، وقد تلبس ثوب السامية لتقول إنها تُعادى وتُضطهد وقد، وقد، وكذلك الصليبية قد تتحول إلى وصاية أو حماية أو انتداب أو استعمار أو جيش احتلال، وكذلك الإلحادية قد تتحول إلى اشتراكية أو شيوعية أو علمانية أو مادية لا تؤمن بالغيب ولا بما وراء المادة والحواس.

● ولقد نظر الإمام البنا إلى مناهج المصلحين الذين سبقوه وأفاد منها ومنهم ومكنه هذا من أن يوضع لنفسه وللجماعة التى يقودها منهج إصلاح يلائم الفترة التى كان يعيشها وتعيشها معه الجماعة وهو منهج يقوم على العمل فى اتجاهات ثلاثة:

الاتجاه الأول:

إصلاح أوطان العالم الإسلامى من الداخل، عن طريق الالتزام بمنهج الإسلام ونظامه فى الحكم، وهو يقوم على العدل والشورى والإحسان والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا فيمكن لدين الله فى الأرض.

والاتجاه الثانى:

توحيد أوطان العالم الإسلامى، والربط بينها بكل أسباب القوة فى مجالات السياسة والاقتصاد والثقافة والتعليم والتربية، على أن تكون هذه الأسباب نابعة من الإسلام أو غير متعارضة مع قيمه وثوابته.

والاتجاه الثالث:

هو مقاومة أعداء الإسلام وفى مقدمتهم الصهيونية واستعادة فلسطين لأصحابها، وإعادة من شردوا من أهلها إليها، وعمل ذلك مع كل وطن إسلامى سليب.

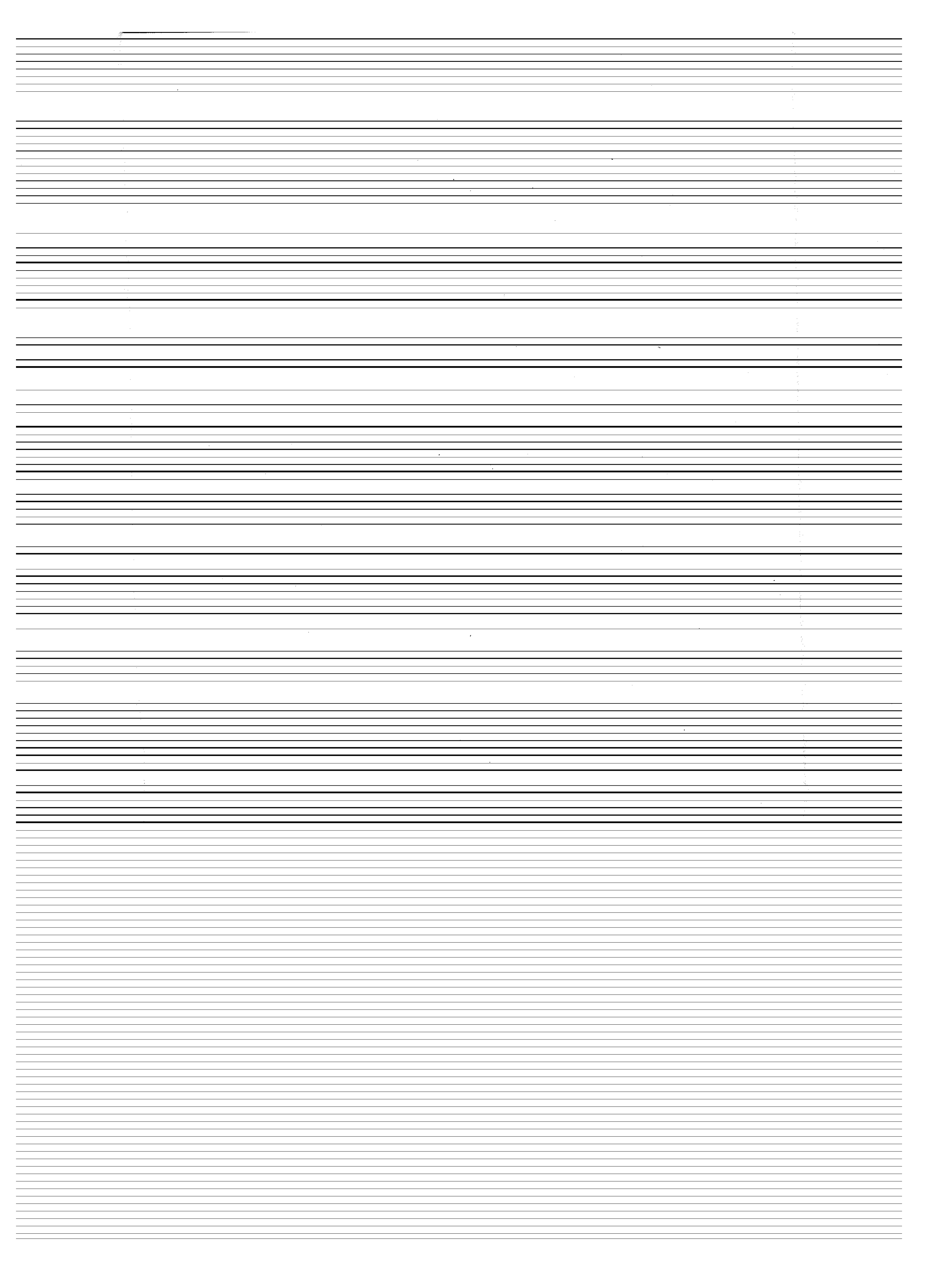
● غير أن الإمام البنا يرى - وهو محق فى ذلك ونحن معه - أن الإصلاح والتجديد لأمر الدين يجب أن يبدأ من الداخل داخل النفوس وداخل المجتمعات وداخل الأوطان الإسلامية، مع الاستمرار فى الظروف خارج العالم الإسلامى، وإعطائها من الاهتمام والأعداد والاستعداد ما هو ملائم لها مواجهة أو مواكبة.

● وفى هذه الاتجاهات الثلاثة كانت رسائله كلها وخطبه وكلماته ودروسه العامة والخاصة، كما كانت رسالة «التعاليم» بأركانها العشرة متجهة إلى إصلاح الداخل: إصلاح الفرد والأسرة والمجتمع والحكم ونظامه، مع متابعة قضايا الخارج وإعطائها من الأهمية ما هى جديرة به..

– فهذه الأركان العشرة للبيعة أو للإصلاح والتجديد – كما بدا لى – وهى: الفهم والإخلاص والعمل والجهاد والتضحية والطاعة والتجرد والثبات والأخوة والثقة هى فى جوهرها إصلاح للفرد وللأسرة وللمجتمع ونظام الحكم، وهى تجديد لأمور الدين فى النفوس أولا وفى القوانين والنظم.

وهذه الأركان العشرة يجب أن يلتزم بها الأخ الصادق المجاهد فى سبيل الله فى مجالات عمله كلها؛ دعوة وحركة وتربية وتنظيما، ليكون بها قادرا على مواجهة هذه التيارات والقوى المعادية.

والله تعالى يقول الحق وهو يهدى السبيل



الفصل الأول

مفهوم الثقة وأبعادها

وفيه ثلاث نقاط :

النقطة الأولى :

أثر ثقة الأخ الصادق فى قيادته ، وهو :

الحب ، والتقدير ، والاحترام ، والطاعة .

والنقطة الثانية :

مكانة القيادة فى الدعوة إلى الله

والنقطة الثالثة :

فاعلية الثقة فى القيادة فى الجماعة

وهذه الفاعلية تعنى :

أ- قوة نظام الجماعة ،

ب- وإحكام خططها ،

جـ- ونجاحها فى الوصول إلى غايتها ،

د- وتغلبها على ما يعترضها من عقبات .

مفهوم الثقة وأبعادها عند الإمام البنا

يقول رحمه الله: «وأريد بالثقة اطمئنان الجندى إلى القائد فى كفاءته وإخلاصه».

وفى البداية نستطيع القول، بل الجزم بأن العمل من أجل الإسلام فى مجالاته العديدة، لابد أن يقوم على:

جندية،

وقيادة.

ومن خلال التفاعل الصحيح والعلاقة القائمة على الثقة بينهما يكون النجاح والوصول إلى تحقيق الأهداف.

– فالجندى: هو الناصر أو المعاون، والأصل – فى الإسلام – أن يكون النصر أو العون على أمر من الأمور التى فيها طاعة الله عز وجل.

– والجندية المطلوبة فى مجال العمل الإسلامى لها نظام يخصها، نظام يقوم على إعداد الجنود إعدادا تربويا روحيا عقليا خلقيا بدنيا، بل يتجاوز ذلك الجانب الذاتى إلى الإعداد الاجتماعى والسياسى والاقتصادى، بحيث لا تكتمل جندية جندى فى أى مجال من مجالات العمل إلا بأن تعد هذا الإعداد.

– وكانت الجماعة تعد جنودها هذا الإعداد وتبذل فيه من الوقت والجهد والمال ما ينجزه، وكانت لها وسائلها العديدة النابعة كلها من الكتاب والسنة وأعمال الصحابة رضى الله عنهم، وأهل القرون الثلاثة الأولى؛ خير القرون.

- لا يستطيع جندى أن يمنح ثقته لقائده أو يضن بها عليه إلا إن كان قد أعد هذا الإعداد، لذلك اهتمت الجماعة بالتربية أهدافا ووسائل ومراحل اهتماما شديدا، بحيث أصبح لها فى هذا المجال تجارب وخبرات – ربما لم تسبق إليها – وهى تربية إسلامية نابعة من قيم الإسلام وأحكامه وشروطه وآدابه.

فقه الجندية:

- والجندية فى الإسلام تقوم على فقه خاص بها، وعلى أدبيات وخلقيات لابد منها، ويمكن أن نشير من ذلك إلى بعض الأمور:

أولا :

الجندية فى مجال العمل من أجل الإسلام عبادة لله، إذ هى فى جوهرها عمل بما أمر الله به أو ندب إليه، وانتهاء عما نهى الله عنه أو كره فيه، فالجندى وهو يمارس جنديته يستجيب لأمر الله تعالى ونهيه، وذلك هو صميم عبادة الله تعالى.

ثانيا :

الجندى يثاب على جنديته وإخلاصه فيها ما دامت عبادة لله وطاعة له، وثواب الله تعالى أمل كل مسلم وغايته التى ليس بعدها غاية، وثواب الله فى الدنيا وفى الآخرة بما يمنح من نعم وما يصرف من نقم، ولا خير أكبر أو أحسن من عبادة الله فى الدنيا، ولا خير أعظم من جنته ورضاه فى الآخرة.

ثالثا :

الجندية فى العمل من أجل الإسلام وتمكينه درجات كثيرة منها :

- الجندية بالانضمام إلى صفوف من يحبون الإسلام قيمه وآدابه ومنهجه ونظامه.
- والجندية بالانضمام إلى صفوف من يحبون المسلمين المتمسكين بهذه القيم والآداب وذلك المنهج والنظام.
- والجندية بالانضمام إلى صفوف الملتزمين بقيم الإسلام وآدابه ومنهجه ونظامه.
- والجندية بالانضمام إلى صفوف الدعاة إلى الله.
- والجندية بالانضمام إلى صفوف المتحركين بالإسلام فى الناس والآفاق.
- والجندية بالانضمام إلى صفوف الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر.
- والجندية بالانضمام إلى المجاهدين فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا؛ أى التمكين لدين الله فى الأرض.

رابعا :

كل درجة من درجات الجندية التى ذكرنا تحتاج من الجندى أن تتوفر فيه صفات بعينها من فهم وإخلاص وعمل وجهاد وتضحية وطاعة وتجرد وثبات وأخوة وثقة فى قيادته.

خامسا:

الجندية بغير ثقة فى القيادة لا وزن لها ولا قيمة ولا فاعلية، فإذا فقدت ثقة الجندى بالقائد فلا نجاح ولا فلاح ولا نصر، ولا تحقيق للأهداف.

وهذه الثقة من الجندى بالقائد إذا كانت على وجهها الصحيح فلابد أن تولد فى نفسه حب القيادة وتقديرها واحترامها وطاعتها. هذا عن الجندية، فماذا عن القيادة؟

فقة القيادة:

● القيادة فى الإسلام تقوم – كذلك – على فقه خاص بها، وعلى أدبيات وخلقيات لابد منها، ويمكن أن نشير إلى بعضها فيما يلى:

أولا:

القيادة فى مجال العمل من أجل الإسلام – كالجندية– عبادة لله تعالى لأنها التزام بأمره ونهيه، وبالتالى فإن القائد مثاب من الله على أداء عمله ثوابا دنيويا وأخرويا بإذن الله على قدر إخلاصه فى عمله والتزامه بأخلاقياته وأدبياته.

ثانيا:

القائد لأى عمل من أجل الإسلام لا ينبغى أن يتولاه لأنه طلبه أو تشوفت نفسه إليه وإلا فقد عون الله وتأييده، وإنما يرشحه لقيادة أى عمل إخلاصه وكفايته وسابقته، وما يصل إلى ذلك إلا إن كان قد أعد لقيادة هذا العمل إعدادا متكاملا يتناول كل جوانب شخصيته، وإعدادا خاصا يؤهله للقيادة فى مجال العمل الذى أوكل إليه.

ثالثا: واجبات القائد

القيادة فى العمل الإسلامى تستوجب على القائد واجبات أساسية أى لابد منها – وهى من الكثرة بحيث تغطى احتياجات العمل – (١) ولكنى أشير هنا إلى بعض هذه الواجبات، كما يلى:

١– أن يربى القائد جنوده على الولاء لله تعالى وللعقيدة والمبدأ لا على الارتباط بالقائد أو الزعيم – كما يقولون – وما لم يفعل فقد أخطأ خطأ فادحا فى حق دينه ودعوته؛ لأنه يحول الناس الذين رباهم إلى متعصبين له أو لسواه، وأخطأ فى حق نفسه إذ أثم

(١) لمعرفة التفاصيل: انظر لنا: منهج التربية وفقه الدعوة وفقه المسئولية وغيرها من مجموعة كتبنا فى فقه الدعوة.

وعصى الله ولم يكن أمينا على العمل الذى وكل إليه، وأخطأ فى حق من رباهم لأنه أساء تربيتهم وباعد بينهم وبين دين الحق.

وسريعا ما يسقط هذا القائد ويحيد عن الطريق، ومن ورائه الذين أساء إليهم بهذه التربية.

٢- وأن يحرص على أن يحبب إلى جنوده العمل وإخلاصه لله، لا لغيره وإلا حبط، وعلى قدر ما يربِّى الجندى على إخلاص عمله لله يكون نجاحه فيه وتوفيق الله إياه، وعلى قدر ما يكون فى العمل من شوائب يتعوق النجاح وتتجمع أسباب الفشل.

٣- وأن يعرف بدقة قدرات جنوده وإمكاناتهم، فلا يكلف أحدا بأكثر مما يطيق؛ لأن الله تعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها، ولا يكلفه بأقل مما يستطيع حتى لا يفقد الانشراح للعمل والرغبة في تجويده وإحسانه.

ولا يمكن أن يكون الجنود على قدر متساوٍ من الاستعدادات وهنا تظهر أهمية القيادة ونظرتها الفاحصة إلى جنودها.

٤- ومن واجب القائد أن يكون محبا لجنوده مشفقا عليهم، يحب لهم الخير كما يحبه لنفسه، وذلك يعنى استبعاد التصور الخاطئ الذى ينظر إلى الجنود على أنهم يأتمرون بأمره بوصفه قائدا.

وأفضل من ذلك وأوجب أن يؤدوا العمل طاعة لله وحبا فى قيادتهم، لأن قيادتهم أحبتهم.

ودون هذا الحب تصبح القيادة فى العمل الإسلامى كغيرها من القيادات التى لا تتقيد بمنهج الإسلام ونظامه، ويصبح الجندى هنا كالجندى هناك لا يطيع إلا خوفا من طائلة القانون.

٥- ومن واجب القيادة أن توالى تفقيه الجنود فى دينهم وفى واجبات العمل الذى يقومون به، ليعرف الجندى بدقة ما له وما عليه، فإذا قصر القائد فى ذلك، فقد صفته كقائد، بعجزه عن تربية من وُكل إليه تربيتهم وتوجيههم نحو العمل الصحيح، والجندى الذى يقصر فى عمله أو يهمل فيه، غالبا ما يكون ذلك بسبب تقصير قائده فى تفقيهه بالعمل وواجباته.

٦- ومن واجب القائد أن يكون منضبطا فى عمله وفى نفسه وفى وقته وميعاده وأدائه، وإلا

ما استطاع أن يطالب جنوده بالانضباط، وإذا لم ينضبط الجنود ضاع العمل كله، وهذا الانضباط قيمة نابعة من العبادات فى الإسلام؛ كلها عبادات منضبطة فى توقيتها وفى أدائها، وفى كمها وكيفها؛ أى منضبطة فى الزمان والمكان والكيف.

٧- ومن واجب القائد أن يورث الدعوة لجنوده، بل أن يحسن توريثهم إياها، وليس التوريث مجرد رغبة أو مجرد كلام وإنما هو برنامج كامل يتكون من مفردات أهمها:

- الحوار مع الجنود واحترام الرأى الصادر من أى منهم.

- وسعة الصدر فى تقبل الأسئلة، والإجابة عنها.

- ومشاركة الجنود فى أعمالهم، ودعوة بعضهم إلى مشاركة القيادة فى عملها أحيانا.

- والبعد عن التسلط والانفراد بإصدار القرار، لأن الأصلح الذى تقتضيه التربية الإسلامية أن يكون القرار بناء على المشاركة فى اختياره.

بعد إلقاء هذا الضوء على كلمتى: الجندية والقيادة، نعود إلى شرح ما يريده الإمام ا لبنا من ثقة الجندى فى قيادته.

ولكى نشرح ذلك يقتضينا الحديث عن ثلاث نقاط:

الأولى: أثر ثقة الأخ الصادق فى قيادته.

والثانية: مكانة القيادة فى الدعوة إلى الله.

والثالثة: فاعلية الثقة فى القيادة فى الجماعة.

النقطة الأولى:

أثر الثقة فى القيادة عند الأخ الصادق

إذا وثق الجندى فى القيادة واطمأن إلى كفاءتها وإخلاصها فإن ذلك هو الذى يدفع العمل الإسلامى فى الطريق الصحيح لبلوغ أهدافه، ويحوطه بكل أسباب النجاح، هذا إذا كان الأخ صادقا فى أخوته مجاهدا فى دعوته يدرك ما عليه من واجب نحو قيادته.

- والثقة عند الإمام البنا هى اطمئنان الجندى إلى قيادته:

- والاطمئنان هنا قريب من معناه فى الآية الكريمة: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر: ٢٧-٢٨].

والنفس المطمئنة هى الساكنة غير المنزعجة التى لا تأمر صاحبها بالسوء، فتحصل بذلك على الرضا بنوعيه، رضاها ورضا الله عنها، وإنما تطمئن النفس إلى الحق وإلى ما يرضى الله تعالى عنها، وإذا لم تطمئن فانزعجت وقلقت جاءتها الوساوس فأخذت تأمر بالسوء، وتنفر من الآخر وتسيىء به الظن.

– ومن علامات اطمئنان النفس أن تظل على إيمانها مهما أحاطت بها المحن والمتاعب، ومهما أكرهها الأعداء على ما يغضب الله تعالى؛ إذ المؤمن قلبه مطمئن بالإيمان دائما.

– ومن أسباب اطمئنان النفس أن تذكر الله بكل معنى من معانى الذكر له سبحانه، الذكر بالتدبر فى خلق الله وملكوته وآياته، والذكر فى ممارسة عبادته سبحانه وتعالى، والذكر بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير.

● بكل معنى من هذه المعانى للاطمئنان يجب أن يطمئن الجندى إلى قيادته.

– ولكن، ما نوع هذا الاطمئنان المطلوب من الجندى نحو قيادته؟

● إنه نوعان من الاطمئنان:

١ – اطمئنانه إلى كفاءة قيادته وقدرتها على القيام بأعباء القيادة.

٢ – واطمئنانه إلى إخلاص قيادته فى قيامها بعملها لوجه الله تعالى، وكلاهما مشروط بأن تكون القيادة أهلا لهذا الاطمئنان، كما سنوضح.

١ – اطمئنان الجندى إلى كفاءة قيادته.

● ففى اطمئنان الجندى إلى كفاءة قيادته، نقول:

إن كفاءة القيادة تعنى قدرتها على القيام بأعبائها فى العمل بإجادة وإحسان.

وأعباء القيادة كثيرة سنحاول هنا توضيحها وتحديد صفاتها بإذن الله تعالى، فإذا اتضحت وظهرت معالمها فإن على كل قيادة فى أى موقع من مواقع العمل الإسلامى أن تفتش فى داخلها عن هذه الصفات، فإن وجدتها حمدت الله تعالى واستزادت منها واستمرت عليها.. وإن لم تجدها تحتم عليها أمام الله أن تتنحى عن قيادة ما تقوم به من عمل وأن تأخذ فى صفوف العاملين المكان الذى يلائمها دون حرج أو تأفف، لأن هذا التنحى فيه صدق وإرضاء لله تعالى وإلى ما ينفع فى الآخرة، أما ما ينفع فى الدنيا من مال وجاه فإنه من النعم الزائلة التى لابد أن تفوت صاحبها، أو أن يفوتها صاحبها بالموت،

والقاعدة الرئيسية فى قيم الإسلام هى أن ﴿ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الشورى: ٣٦].

● فما هى أعباء القيادة فى العمل الإسلامى؟

ذلك ما نحاول توضيحه وتحديد صفاته فيما يلى، والله ولى التوفيق.

أعباء القيادة:

هذه الأعباء من الكثرة بحيث لا ندعى استقصاءها، ولكن نحاول ذكر أهمها وأبرزها، ومقدما نستطيع أن نلخصها فى سؤال هو: هل يستطيع القائد لأى عمل من أجل الإسلام أن يتمثل صفات القائد الأول ﷺ فيما تطيقه بشريته؟ فيكون مع جنوده كما كان النبى ﷺ مع صحابته رضى الله عنهم؟! على أن أجمع ما وصف الله تعالى به رسوله ﷺ هو قوله تعالى مخاطبا إياه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤].

ولقد فسرت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها هذا الخلق النبوى عندما سئلت عن خلقه ﷺ فقالت للسائل: كان خلقه القرآن. ألا تقرأ سورة «المؤمنون» ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ① الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ② وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ③ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ④ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ⑤ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ⑥ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ⑦ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ⑧ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ⑨ أُوْلَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ⑩ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [المؤمنون: ١-١١].

– والخلق العظيم كما قال بذلك العلماء هو: العمل بما فى القرآن الكريم.

هل يستطيع أن يكون على خلق عظيم فى التعامل مع جنوده؟

١- ● يحبهم كما يحب نفسه، بل يؤثرهم على نفسه أحيانا.

٢- ● ويجيد توجيههم برسم معالم الطريق لهم.

٣- ● ويقدر على أن يضع خطة رشيدة لأداء العمل الذى يقوده بشرط أن تكون محكمة وأن تكون ملائمة للعمل وللعاملين وللمرحلة التى يتم فيها العمل.

٤- ● ويستطيع الإحاطة بالمتغيرات التى تحيط بالعمل الذى يقوده وأن يواكبها أو يواجهها

ويبطل فاعليتها.

٥- ● ويستطيع أن يكون حاسما فى غير عنف أو فظاظة.

٦- ● ويستطيع أن يكون رحيما لينا مع جنوده فى غير ضعف.

٧- ● وأن يكون حسن الإدارة للعمل وللعاملين، وعلامة حسن الإدارة أن يتم العمل بسلاسة وأن يؤديه العاملون بسرور وتقبل، وألا يسبق الخطة ولا يتأخر عنها.

٨- ● وأن ينجح فى تحقيق الأهداف العامة للعمل الذى يقوده والأهداف المرحلية له.

٩- ● وأن يحسن اختيار الوسائل الملائمة لتحقيق الأهداف، بشرط أن تكون وسائل لا تغضب الله ولا تتعارض مع أى قيمة إسلامية.

١٠- ● وأن يكون قادرا على استيعاب الجنود وما يصدر من بعضهم أحيانا من قصور أو تقصير، أو ضيق أو نكوص.

- هل يستطيع القائد كل ذلك؟

إن استطاع فإنه يكون على المستوى المطلوب منه، وعندها يصبح محلا لثقة جنوده فيه، واطمئنانهم إلى كفاءته فى القيام بعمله، وإلا صعب عليه أن يحصل على هذه الثقة.

● وليست هذه الصفات العشر التى ذكرنا هى كل ما يجب أن يكون عليه من صفات، وإنما هناك صفات أخرى كثيرة لا تتعلق بعمله الذى يقوده بمقدار ما تتعلق بشخصه وبيته وأهله والمجتمع الذى يعيش فيه والعمل الذى يمارسه فى حياته ليرتزق منه، والعمل المنوط به فى المجال الإسلامى من دعوة أو حركة أو تربية أو تنظيم.

فليس كفؤا ذلك القائد الذى تؤخذ عليه هنات هنا وهناك، فى شخصه أو فى علمه وعقله، أو فى أهله وبيته، أو المكان الذى يعيش فيه، أو العمل الذى يرتزق منه فى الحياة، أو العمل الذى يمارسه فى مجال الدعوة.

إن كفاءة القائد فى كل ذلك هى التى تبعث على اطمئنان الجندى للقائد وثقته فيه.

● والجندى الذى لا يطمئن إلى كفاءة قيادته على الرغم من قيام القائد بأعباء القيادة جندى آثم يتجاوز حدود ما هو مطلوب منه أو واجب عليه نحو قائده.

وهذا التجاوز من الجندى له أوخم العواقب وأشدها ضررا.

- إنه يصيب نفسه - أولا - بالقلق والاضطراب والتردد وعدم الثقة فى أحد.

- ثم يصيب العمل نفسه بالتوقف أو التباطؤ، وكل ذلك يحول بين العمل وبين بلوغ الهدف المرحلى ثم الهدف العام، لأنه بفقده الثقة فى قيادته يضع العقبات والعراقيل فى الطريق، وما هو إلا زمن يسير حتى يتوقف العمل نهائيا، أو ينحرف عن هدفه.

- ثم يصيب القيادة نفسها، فالقيادة ليست من الأنبياء ولا المعصومين. وعندما تشعر القيادة بأن الجندى يفقد الثقة فيها - ولابد أن تشعر بذلك - فإن أولى نتائج هذا الشعور أن تبادله القيادة فقد الثقة، فتفقد الثقة فيه، وعندئذ لنا أن نتخيل ظروف عمل من أجل الإسلام لا يثق فيه الجندى فى قائده ولا يثق القائد فى جنوده!!!

● على أن الأسباب التى يفقد من أجلها الجندى الثقة فى قيادته وكفاءتها لابد أن تكون أسبابا قوية بل قاطعة لا تحتمل شكا ولا تأويلا، تقوم عليها الأدلة والبراهين، وإلا وقع الجندى فى إثم عظيم، إذ هو مطالب شرعا فى أن يحسن الظن بكل مسلم وبقائده من طريق الأولى، لقول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ..**﴾ [الحجرات:١٢] ولقوله جل وعلا: ﴿**وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا**﴾ [النجم:٢٨].

وروى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تباغضوا، ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا**».

٢- اطمئنان الجندى إلى إخلاص قائده

وهذا الاطمئنان-أى الثقة- يعنى افتراض الجندى أن قائده مخلص فى أداء عمله، واستمراره على هذا الافتراض، وذلك أن اطمئنان الجندى إلى إخلاص قائده من الواجب شرعا، لأن الإخلاص من عمل القلوب، والقلوب لا يطلع عليها إلا الله تعالى، ولا يجوز لمسلم أن يشك فى إخلاص أخيه المسلم فضلا عن أن يكون قائده.

- وكل دليل على عدم الإخلاص يقبل التأويل، ولا يتحول إلى دليل قاطع إلا فى أحوال نادرة، لأن الإخلاص - كما قلنا فى القلب ومن عمل القلب- فأنى يطلع عليه أحد إلا الله تبارك وتعالى؟!

- وكل مسلم مطالب بأن يخلص لله فى كلامه وصمته، وعمله وتركه، فما بالنا بمن يتصدى لقيادة عمل من أجل الإسلام وتمكين منهجه فى الأرض؟

- وكل مسلم يشك فى إخلاص أحد من الناس، يورط نفسه مع الله تبارك وتعالى لمخالفته أمره، ولادعائه أنه يعلم ما من شأنه ألا يعلم.

- وإن الإخلاص لله ليس كلاما يقال وإنما هو نية تعقد بين العبد وربه، لا يطلع عليها سواه سبحانه وتعالى، لكن للمخلص صفات لا ينبغى أن تفوته بحال.

روى الإمام أحمد بسنده عن أبى ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«قد أفلح من أخلص قلبه للإيمان، وجعل قلبه سليما، ولسانه صادقا، ونفسه مطمئنة، وخليقته مستقيمة، وأذنه مستمعة وعينه ناظرة»**.

هذه صفات المخلصين، الصفات التى يمكن أن يراها الناس فيهم وهى - كما دل عليها الحديث الشريف-:

- إخلاص القلب بالإيمان بالله وحده.

- وسلامة القلب من الشر والحقد والحسد وسوء الظن.

- وصدق اللسان فى كل موقف شرعه الله ورضى به.

- واطمئنان النفس إلى الله وقضائه وقدره.

- واستقامة طبيعته على الحق أى ما أمر الله به وما نهى عنه.

- واستماع الأذن إلى الحق وإلى الخير وامتناعها عن سماع ما يغضب الله تبارك وتعالى.

- ونظر العين وتأملها وتدبرها فى خلق الله وآياته، وغضها عن النظر إلى كل ما يغضب الله تبارك وتعالى.

تلك صفات المؤمن المخلص إيمانه لله، وتستطيع أن نرى أثر الاتصاف بهذه الصفات فنقول عندئذ: إن فلانا من المخلصين، أما قولنا: إن فلانا غير مخلص فهذا هو الإثم - كما قلنا-.

- وإذا كان الجندى مطالبا بأن يطمئن إلى إخلاص قائده، فإن القائد مطالب بأن يتوجه إلى الله بكل كلمة يقولها، وبكل عمل يمارسه، وبأن تستوى أعماله فى ظاهرها وباطنها

وظاهره هو وباطنه، وأن يراقب الله تعالى فى كل شيء حتى وهو خالٍ، لأن المؤمن الكيس من قال إذا خلا لنفسه: أنا ما خلوت ولكن لا يزال عليّ رقيب هو الله.

ولقد كان الأسلاف من العلماء المسلمين لهم فى الإخلاص كلمات عميقة واعية نذكر طرفا منها هنا:(١)

– قال الفضيل بن عياض رحمه الله:

« ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما ».

– وقال الإمام الجنيد:

« الإخلاص سر بين الله وبين العبد، لا يعلمه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، ولا هوى فيميله ».

– وقال الإمام الغزالى أبو حامد:

« الإخلاص أن تكون أعمالك كلها لله تعالى، ولا يرتاح قلبك بمحامد الناس، ولا يبالى بمذامهم ».

● وقادة العمل الإسلامى أعرف الناس بالإخلاص: أنواعه ودرجاته، ومكانه ومكانته عند الله، وهم بإذن الله أهل لأن يكونوا من المخلصين، وجنودهم بفضل الله ونعمته أهل لأن يثقوا فى إخلاص قيادتهم.

أثر ثقة الجندى فى القائد أو نتائجها:

إذا كانت الثقة – كما يراها الإمام البنا – هى اطمئنان الجندى إلى قائده فى كفاءته وإخلاصه، فإن تلك الثقة ليست مقصودة لذاتها، وليست مكنونات قلب ينطوى عليها قلب من يثق، وإنما الثقة مقصودة لما يجب أن تنتجه فى قلب الجندى وعقله وسلوكه، من حب للقيادة وتقدير لها، واحترام وطاعة.

ولنتحدث عن كل منها سائلين الله التوفيق:

---

(١) لمعرفة المزيد عن الإخلاص: انظر لنا: ركن الإخلاص من هذه السلسلة، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية: ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، ط ثانية.

النتيجة الأولى:

حب القائد:

حب الجندى لقيادته هو إحدى نتائج ثقته فى القيادة واطمئنانه إلى كفاءتها وإخلاصها.

والحب: هو، الميل والموادة والمصافاة، وهو هنا حب فى الله ومن أجله، من ذلك الحب الذى أخبر عنه الرسول ﷺ بأنه واقع بين أصحابه رضوان الله عليهم: وبين كل مسلم وأخيه المسلم، فيما رواه مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالى، اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى**».

وفيما رواه مسلم أيضا، بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أن رجلا زار أخا له فى قرية أخرى: فأرصد الله له على مدرجته ملكا، فلما أتى عليه قال:

أين تريد؟

قال: أريد أخا لى فى هذه القرية.

قال: هل لك عليه من نعمة تربها؟

قال: لا، غير أنى أحبه فى الله عز وجل.

قال: فإنى رسول الله إليك، بأن الله قد أحبك كما أحببته».

- ولا يكون الجندى جندى عقيدة إلا إذا أحب قيادته، ما دامت القيادة مؤتمرة بأمر الله، قائمة بأعباء القيادة؛ كما أوضحناها آنفا.

- ولكن حب الجندى للقيادة له مظاهر وخصائص تدل عليه، ومن ذلك:

– التسامح وعدم التفتيش عن الزلات أو الهفوات، ولذلك يعاب على الجندى أن يبحث فضلا عن أن يتسقط أخطاء القيادة أو هفواتها.

غير أن هذا التسامح الذى يوجبه هذا الحب مقصور على دائرة بعينها هى الصغائر والهفوات، أما دائرة الأعمال المتعمدة التى تغضب الله،فلا تسامح فيها، وإنما النصيحة المستترة والتلطف فيها، فإن تكررت هذه الأعمال مرات فطلبُ الاستغفار والتوبة، ولابد حينئذ من أن يضعف هذا الحب فى الله أو يختفى، وقد يحله محله بغض فى الله عز وجل.

– وافتراض أن القيادة ملتزمة دائما بالحق والصواب، مع تأويل كل عمل يراه الجندى فى

قيادته يخالف هذا الافتراض، لأن حب القيادة يستوجب ذلك، إذ من حق القيادة على الجندى أن يظن بها خيرا، لأن حسن الظن بكل مسلم واجب شرعا فما بالنا بقيادة فى مجال العمل من أجل الإسلام؟

فقد روى ابن ماجه بسنده عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال:

رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة ويقول: «**ما أطيبك وأطيب ريحك، ما أعظمك وأعظم حرمتك، والذى نفس محمد بيده، لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك، ماله ودمه، وأن يظن به إلا خيرا**».

– ومن خصائص حب الجندى لقائده أن يعطى هذا الحب القائد إحساسا قويا بثقته هو فى جنوده، ويشجعه على الإجادة والإحسان لكل ما يقوم به من عمل نحو جنوده.

وهذا الشعور الذى يغمر قلب القائد نحو جنوده هو الذى يفتح أمامه طريق العمل والإبداع والتفانى فى الأداء.

وحسب القائد – أى قائد – أن يفقد الإحساس بأن جنوده يحبونه، إنه عندئذ لن يؤدى عمله على أحسن صورة ولا أكملها، ولن يحس برضاه عن عمله أو جنوده أو نفسه، وذلك فيه ما فيه مما يعود على العمل بأسوأ النتائج.

● ونخلص من هذا بأن حب الجندى لقائده، ذلك الحب الذى أنتجته ثقة الجندى فى كفاءة قائده وإخلاصه، هو معامل الأمان لنجاح العمل، ولانشراح القادة والجنود للقيام بأعمالهم والتجديد فيها بل الإضافة والإبداع.

تلك هى النتيجة الأولى لثقة الجندى فى القائد.

أما النتيجة الثانية لثقة الجندى فى القائد فهى:

*** تقدير الجندى للقائد:**

– التقدير: هو بيان القدر للإنسان أو لشىء من الأشياء.

وهو نوعان:

تقدير ينسب إلى الله تعالى

وتقدير ينسب إلى الإنسان.

أما تقدير الله تعالى فنوعان:

الأول منهما:

يكون بالحكم منه سبحانه وتعالى أن يكون كذا أولا يكون، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿ ..**قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا**﴾ [الطلاق: ٣].

والآخر:

إعطاء القدرة على الشيء، ومنه قوله تعالى: ﴿**الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ**﴾ [الأعلى: ٢-٣].

وأما تقدير الإنسان فنوعان أيضا:

الأولى منهما:

التفكر في الأمر بحسب نظر العقل، وبناء الأمر عليه، وذلك محمود.

والآخر:

التفكر في الأمر بحسب التمني والشهوة، وبناء الأمر عليه، وذلك مذموم.

- والمعنى العام لكلمة «قدر» هو التمهل والتفكير في تسوية أمر وتهيئته، وتبين مقداره،والتقدير مصدر لهذا الفعل قدر، فله معناه.
- وتقدير الإنسان للإنسان هو: الاعتراف بقدره ومكانته، والتعامل معه بما يلائم هذا القدر وتلك المكانة.
- وتقدير الجندى لقائده، مرحلة تالية لحبه إياه، وإذا كان الحب ميلا وموادة ومصافاة فإن التقدير اعتراف بقدر هذا المحبوب، وبمكانته.
- والجندى واجبه أن يقدر قائده بعد حبه وميله إليه وموادته ومصافاته، فإن هذا التقدير مكمل للحب، وهو من حقوق القيادة على الجند.

- وتقديره له يعني: أن يعرف له قدره في مكانه من القيادة، وفي مكانته بين القادة الذين يشاركونه في العمل، وأن يعرف له سابق خبرته في العمل وقدراته فيه.
- وأن يقدر ما قام به من عمل في مجالات الدعوة والحركة والتربية والتنظيم والتوجيه، فمعظم قادة العمل من أجل الإسلام لهم في هذه المجالات أعمال معروفة وإلا ما وصلوا إلى القيادة.

– وكل قادة العمل الإسلامي أبلوا بلاء حسنا في العمل.

– وكلهم أعدوا إعدادا حسنا فخضعوا لبرامج تربوية نظرية وعملية، وبرامج تكوينية، ثقفوا فيها أعمق ثقافة وأنسبها لما يقومون به من أعمال، وبرامج للتدريب على القيادة في مجالات متعددة في العمل الإسلامي.

● ومن المسلمات في أدبيات العمل من أجل الإسلام وشروطه أن يمر من يرشح للقيادة بمصفاة ثم أخرى ثم ثالثة وهكذا حتى يصفى من كل الشوائب التي تعوق ممارسته للقيادة، وما أكثر هذه الشوائب، ولا عجب في كثرتها فهي إفرازات لمدارس غير إسلامية ولبيوت قد لا تكون ملتزمة بالإسلام ولمجتمع لا تسوده قيم الإسلام، ولمفاهيم معادية للإسلام زرعها أعداء الإسلام في أوطان المسلمين وفي عقولهم وقلوبهم، ولا عجب إذن من أن تكثر المصافي وتتعدد، ومن هنا ندرك أهمية الترشيح لتولي عمل أكبر، ضلا عن قيادة!! وندرك أهمية التوثيق أو التضعيف قبل تولي أي عمل قيادي.

– إن التساهل في ذلك التدقيق خطر على العمل من أجل الإسلام وخطر على العاملين وعلى قيادات العمل الإسلامي كله.

– وإن برامج إعداد القادة في تاريخ الجماعة من أقوى البرامج وأحفلها بالتنوع[1]، بعد أن يكون المرشح قد اجتاز اختبارا لمعرفة مواهبه واستعداداته الفطرية لتولي عمل قيادي، وإن البرنامج الدراسي لإعداد القادة برنامج جامعي بكل ما تحمله كلمة جامعي من معاني ومتطلبات[1].

غير أننا هنا نشير إلى عجالة من القول يسمح بها هو المقام في نقطتين اثنتين:

إحداهما في احتياجات القائد قبل أن يتولى القيادة والأخرى في الشروط والصفات التي يجب أن تتوفر فيه حتى يحظى بهذا التقدير.

النقطة الأولى:

وهي من أدبيات الجماعة النابعة من قيم الإسلام، وهي أن أحدا من العاملين من أجل الإسلام لا يحل له أن تتطلع نفسه إلى أن يتولى قيادة أو منصبا في أعمال الدعوة إلى الله، فضلا عن أن يطلبه، أو يرتب ويدبر من أن أجل أن ينتخب، فكل ذلك محظور شرعا

---

(١) للتعرف على هذا البرنامج انظر للمؤلف: منهج التربية عند الإخوان المسلمين – نشر دار الوفاء بمصر، ط ٤، ١٤١٥هـ–١٩٩٥م، الجزء الثاني.

بنصوص واضحة صريحة.

وإنما عليه أن يؤدى عمله بإخلاص وإجادة وإحسان، تاركا أمر توليه أى قيادة، لما توصله إليه استعداداته ومواهبه ودراساته وأهليته لهذا المكان فى القيادة أو ذاك.

- ومن المعروف للمسلمين فى حديث رسول الله ﷺ أن من تطلع للقيادة أو احتال للوصول إليها أو طلبها، سوف يتركه الله تعالى لها دون عون أو توفيق.

فقد روى مسلم بسنده عن عبد الرحمن بن سمرة قال: قال لى رسول الله ﷺ: «**يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها**».

- ومن المعروف أيضا أن من تولى قيادة عمل أو قوم عليه أن يخلص فى ممارسة قيادته أو إمارته، ذلك أن القيادة أمانة ثقيلة بل أمانة ثقيلة لا يستطيع القيام بأعبائها إلا مخلص موفق مُعان من الله تبارك وتعالى، لأنه لم يتطلع إليها.

- ومن المعروف كذلك أن من تولى القيادة أو الإمارة بغير حق سواء أكان يدرك أنه ليس أهلا لها، أم أن هناك من هو أولى بها منه، أم يدرك أنه لن يستطيع القيام بكافة أعبائها أم لا يدرك شيئا من ذلك ولكنها أسندت إليه فقبلها، ليعلم أن هذه القيادة أو الإمارة فى ظل هذه الظروف خزى له وندامة، ويوم القيامة لا يجدى فيه ندم، فإن وقت الندم قد فات وإنما الباقى له هو الخزى فقط، بهذا نصح رسول الله ﷺ أبا ذر رضى الله عنه.

فقد روى مسلم بسنده عن أبى ذر رضى الله عنه قال: قلت يا رسول الله: ألا تستعملنى؟ قال: فضرب بيده على منكبى ثم قال: يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزى وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها».

والنقطة الثانية:

شروط وصفات فى القائد الذى يحظى بالتقدير.

يستحق القائد تقدير جنوده إذا كان ملتزما بأمر الدين فيما ولى من عمل، وما يقود من أفراد، أو مجموعات أو أجهزة، لأن هذا الالتزام يوجب عليه أن يتصف بصفات بعينها، وأن تتوفر فيه شروط بذاتها، ليكون أهلا لأن يحظى بتقدير جنوده.

● وهذه الصفات أو تلك الشروط إنما قررتها أحاديث نبوية شريفة قبل أن تكون موضعا

لتحليل العلماء وتفسيرهم، وكل شرط من هذه الشروط لا يتوفر فى القائد إلا إذا اتصف بصفات، دلت عليها الأحاديث النبوية كذلك.

● ومن هذه الشروط وتلك الصفات ما نذكر بعضه فيما يلى:

١ - أن يكون محبوبا من جنده:

فقد روى مسلم بسنده عن عوف بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم، قيل: يا رسول الله، أفلا ننابذهم بالسيف؟! فقال: لا ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من ولاتكم شيئا تكرهونه، فاكرهوا عمله، ولا تنزعوا يدا من طاعة**».

ولن يكون القائد محبوبا من جنده إلا إذا كان ملتزما بأمر الدين كله.

٢ - وأن يكون عادلا ويأمر بالعدل:

روى مسلم بسنده عن أبى هريرة - رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**إنما الإمام جنة يقاتَل من ورائه ويُتقَى به، فإن أمر بتقوى الله عز وجل وعدل كان له بذلك أجر، وإن يأمر بغيره كان عليه منه**».

٣ - وأن يكون أمينا:

روى مسلم بسنده عن عدى بن عميرة الكندى رضى الله عنه قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من استعملنا منكم على عمل فكتمنا مخيطا فما فوقه كان غلولا يأتى به يوم القيامة**».

فقام إليه رجل من الأنصار أسود كأنى أنظر إليه فقال: يا رسول الله: اقبل عنى عملك، قال: «**ومالك**»؟ قال سمعتك تقول كذا وكذا، قال: «**وأنا أقول الآن: من استعملناه منكم على عمل فليجئ بقليله وكثيرة، فما أوتى منه أخذ، وما نهى عنه انتهى**».

٤ - وأن يكون رفيقا بمن يقود:

روى مسلم بسنده عن عائشة رضى الله عنها قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول فى بيتى هذا: «**اللهم من ولى من أمر أمتى شيئا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولى من أمر أمتى شيئا فرفق بهم فارفق به**».

٥- وبذل الجهد فى إصلاح من يقود:

روى مسلم بسنده عن معقل بن يسار رضى الله عنه أنه قال لعبيد الله بن زياد بن أبيه[١] : إنى محدثك حديثا لولا أنى فى الموت ما حدثتك به، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من أمير يلى أمر المسلمين، ثم لا يجهد لهم وينصح إلا لم يدخل معهم الجنة».

٦- وتحريم استغلال المواقع القيادية لنفسه:

روى مسلم بسنده عن حميد الساعدى رضى الله عنه قال: استعمل رسول الله ﷺ رجلا من الأسد يقال له: ابن اللتبية، على الصدقة، فلما قدم قال: هذا لكم، وهذا أهدى إلىّ، فقام رسول الله ﷺ على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: **«ما بال عامل أبعثه فيقول: هذا لكم وهذا أهدى إلىّ، أفلا قعد فى بيت أبيه أو فى بيت أمه حتى ينظر أيهدى إليه أم لا؟ والذى نفس محمد بيده، لا ينال أحد منكم شيئا إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه، بعير له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر، ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتى إبطية، ثم قال: اللهم هل بلغت؟! مرتين»**

تلك جملة الشروط والصفات التى استشهدنا عليه من سنة رسول الله ﷺ لنؤكد بها أن القيادة فى أى عمل من أجل الإسلام لابد لها من شروط، ولو تتبعنا هذه الشروط وتلك الصفات فى السنة النبوية لاتسع بنا المقال فزاد عما يقتضيه هذا المجال.

ثم نعود إلى نتائج حب الجندى للقائد بعد ثقته فيه فنقول:

النتيجة الثالثة لثقة الجندى فى القائد هى:

احترام القيادة:

الاحترام هو التكريم، وهو يلى التقدير الذى يلى الحب المتولد عن ثقة الجندى فى قيادته.

وتكريم الجندى لقيادته أى احترامه لها، له مظاهر ودلائل كثيرة نذكر منها:

١- خفض الصوت فى مخاطبته.

٢- والترفق فى سؤاله دون إلحاح.

---

(١) هو عبيد الله بن زياد ابن أبيه - وكان أبوه يدعى زياد بن أبى سفيان - وكان واليا على العراق من قبل يزيد بن معاوية، وعلى يده كانت فاجعة مقتل الحسين بن على رضى الله عنهما.

٣- وترك مجادلته فضلا عن ملاحاته ومحاجته.

٤- والتواضع له توقيرا.

٥- والمحافظة على سره.

٦- ورد غيبته.

٧- والسعى فى قضاء احتياجاته دون أن يطلب ذلك.

١- **أما خفض الصوت فى مخاطبته** فذلك أدب الإسلام فى مخاطبة الوالدين والمعلمين وكبار السن، وأصحاب كل ولاية، وكان ذلك واجبا على الصحابة رضى الله عنهم وهم يخاطبون النبى ﷺ، كما يفهم ذلك من قول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾ [الحجرات: ٢-٣].

ففى هاتين الآيتين الكريمتين درس للمسلمين جميعا عند التخاطب، وهو خفض الصوت بحيث يسمعه المخاطب، فإذا كان المخاطب رسول الله ﷺ فإن رفع الصوت عنده يحبط العمل، وإذا كان المخاطب غيره ﷺ فإن رفع الصوت رعونة وإيذاء، وصخب غير مقبول.

● والقائد فى مجال الدعوة إلى الله، يتأسى بالنبى ﷺ.

والجنود فى مجال الدعوة إلى الله يجب أن يتاسوا بالصحابة رضى الله عنهم، ليكون القادة والجنود على محجة الإسلام وقيمه وأخلاقه.

واحترام القائد نتيجة للثقة فيه، يوجب خفض الصوت فى مخاطبته، ورفع الصوت فى مخاطبته دليل قلة الاحتشام وترك الاحترام، كما قال علماؤنا رحمهم الله.

● وإذا كان الجندى مطالبا بخفض صوته عند قائده، فإن القائد مطالب بالرفق بجنديه والرأفة به ورحمته والصبر عليه، لأن النبى ﷺ طولب بذلك فى التعامل مع أصحابه رضى الله عنهم، قال الله تعالى فى خطاب النبى ﷺ: ﴿**وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الحجر: ٨٨] وقال: ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ..**﴾ [الكهف: ٢٨] وقال: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ**

لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر ..﴾ [آل عمران: ١٥٩].

٢- **وأما الترفق في سؤال القائد وعدم الإلحاح عليه أو ملاحاته أو محاجته،** فذلك أدب الإسلام فى سؤال العلماء والمربين والوالدين وأولياء الأمور، وكل مسئول.

ومن هذا الأدب:

- اختيار الوقت الملائم للسؤال، واختيار المناسبة الملائمة له.
- واختيار الألفاظ الرقيقة البعيدة عن التشدق والألغاز.
- واختيار الموضوع الذى يسأل فيه، بحيث يكون ذا أهمية فى العمل فى الدعوة أو العمل فى المجال الذى يعمل فيه القائد.
- والامتناع عن الإلحاح فى السؤال وعن كثرة الأسئلة.
- والانتهاء عن السؤال المتعنت أو المتصل بالأسرار ونحوها.
- وعدم طرح السؤال المحرج للمسئول أو لأحد السامعين.
- وترك السؤال المتعلق بالأمور التى لم تقع بعد.

● والآية الكريمة التى يتعلم منها المسلمون أدب السؤال هى قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم (١٠١) قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين﴾** [المائدة: ١٠١-١٠٢][1].

٣- **وأما ترك مجادلته فضلا عن ملاحاته ومحاجته.** فإن هذا الأدب نابع من احترام الجندى للقائد، وهذه الأعمال التى يتركها الجندى فى تعامله مع قائده نهى عنها الإسلام، ورفضها أسلوبا فى التعامل مع الناس عموما، فكيف يجوز التعامل بها مع القائد وهو أستاذ ووالد وشيخ؟

فقد روى الترمذى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تمار أخاك، ولا تمازحه، ولا تعده موعداً فتخلفه**» والمراء هو المجادلة والمناظرة والمخالفة والتلوى على المخاطب.

وروى الطبرانى بسنده عن أبى أمامة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ذروا المراء فإنه لا تُفهم حكمته، ولا تؤمن فتنته**».

(١) انظر تفصيل ذلك إذا رغبت فى كتابنا: التربية الإسلامية فى سورة المائدة: صفحات: ٤٢٥- و٤٤٠- ٤٣٣.

وروى ابن أبى الدنيا بسنده عن أم سلمة أم المؤمنين رضى الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ : «**إن أول ما عهد إلىّ ربىّ ونهانى عنه بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال**» أى مماراتهم والإلحاح عليهم.

وقال الإمام مالك بن أنس صاحب المذهب - رحمه الله: «ليس هذا الجدال من الدين فى شىء».

وقال: المراء يقسِّى القلوب ويورث الضغائن.

وروى مسلم بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ :«**إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم**» أى المجادل المحاج الشديد فى خصومته.

- والكلام اللين مطلب شرعى يثاب عليه فاعله، والكلام اللين هو ما ترك فيه الجدل والمماراة والملاحاة والمحاجة ونحوها.

فقد روى الترمذى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :«**إن فى الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، أعدها الله تعالى: لمن أطعم الطعام، وألان الكلام**».

٤- التواضع للقائد توقيرا له:

القائد فى مجالات العمل فى الدعوة يحمل أعباء كثيرة وهموما عظيمة، إذ هو مسئول بين يدى الله تعالى وأمام نفسه ودعوته عن العمل الذى يتولى قيادته وعن الجنود الذين يربيهم ويعلمهم، ومسئول عن الدعوة وأعمالها العامة والمرحلية، ومسئول عن استيعاب قضايا إخوانه ومشكلاتهم، ومسئول عن تسديد أعمالهم وتوجيهها نحو ما يرضى الله تعالى.

ومسئول عن التقدم بالصف الذى يقوده إلى المستوى التالى لمرحلته.

مسئول عن أمور كثيرة لا يقوم بها إلا من كان صادق الإيمان حسن الإسلام كثير الإحسان - ولسنا نزكى على الله أحدا- ولكنا نحسبه كذلك لأن الأصل أن يكون كذلك.

- والقائد بهذه الوظائف والمهام فى منزلة لها أهميتها بل خطرها، لذلك كان دائما فى حاجة إلى دعم جنوده ومساندتهم، معنويا وماديا.

ومن أبسط حقوقه أن يوقَّر من جنوده، وأن يكونوا معه من المتواضعين.

والتواضع أصلا يكون لله تعالى ولرسوله ولكتابه وسنة رسوله ﷺ، ومطلوب مع الناس عموما، لأن مقابله الكبر والكبر حرام، والتواضع هو خلق إسلامي مطلوب في كل الأحوال ومن كل المسلمين قادة وجنودا وأمراء ومأمورين.

وإذا كان الرسول ﷺ قد طالبه ربه سبحانه وتعالى بهذا التواضع في قوله تعالى: ﴿ **وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الشعراء: ٢١٥]؛ فإن الجندى في أى مجال من مجالات العمل من أجل الإسلام أولى به أن يتحلى بخلق التواضع مع قيادته.

روى مسلم بسنده عن عياض بن حمار رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغى أحد على أحد** ».

وروى البزار بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **طوبى لمن تواضع في غير مسكنة، وأنفق مالا جمعه في غير معصية، ورحم أهل الذل والمسكنة، وخالط أهل الفقه والحكمة** ».

٥- والمحافظة على سر القائد:

القائد له نظر ثاقب وبعيد، يستطيع أن يرى ما لا يراه الجندى، لأن رؤيته أوسع وأعمق، وهو بحكم عمله وسابقته وتقديره لواجب العمل في عمومه وفي مرحلة من مراحله، يضع في حسبانه أمورا وموازين لكل أمر من الأمور، وربما كان من المصلحة عدم الكشف عن ذلك لجميع الإفراد، لأن الكتمان في هذه الحالة هو الأصل، نظرا لكثرة الأعداء المتربصين، فلو كشف القائد عن خططه لربما استفاد من ذلك العدو أو الخائن الذى يعمل لصالح العدو.

- لهذا ولغيره من الأسباب كان للقائد أن يخفى بعض ما خطط له، أو ينوى القيام به من عمل، وذلك من خلق الإسلام وقيمه النافعة، إذ السر بين اثنين عهد وأمانة، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿ **وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً** ﴾ [الإسراء: ٣٤] ويقول: ﴿ **وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ..** ﴾ [النحل: ٩١].
- وروى مسلم بسنده عن ثابت عن أنس رضى الله عنه قال: أتى عليّ رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان فسلم علينا، فبعثنى في حاجته، فأبطأت على أُمّى، فلما جئت قالت: ما حبسك؟ فقلت بعثنى رسول الله ﷺ لحاجة، قالت: ما حاجته؟ قلت: إنها سر.

قالت: لا تخبرن بسر رسول الله ﷺ أحدا.

قال أنس: والله لو حدثت به أحدا لحدثتك به يا ثابت.

وروى البخارى بسنده عن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - أن عمر رضى الله عنه حين تأيمت حفصة قال: لقيت عثمان بن عفان رضى الله عنه، فعرضت عليه حفصة، فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر، قال: سأنظر فى أمرى، فلبث ليالى ثم لقينى فقال: قد بدا لى ألا أتزوج يومى هذا، فلقيتُ أبا بكر رضى الله عنه فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر رضى الله عنه فلم يرجع إلىّ شيئا، فكنت عليه أوجد منى على عثمان، فلبثت ليالى ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه، فلقينى أبو بكر رضى الله عنه فقال: لعلك وجدت علىّ حين عرضت علىّ حفصة بنت عمر فلم أرجع إليك شيئًا؟ فقلت: نعم.

قال: فإنه لم يمنعنى أن أرجع إليك فيما عرضت علىّ إلا أنى كنت علمت أن النبى ﷺ ذكرها، فلم أكن لأفشى سر رسول الله ﷺ، ولو تركها النبى ﷺ لقبلتها».

- وإذا كان حفظ السر مطلوبا فيما هو بسيط أو قليل فى شئون الناس، أفلا يكون مطلوبا فى العمل من أجل الإسلام وتمكينه فى الأرض، مع كثرة الأعداء وكثرة العملاء وكثرة الضعفاء؟.

إن إفشاء سر من أسرار الدعوة والحركة والتربية والتنظيم، لهو هدية تقدم إلى المتربصين بالإسلام وبالعمل الإسلامى كله، وما أكثرهم، وما أحوجهم إلى معرفة ذلك!!!

- إن القائد وهو يفضى بسر من أسرار العمل أو حتى أسراره الشخصية إلى أحد من جنوده الذى اصطفاه، ورآه أهلا لكتمان السر، فلابد أن يكون الجندى حافظا لسر قائده، يتقرب بذلك إلى الله تعالى، ويحافظ بذلك على مستقبل العمل فى المجال الذى استؤمن عليه.

٦- ورد الجندى غيبة قائده:

القائد رمز من رموز الدعوة إلى الله، وعنوان لها فى زمن بعينه ومرحلة عمل بعينها، فضلا عن أن تكون قيادته أوسع وأشمل، والقائد أى قائد بل المسلم عموما له على أخيه المسلم أن يرد غيبته إن ذكره أحد بسوء أو عرض به فى كفاءته أو إخلاصه، وإذا كان هذا حقًا للمسلم على أخيه المسلم فإنه بكل تأكيد حق للقائد على جنوده.

- فإذا سمع الجندى كلمة تتضمن ذكر قائده بما يكره القائد أن يذكر به - وتلك هى الغيبة - وجب عليه أن يرد عنه هذه الغيبة بالأسلوب الذى يرضاه الإسلام فى التعامل مع الناس عموما، وهو الرفق والتلطف، والحرص على أن يدخل فى طاعة الله تعالى، بتذكيره.

● وعندما يجد الجندى نفسه عاجزا عن أن يرد غيبة قائده أو أن ينكر على هذا المغتاب عمله، فإن عليه أن يغادر هذا المجلس الذى يعصى فيه الله عز وجل، استجابة لأمر الله تعالى فى قوله : **﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾** [الأنعام : ٦٨].

وآيات الله هى : كتابه وكل ما أمر به أو نهى عنه، وكل ما جاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية من قيم يجب التمسك بها، والغيبة مما حرم الله، ورد الغيبة مما أوجب الله تعالى.

– وفى تحريم الغيبة جاء قول الله تعالى : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾** [الحجرات : ١٢].

وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : قلت يارسول الله : أى المسلمين أفضل؟ قال : **« منْ سلم المسلمون من لسانه ويده »**.

وروى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« إن العبد ليتكلم الكلمة من رضوان الله تعالى ما يلقى لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقى لها بالاً يهوى بها فى جهنم »**.

وروى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **« أتدرون ما الغيبة؟ قالوا : الله ورسوله أعلم. قال : « ذكرك أخاك بما يكره » قيل : أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول؟ قال : « إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول، فقد بهته »**.

وروى الترمذى بسنده عن البراء رضى الله عنه قال : خطبنا رسول الله ﷺ حتى أسمع العواتق فى بيوتهن فقال : **« يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولاتتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه فى جوف بيته »**.

وروى أبو داود بسنده عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« لما عرج بى مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت من هؤلاء يا جبريل؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم »**.

وروى الترمذى بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت للنبى ﷺ : حسبك من

صفية كذا وكذا - تعنى قصيرة - فقال :«**لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته**» أى خالطته فغيرته لنتنها وقبحها.

وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال فى خطبته يوم النحر بمنى فى حجة الوداع :«**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا. ألا هل بلغت**»؟!

● وفى وجوب رد الغيبة، جاء قول الله تعالى فى وصف المؤمنين « ﴿ ..**وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ**﴾ [القصص:٥٥].

وقوله سبحانه وتعالى :﴿**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**﴾ [الإسراء:٣٦].

وروى الترمذى بسنده عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :«**من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة**».

وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن كعب بن مالك رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ وهو جالس فى القوم بتبوك: «**ما فعل كعب بن مالك**»؟!

فقال رجل من بنى سلمة: يا رسول الله: حبسه برداه والنظر فى عطفيه، فقال له معاذ بن جبل رضى الله عنه: بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرا، فسكت رسول الله ﷺ.

٧- والسعى فى قضاء احتياجاته دون أن يطلب ذلك :

سعى الجندى فى أن يقضى احتياجات قائده دون أن يطلب القائد ذلك هو أدب الإسلام للابن مع أبيه وللتلميذ مع أستاذه، والقائد أب للجندى وأستاذ له - كما سنوضح فيما بعد- بل إن الإسلام يجعل ذلك من أدب الصغير مع الكبير، بل من أدب القوى مع الضعيف، كما نجد ذلك فى النصوص الكريمة من الكتاب والسنة التى جاءت بهذه القيم الإنسانية التى لا يستغنى عنها المجتمع بحال.

وعلى سبيل المثال:

فإن بر الولد لوالديه قيمة إسلامية من أرفع القيم وأجلها شأنا، وألزمها لاستمرار الأسرة

المسلمة وامتدادها؛ فى مقابل هذا التقاطع والتفتت الذى جاءتنا به الحضارات المعاصرة التى أوشكت أن تفصل بين الولد ووالديه بفواصل سخيفة ومدمرة فى حقيقتها كالحرية الشخصية وعدم حاجة الولد إلى وصاية ما دام قد أصبح رجلا أو امرأة، وكأن العلاقة الحميمة التى جعلها الإسلام بين الولد ووالديه سوف تحرم الولد من حريته أو تحرمه حقوقه!!!

إن بر الولد بوالديه جاء فى ترتيب القيم الإسلامية بعد عبادة الله وحده، قال الله تعالى : ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا** ﴾ [الإسراء:٢٣]. وقال جل شأنه: ﴿ **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ . .** ﴾ [النساء:٣٦].

- ومن صميم بر الوالدين المسارعة فى قضاء احتياجاتهما. وحسب الوالدين شرفا أن جعل الله شكرهما بعد شكره، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ** ﴾ [لقمان:١٤].

وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ : أى العمل أحب إلى الله؟ قال: «**الصلاة على وقتها**» قلت ثم أى؟ قال: «**بر الوالدين**» قلت ثم أى؟ قال: «**الجهاد فى سبيل الله**».

- وفى أدبيات الإسلام وأخلاقياته أن القائد والد له حق الوالد فى البر، وكان الرسول ﷺ وهو قائدنا وقدوتنا بمثابة الأب للمسلمين، فقد روى أبو داود بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**وإنما أنا لكم بمنزلة الوالد، أعلمكم، فإذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها، ولا يستطب بيمينه**».

وفى أدبيات الدعوة إلى الله أن القائد- كما سنوضح ذلك فيما بعد من هذا الكتاب بإذن الله تعالى - والد له حق الوالد.

- وأما المعلمون والأساتذة فهم علماء أوجب الإسلام توقيرهم واحترامهم وتقديمهم على سواهم، فقد روى مسلم بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: كان النبى ﷺ يمسح مناكبنا فى الصلاة ويقول: «**استووا، ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم، ليلينى منكم أولوا الأحلام والنهى - أى الأكثر علما - ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**».

وروى الترمذى بسنده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنهما قال: قال

رسول الله ﷺ: **« ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف شرف كبيرنا »**، وفى رواية لأبى داود: **« ويعرف حق كبيرنا »**.

وذلك كله يعنى أن لهؤلاء العلماء والمعلمين فى الإسلام حق البر بهم كانهم والدون، وعلى رأس البر بهم قضاءحاجاتهم دون أن يطلبوا ذلك.

وبعد: فهذه الواجبات السبعة من الجندى نحو قائده من مظاهر تكريمه واحترامه، على الجندى أن يؤديها استجابة لهذه النصوص التى ذكرنا من الكتاب والسنة، تقربا إلى الله بطاعته، ورغبة فى مثوبته.

والنتيجة الرابعة لثقة الجندى فى القائد

هى الطاعة للقيادة، إذ من المعروف المسلَّم به بين المهتمين بالعمل من أجل الإسلام بكل أنواعه، وبكل مراحل كل نوع منه، أن القيادة أو الإمارة لها الطاعة على كل من يعمل معها، وبغير هذه الطاعة ما يقوم عمل من أجل الإسلام على قدم أو ساق، ولا يستطيع قائد – مهما أوتى من أسباب القوة والخبرة والسابقة – أن يخطو بالعمل أى خطوة نحو تحقيق الهدف العام أو المرحلى لعمله.

- تلك قضية ندرك أبعادها بالبداهة فى مجالات الدعوة إلى الله والحركة والتربية والتنظيم وأى عمل آخر من أجل التمكين لدين الله فى الأرض.

– فمن المسلم به أيضا أنه لا إسلام إلا بجماعة، وأنه لا جماعة إلا بقيادة أو إمارة وأنه لا قيادة إلا بطاعة، وتلك منظومة مضيئة لطريق الدعوة إلى الله أهداها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه للمسلمين فى عصره وللذين يجيئون من بعده.

فقد روى الدارمى بسنده [1] عن تميم الدارى رضى الله عنه قال: تطاول الناس فى البنيان فى زمن عمر رضى الله عنه، فقال عمر: يا معشر العريب– تصغير كلمة العرب – الأرض الأرض – أى لا تتطاولوا فى البنيان – إنه لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بطاعة. فمن سوده قومه على الفقه كان حياة له ولهم، ومن سودوه على غير فقه كان هلاكا له ولهم.

- وطاعة القائد فى غير معصية لله واجبة شرعا، والقائد هو كل من يلى أمرا من أمور

---

(١) هو أبو عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمى السمرقندى (١٨١–٢٥٥هـ) من حفاظ الحديث ومفسرى القرآن الكريم له: مسند الدارمى، وسنن الدارمى، والسنن له هو أحد الكتب الثمانية المعتمدة فى الحديث.

المسلمين أو يكون مسئولا عن أحد منهم أو عن عمل من أعمالهم، وإنما وجبت هذه الطاعة بقول الله تبارك وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ**﴾ [النساء: ٥٩].

قال علماء التفسير: نزلت هذه الآية في عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه، بعثه رسول الله ﷺ في سرية.

وقال علماء أسباب النزول: نزلت في سرية بعث بها النبي ﷺ إلى حي من أحياء العرب وكان أميرها خالد بن الوليد، وكان معه عمار بن ياسر رضي الله عنهما، فأجار عمار رجلا وأمنه دون علم خالد، فلما أغار عليهم خالد أخذ الرجل وأخذ ماله فأتاه عمار فقال: خل سبيل الرجل فإنه مسلم وقد كنت أمنته وأمرته بالمقام إذ فر قومه فقال خالد: أنت تجير عليّ وأنا الأمير؟ فقال: نعم أنا أجير عليك وأنت الأمير، فكان بينهما كلام، فانصرفوا إلى النبي ﷺ فأخبروه خبر الرجل، فأمنه النبي ﷺ وأجاز أمان عمار، ونهاه أن يجير بعد ذلك على أمير بغير إذنه.. فأنزل الله تعالى هذه الآية وأمر بطاعة أولى الأمر.

ووجبت طاعة الأمير أو القائد بما رواه البخاري بسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**».

ولما روى مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك**».

ولما روى مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني**» وفي رواية: «**ومن أطاع الأمير فقد أطاعني**».

● وطاعة الأمير أو القائد واجبة شرعا -كما دلت على ذلك هذه النصوص- ما دامت في غير معصية لله تعالى أو في غير منكر.

فقد روى مسلم بسنده عن عليّ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بعث جيشا وأمّر عليهم رجلا، فأوقد نارا وقال: ادخلوها، فأراد ناس أن يدخلوها، وقال الآخرون: إنا قد فررنا منها، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال للذين أرادوا أن يدخلوها: «**لو دخلتموها لم تزالوا فيها إلى يوم القيامة**»، وقال للآخرين قولا حسنا، وقال: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف**».

وروى مسلم بسنده عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت عن أبيه عن جده رضى الله عنهما قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا، وعلى ألا ننازع الأمر أهله، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف فى الله لومة لائم».

● ولمكانة القائد أو الأمير فى العمل من أجل الإسلام وفى بناء المجتمع المسلم الذى تسوده قيم الإسلام كانت طاعته واجبة - على نحو ما أوضحنا - وكان الخروج عليه أو على الجماعة التى فى قيادته من أكبر الكبائر، لما يفضى إليه ذلك الخروج من شر وفساد فى حاضر المسمين وفى مستقبلهم.

- والخروج هنا يعنى معصية القائد والانشقاق عليه أو طلب الإقالة من العمل الذى ناطه القائد به، لأن ذلك غير جائز؛ حتى لو رأى فى أميره ما يكرهه - كما أوضحنا ذلك فى حديث نبوى سابق - فقد روى مسلم بسنده عن وائل الحضرمى قال سأل سلمة بن يزيد الجعفى رسول الله ﷺ فقال: يا نبى الله: أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا، فماذا تأمرنا؟! فأعرض عنه، ثم سأله، فأعرض عنه ثم سأله فى الثالثة فجذبه الأشعث بن قيس فقال رسول الله ﷺ: «**اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم**».

وروى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**من خرج من الطاعة وفارق الجماعة، فمات مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبية أو يدعو إلى عصبية أو ينصر عصبية، فقتل فقتلة جاهلية: ومن خرج على أمتى يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها ولا يفى لذى عهد عهده، فليس منى ولست منه**».

● وهذا الحديث النبوى الشريف على درجة قصوى من الأهمية فى جمع الكلمة ووحدة الصف، ومثله فى ذلك أحاديث أخرى كثيرة(١). ومن المقرر لدى المراقبين لتاريخ المسلمين، أنه ما ضاع أمر المسلمين فى زمن من أزمانهم إلا عندما اختلفوا وخرجوا على الجماعة، وتفرقوا شيعا وأحزابا، قديم تاريخ المسلمين فى ذلك كحديث تاريخهم، وماضى المسلمين وحاضرهم ومستقبلهم فى التعامل مع هذه الحقيقة لا يختلف عليه العقلاء، فضلا عن المؤمنين الصادقين.

---

(١) انظر فى ذلك: صحيح مسلم: كتاب الإمارة: ٢ / ١٢٠ط عيسى البابى الحلبى بمصر.

- غير أن هذه الطاعة للأمير ليست مطلقة، وإنما للمسلمين أن ينكروا على الأمراء فيما يخالف الشرع وترك قتالهم خشية الفتنة، بل إن هذا الإنكار واجب شرعا، لأحاديث منها:

ما روى مسلم بسنده عن أم سلمة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: « **ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضى وتابع، قالوا يا رسول الله: ألا نقاتلهم؟ قال: «لا ما صلوا»**.

إن الإسلام لا يعرف أميرا أو قائدا يستبد برأيه أو يخالف شرع الله ثم يسكت عنه، ولكن ينصحه ويقومه دون الدخول فى فتنة تنتج قتالا بين المسلمين.

- وطاعة الجندى للقائد تقتضى موافقته ورضاه عن قائده رضا يبلغ حد أن يحكم قائده فى كل ما يحدث من خلاف أو اختلاف بين الجنود، أو بينهم وبين غيرهم من الناس، لأن القائد مرجعهم ومثابهم، وجُنتهم.

– وهذا الرضى بتحكيم القائد فيما يدب من نزاع، ثم الرضى بحكمه بعد ذلك من قيم الإسلام التى يجب أن تسود، فالله تبارك وتعالى قد اشترط لصحة الإيمان وكماله عند المؤمن أن يحكم القائد الأول ﷺ فى كل ما يشجر بين المؤمنين من خلاف، مع وجوب تقبل ما يحكم به والرضا عنه، قال الله تعالى: ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [النساء: ٦٥].

– والقائد المسلم فى أى موقع من مواقع العمل من أجل الإسلام أى الأمير فى مجالات الدعوة إلى الله، والحركة والتربية والتنظيم إنما هو المنوط به – بحكم قيادته – الالتزام بمنهج الله تعالى ونظامه فى كل ما يتصل به أو بعمله.

– والقائد المسلم الملتزم بدينه هو امتداد فى قيادته أو إمارته لما كان عليه رسول الله ﷺ من سلوك وأخلاق فى التعامل مع الناس عموما ومع جنوده على وجه الخصوص.

- والجندى الصادق الأمين المجاهد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا مطالب بأن يحكم قيادته فى كل ما يشجر من خلاف بين العاملين فى مجالات العمل من أجل الإسلام، وبأن يدع للقيادة أن تحكم، وأن تصدر القرار.

– وهذه القيادة لن تحكم ولن تصدر القرار إلا بعد دراسة وتمحيص، واستشارة وتدقيق، واستخارة وخوف من الله تعالى، ما دامت قيادة مسلمة تعمل من أجل الإسلام.

– فإذا أصدرت القيادة قرارها كان واجب النفاذ وواجب الاحترام ممن صدر بشأنهم القرار بالرضا؛ بمعنى أنه لا يقبله وفى صدره ضيق أو حرج، ولا يقبله بسيف الحياء مجاملة أو مداهنة وإنما يتمثل معنى الآية الكريمة : ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا..** ﴾ أى تخلو نفوسهم وقلوبهم من الحرج.

– وإذا صدر القرار كان على الجندى أن يتقبله بتسليم لما تضمنه، تسليم لا يعتوره قلق ولا اضطراب، متمثلا فى ذلك قول الله تعالى ﴿ **ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا..** ﴾ .

وبعد : فتلك هى طاعة الجندى للقائد التى هى نتيجة لثقته فيه، وهى صورة مجملة.(١)

(١) للتوسع : انظر لنا : ركن الطاعة، الركن السادس من هذه السلسلة، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية : ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

والنقطة الثانية

من هذا الفصل:

مكانة القيادة فى الدعوة إلى الله.

نحاول أن نوضح هذه المكانة من خلال حديثنا فى موضوعين وتمهيد:

الأول منهما:

أن القائد جزء من الدعوة.

والآخر:

أنه لا دعوة بغير قيادة.

ممهدا لذلك بتوضيح مفهوم الدعوة عند الإمام البنا رحمه الله، فنقول سائلين الله التوفيق والسداد:

يقول الإمام البنا رحمه الله: «والقائد جزء من الدعوة، ولا دعوة بغير قيادة».

التمـــهيـــد :

● مفهوم الدعوة فى فكر الإمام البنا :

من يتصفح ما كتبه الإمام البنا من رسائل.. وهو محدود العدد إذ جمع كله فى كتاب واحد وسيط الحجم يبلغ ما يقرب من خمسمائة صفحة سمى : مجموعة رسائل الإمام البنا – تجد كلمة الدعوة قد ترددت فى هذه الرسائل جميعا بمعنى «الجماعة» جماعة الإخوان المسلمين التى كونها الإمام البنا فى شهر ذى القعدة من عام ١٣٤٦هـ الموافق لشهر مارس سنة ١٩٢٨م.

وكان هذا التكوين للجماعة عقب تحالف قوى الغرب والشرق ويهود العالم على إسقاط دولة الخلافة العثمانية سنة ١٩٢٤م، لتكون هذه الجماعة دعوة إسلامية وحركة بالإسلام فى الناس والآفاق وتربية إسلامية صحيحة للمسلمين، بعد أن ضلت بهم أنواع التربية الغربية فأبعدتهم عن دينهم وقيمه ومنهجه ونظامه، وحولت ولاء كثير منهم للغرب وحضارته!!!

وهذه الدعوة أو الجماعة تمهيد لقيام دولة مسلمة تجمع شتات المسلمين الذين فرقهم الغرب ومزق وحدتهم وحولهم إلى دويلات دعوة أو جماعة عمل ما وسعها على التمكين لدين الله فى الأرض، وتقوم مقام الدولة التى تحالف الغرب والشرق على القضاء عليها وسلخها من الإسلام وإقصائها عنه.

– فالدعوة فى فكر الإمام البنا هى : جماعة الإخوان المسلمين التى علق عليها كبير الآمال، وضحى فى سبيلها بجهده ووقته وقليل ماله، ثم ضحى فى سبيلها بنفسه، فمضى شهيدا فى سبيل الله. وعند التأمل فى وثائق الجماعة وأوراقها التاريخية نجد هذا المفهوم للدعوة – بمعنى الجماعة – واضحا تمام الوضوح.

وعلى سبيل المثال :

– ففى القانون الأساسى للجماعة :

تقول المادة الثانية :«الإخوان المسلمون هيئة إسلامية جامعة تعمل لتحقيق الأغراض التى جاء من أجلها الإسلام الحنيف وما يتصل بهذه الأغراض من :

شرح دعوة القرآن الكريم شرحا دقيقا يوضحها، ويردها إلى فطرتها وشمولها، ويعرضها

عرضا يوافق روح العصر، ويرد عنها الأباطيل والشبهات».

وهذه هي أهداف الجماعة أو أهداف الدعوة إلى الله.

وهذا هو مفهوم الإمام البنا للدعوة.

- وفى رسالة «دعوتنا»:

يتضح مما جاء فيها أن الدعوة تعنى الجماعة الملتزمة بالعمل على تحقيق منهج الإسلام فى الحياة، وهو فى الوقت نفسه غاية الجماعة أو الدعوة، إذ تقول الكلمات الأولى من الرسالة: «نحب أن نصارح الناس بغايتنا، وأن نجلى أمامهم منهاجنا، وأن نوجه إليهم دعوتنا فى غير لبس أو غموض، أضوأ من الشمس وأوضح من فلق الصبح، وأبين من غرة النهار.

ونحب أن يعلم قومنا - وكل المسلمين قومنا - أن دعوة الإخوان المسلمين دعوة بريئة نزيهة..

إنها دعوة تمضى قدما فى الطريق التى رسمها الحق تبارك وتعالى للداعين إليه ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [يوسف: ١٠٨]

ثم تواصل هذه الرسالة قائلة: واسمع يا أخى.. دعوتنا دعوة أجمع ما توصف به أنها إسلامية، ولهذه الكلمة معنى واسع غير ذلك المعنى الضيق الذى يفهمه الناس، فإننا نعتقد أن الإسلام معنى شامل ينتظم شئون الحياة جميعا، ويغنى فى كل شأن منها، ويضع له نظاما محكما دقيقا، ولا يقف مكتوفًا أمام المشكلات الحيوية والنظم التى لابد منها للإصلاح».

- وفى رسالة: إلى أى شيء ندعو الناس:

تتضح غاية الجماعة أو الدعوة فى تلك العبارة الواردة فيها وهى:

«إن الله تعالى كلف الجماعة وألقى على عاتقها واجبا أسمى، وهو: هداية البشرية إلى الحق، وإرشاد الناس جميعا إلى الخير، وإنارة العالم كله بشمس الإسلام، فذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٧٨)**﴾ [الحج: ٧٧-٧٨].

– وفى رسالة إلى الشباب :

بعد أن أوضح منهج الإخوان المسلمين فى الإصلاح فى ست نقاط هى :

- تكوين الرجل المسلم.
- والبيت المسلم.
- والشعب المسلم.
- والحكومة المسلمة.
- وجمع الوطن الإسلامى.
- وإعادة راية الإسلام إلى أوطانه السليبة.

بعد ذلك قال : نريد أن نعلن دعوتنا على العالم، وأن نبلغ الناس جميعا، وأن نعم بها آفاق الأرض، وأن نخضع لها كل جبار، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، «ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم».

– وفى رسالة : الإخوان المسلمون تحت راية القرآن :

قال : نتقدم بدعوتنا نحن الإخوان المسلمين هادئة ولكنها أقوى من الزوابع، متواضعة ولكنها أعز من الشم الرواسى، محدودة ولكنها أوسع من حدود هذه الأقطار الأرضية جميعا، خالية من المظاهر الزائفة، والبهرج الكاذب، ولكنها محفوفة بجلال الحق وروعة الوحى ورعاية الله، مجردة من المطامع والأهواء والغايات الشخصية والمنافع الفردية، ولكنها تورث المؤمنين بها والصادقين فى العمل لها السيادة فى الدنيا والجنة فى الآخرة.

– وفى رسالة : دعوتنا فى طور جديد :

أوضح الإمام البنا خصائص هذه الدعوة فى أنها :

- ربانية :

لأنها تستهدف أن ينصرف الناس جميعا إلى ربهم، وأن يستمدوا منه وحده «الله غايتنا».

- وأنها عالمية :

لأنها موجهة إلى الناس كافة، والناس فى حكمها إخوة.

لذا كانت دعوة الإخوان المسلمين، ربانية إنسانية».

وتلك بكل تأكيد من صفات دعوة الإسلام.

– وفي رسالة: بين الأمس واليوم:

يقول: دعوتنا دعوة البعث والإنقاذ، فيها يشرق النور فى هذا الظلام، وتعلو كلمة الله وتظهر شريعته، وتقام دولته.

وأهداف هذه الدعوة فى إجمال هى:

- أن يتحرر الوطن الإسلامى من كل سلطان أجنبى.
- وأن تقوم فى هذا الوطن الحر دولة إسلامية حرة، تعمل بأحكام الإسلام وتطبق نظامه.

والوسائل العامة لتحقيق ذلك هى:

- الإيمان العميق،
- والتكوين الدقيق،
- والعمل المتواصل.
- وكذلك كان مفهوم الدعوة هو الجماعة فى الرسائل التالية:

– رسالة المؤتمر الخامس،

– ورسالة المرأة المسلمة،

– ورسالة إلى الطلاب،

– ورسالة المؤتمر السادس،

– ورسالة: هل نحن قوم عمليون؟

- وكان هذا المفهوم للدعوة بمعنى جماعة «الإخوان المسلمون» أوضح ما يكون فى رسالة التعاليم، التى نحن بصدد شرحها وتحليل أركانها العشرة تحت عنوان: فى فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام حسن البنا. وهذا الكتاب: ركن الثقة آخر حلقاتها العشر.
- فالدعوة فى فكر الإمام البنا – كما اتضح مما استشهدنا به من كلماته فى رسائله – هى: نشر رسالة الإسلام فى العالم، وهى مرادفة عنده للجماعة التى تتصدى لنشر الإسلام فى

العالم، وهى جماعة الإخوان المسلمين.

وبعد هذا التمهيد نحاول أن نوضح مكان القيادة فى الدعوة إلى الله وذلك من خلال الموضوعين اللذين أشرنا إليها آنفا وهما:

- أن القائد جزء من الدعوة.

- وأنه لا دعوة بغير قيادة.

الموضوع الأول:

القائد جزء من الدعوة.

اعتبار القائد جزءا من الدعوة تفكير منهجى علمى فاعل.

- والتفكير المنهجى العلمى هو الذى يقوم على الاستقراء، ويعتمد على عدد من الخطوات تبدأ بملاحظة الظواهر وإجراء التجارب، ووضع الفروض التى تحدد نوع الحقائق التى ينبغى أن يبحث عنها، ثم التحقق من صدق هذه الفروض أو بطلانها، توصلا بذلك إلى وضع القوانين العامة التى تربط بين الظواهر، وتوجد العلاقات بينها - هكذا عرف العلماء التفكير المنهجى العلمى.

- و الفاعلية: هى القدرة على إنتاج أثر حاسم فى زمن محدد، أو القيام بالجهد المطلوب.

وفاعلية التنظيم تعنى قدرته على تحقيق أهدافه.

● ومن غير شك بل بكل تأكيد، فإن الإمام البنا استقرأ تاريخ الدعوات وظروفها وما أحاط بها، ولحظ أن كثيرا من الدعوات نجحت عندما توفرت لها القيادة الراشدة الواعية، وفشلت عندما لم تجد هذه القيادة.

ولقد تأكد الإمام البنا من صدق هذا الفرض بتتبع تاريخ الدعوات، فخرج من ذلك بنتيجة هى أن القائد جزء من الدعوة، وأن الدعوة إذا لم تجد هذا القائد فلا نجاح لها، ولا وصول إلى الأهداف مهما اجتهدت الدعوة فى الأخذ بالأسباب؛ لأن العمل الإنسانى الجماعى كله لا تقوم له قائمة إلا بالقيادة.

- والقيادة التى هى جزء من الدعوة هى القيادة الواعدة الراشدة التى تطلب النصيحة ممن يعملون معها بل أحيانا من غيرهم، ثم لا تترفع عن الأخذ بهذه النصيحة ما دامت حقا وصوابا.

● ولا يكون القائد جزءا من الدعوة حتى تتوفر له صفات القائد التى تحدثنا عنها آنفا.

● ولا ينجح عمل جماعى فى أى جماعة إلا إن كانت له قيادة تحسن عددا من الأمور أهمها:

- أن تحسن توجيه العمل والعاملين،
- وأن تجيد تسديد خطوات العمل بحيث لا تنحرف إحداها ولا تتوقف عن المسير،
- وأن تجيد وضع الخطط العامة والمرحلية،
- وأن تعرف بدقة اختيار الأهداف عامها ومرحليها،
- وأن تحسن اختيار الوسائل التى تحقق هذه الأهداف،
- وأن تعرف بدقة كيف توظف الجنود، كل فيما يستطيعه وفيما يحب أن يعمل فيه، وفيما يجيده،
- وأن تعتمد الشورى أساسا فى قيادتها،
- وألا تضيق بالنقد، فضلا عن النصيحة.

● وإذا كانت عند التحليل والتفسير هى:

- مضمون أو محتوى، يرغب أو يجب توصيله للناس.
- ورجال يوصلون هذا المضمون إلى الناس من خلال وسائل ملائمة للطرف الآخر «المدعو».
- وقيادة وتنظيم لهؤلاء الرجال: الدعاة أو الحركيين أو التربويين أو غيرهم من القائمين بالعمل.
- وأهداف تتحقق من خلال هذا العمل..

إذ كان ذلك كذلك، فإن القيادة جزء، بل جزء أصيل من الدعوة، كما أن الأفراد جزء منها كذلك.

● وفاعلية القيادة فى الدعوة أخت فاعلية الجنود فيها، وصنوها بل قرينتها التى لا تفارقها بحال، واحتياج كل منهما للأخرى ضرورى.

- فالقيادة بغير جنود لا تستطيع أن تقوم بأعباء الدعوة إذ لا بد لها من جماعة تتحرك فيها وتديرها.

– والجنود بغير قيادة قد يعملون ولكنهم لا يستطيعون تحقيق الأهداف، بل كثيرا ما يكون عملهم أقرب إلى الفوضى، التى تفتقد التوجيه والتسديد، فتفقد التأثير.

● فالفاعلية إذن فى القيادة وفى الجنود على قدر سواء.

● ومن حسن حظ العاملين فى الدعوة إلى الله قادة وجنودا، أنهم لا يحتاجون إلى جهد فضلا عن عناء فى اختيار مضمون الدعوة أو محتواها؛ لأن الله تعالى قد تكفل بهذا المضمون وذاك المحتوى بأن أنزل خاتم كتبه على خاتم رسله وكلفه أن يبلغه للناس، وما على القائد والجندى وكل عامل فى الدعوة إلى الله إلا أن يفسر ويشرح ويحسن العرض لهذه الدعوة بالأسلوب الملائم للناس وللمتغيرات التى تحيط بحياتهم، وربما بذل جهدا فى تيسير الانضمام إلى موكب الدعوة وربط هؤلاء المنضمين بعضهم إلى بعض وتعليمهم كيف يلتزمون بمحتوى الدعوة إلى الله وكيف يعملون على أن يمكنوا هذا المحتوى «الدين» فى الأرض، ثم المحافظة على هذا التمكين إلى أن يشاء الله رب العالمين.

– والذين يزعمون أن الاحتياج إلى القيادة أهم من الاحتياج إلى الجنود[1] واهمون، وغير مدركين لأبعاد العمل من أجل الإسلام واحتياجاته، مهما كان لهم من تعليلات.

فالقائد بغير جند، كرجل يريد أن ينقل جبلا من مكانه ذرة ذرة بمفرده، أو يجفف بحرا بأن ينتزع ماءه دلوا دلوا وحده!!

وما هذا بمستطاع، ولا هو من الصواب فى شىء.

● وما دام القائد جزءا من الدعوة، فإن الدعوة –على وجه الحقيقة– أجزاء:

ولتوضيح ذلك نقول:

– الدعوة من حيث مضمونها – الكتاب والسنة – لابد أن تكون أجزاء أو مفردات، لأن منها ما يستهدف تربية روح الإنسان أو عقله أو خلقه أو بدنه أو حسه الاجتماعى عموما، وكل ذلك أجزاء أو مفردات.

وهى أجزاء كذلك من حيث ما تتضمنه من ثوابت كالعقيدة والعبادة والقيم الخلقية، ومن متغيرات لا تحصى ولا تعد.

---

(١) أصحاب هذا الرأى كثيرا ما يعلنون عنه فى أوساط العاملين من أجل الإسلام وأن البداية لديهم تكون بتربية القادة .. مجتهدون مأجورون إن شاء الله، وإن كان ما ينادون به صعبا.

– والدعوة من حيث مراحلها أجزاء أيضا:[1]

فمرحلة للتعريف بالإسلام: وتوضيح ما يتصل به من قضايا ومسائل تفسره وتيسره وتدفع عنه الشبهات والأباطيل.

ومرحلة التكوين: وفيها يعمد الدعاة إلى تكوين الأفراد الذين اصطفوا من مرحلة التعريف وفق معايير معينة، ووفق مضمون هذه الدعوة ومتطلبات هذا المضمون، ولهم فى ذلك وسائلهم وأساليبهم.

ومرحلة التنفيذ: أى إخراج ما دُرِّس فى مرحلتى التعريف والتكوين إلى حيز التطبيق والتنفيذ، بمعنى أن القائد يصل بجنوده فى هذه المرحلة – وقد اصطفوا من المرحلة السابقة وفق معايير وتوثيق – بحيث يصل عدد من أفراد هذه المرحلة إلى مستوى التخصص العلمى فى مجال العمل الإسلامى.

وما يتم ذلك إلا بصبر وجهاد وكمال طاعة للقيادة التى تحسن توظيفهم وتعميق انتمائهم إلى العقيدة والمبدأ.

ومرحلة التمكين: وفيها تكون الدعوة قد وصلت بالوسائل السلمية إلى سلطة الحكم بما أنزل الله بصبغ الحياة اليومية بصبغة إسلامية، وصبغ المؤسسات والأجهزة كلها بهذه الصبغة، وإعداد التخصصات العلمية الدقيقة القادرة على سد احتياجات المجتمع فى كل مجال من مجالات احتياجاته.

ومن أبرز أهداف هذه المرحلة وضع دستور إسلامى للدولة يتضمن كافة النظم والقوانين التى تهيئ للدولة المسلمة ممارسة حياة إسلامية صحيحة.

ومرحلة المحافظة على التمكين: بحيث تظل الدولة ممكنا لها بالإسلام وقيمه ونظامه، كى لا تنهار الدولة بعد بنائها بكل هذه الجهود، والتاريخ يحدثنا عن دول قامت ثم انهارت؛ لأنها لم تحافظ على ما وصلت إليه.

- فالقائد الذى يقود كل هذا العمل جزء أصيل من هذه الدعوة، إذ لا دعوة بغير قيادة – كما سنوضح هذا فى الموضوع الآخر من الموضوعين اللذين حددناهما آنفا – فيما يلى:

---

(١) ولكل مرحلة من هذه المراحل أبعادها وطبيعتها وأهدافها ووسائلها وأساليبها. وانظر لمعرفة ذلك بالتفصيل كتابنا: فقه الدعوة إلى الله. نشر دار الوفاء بمصر سنة ١٤١٠هـ–١٩٩٠م فى مجلدين كبيرين.

والموضوع الآخر :

لا دعوة بغير قيادة :

عند التأمل فيما يجب أن يكون عليه القائد من صفات : روحية، وعقلية وخلقية وبدنية وثقافية، ودعوية، وحركية، وتربوية، وتنظيمية، يتبين لنا أن هذا القائد بهذه الصفات من أهم دعائم الدعوة وأسسها التي تقوم عليها.

ولنلق نظرة على ما يجب أن يتوفر لهذا القائد من صفات :

أولا :

الصفات الفطرية : وهي :

– الإيمان القوي بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وإنما اعتبرنا الإيمان صفة فطرية وإن كان العقل يتدخل فيه والطاعة تزيده والمعصية تنقصه لأنه الفطرة التي يولد عليها الإنسان.

– والإخلاص لله تعالى والتوجه إليه بالقول والعمل والصمت والترك.

– والصلاح والتقوى، فتقوى الله أساس يقوم عليه البناء الصحيح للإنسان قائدا وغير قائد.

– والذكاء المتمثل في القدرة على الملاحظة الدقيقة والتحليل والاستنتاج والقدرة على اتخاذ القرار.

– وسائر القدرات والمواهب اللازمة للقائد كصحة البدن وسلامة الحواس.

ثانيا :

الصفات التي يكتسبها القائد بنفسه : وهي :

– العلم عموما والعلم بالإسلام على وجه الخصوص.

– والفقه لشريعة الإسلام إذ هو دائما مسئول عن أمور من أمور الدين، مستفتى فيها.

– والنشاط وحب العمل والإقبال عليه والصبر على متاعبه.

– والمرونة إذ ليس أضر على العمل وعلى القائد نفسه من الجمود والنظرة الضيقة، وعدم القدرة على استيعاب المتغيرات والمستجدات والتعامل معها بفقه الإسلام لها وموقفه منها.

– والثقافة الإسلامية الجيدة التى تتناول :

- معرفة أصول الدين الإسلامى وتاريخه .
- ومعرفة تاريخ الأديان الكبرى، والملل والنحل .
- والإلمام بتاريخ الفتوحات الإسلامية وأهدافها .
- ومعرفة حاضر العالم الإسلامى وأهم قضاياه .
- ومعرفة الظروف التى تعيش فيها الأقليات المسلمة فى العالم .
- ومعرفة التيارات والمذاهب والفلسفات التى تعادى الإسلام أو تناقضه .

– والثقافة العامة التى تصله بالعالمين العربى والإسلامى وما فيهما من قضايا ومسائل، وبالعالم كله وما فيه من هيئات ومنظمات ومذاهب سياسية واقتصادية .(١)

وإذا كان القائد على هذا المستوى من الصفات الفطرية والصفات المكتسبة، وكلها صفات ضرورية له فى ممارسة عمله، وإذا كان القائد بهذه الصفات التى لابد منها ليقود العمل، فكيف يمكن أن تتصور الدعوة بغير قيادة؟

والنقطة الثالثة :

من هذا الفصل

فاعلية الثقة فى الجماعة

يقول الإمام البنا فى ذلك :«وعلى قدر الثقة المتبادلة بين القائد والجنود تكون قوة نظام الجماعة وإحكام خططها، ونجاحها فى الوصول إلى غايتها، وتغلبها على ما يعترضها من عقبات وصعاب : ﴿ **فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ۝ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ** ﴾ [محمد : ٢١] .

- لا تستطيع الجماعة أن تمضى فى طريقها إلى غايتها، بل لا تستطيع أن تمضى فى الطريق خطوات إلا إذا كانت الثقة متبادلة بين الجند والقائد .

تلك مسلمة تقوم عليها أدلة العقل والشرع، بل أدلة عديدة من تاريخ الدعوات، ما نجح منها وما فشل .

وذلك ما نحاول أن نوضحه فى هذه النقطة الثالثة الأخيرة من هذا الفصل الأول من هذا

(١) للتوسع فى معرفة ذلك انظر لنا : المرجع السابق – باب فقه الدعاة إلى الله .

الباب، والله ولي التوفيق.

- تحدثنا - فيما سبق - عن الثقة مفهومها ودلالاتها فى القرآن الكريم والسنة النبوية وتاريخ الصحابة رضى الله عنهم، وأهل القرون الثلاثة الأولى خير القرون، وتتبعنا معانيها ودلالاتها فى سائر القرون التى عاشها المسلمون، بعد أن أكرمهم الله تعالى، وكرمهم بشرع الجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا؛ أى التمكين لدين الله فى الأرض - ومشروعية الموت فى سبيل الله ومن أجل نصرة دينه وحماة هذا الدين.

- وأما تبادل الثقة بين القائد والجنود، فيعنى أن يثق الجندى فى القائد وأن يثق القائد فى الجندى.

- أما ثقة الجندى فى القائد فسنتحدث عنها فى الفصلين الأخيرين من هذا الباب إذا أذن الله.

- وأما ثقة القائد فى الجندى فهى موضوع هذه النقطة من هذا الفصل.

ثقة القائد فى الجندى:

لا تأتى ثقة القائد فى الجندى من فراغ، إذ لابد أن تتوفر فى الجندى صفات تؤهله لثقة قائده فيه، فما هى هذه الصفات التى تتوفر فيه؟

صفات الجندى التى تجعله أهلا لثقة قيادته فيه:

١- صلاحه:

أى طاعته لله تعالى، وهى صفة لابد منها لكى يحب دينه ويرغب فى العمل من أجله، ويستطيع أن يفهم هذا الدين من خلال قراءته وتلقيه عن قيادته، واحتكاكه بإخوانه، لا بد لهذا من أن تتوفر فيه صفة الصلاح، وهذا هو ما يجعل قيادته تثق فيه.

٢- إخلاصه:

بمعنى أن يتوجه بقلبه وعقله وقوله وعمله لله تعالى، لابد أن يكون مخلصا ليسعى إلى الجماعة ويبحث عنها وعن رجالها ليتقرب منهم ويتعلم على أيديهم.

على أن صفة الإخلاص صفة كامنة فى القلب لا يطلع عليها إلا الله تعالى، ونحن لنا الظاهر، وقد يدل هذا الظاهر على الإخلاص، وعندئذ يستحق الجندى المخلص أن يحظى بثقة قائده فيه.

٣- صدقه:

صدقه في قوله وفي عمله، وصدق موقفه من الدعوة إلى الله ومن تحمل ما قد يتعرض له من محن وشدائد مما يتعرض له العاملون من أجل الإسلام، واحتسابه ذلك كله عند الله، لأنه من سنة الله فيمن يدعون إليه، ممن خلوا قبلنا وإلى يوم الدين.

وكلما كان الجندي صادقا بهذه المعاني كان موضع ثقة قيادته.

٤- التزامه:

وهذا الالتزام أنواع:

- التزامه مع الله تعالى بأن يتمثل لأمره ونهيه سبحانه وتعالى.
- والتزامه مع نفسه، بأن يربي نفسه وأهله وولده على قيم الإسلام وأخلاقه، بل مع كل من يلي أمرهم أو يتعامل معهم في عمله وطريقه وسكنه.

فهذا الالتزام هو الذي يجعل قيادته تثق فيه.

٥- نبل أهدافه:

وأول هذه الأهداف أن يقنع أهله وذويه باحترام فكرته ودعوته وعمله من أجل الإسلام وتضحيته في سبيل ذلك.

وثاني هذه الأهداف أن ينشر دعوة الحق والخير والهدى في الناس لا يألو في ذلك جهدا ولا يدخر طاقة، وفي نشر الدعوة في الناس إرشاد للمجتمع.

وثالث هذه الأهداف أن يتحلى بالفضائل التي جاء بها الإسلام وأن يتخلى عن الرذائل.

ورابع هذه الأهداف أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

وخامس هذه الأهداف النبيلة هو أن يعد نفسه للجهاد في سبيل الله، معنويا بأن تحدثه نفسه دائما بأن يجاهد في سبيل الله، وماديا بدعم الجهاد والمجاهدين بكل ما يملك من أسباب مادية.

٦- نبل وسائله:

بحيث تكون الوسائل والأساليب التي يلجأ إليها لتحقيق أهدافه مما أحل الله، فلا يبيح لنفسه أبدا -مهما كان الهدف الذي يحاول تحقيقه نبيلا- أن يتجاوز ما أحل الله إلى ما حرم أو جعله مكروها.

٧- انتماؤه:

إذ يجب أن يكون انتماؤه لهذا الدين ولرسوله ﷺ أولا، ثم لقيم هذا الدين ومبادئه، ثم للمسلمين فى كل وطن إسلامى دون تفرقة فى قومية أو إقليمية أو لغة أو نحوها، إننا نريد منه أن تتشبع نفسه وقلبه وعقله لكلمة سلمان الفارسى رضى الله عنه حين قال عن نفسه: أنا سلمان ابن الإسلام.

بهذا الانتماء يستحق ثقة قيادته فيه.

٨- سعة أفقه:

إذ يجب أن يمد بصره خارج نفسه وأسرته، إلى وطنه وإلى أمته العربية وإلى أمته الإسلامية، يفكر فى قضاياها ويهتم بها، ويفكر فى حل مشكلاتها، ويبدى استعدادا لأن يعمل ما وسعه فى سبيل تحرير وطنه المحلى ووطنه العربى ووطنه الإسلامى من كل سلطان أجنبى سياسى أو اقتصادى أو اجتماعى أو ثقافى، فلو بدأ بنفسه فحررها من هذا السلطان الأجنبى ثم حذا حذوه غيره، لتحرر الوطن الإسلامى بهذا الوعى، وبتلك السعة فى الأفق يكون محل ثقة قيادته.

٩- عمق مؤاخاته لإخوانه:

إن الأخوة فى الله ليست كلمة يخبر بها الأخ أخاه أنه يحبه فى الله ثم يتوقف عطاء الأخوة وتنحسر قيمها وآدابها، وإنما هى أخوة تعارف وتفاهم وتكافل وإيثار على النفس، فلا يكفى أن يكتفى من الأخوة بقشرتها، بل لابد من لبابها والتضحيات من أجلها.

عندئذ يكون الجندى عميق الأخوة مع إخوانه أهلا لأن تثق فيه قيادته.

١٠- تجرده:

التجرد لله تعالى فى العمل من أجل دينه ودعوته هو الأصل الذى يجب أن يكون عليه أى جندى فى صفوف الدعوة إلى الله، فإن خالط هذا العمل أى رغبة فى جاه أو منصب أو مال أو منفعة، حبط العمل وحدث الضلال بل الضياع.

ومما يدخل فى التجرد أن يتجرد الجندى من أى ولاء إلا لله ولدعوته ومن أى انتماء إلا إلى دين الله ومنهجه ومن أى فكر أو مذهب غير الإسلام ومبادئه ونظامه.

إذا كان الجندى كذلك فهو أهل للثقة من القيادة، وبغير ذلك لا يكون.

١١- ثباته :

ثبات الجندى على الحق مهما أصابه من عنت الباطل وأهله هو السمة الغالبة على جندى العقيدة والمبدأ، فإن حدث منه تردد أو اضطراب لمحنة أو لتوقع محنة فليس جندى عقيدة؛ لأن جندى العقيدة يؤمن إيمانا راسخا أنه ممتحن مبتلى، الثبات على الحق، والثبات على المحنة، والثبات على الصبر والتضحية التى قد تصل إلى حد بذل النفس بعد بذل المال والجهد والوقت.

إنه ثبات القلب والعقل واللسان والجوارح، وثبات القدم فى مواطن الجهاد فى سبيل الله.

إن جندى العقيدة الثابت على عقيدته ودعوته هو الجندى الذى يستحق أن تثق فيه قيادته.

١٢- نزاهته :

ما دام هذا الجندى كما قلنا آنفا جندى عقيدة فلابد أن يحاذر كل ما يمس عقيدته من شوائب، وما يمس شرفه وطهارة يده من أوشاب، وإن هذه المحاذرة هى النزاهة، فإن وجد نفسه فى موقف قد يساء به الظن فى نزاهته فإن من الواجب أن يتقى الشبهات لكى يستبرئ لدينه وعرضه.

بل إن حديث النفس فقط بتحقيق مكسب مادى من عمل ما، يمس النزاهة من جانب ويمس الإخلاص من جانب آخر، وليس جندى عقيدة من حدثته نفسه بشىء من ذلك.

● وقد يقول بعض أعداء الدعوة: إن الجماعة تجند الأفراد وتطمعهم فى أعراض الدنيا ومادياتها، وتلك دعوى كاذبة، لأكثر من دليل على كذبها، وأول هذه الأدلة أن هذا الأسلوب حرام، وما كان للجماعة أن ترتكب حراما وهى التى تنادى بأن يلتزم المسلمون جميعا بأمر الله ونهيه، وكيف تفعل الجماعة ذلك وكتاب الله تعالى يقول: ﴿**قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً**﴾ [النساء: ٧٧]، ويقول جل شأنه: ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ**﴾ [الشورى: ٢٠]. وهذا أقوى الأدلة على بطلان هذا الاتهام فإن فعل ذلك واحد من أفراد الجماعة، فإنما عليه ما حمل، وما كان لخطأ فرد أن تدان به جماعة!!!

الجندى النزيه النظيف القلب واللسان واليد وسائر الجوارح هو الجدير بأن تثق قيادته فيه.

١٣ - ثقته فى قيادته :

مما يميز جندى العقيدة أن يثق فى قيادته، لأنها قيادة لم تفرض نفسها وإنما اختيرت وفق معايير أهلتها لتولى هذه القيادة، بل هى قيادة لم تتشوف إلى أن تكون فى القيادة، وإنما وسدتها لسابقة خبرتها وكفاءتها وإخلاصها، فهى قيادة مؤهلة لأن يثق فيها جنودها، بل إن ثقة الجندى فى قيادة هذه صفاتها قربه إلى الله تعالى واستجابة لمطلب إسلامى أصيل وهو وجوب طاعة هذه القيادة، والطاعة إنما تتولد عن الثقة فيمن يطاع..

وبعد : فإن الجندى بهذه الصفات التى ذكرنا وهى قل من كثر، أهل لأن تثق فيه قيادته، وأن يثق هو فى قيادته، وتلك هى الثقة المتبادلة بين الجندى والقائد.

- والقائد الذى لا يثق فى هذا الجندى الذى ذكرنا من صفاته ما ذكرنا، يحتاج لأن يطرح عليه سؤال هو : لماذا لم تثق فى هذا الجندى؟ وربما لا يجد تبريرا لعدم ثقته فيه، فيغمطه حقه، ويخمل جذوة حماسه ويطفئ وهج مشاعره ويشعره بالإحباط، وربما صرفه بذلك عن التجويد والإحسان أو صرفه عن الصف كله، وفى هذا ما يضر بالعمل كله.

- وما أظن قائدا فى أى مجال من مجالات العمل من أجل الإسلام قد : ستجمع صفات القائد - التى ذكرنا - يمنع ثقته فى جندى كان على مستوى ما ذكرنا من صفات.

مظاهر تبادل الثقة بين القائد والجندى وأثرها

سبق أن أشرنا إلى أن فقد الثقة بين القائد وجنديه تعوق العمل، وتضر بالجندى أيما ضرر على المستوى الشخصى والدعوى والحركى والتربوى.

ونقول هنا :

إن تبادل الثقة بين القائد وجنديه تعود بأحسن الآثار على القيادة وعلى الجنود وعلى الدعوة نفسها وعلى كل شعبة من شعب العمل فيها.

وقد أوضح الإمام البنا من هذه الآثار الإيجابية أربعة :

١- قوة نظام الجماعة،

٢- وإحكام خططها،

٣- ونجاحها فى الوصول إلى غايتها،

٤- وتغلبها على العقبات والعراقيل.

ونحاول فى هذه الصفحات أن نوضح هذه الآثار الإيجابية للثقة بين القائد وجنده على الجماعة، والله تعالى ولى التوفيق.

١ - قوة نظام الجماعة:

تلك هى أولى النتائج لتبادل الثقة بين القائد والجنود، فماذا يقصد الإمام البنا بـ «قوة نظام الجماعة» الذى يؤثر فيه تبادل الثقة بين القائد والجند؟

- **نظام الجماعة هو:** مجموعة القواعد التى تضبط سلوك أفراد الجماعة، بحيث يتفق هذا السلوك مع قيم الإسلام وأخلاقه، والقواعد التى تضبط العمل فى الجماعة وتوجهه، وتحدد أنواعه وأوقاته والقائمين عليه أو به، ومجموعة القواعد التى تحدد أنواع القيادات فى الجماعة، وتحدد لكل قيادة وظائفها ومسئولياتها، ومجموعة القواعد التى توضح شروط العضوية فى الجماعة، وتبين الهيئات الإدارية التى تشتمل عليها الجماعة، ومجموعة القواعد التى تحدد النظام المالى للجماعة.

ومجموعة القواعد التى تحدد أهداف الجماعة ووسائلها فى العمل، وتوضح أسلوب التعامل مع من يخل بهذا النظام.

- وقد سمى هذا النظام فى أوراق الجماعة ووثائقها التاريخية بقانون النظام الأساسى للجماعة.

وقد وضع هذا النظام فى زمن مبكر من تاريخ الجماعة، فقد وضع فى عام ١٣٤٩هـ-١٩٣٠م أى بعد إنشاء الجماعة بعامين اثنين.

ثم عدل هذا النظام مرات كان آخرها سنة ١٣٦٤هـ-١٩٤٥م

- ويتكون نظام الجماعة أو قانون نظامها من ثمانية أبواب هى:

-الباب الأول:

اسم الهيئة ومقرها، وتشتمل عليه المادة رقم «١».

- **والباب الثانى:**

فى الأهداف والوسائل وتشتمل عليه المادتان: «٢» و«٣».

- **والباب الثالث:**

فى الأعضاء وشروط العضوية وتشتمل عليه المواد من «٤» إلى«٨».

- **والباب الرابع :**

فى الهيئات الإدارية الرئيسة للإخوان المسلمين وتشتمل عليه المواد : من « ٩ » إلى « ٣٩ »

- **والباب الخامس :**

فى الهيئات الإدارية للشعب والمناطق، وتشتمل عليه المواد من « ٤٠ إلى « ٥١ ».

- **والباب السادس :**

فى صلة المركز العام بالشعب، وتشتمل عليه المواد من « ٥٢ » إلى« ٥٥ ».

- **والباب السابع :**

النظام المالى للهيئة، وتشتمل عليه المواد من « ٥٦ » إلى« ٥٩ »

- **والباب الثامن :**

فى أحكام عامة، وتشتمل عليه المواد من « ٦٠ » إلى « ٦٤ ».

● وعند تصفح مواد هذا النظام نجده كله متقيدا بأحكام الشريعة الإسلامية، لأن الجماعة كما سمت نفسها :« هيئة إسلامية جامعة تعمل لتحقيق الأغراض التى جاء من أجلها الإسلام الحنيف، وما يتصل بهذه الأغراض – وهى :

أ- شرح دعوة القرآن الكريم شرحا دقيقا يوضحها ويردها إلى فطرتها وشمولها، ويعرضها عرضا يوافق روح العصر، ويرد عنها الأباطيل والشبهات.

ب- وجمع القلوب والنفوس على هذه المبادئ القرآنية، وتجديد أثرها الكريم فيها، وتقريب وجهات النظر بين الفرق الإسلامية المختلفة.

جـ- وتنمية الثروة القومية وحمايتها وتحريرها، والعمل على رفع مستوى المعيشة.

د- وتحقيق العدالة الاجتماعية لكل مواطن، والمساهمة فى الخدمة الشعبية، ومكافحة الجهل والمرض والفقر والرذيلة، وتشجيع أعمال البر.

هـ- وتحرير وادى النيل والبلاد العربية جميعا والوطن الإسلامى بكل أجزائه من كل سلطان أجنبى، ومساعدة الأقليات الإسلامية فى كل مكان، وتأييد الوحدة العربية تأييدا كاملا، والسير إلى الجامعة الإسلامية.

و- وقيام الدولة الصالحة التى تنفذ أحكام الإسلام وتعاليمه عمليا، وتحرسها فى الداخل،

وتبلغها فى الخارج.

ز- ومناصرة التعاون العالمى مناصرة صادقة فى ظل المثل العليا الفاضلة التى تصون الحريات وتحفظ الحقوق، والمشاركة فى بناء السلام والحضارة الإنسانية على أساس جديد من تآزر الإيمان والمادة، كما كفلت ذلك نظم الإسلام الشاملة.

● وكل فرد من أفراد الجماعة قائدا كان أو جنديا، عليه أن يعمل على تطبيق هذا النظام، والمحافظة عليه، ابتداء من المرشد العام إلى آخر جندى فى الجماعة.

ولقد كان للالتزام بهذا النظام، كان له قَسَمٌ، يقسم به المرشد العام، وكل من يتولى مسئولية ما فى الجماعة.

● وكل نظام إنما يقويه ويؤكده تطبيق القيادة والأفراد له، لا عن طريق القسم وحده، ولكن عن طريق الالتزام الأدبى والمعنوى من جميع الأفراد بتطبيق النظام.

● ولا يقوى الالتزام - فى هذا المجال - مثل الثقة المتبادلة بين المتلزمين به، وهنا تظهر أهمية الثقة بين القائد والجنود فى حماية هذا النظام والالتزام بتطبيقه.

- الثقة بين القائد والجنود تكسب نظام الجماعة قوة، وتتمثل هذه القوة فى أمور أهمها:

● الحرص على تطبيق النظام كاملا، وليس الأخذ ببعضه دون بعض.

● والتمسك به فى كل موقف من المواقف التى يمارس فيها العمل فى أى مجال من مجالات العمل فى الجماعة.

● والمحافظة على النظام من أى إخلال به.

- وعند فقد الثقة بين القيادة والجنود أو اهتزازها يكون ضعف نظام الجماعة بتعطيل النظام أو إعمال بعضه دون بعض أو التحايل عليه عندما يصطدم مع رغبات شخصية أو نحوها.

- والأصل فى القائد فى أى موقع من مواقع الجماعة أن يكون أمينا على تطبيق هذا النظام حريصا عليه ملتزما به شخصيا وملتزما به فى مجال عمله بمعنى ألا يخرج عمل عن التقيد بهذا النظام.

- كما أن الأصل فى الجنود أن يكونوا أمناء - كذلك- على تطبيق النظام أولا على أنفسهم وثانيا على مجال العمل الذى يقومون به.

● والقائد وحده مهما أوتى من القوة ومهما كان قدر مايتمتع به من إمكانات وقدرات لا

يستطيع وحده أن يحمى النظام من جانب، ولا أن يفرضه فرضا على الجنود من جانب آخر، وإنما تحتاج حماية النظام وإلزام الجنود إلى : الثقة بين القائد والجند، بمعنى أن يكون الجنود واثقين فى كفاءة القائد وإخلاصه وأن يكون القائد واثقا من جنده ومن إخلاصهم فى تطبيق النظام، وقدرة كل منهم على القيام بعمله فى الموقع الذى هو فيه.

– وإذا تُبُودلتْ هذه الثقة بين القائد والجند كانت قوة هذا النظام وفاعليته، والالتزام بتطبيقه.

– وفى هذا التطبيق لهذا النظام المستقى من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، تقرب إلى الله تعالى، لأنه عمل بما أمر به، وانتهاء عما نهى عنه، وتطبيق لمبادئ الشريعة الإسلامية وقيمها وأخلاقها وسلوكياتها.

– كما أن تطبيق هذا النظام دعم للجماعة وإقدار لها على تحقيق أهدافها، وممارسة وسائلها وأساليبها وكلها -كما أسلفنا- مما شرع الله تعالى، بل مما أوجبه أو ندب إليه.

– وفى تقوية نظام الجماعة بهذه الثقة المتبادلة بين القيادة والجند دعم لكل من فى الجماعة من قائد أو جندى، وفى هذا الدعم ما يمكن أفراد الجماعة والقيادات فيها من أداء كل منهم عمله بكفاءة وفاعلية، وقدرة على تحقيق الأهداف عامها ومرحليها برضى وانشراح.

– وفى تقوية نظام الجماعة طمأنة لأفرادها وقياداتها على أن كلا يقوم بحراسة مبادئ الجماعة ويسهر على رعايتها ونشرها فى الناس، والدعوة إلى الالتزام بها تقربا إلى الله تعالى.

– وعندما يتخلخل النظام بفقد الثقة المتبادلة بين القائد والجندى أو يضعف أو يهتز، تكون الجماعة كلها على خطر عظيم، لأن نظامها هو الأساس الذى يقوم عليه بناؤها، وعندئذ تضيع الأهداف أو تتعطل، ويضعف الانتماء للجماعة بل يضعف الانتماء إلى مبادئ الإسلام نفسها!!!

– وعندما يقوى النظام نتيجة للثقة المتبادلة بين القائد والجندى يتاح للقائد أن ينتقل من موقع إلى موقع يلائم تراكم خبراته فى مجال العمل، ويلائم ما حدث له من تنمية لقدراته خلال قيادته للعمل، بل يتاح له أن ينظر إلى الأمور نظرة أعمق وأشمل وأكثر مرونة، وأدق فى تقدير الظروف والملابسات.

إن النظام القوى يتيح حرية حركة وحرية انتقال، ويباعد بين أى قائد وبين أن يظل فى مكانه لا يغادره، فيحرم نفسه رؤى جديدة فى مواقع القيادة الجديدة، وتدربا على أنواع من العمل عديدة.

– وعندما يكون النظام قويا مكينا لا يخل أحد به، فإنه يتاح للجندى كذلك أن يرشحه قائده للانتقال من عمل إلى عمل آخر أهم وأكبر، وأكثر ملاءمة لقدرات الجندى التى تنمو من خلال ممارسته للعمل، وعندئذ تتعدد قدرات الجندى ويزداد خبرة بكل موقع يعمل فيه.

وعند تراكم خبرات الجندى فإنه يرشح لعمل قيادى بعد قبول توثيقه ممن وثقوه.

ولو كان ضعيفا لفقد الثقة بين القائد والجندى فإن كل تلك الفرص المهمة سوف تضيع على الجماعة أولا، وعلى القادة والأفراد بعد ذلك، وفى ذلك ما فيه من السلبيات.

– وأبسط هذه السلبيات بالنسبة للجندى – عندما يكون النظام ضعيفا لفقد الثقة المتبادلة بين القائد والجندى – فإن الجندى قد لا يقبل انتقاله إلى مجال عمل آخر متعللا بما شاء من العلل أو قابلا له وهو كاره، أو رافضا له، وفى كل ذلك من الخلل ما لا يخفى على بصير بمجالات العمل من أجل الإسلام.

– وأبسط هذه السلبيات بالنسبة لقائد موقع عمل من المواقع عندما يتخلخل النظام، أن يبالغ القائد فى الإحساس بذاته، وأن يشتط فى تكليف من يقودهم بما لا يطيقون أو بما لا يحبون، أو بما لا يلائم طاقاتهم حيث يستطيعون أكثر مما كلفوا به، وقد تطالبهم بعض القيادات – نتيجة لإحساسهم بضعف نظام الجماعة – بأعمال لا يقرها النظام، وأن يحولهم إلى أتباع له يأتمرون بأمره لا بأمر الجماعة، وربما ربط بين مصالحهم المادية ومصالحه هو!! وفى هذا ما فيه من خلخلة الصف واضطراب وتوليد الانشقاقات والتكتلات الجانبية.(١)

– وفى تقوية نظام الجماعة بالثقة المتبادلة بين القائد والجندى، ما يتيح للقائد أن يحاسب الجندى المقصر أو المتهاون أو المهمل، وربما وقع عليه عقابا مما يبيحه النظام الأساسى للجماعة، انطلاقا من أن مبدأ إثابة المجد المجتهد، وحساب المقصر المهمل أو عقابه مبدأ إسلامى أصيل، وفى ضعف النظام أو غيبته تتعطل هذه القيم التربوية الهامة فى حياة العاملين فى الجماعة.

– وفى قوة النظام وتماسكه واحترام مبادئه والالتزام بها ما يتيح للجندى أن يقدم النصح

---

(١) لوحظ أن هذا يحدث فى أوقات المحنة، لأن النظام فى هذه الأوقات لا يستطيع ضعاف القلوب أن يجاهروا بحمايته والالتزام به، فتنحرف بعض القيادات الصغيرة وتجرف معها عددا من الأفراد، وهذه تكاد تكون من سنن الله فى المحن والابتلاءات، فقل أن كانت محنة إلا كان معها مثل هذا الانحراف.

لقيادته، وهذا من حق كل جندى فى أى عمل فى أى موقع، بل يتيح له – إن رأى ذلك ضروريا – أن يشكو قائده إلى من هو فوقه فى المسئولية عندما يراه غير حريص على تطبيق النظام، من منطلق مبدأ إسلامى أصيل هو أنه لا أحد أكبر من النظام ولا أحد يملك تعطيل النظام.

– وفى قوة نظام الجماعة ما يدعم ممارسة المبادئ الإسلامية التى يقوم عليها العمل الجماعى وهى:

النصيحة،

والشورى،

والعدل.

– فقوة نظام الجماعة تتيح للناصح أن يمارس النصيحة كما شرعها الرسول ﷺ، لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم. وعند ضعف النظام يخاف الناصح ويجبن، ويتعالى المنصوح ويعد نصيحته انتقاصا من قدره وانتهاكا لمكانته.

– ومع قوة نظام الجماعة يلجأ القادة والأفراد إلى الأخذ بمبدأ الشورى، واعتباره أهم وسائل إنضاج الرأى، ودعمه برأى آخر أو بآراء أخرى، ويرضى الله تعالى عن الجماعة ويوفقها ويسدد خطاها، لأن الشورى عبادة يتقرب بها إلى الله، وهى حرب على الاستبداد بالرأى والغرور.

وعند ضعف نظام الجماعة تموت الشورى ويغتر كل صاحب رأى برأيه، وتضيع الفائدة من مشروعية الشورى، ويفشوا الاستبداد، وتخسر الجماعة مواقف ورجالا وقادة.

– ومع قوة النظام يسود العدل بين أفراد الجماعة، فلا يظلم أحد فى التعبير عن رأيه ولا فى الاعتراض المهذب على عمل لا يراه موافقا لنظام الجماعة، ولا يتوسد أحد عملا قياديا مهما كان صغيرا دون أن يكون أهلا له.

ومع ضعف النظام تنتشر المظالم المعنوية والمادية، وتكمم الأفواه ويصبح التعبير عن الرأى وقاحة واستهانة باحترام الآخرين، وتنمو التحزبات الصغيرة وتدلس الآراء فى أى انتخابات، وتصبح الجماعة كالأحزاب السياسية التى لا تتقيد بمبادئ الإسلام وقيمه وأخلاقه، ويتوسد المناصب والقيادات من استطاع أن يحصل على أكثر الأصوات بوسائل غير شرعية، ومن

رشح وهو غير أهل للترشيح ومن وثق وهو غير مؤهل للثقة وتظهر الأفكار المريضة التى اخترعها الطغاة وهم أهل التزلف من المسئول لا أهل الكفاءة والإخلاص فى العمل، ويفتح الباب على مصراعيه للنفاق مع كل ذى سلطة فى الجماعة.

وفى هذا الزخم الذى أشاعه فقد العدل تنكمش مبادئ الإسلام وتذوب قيمه، وتنهار الأسس التى يقوم عليها بناء الجماعة.

– ومع قوة نظام الجماعة بالثقة المتبادلة بين القائد والجند، تتمكن الجماعة قوادا وجنودا من القضاء على الخلافات فى الفرعيات قبل أن تستفحل وتمس الأصول، ويمكن القضاء على الشلل قبل أن تصبح تيارات لها أنصار ومدافعون ومتحمسون وربما متعصبون علماء اللسان يجادلون أحيانا عما يعلمون أنه ليس بحق.

● فلو كان النظام قويا بهذه الثقة التى تحدث عنها الإمام البنا ما وجد قائد لموقع فرصة ليستبد بموقعه، ولا وجد أحد علماء الجماعة فرصة ليرى نفسه موازيا للجماعة أو أنضج رأيا منها، ولا وجد أحد من أفراد الجماعة فرصة لأن يتهم القيادة فى كفاءتها وإخلاصها، ولا استطاع أحد أن يقول إن رأيه هو التحليل الصحيح وحده دون غيره، ولا استطاع أحد أن يتقدم – مثلا – بالاستقالة من الجماعة –كما كان يحدث – ولا أدرى كيف يستقيل أحد من عمل للإسلام يعد عبادة لله، لأنه استجابة لأمر الله فى قوله تعالى: ﴿ **وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ** ﴾ [الحج:٧٧–٧٨]. وفى قوله عز وجل: ﴿ **وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ** ﴾ [التوبة:١٠٥] وفى قوله تعالى: ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي..** ﴾ [يوسف:١٠٨].

كيف يستطيع أحد له مصداقية مع نفسه وإخلاص لله فى عمله أن يطلب من أحد أن يقيله من عبادة الله وطاعته؟

– إن الاستقالة عجز عن الإصلاح وهروب من الموقف، وخوف من مواجهة الأحداث، وأولى بالمستقيل ثم أولى أن يظل فى الصَّف وأن يصلح ما استطاع، فإن لم يجد أذنا صاغية فقد أعذر إلى ربه ولم يحدث خللا بالصف، وعليه أن يمتثل قول النبى ﷺ فى الحديث الذى رويناه آنفا:

« .. وإذا رأيتم من ولاتكم شيئا تكرهونه فاكرهوا عملهم ولا تنزعوا يدا من طاعة ».

– لو ساد العدل بسيادة مبادئ الإسلام فى الجماعة لقوة نظامها ما حدث شيء من هذا..
لكن مع ضعف النظام بفقد الثقة المتبادلة بين القائد وجنده، يحدث هذا وأكثر منه، ولكن الله غالب على أمره ولن يضيع دعوته ولن يتخلّى عن المخلصين من العاملين من أجل الإسلام.

● إن فى قوة نظام الجماعة ما يمكن العاملين فيها من ممارسة حقوقهم والقيام بواجباتهم واحتساب أجرهم عند الله على ما يصيبهم من نصب أو وصب وهم يقاومون سوء الظن والغيبة والانحراف، والتراجع والنكوص.

وأخيرا نقول: إن الثقة المتبادلة بين القائد فى أى موقع وجنده هى السبب الرئيسى فى المحافظة على نظام الجماعة وقوته والالتزام به.

٢ – إحكام خطط الجماعة

وهذا ثانى مظاهر الثقة بين القائد والجندى، وثانى أثر من آثار هذه الثقة.

– الخطط جمع خطة: وهى أسلوب فى التنظيم يهدف إلى استخدام الموارد البشرية وغير البشرية على أفضل وجه ممكن لتحقيق أهداف محددة.

وليست فى معلوماتنا معلومة عن جماعة أى جماعة تعمل دون تخطيط، فإن وجدت فربما كان القائمون عليها غير عقلاء، فإن عملوا على غير تخطيط فسيصاحبهم الفشل أو العجز عن تحقيق أهدافهم، تلك حقيقة عن العمل الجماعى لا ينازع فيها إلا غافل أو جاهل.

● والخطط التى وضعتها جماعة الإخوان المسلمين كانت متصلة بتحقيق أهدافها فاتجهت إلى وسائل تحقيق هذه الأهداف تخطط لها وترسم لها أبعادها وتبين طبيعتها، وقدرتها على تحقيق الأهداف.

وسائل الجماعة فى تحقيق أغراضها

وقد حصرت الجماعة هذه الوسائل: التى تحقق أهدافها فى أربع:

أ- الدعوة،

ب- والتربية،

جـ- والتوجيه،

د- والعمل.

أ- الدعوة:

وهى أولى وسائل تحقيق أهداف الجماعة، وتعنى دعوة الناس إلى الله وإلى الحق وإلى الخير وإلى التمسك بالدين الخاتم، وإلى طاعة الله ورسوله وأولى الأمر جميعا.

- وقد وضعت الجماعة للدعوة نظاما، وانشأت لها قسما سمى «قسم نشر الدعوة» نصت عليه المادة: ٥٨ من اللائحة الداخلية العامة للجماعة.

ونص هذه المادة هو:

تنظيم الدعاية لفكرة الإخوان تنظيما فنيا، ونشر الدعوة بكافة الوسائل التى لا تتنافى مع روح الإسلام.

ومن ذلك:

- إعداد الدعاة للخطابة والمحاضرات والكتائب(١)، على أن لا يسمح لهؤلاء أن يخطبوا فى الأحفال العامة إلا بعد التأكد من صلاحيتهم.

- وإصدار ما تحتاج إليه الدعوة من رسائل ونشرات علمية وثقافية ورياضية.

- وتنظيم إصدار الرسائل والكتب التى يصدرها الإخوان المسلمون ولها مساس بالدعوة؛ بحيث لا تطبع أى رسالة إلا بعد عرضها على القسم وإقرار نشرها.

وعلى كل أخ يؤلف كتابا أو رسالة من هذا القبيل ألا يطبعها قبل عرضها على القسم، فإذا أقرها القسم اعتبرت من رسائل الإخوان.

- وإعداد الإخوان بصفة عامة إعدادا إسلاميا من النواحى البدنية والروحية والعلمية عن

---

(١) الكتائب مصطلح عند جماعة الإخوان يعنى أن يجتمع أربعون فردا على قيام الليل وإحيائه بالعبادة صلاة وتلاوة وذكرا. وانظر تفصيل ذلك فى كتابنا: وسائل التربية عند الإخوان المسلمين، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.

طريق تنظيم المحاضرات والرسائل فى الموضوعات التى يهم الأخ معرفتها، وتوجيههم إلى قراءة الكتب النافعة التى تزيد من ثقافتهم الإسلامية، وتبعث الروح الرياضية فى محيط الإخوان المسلمين، ونشر الألعاب الرياضية المناسبة لتقوية أبدانهم وتحسين صحتهم.

– وإمداد الشُعب والمناطق[1] بالدعاة والمحاضرين فى الحالات التى يراها المركز العام، أو تفوض إليه.

● وهذه هى الخطة الفنية التى نصت عليها اللائحة الداخلية العامة للجماعة، وهى خطه – كما هو واضح – مكونة من خمس نقاط كل نقطة منها تعتبر ركنا ومرتكزا لنشر الدعوة الإسلامية فى الناس.

– وكل واحدة من هذه النقاط الخمس لا يمكن أن تنفذ ولا أن تدخل الواقع المعاش إلا بالثقة المتبادلة بين القائد والجند، إذ كل خطة يقوم عليها واحد من القيادات، وله عدد من الجنود يعاونونه فى تنفيذها بعد أن يقرها قسم نشر الدعوة.

– والقائد هنا هو رئيس قسم نشر الدعوة العام أو رئيسها فى المنطقة أو الشعبة، ولكل منهم جنود يعاونونه ويعينونه على تنفيذ الخطة وإخراجها إلى حيز التنفيذ.

فما هو إحكام خطة نشر الدعوة؟

● إن إحكام خطة نشر الدعوة يعنى أمورا كثيرة منها:

– التعاون بين القائد والجند فى التفكير، للتعرف إلى أنسب الوسائل لتحقيق أغراض الدعوة، ولا يتم هذا التعاون على وجهه الصحيح إلا بالثقة المتبادلة بين القائد والجندى.

– والتعاون بينهما على تقويم العمل فى القسم لمعرفة إيجابيات العمل وسلبياته للاستزادة من الإيجابيات والخير، وتجنب السلبيات والشر، ولابد أن يحتاج ذلك إلى الثقة المتبادلة بين القائد والجندى.

– والتعاون بينهما فى متابعة الأفراد وأعمالهم فى مجال التنفيذ متابعة يومية أو أسبوعية دقيقة، حتى تكون هناك فرصة للحكم على العمل، وتلافى ما فيه من أخطاء وعيوب لتوجيهه وتسديده، وتجنب ما وقع من قصور أو خطأ.

(١) الشعبة: مصطلح عند الجماعة يعنى ما يشبه الحى اليوم، والمنطقة تعنى مجموعة من الأحياء يضمها مركز وهو يوازى قسم الشرطة مثلا.

ولا يتم ذلك على وجهه إلا بالثقة المتبادلة بين القائد والجندى وبهذه الثقة تحكم خطة العمل وتحقق أهدافها.

- وإذا كانت هذه هى الخطة الفنية لنشر الدعوة فإن هناك خطة إدارية ومالية لها.

– وقد اشتملت عليها المواد من: «٥٩» إلى: «٦٢» ونص هذه المواد هو:

مادة: «٥٩»

ونصها هو:

«ينشأ فى دائرة كل مكتب إدارى – المكتب الإدارى يضم عددا من المناطق – مدرسة للدعاة أو أكثر، ويقوم قسم نشر الدعوة بوضع برنامج موحد لهذه المدارس، ويحدد المواضيع التى تدرس والكتب التى يدرسها الطلبة فى كل موضع، ومدة الدراسة وغير ذلك مما يتعلق بالدراسة، ويتخير القسم بعد انتهاء الدراسة الطلبة الذين تثبت صلاحيتهم كدعاة».

– وهذه الأعمال كلها من صميم ما لا يتم إلا بالتعاون بين قسم نشر الدعوة وقيادته وبين العاملين فيه، وهذا التعاون لا يرى النور إلا إن كانت الثقة متبادلة بين قيادة القسم وجنوده.

والمادة: «٦٠»

ونصها هو:

«على كل مكتب إدارى البدء فى إنشاء مدرسة واحدة على الأقل من تاريخ وصول برنامج الدعاة إليه، ويعين المكتب مدرسى المدرسة من بين الإخوان، ويصح أن يكون بعضهم من أصدقاء الإخوان ذوى الكفاءات العلمية».

وهذه أيضا خطة لا تنفذ ولا يحكم تنفيذها إلا بالتعاون القائم على تبادل الثقة بين القائد والجند.

والمادة: «٦١»

ونصها هو:

ويطبع مكتب الإشاد على نفقته ما يراه صالحا من الرسائل والكتب، بعد الاتفاق ماليا مع مقدميها، ويتولى المكتب الإشراف على نشرها وبيعها».

وتطبيق هذه المادة يحتاج كذلك إلى الثقة المتبادلة بين القائد والجند.

والمادة «٦٢»:

ونصها هو:

«يجوز للقسم أن يؤلف من القائمين على شئونه لجانا تهتم كل لجنة منها بناحية معينة من نواحى نشاطه، ومرد كل لجنة فى أعمالها إلى القسم باعتباره المسئول عن كل هذه الأعمال».

وهذا بدوره يحتاج إلى تعاون وثيق بين رئاسة القسم والعاملين فيه، وهو ما لا يتم إلا بتبادل الثقة بين القائد والجند.

● وقسم نشر الدعوة أحد أقسام عشرة صدرت بشأنها اللائحة الداخلية للجماعة فى الثانى من شهر صفر عام ١٣٧١هـ الموافق: ٢/١١/١٩٥١م.

وهذه الأقسام العشرة كلها تتبع مكتب الإرشاد.

وكل قسم منها له خطة فنية وأخرى إدارية مالية، وهذه الخطط جميعا لا تصبح ذات قدرة على تحقيق أهدافها إلا بالثقة المتبادلة بين القائد والجند.

وهذا هو معنى أنه على قدر الثقة المتبادلة بين القائد والجند يكون إحكام خطط الجماعة.

وبعد: فإن وسائل الجماعة التى ذكرنا آنفا، كانت أولاها الدعوة، التى تحدثنا عنها.

أما الوسيلة الثانية فهى:

ب- التربية:

ونص ما جاء عنها فى القانون الأساسى للجماعة هو:

«بطبع أعضاء الهيئة على هذه المبادئ[1]، وتمكين معنى التدين العملى، لا القولى فى أنفسهم أفرادا وبيوتا، وتكوينهم تكوينا صالحا، بدنيا بالرياضة، وروحيا بالعبادة، عقليا بالعلم، وتثبيت معنى الأخوة الصادقة، والتكافل التام، والتعاون الحقيقى بينهم، حتى

(١) يقصد مبادئ الإسلام التى منها أخذت مبادئ الجماعة وأغراضها التى أشرنا إليها آنفا.

يتكون رأى عام إسلامى موحد، وينشأ جيل جديد يفهم الإسلام فهما صحيحا، ويعمل بأحكامه، ويوجه النهضة إليه».

• والتربية بحر واسع قلما يبلغ شاطئه إلا من سبح فيه بمهارة وصبر وجهاد، والتربية شعب عديدة ومفردات كثيرة، أشير منها إلى ثلاثة أنواع هى: التربية البدنية بالرياضة، والتربية الروحية بالعبادة، والتربية العقلية بالعلم.

وقد وفقنا الله إلى حصر أنواع عشرة من أنواع التربية منها هذه الثلاثة وهى:

١- التربية الروحية.

٢- والتربية الخلقية.

٣-والتربية العقلية.(١)

٤- والتربية الدينية.

٥- والتربية البدنية.

٦- والتربية الاجتماعية.

٧- والتربية السياسية.

٨- والتربية الاقتصادية.

٩- والتربية الجهادية.

١٠- والتربية الجمالية.(٢)

• ومن الواضح بل من الضرورى أن يكون لكل نوع من هذه الأنواع من التربية خطة فنية، وأخرى إدارية ومالية، وأن تنفيذ هذه الخطط هو الذى يحكمها ويزيل عنها العقبات والعراقيل.

وأى خطة منها تحتاج إلى التعاون وتضافر الجهود بين العلماء النظريين والميدانيين التربويين، وهذا لا يتم إلا بالثقة المتبادلة بين القائد والجند.

---

(١) صدرت هذه الحلقات الثلاث من سلسلة مفردات التربية الإسلام. نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية بمصر.

(٢) نرجو الله تعالى أن يمد بالأسباب، ويوفق ويعين حتى نكتب عن كل نوع منها فى كتاب مستقل أسوة بما فعلنا فى الحلقات الثلاثة الأولى.

أما الوسيلة الثالثة فهى :

جـ- التوجيه :

ونص ما جاء عنه فى القانون الأساسى للجماعة هو :

« التوجيه بوضع المناهج الصالحة فى كل شئون المجتمع :

من التربية، والتعليم، والتشريع، والقضاء، والإدارة، والجندية، والاقتصاد، والصحة العامة، والحكم . . إلخ . . .

والاسترشاد بالتوجيه الإسلامى فى ذلك كله، والتقدم بها إلى الجهات المختصة، والوصول بها إلى الهيئات النيابية والتشريعية والتنفيذية والدولية، لنخرج من دور التفكير النظرى إلى دور التفكير العملى » .

وكل شأن من شئون المجتمع – وهى كثيرة متشعبة- توجب الجماعة على نفسها أن تضع له خطة صالحة نابعة من الإسلام مسترشدة بمنهجه ونظامه، ذلك واجب الجماعة وهى تربى المجتمع تربية إسلامية.

تضع الجماعة لكل شأن من هذه الشئون خطة وتقدمها إلى المسئولين فى الدولة ليسترشدوا بها – هذا هو ما ينص عليه القانون الأساسى للجماعة!!! – فأين هذا مما اتهمت به الجماعة من السيطرة على الحكم والوصاية على الحكام؟

- وكل خطة من هذه الخطط التى تضعها الجماعة، إنما تضعها عن طريق العلماء المتخصصين من أبنائها، ممن لهم قدم فى الكفاءة والإخلاص، وعند وضع هذه الخطة لابد من التعاون بين كل من شارك فى وضعها من قادة وجنود، وهؤلاء بدورهم لا يجمع بينهم ولا يوحد جهودهم ويجعلها تثمر ثمرها وتؤتى أكلها مثل أن تكون بينهم ثقة متبادلة تكفل للخطة أن تتكامل وأن ترى النور وأن تخرج من حيز التفكير إلى حيز التنفيذ .

– والتوجيه بهذا المعنى الذى حدده قانون النظام الأساسى للجماعة وسيلة من وسائل الجماعة التى لا غنى عنها فى تحقيق أغراض الجماعة، وهى الأغراض التى جاء من أجلها الإسلام وما يتصل بهذه الأغراض من شرح دعوة القرآن، وجمع القلوب عليها، وتنمية الثروة القومية وحمايته، وتحقيق العدالة الاجتماعية وتحرير وادى النيل والبلاد العربية والوطن الإسلامى من كل سلطان أجنبى وقيام الدولة الصالحة التى تنفذ أحكام الإسلام،

والتعاون العالمى فى ظل المثل العليا الفاضلة والمشاركة فى بناء ومناصرة السلام والحضارة الإنسانية على أساس جديد من تآزر الإيمان والمادة، كما كفلت ذلك نظم الإسلام الشاملة.

أما الوسيلة الرابعة فهى:

د - العمل:

ونص ما جاء من هذه الوسيلة فى قانون النظام الأساسى للجماعة هو:

« والعمل: بإنشاء مؤسسات اقتصادية واجتماعية ودينية وعلمية، وبتأسيس المساجد والمدارس والمستوصفات والملاجئ.... إلخ.

وتأليف اللجان لتنظيم الزكاة والصدقات لأعمال البر، والإصلاح بين الأفراد والأسر.

ومقاومة الآفات الاجتماعية والعادات الضارة، والمخدرات والمسكرات، والمقامرة، والبغاء.

وإرشاد الشباب إلى طريق الاستقامة، وشغل وقت الفراغ بما يفيد وينفع.

ويستعان على ذلك بإنشاء أقسام مستقلة طبقًا للوائح خاصة تتفق مع القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٤٥م الخاص بتنظيم الجماعات الخيرية وأعمال البر، وتسجيلها بوزارة الشئون الاجتماعية».

● وهذه الوسيلة « العمل » من أهم الوسائل التى تعين على تحقيق الأغراض التى جاء من أجلها الإسلام.

وكل مفردة من مفردات العمل مؤسسة قائمة بذاتها تخرج هذه الأغراض النبيلة التى جاء بها الإسلام من مجال الفكر والنظر إلى مجال العمل والتطبيق.

- وكل مؤسسة من هذه المؤسسات - وما أكثرها - تحتاج قطعًا إلى خطة يقوم عليها العمل فى هذه المؤسسات، وتتضح من خلالها أنواع العمل وصفات العاملين ونظامهم، وأهداف هذه المؤسسة، وكيفية إدارتها ونظامها المالى، وبناء هيكلها من الداخل وغير ذلك من الأمور التى لابد منها مثل:

تحديد قيادتها وعمل هذه القيادة وسلطتها.

ومجلس إدارة هذه المؤسسة وتحديد سلطاته.

وميزانية هذه المؤسسة العامة.

● ومن البديهى أن لا تنفذ أى خطة لأى مؤسسة من هذه المؤسسات الكثيرة فى كل شأن من شئون المجتمع إلا بالتعاون بين القائد والجند، أى بالثقة المتبادلة بينهما.

وبعد: فهذه هى النتيجة الثانية من نتائج تبادل الثقة بين القائد والجندى – وهى إحكام خطط الجماعة.

أما النتيجة الثالثة لهذه الثقة المتبادلة – كما أوضحها الإمام البنا رحمه الله فهى:

ومن أثر الثقة المتبادلة بين القائد والجند:

٣ – ونجاحها فى الوصول إلى غايتها:

غاية الجماعة هى:

الغاية التى جاء من أجلها الإسلام – كما ذكرنا آنفًا – وهى شرح دعوة القرآن الكريم شرحًا دقيقًا يوضحها، ويعرضها بروح العصر ولغته، ويرد عنها الشبهات والمفتريات.... إلخ.

● وهذه الغاية تحتاج إلى عدد غير قليل من العلماء والمفكرين والدعاة إلى الله وكبار المثقفين، وعدد غير قليل من المتخصصين فى عدد من مجالات العلم والمعرفة.

● وهؤلاء جميعًا يجب أن يعملوا على تحقيق هذه الغاية ولن يجدى عملهم إلا إذا كانوا فريقا متعاونًا لا أفرادًا مستقلين بعضهم عن بعض، إذ من المسلم به أن الفرد مهما أوتى من العلم والقدرات فلن يساوى علم جماعة وقدراتها.

– وعلى سبيل المثال:

فإن مجال ردّ الشبهات والمفتريات عن دعوة القرآن يحتاج إلى فريق ضخم العدد من العلماء والمفكرين ليتصدوا إلى إبطال هذه المفتريات ورفع تلك الشبهات، وذلك أن أعداء الإسلام قد أكثروا – عن عمد – من إثارة الشبهات وإلصاق التهم والمفتريات بالإسلام دينا ومنهجًا وكتابًا، وبالرسول ﷺ نبيًا ورسولاً وقائدًا وحاكمًا ومعلمًا، يتحدث إلى الناس ويعلمهم ما أوحى الله إليه، ويبلغهم من ربهم ما أمر بتبليغه.

وقدامى أعداء الإسلام يهودًا ونصارى ومشركين مثل محدثيهم اليوم، لا يكفون عن الطعن فى الإسلام وفى رسوله، وفى صحابة الرسول ﷺ، وفى تاريخ الإسلام وفى المصلحين المجددين من المسلمين.

• والردّ على هؤلاء واجب شرعى على كل مسلم قادر على ذلك، لكن لابد من تجمع جهود هؤلاء على الرغم من اختلاف تخصصاتهم، ولن يتجمعوا إلا إن كانت لهم قيادة ترسم لهم خطوات عملهم، ومراحله وميادينه، ولابد أن يكون لهذه القيادة من جند يساعدون وينفذون، جند على مستوى المستشارين والمخططين والمحققين والأدباء والباحثين وأهل الكفاءة والخبرة فى مختلف المجالات العلمية والمعرفية التى تتصل بهذا الغرض الأول وهو: شرح دعوة القرآن الكريم . . . والرد على الشبهات . . . . . . إلخ.

– وما دام هذا الجمع قيادة وجنوداً فلابد من التعاون الوثيق فيما بينهم وإلا فإن عملهم لن يجدى فتيلاً.

وهذا التعاون لا يدعمه ويعطيه الفاعلية والقدرة على الوصول إلى أهدافه مثل الثقة المتبادلة بين القيادة والجند!!!

وكذلك الشأن فى سائر الأغراض التى جاء من أجلها الإسلام فى مجال نقل الناس من الضلال إلى الهدى ومن الباطل إلى الحق، ومن الافتيات على حقوق الإنسان إلى تكريم الإنسان بما كرمه الله تعالى، وفضّله على كثير من خلقه . . .

الأغراض التى جاء من أجلها الإسلام:

ولنذكر بهذه الأغراض والذكرى تنفع المؤمنين وهى:

– جمع قلوب الناس ونفوسهم وعقولهم على مبادئ الإسلام، وتجديد أثر هذه المبادئ فيهم . . . .

– وتنمية الثروة القومية وحمايتها وتحريرها . . . . .

– وتحقيق العدالة الاجتماعية والتأمين الاجتماعى لكل مواطن . . . . .

– وتحرير وادى النيل والبلاد العربية والوطن الإسلامى كله من كل سلطان أجنبى . . . .

– وقيام الدولة الصالحة التى تنفذ أحكام الإسلام . . . .

– ومناصرة التعاون العالمى فى ظل المثل العليا التى تصون الحريات وتحفظ الحقوق، والمشاركة فى بناء السلام والحضارة الإنسانية على أساس جديد من تآزر الإيمان والمادة كما كفلت ذلك نظم الإسلام الشاملة.

● كل غرض من هذه الأغراض السبعة - المجملة التى جاء الإسلام من أجلها، وتعمل الجماعة جاهدة على تحقيقها - يحتاج إلى عدد كبير من العلماء والمفكرين والأدباء - على نحو ما أوضحنا آنفًا - وما داموا جمعًا بل جموعًا فلا يتصور أن يعملوا بغير قيادة ولا قيادة بغير جنود، ولا قيادة وجنداً إلا بتعاون بينهما، ولا تعاون بغير ثقة متبادلة بين القيادة والجند.

● إن بعض هذه الأغراض لا يتمكن من تحقيقها إلا حكومة أو جماعة قوية مثل:

- تنمية الثروة القومية وحمايتها، وتحريرها والعمل على رفع مستوى المعيشة.

- وتحقيق العدالة الاجتماعية والتأمين الاجتماعى لكل مواطن.

- وتحرير وادى النيل والبلاد العربية والوطن الإسلامى بكل أجزائه من كل سلطان أجنبى.

فهذه الأغراض لابد لها من حكومة أو دولة تدير أمة مؤمنة بوجوب تحقيق الأغراض، لأن الجهد المطلوب فيها يفوق طاقة أى فرد مهما كانت إمكاناته، فجهد الفرد فيها خير منحصر فى نطاق ضيق، لا يستطيع أن يصل إلى تحقيق هذه الأغراض الثلاثة الكبيرة.

● وبعض هذه الأغراض تغنى فيها الجماعة، وقد لا تكون بحاجة إلى حكومة أو دولة إلا فى مجال حمايتها أو عدم منع هذه الجماعة من أداء عملها، وذلك مثل:

- شرح دعوة القرآن الكريم شرحًا دقيقًا يوضحها، ويردها إلى فطريتها وشمولها، ويعرضها عرضاً يوافق روح العصر، ويرد عنها الأباطيل والشبهات.

- وجمع القلوب والنفوس على هذه المبادئ القرآنية وتجديد أثرها الكريم فيها، وتقريب وجهات النظر بين الفرق الإسلامية المختلفة.

- والمساهمة فى الخدمة الشعبية، ومكافحة الجهل والمرض والفقر والرذيلة، وتشجيع أعمال البر والخير.

- ومساعدة الأقليات المسلمة فى كل مكان، وتأييد الوحدة العربية تأييداً كاملاً، والسير إلى الجامعة الإسلامية.

- والمشاركة فى بناء السلام والحضارة الإنسانية على أساس من تآزر الإيمان والمادة.

فهذه الأغراض، أو الأجزاء من بعض الأغراض تستطيع الجماعة أو الجماعات أن تؤديها بكفاءة وإخلاص، إذا لم تحل بينها وبين ذلك بعض الحكومات - كما يحدث فى معظم البلدان الإسلامية - تخوفًا من الإسلام ومنهجه فى العدل والشورى وتعظيم حقوق الإنسان وحرياته، فحرمات الإنسان «ماله ودمه وعرضه وعقله ودينه» أعظم حرمة عند الله من حرمة الكعبة المشرفة نفسها، كما جاء ذلك على لسان المعصوم ﷺ(١). مما ذكرناه آنفًا.

- ولو استقبلت بعض الحكومات من أمرها ما استدبرت لوجدت فى الجماعات التى تتخذ من الإسلام منهجًا ونظامًا خير عون للحكومة على تنفيذ خططها، ولكنه التخوف أو الخوف الذى زرعه أعداء الإسلام عند هذه الحكومات بتشويه كل نشاط إسلامى وكل تجمع إسلامى، والتخويف منه على مستقبل هذه الحكومات فى الظاهر، وأما فى الحقيقة فإن هؤلاء الأعداء للإسلام يخافون على مصالحهم لا على الحكومات، وكيف لا يخافون وهم أعداء؟ وكيف لا يخافون وهم يعرفون أن هذه الجماعات بوصفها إسلامية فهى تعمل على تحرير أوطانها من كل سلطان أجنبى؟

- يحق لهؤلاء الأعداء أن يخافوا، ولكن لا يحق للحكومات فى العالم الإسلامى أن تخاف من جماعات تتقيد بالإسلام فى منهجها ونظامها، لأن هذه الجماعات - كما أشرت - ستكون عونا للحكومة على إيصال البر والخير للمواطنين، وفى مقاومة الرذائل، وفى مكافحة الجهل والفقر والمرض.

- أما ما تُخَوِّف به هذه الحكومات من إرهاب وعنف وتطرف تقوم به بعض الجماعات التى تنتمى إلى الإسلام، فأنا على يقين من أن الأعداء قد استقطبوا بعض الأفراد ودربوهم وأقنعوهم بوجوب حرب حكوماتهم لأنها غير عادلة وغير شورية وغير مطبقة لأحكام الإسلام، فاستجاب لها بعض الغافلين من هؤلاء الأفراد فقاموا بتلك الأعمال.

- ولو لم يكن هؤلاء الذين قاموا بالإرهاب قتلاً وسلبًا لأموال الناس غافلين مخدوعين عن الحق، فبأى دين إسلامى أو غير إسلامى يستبيحون قتل الأطفال والنساء والأبرياء من الرجال؟ إن الإسلام برىء كل البراءة من أن تُلصق إراقة الدماء إليه، كيف يقتلون الأبرياء لإحراج حكومة مَا، وهم المسلمون الذين يقرءون كتاب الله تعالى وفيه قوله تعالى:

---

(١) رواه ابن ماجة بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: «رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة ويقول: ما أطيبك وأطيب ريحك وأعظمك وأعظم حرمتك، والذى نفس محمد بيده لحرمة المؤمن عند الله أعظم حرمة منك، ماله، دمه وأن يُظَن به إلا خيراً».

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٩٣].

وهم يقرءون سنة رسول الله ﷺ – ماداموا مسلمين – ويجدون فى صحيح البخارى رحمه الله ما رواه بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما، قال قال رسول الله ﷺ : « لن يزال المؤمن فى فسحة من دينه، ما لم يصب دمًا حرامًا »(١).

– كيف يخالفون كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهم مسلمون؟

أغراض الجماعة التى اشتقتها من الأغراض العامة للإسلام :

● وكان لجماعة الإخوان المسلمين إلى جانب تلك الأغراض العامة التى جاء من أجلها الإسلام – أغراض تفصيلية، ولكنها نابعة من هذه الأغراض العامة، أو معينة على تحقيقها ومن هذه الأغراض الفرعية :

١ – إعداد الدعاة إلى الله، وتكوينهم تكوينًا جيدًا وفق برامج دراسية، ومناهج تربوية، ومدارس خاصة بالدعاة إلى الله.

٢ – وإعداد التربويين الذين يسهمون فى تربية غيرهم تربية إسلامية فى كل مرحلة من مراحل التربية فى الجماعة :

● مرحلة التمهيد : بتحبيب الناس فى الإسلام : مبادئه وقيمه وأخلاقه وسلوكه، وتطبيق برنامج هذه المرحلة على أبناء المرحلة – رجالاً مع الرجال ونساءً مع النساء.

● ومرحلة التعريف : أى تعريف من اجتازوا مرحلة التمهيد بالإسلام كتابه وسنة رسوله ﷺ، وعقيدته وعباداته وقيمه وأخلاقه ومعاملاته، وسيرة الرسول ﷺ وسير أصحابه إلى آخر ما تتضمنه برامج التعريف بالإسلام.

● ومرحلة التكوين : وهى مرحلة أعلى من سابقتها يُختار لها من اجتازوا مرحلة التعريف، ليطبق التربويون عليهم برنامجًا أكثر عمقًا فى العلم وأشد التزامًا فى السلوك، وأقوى انتماء إلى الإسلام ومنهجه ونظامه.

● ومرحلة التنفيذ : وهى أعلى من سابقتها مكانة، ويُختار لها من اجتازوا مرحلة

---

(١) الإمام البخارى : صحيحه : كتاب الديات : الجزء التاسع – الصفحة ٢ ط – دار مطابع الشعب – القاهرة – دون تاريخ.

التكوين، وهى مرحلة تطبيق الإسلام عمليًا ومرحلة الجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا وقد حمل أفراد هذه المرحلة السلاح ضد اليهود فى فلسطين عام ١٩٤٨م، وضد الإنجليز فى قناة السويس عام ١٩٥١م ولهذه المرحلة برنامج يخصها، يقوم عليه تربويون على مستوى رفيع من الفهم والإخلاص والعمل والجهاد والتضحية والطاعة والثبات والتجرد والأخوة والثقة، وفى هؤلاء المربين ومن يربونهم كَتَبَ الإمام البنا: «رسالة التعاليم» ووجهها إلى إخوانه المجاهدين الصادقين.

● ومرحلة التمكين: وهى مرحلة يكون فيها العلماء أهل الاختصاص الذين يعينون من خلال تخصصاتهم على التمكين لدين الله تعالى والمنهج الذى جاء به الإسلام فى الأرض ليعيش الناس فى ظله آمنين مطمئنين على حاضرهم، بل على مستقبلهم.

ولهذه المرحلة برامج أكثر دقة وعمقًا من أى مرحلة سبقتها ولا يقوم عليها إلا أكفأ العناصر التربوية فى الجماعة.

● ومرحلة المحافظة على التمكين: وتقوم بها الدولة التى قامت على مبادئ الإسلام وقيمه، وما لهذه الدولة من رجال أمن ورجال حرب، ولكنها تحتاج إلى من يقوم على هؤلاء وأولئك من التربويين الذين يذكّرونهم بالإسلام باستمرار.

٣ - وإعداد الحركيين: الذين يحسنون الانطلاق بالإسلام ومنهجه وقيمه وأخلاقه فى أكبر عدد من الناس وفى أكثر عدد من الأقاليم والآفاق، ولهؤلاء برامج تخصهم ومتخصصون فى مجال الدعوة والحركة يقومون عليهم.

٤ - وإعداد المجاهدين: ليمارسوا مرحلة التنفيذ، وهم صفوة الصفوة ولهم برنامج يخصهم فى الإعداد البدنى والروحى والعقلى والجهادى، لهؤلاء وُضع فى الجماعة برنامج «النظام الخاص» التى أطلقت عليه بعض الحكومات فى مصر: «الجهاز السرى» وشنعت عليها ما استطاعت مع أن أفراده هم الذين حاربوا اليهود فى فلسطين سنة ١٩٤٨م وحاربوا الإنجليز فى قناة السويس سنة ١٩٥١م وكان هذا ما يثير العجب، حيث اعتُقل بعض أفراده وهم عائدون من فلسطين قبل أن يصلوا إلى بيوتهم.

٥ - وإعداد العلماء فى مجالات العلم المتعددة التى لابد منها للوصول إلى التمكين لدين الله فى الأرض، وقلَّ أن يوجد مجال علمى لا يحتاج تمكين الإسلام فيه إلى علماء، وعلى سبيل المثال، فلابد من إعداد علماء فى:

– التربية،

– والإعلام،

– والسياسة،

– والاقتصاد،

– والزراعة،

– والصناعة،

– والمياه،

– والتعدين،

– والنفط،

– وآلة الحرب.

وما لا أحصى من تخصصات العلم الذى دعا إليه الإسلام وأطلق للعقل فيها حرية البحث والتجربة، وأعلن أن باب العلم مفتوح دائمًا وأن طريقه لا نهاية لها، إذ بعد ألوف السنين من الكشوف والمخترعات تنطبق أيضًا الكلمة القرآنية الحكيمة على كل عالم فى الأرض مسلم أو غير مسلم وهى: ﴿ ... **وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ [الإسراء: ٨٥]، بل يظل شعار وجوب الاستزادة من العلم إلى غير ما حَدٍّ ماثلاً فى قوله تعالى مخاطبًا خاتم رسله وأنبيائه ﷺ ومخاطبًا كل مؤمن إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو قوله تعالى: ﴿ ... **وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا** ﴾ [طه: ١١٤].

٦ – وإعداد رجال الأعمال القادرين على حمل أعباء تنمية الوطن بجهودهم وخبراتهم وأموالهم فى المجالات الأساسية وهى:

– الزراعة،

– والصناعة بمختلف أنواعها،

– والتجارة بكل ما تتطلبه، داخليًا وخارجيًا،

– ودور النشر، والتوزيع وخدمة الثقافة والكتاب،

– ومؤسسات الإعلام،

– ومؤسسات التشييد والبناء.

وما لا أحصيه أيضاً هنا من مجالات رجال الإعلام.

٧ – وإعداد قادة العمل الإسلامي: في مجالاته العديدة.

كل هذه وغيرها مما لا أستطيع أن أحصيه في هذه الصفحات هو من أغراض الجماعة وأهدافها المرحلية والتفصيلية، وكل هذا لا تستطيع الجماعة أن تحققه إلا بالعمل الجماعي الذي تقوم عليه قيادة ذات كفاءة وإخلاص، وجنود يحسنون الطاعة والثبات والتجرد والأخوة والثقة.

والثقة المتبادلة بين القائد والجند هي المعامل الثابت للنجاح في الوصول إلى الغايات.

وبعد: فإذا كانت هذه هي النتيجة الثالثة لتبادل الثقة بين القائد والجند، فإن النتيجة الرابعة هي:

النتيجة الرابعة هي:

٤ – التغلب على العقبات والمصاعب

العقبات والمصاعب التي تُبَث في طريق الجماعة، بل أي جماعة تتخذ من الإسلام منهجاً ونظاماً، أكثر مما يتصور الناس، وإنما كانت كثيرة لكثرة أعداء الإسلام والمسلمين، وتآزرهم ضد الإسلام – على الرغم مما بينهم من خلافات عقيدية ومذهبية وسياسية واقتصادية وجغرافية وتاريخية – بل تعاونهم في التخطيط لضرب الإسلام والمسلمين[١]، وتحملهم الأعباء في توجيه هذه الضربات[٢] إلى الإسلام في آسيا[٣] وأفريقيا[٤] وكل مكان آخر من العالم[٥].

---

(١) دليل ذلك أن انطلقت الأصوات من مختلف دول أوربا وأمريكا باتخاذ الإسلام عدوا وغرضا بعد انهيار الاتحاد السوفيتي.

(٢) دليل ذلك ما تقوم به أمريكا وكثير من دول الغرب بمد إسرائيل بما شاءت من مال وسلاح متطور ورجال، بوصف إسرائيل رأس حربة في ضرب الإسلام في منطقة الشرق العربي.

(٣) من أمثلة ضرب الإسلام في آسيا: القضاء على الدولة العثمانية، في مطلع القرن العشرين ثم تفتيتها وإحلال العلمانية محل الإسلام، ثم ضرب إيران بعد الشاه، وضرب العراق وإيران معًا، وضرب العراق وحده، وشقّ باكستان.... إلى دولتين، وقهر المسلمين في الفلبين وإندونيسيا... إلخ.

(٤) من أمثلة ذلك ضرب الإسلام والمسلمين في الجزائر وتونس وليبيا والمغرب ومصر وإريتريا والسودان، ونيجيريا وغيرها.

(٥) من أمثلة ذلك: البوسنة والهرسك والشيشان وكوسوفا والجمهوريات الإسلامية فيما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي.

● ولستُ من الذين يفسرون التاريخ وأحداثه تفسيراً تآمرياً، كما يحلو لبعض حسنى النية أن يقولوا، ولكنى أنظر إلى المقدمات وما تؤدى إليه من نتائج، وأرى بعينى وأسمع بأذنى وأتنقل من بلد إلى بلد من بلدان المسلمين وأشاهد وأشهد، دون أن آخذ برأى من يبالغون ومن يحملون المواقف أكثر مما تحتمل، ومع ذلك أقول بكل ثقة وبكل تأكيد إن الإسلام والمسلمين يُضربون فى كل مكان فى العالم ضربات موجعة - ولكنها بإذن الله لن تكون القاضية - ولكن الله غالب على أمره، لأنه سبحانه هو الذى يقول: ﴿ **إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ (٥١) يَوْمَ لا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ** ﴾ [غافر: ٥١ - ٥٢].

وهذه الضربات مركزة حول تحقيق هدفين كبيرين عند هؤلاء الأعداء، هما:

- عزل الإسلام عن نظام الحكم بإحلال العلمانية محل منهج الإسلام،

- وضرب الحركات الإسلامية وتوجيه أبشع التهم إليها.

وهؤلاء الأعداء من الكثرة والتنوع، بحيث لا نستطيع الحديث عنهم جميعًا فى هذا المجال، ولكن نذكر مشاهيرهم تحت عنوان:

أعداء الإسلام الذين يبثون العقبات والصعاب فى طريقه:

لا يستطيع منصف متابع للأحداث أن ينكر أن للإسلام والمسلمين فى العصر الذى نعيشه اليوم نهاية العقد الثانى من القرن الخامس عشر للهجرة النبوية ١٩٩٩م أعداء هم:

١ - العدو التقليدى عدو كل العصور - وهم اليهود - وإسرائيل والصهيونية، الذين ضاقت بهم الدنيا، فلم يجدوا مكانًا يقيمون فيه دولة باسمهم إلا فى فلسطين، يحالفهم فى هذا العداء، وفى الإصرار على إقامة دولتهم فى فلسطين بعد تشريد أهلها، وقتل من استطاعوا وسجن من قدروا على سجنه وتقطيع أوصال بل تكسير عظام من قاوموهم، تحالفهم وتعاونهم وتمدهم بالمال والسلاح المتطور والرجال والعلماء دول الغرب والولايات المتحدة الأمريكية وما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى وكل دولة قادرة على مَدّ يد العون والمؤازرة لهم فى العالم كله عداءً منهم للإسلام والمسلمين.

ولقد كان لليهود أو الصهاينة كيد عظيم فى المسلمين عمومًا وفى الفلسطينيين على وجه الخصوص وفى العرب الذين يحيطون بفلسطين، فقد كادوا للمسلمين فى كل مكان

باسم الحرب الوقائية لاعتقادهم الراسخ بأن عداوة المسلمين لهم لن تزول بحال.

وقد استبد اليهود بالعرب أسوأ أنواع الاستبداد وقهروهم شر أنواع القهر فاحتلوا فلسطين كلها وغزة والعالم يصفق لهم ويبارك خطاهم، وقضوا على كرامة العرب وداسوها عندما سموا العرب الذين لم يخرجوا من فلسطين عرب إسرائيل، أى بدلوا جلودهم وعقولهم وأرواحهم وتاريخهم وجغرافيتهم والعالم يغنى لحقوق الإنسان!!!

وأخذوا يعتدون على البلدان العربية المحيطة بفلسطين فى حروب يسلحها الغرب وأمريكا وروسيا وتقودها أمريكا بغير حياء فاحتلوا سيناء وضفة الأردن والجولان وغزة، والعرب مختلفون متناحرون يعادى بعضهم بعضا فى مسالمة إسرائيل فى السرّ كما فعلت المغرب وتونس والأردن، ثم اتفق العرب على ترك فلسطين ونسيانها واكتفوا بأن تعيد إليهم إسرائيل ما أخذت من بلادهم بعد حرب ١٩٦٧م وأمريكا تضغط على العرب لصالح إسرائيل وتهدد بقطع القمح والسلاح.

ثم وقَّع الفلسطينيون مع إسرائيل معاهدة سلام على أن يأخذوا أرضا يعيشون عليها فى غزة وأريحا وأشباراً من الأرض فى الضفة الغربية، أمَّا السيادة على تلك الأرض التى يعيش فيها الفلسطينيون فلليهود والانتقال بأمرهم والخروج بأمرهم ولا جيش لهم وإنما قوة شرطة لقمع من يفكر فى مقاومة الاحتلال اليهودى، ثم خاسوا بعهودهم – كما هو شأنهم منذ وُجدوا – ثم عقدوا اتفاقًا أكثر ظلمًا للفلسطينيين من سابقه ثم خاسوا به وذهب بيجين ورابين وبيريز ونتنياهو، وجاء باراك، ومن عجب أن علق عليه العرب الآمال وهو سفاح ومجرم حرب وصاحب نكايات معروفة فى العرب والمسلمين.

ولن يكون باراك مع الحق العربى بحال من الأحوال، وتحولت أمريكا من شاهد وضامن لتنفيذ الاتفاقات إلى ضاغطة على العرب ليقبلوا ما تريده إسرائيل.

وكان لتطبيع العلاقات مع إسرائيل قصة كشفت الغطاء عن معظم دول العالم العربى وأكدت أنهم على علاقات وطيدة مع اليهود!!!

أليس اليهود بكل ذلك فى العصر الحديث ألدّ أعداء العرب والمسلمين؟ اللهم بلى.

٢ – والعدو القديم الحديث للمسلمين الصليبيون:

صليبيو العصر الحديث وهم دول الغرب فى أوربا ومعهم الولايات المتحدة الأمريكية وفى

ذيلها كندا ومعظم أمريكا اللاتينية، إذ تحالفت دول الغرب - كما أسلفنا - على إسقاط دولة الخلافة العثمانية التى كانت تمثل شكلاً لنظام حكم إسلامى لا جوهراً، فكان لابد أن تزول، وبخاصة بعد أن رفض السلطان عبد الحميد أن يسمح لليهود باتخاذ وطن لهم فى فلسطين - ثم توالى احتلال بلدان العالم الإسلامى التى كانت فى سلطة الدولة العثمانية - تحت شعارات الانتداب والوصاية والحماية وسد الفراغ - ثم أقيمت إسرائيل، ثم مُزِّق العالم الإسلامى، ثم فُتِّتَ العالم العربى ثم هُزم العرب أمام إسرائيل والغرب وأمريكا فى حروب ضارية، غير متكافئة فى الآلة العسكرية، وعندما استطاعت مصر أن تهزم جيش إسرائيل فى سيناء تدخلت أمريكا بشكل مباشر وبجسر جوى يمد إسرائيل بما شاءت حتى عبرت إلى غرب قناة السويس!!!

ثم تعاهدت مصر مع اليهود فجلوا عن سيناء بشروط!!!

واعتبر العرب والفلسطينيون أنور السادات خائنا أن وقّع اتفاقية «كامب ديفيد» وسريعا ما أقبلوا على الصلح مع إسرائيل وقبلوا الفتات التى وعدتْ به ولم تف!!!

- والصليبية الحديثة يعتبر الإسلام عدوها ويصرح بذلك أكثر من مسئول أوربى كبير، وأخذت الصليبية الحديثة تضيق على المسلمين فى الجزائر بعد أن فازت الجبهة الإسلامية بانتخابات عام ١٩٩٢م، وقام جيش الجزائر بالواجب الذى كُلف به فألغى الانتخابات، وأخذ يقتل فى أعضاء الجبهة وزعمائها ويسجن قادتها، وتكون النتيجة أكثر من مائة ألف قتيل.

وكذلك فعل الجيش التركى عندما فاز حزب الرفاه الإسلامى بالانتخابات وشكّل الحكومة فأدى الجيش واجبه الصليبى وعزل الحكومة ومنع رئيسها من ممارسة حقوقه السياسية!!!

وكذلك تفعل الجيوش فى كثير من بلدان العالم الإسلامى، تتربص بأى ظهور أو نجاح للإسلاميين فتضربهم وتحاكمهم عسكريا وتقتل وتسجن وتفعل ما تريد، وكلها جيوش فى بلاد يحكمها دستور ويُحدَّد للجيش فى هذه الدساتير عمله ووظائفه، ولكن تجاوز الجيوش لأعمالها ووظائفها تحميه الأسلحة التى بأيديهم ولتذهب الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان وحقوق المواطنة إلى الجحيم!!!

٣ – ودولة ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي، وهي أول دولة تعترف بإسرائيل عقيب اغتصابها فلسطين، ولا عجب فقد كان من بين أعضاء مجلس السوفيت الأعلى – وعددهم اثنا عشر عضواً – ثمانية أعضاء من اليهود.

والاتحاد السوفيتي السابق يعادى الإسلام لأنه نظام إلحادى يقوم على إنكار الخالق سبحانه، والإسلام يقوم على التوحيد للخالق سبحانه وتعالى، ولأن اليهود – على وجه الحقيقة – هم المسيطرون على ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي، وهم عدو المسلمين الأول.

لقد اضطُهد المسلمون فيما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي حتى كانوا يخافون أن يصلوا مختبئين، بعد أن هدمت المساجد، وحرمت على المسلمين أركان الإسلام الأخرى كالصوم والحج والزكاة!!!

– وما فعله النظام الشيوعى أو الاشتراكى فى الجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى وهى ست جمهوريات من خمس عشرة جمهورية كان يتألف منها ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى وهى: أذربيجان، وأوزبكستان، وطاجيكستان، وتركمانستان، وقازاخستان، وقرغيزيا، أكبر من أن ينسب إلى الحيوان لا الإنسان.

٤ – والملاحدة والماديون وأصحاب الهوى والشهوات:

وهؤلاء قوة لا يستهان بها، يغذيها اليهود والصليبيون والملحدون الأصلاء – اتحاد روسيا الآن – وهؤلاء يهاجمون الإسلام فى القرآن الكريم والسنة النبوية وما وراء المادة من عالم الغيب ويتندرون فى قصصهم وأشعارهم وهذيانهم الأدبى بالإسلام وقيمه، ويريدون أن يراجعوا القرآن والسنة ويقبلوا منهما ما يريدون ويرفضوا ما لا يريدون، وهم فى ذلك أذناب وأبواق لمن سبقهم فى الدعوة إلى ذلك من بعض المستشرقين والمبشرين والداعين إلى الانعتاق من كل قيمة وكل دين وبخاصة الإسلام.

وهؤلاء يعادون الإسلام منذ زمن بعيد، ولكنهم حديثا – وبعد ظهور موجة العداء اليهودى الصليبى الأمريكى للإسلام – ازدادوا جرأة ووقاحة وجهروا بما كانوا لا يستطيعون الجهر به وأُعْطوا فى وسائل الإعلام مساحات وأوقات فصالوا وجالوا، وجاءوا بالباطل فنونا وأشكالاً وإبداعات – كما يقولون – وكان حرية الرأى فى كثير من بلدان العالم الإسلامى اليوم تعنى الحرية فى الهجوم على الدين، وكل من هاجم الإسلام كافأه الغرب بإقامة وحماية

وما لا نعلم من الميزات.[1]

فما أثر هذا العداء؟

أثر هذا العداء للإسلام على العالم الإسلامى

١ – كان لهذا العداء أسوأ الآثار على المسلمين المعاصرين مما شكّل سببا من الأسباب التى جعلت بعض ضعاف المسلمين يعيشون منزوين، يؤثرون السلامة والبعد عن الوقوع فى براثن الحكام الظالمين وسجونهم ومعتقلاتهم التى ينتهكون فيها إنسانية الإنسان، ولو كان هناك إنصاف أو كانت هذه الأعمال ضد غير المسلمين لهاج العالم وماج وطالب بأن يقدَم هؤلاء إلى محاكم جرائم الحرب على أنهم ارتكبوا جرائم ضد الإنسانية، من موت فى التعذيب وهتك عرض الأزواج أمام زوجاتهم والزوجات أمام أزواجهم، ومصادرة الأموال والاستيلاء على المقتنيات، وتحويل كثير من ذلك إلى أملاك هؤلاء الحكام وجيوبهم الخاصة!!!

وإذا كان هذا اليوم لم يأت بعد فإنه آت يوم يصحو فيه ضمير العالم ويفيق من غفوته أو سباته العميق.

٢ – وتعاون هؤلاء الأعداء على شنّ حملات ضارية ضد قادة الحركات الإسلامية فى كل بلد من بلدان العالم الإسلامى، ابتداء من:

– السيد جمال الدين الأفغانى،

– والشيخ الإمام محمد عبده،

– وشيخ الشريعة الأصبهانى،

– ومحمود شكرى الألوسى،

– وعبد العزيز جاويش،

– وعمر المختار،

– والشيخ مصطفى صبرى،

---

(١) من هؤلاء: سلمان رشدى الإنجليزى الباكستانى الأصل، ونصر حامد أبو زيد المصرى المقيم فى هولندا الآن، ونسرين تسليمه وغيرهم، وكلهم شوّه الغرب أفكارهم وثقافتهم وحولهم إلى عداء دينهم الإسلام!!!

- والأمير شكيب أرسلان،
- ومحمد كرد على،
- والشيخ أبو الأعلى المودودى،
- والشيخ أبو الحسن على الحسنى الندوى،
- والإمام الشهيد حسن البنا،
- والشهيد سيد قطب،
- وبديع الزمان النورسى،
- ومالك بن نبى،
- وعباسى مدنى،
- ونجم الدين أربكان، وغيرهم ممن حاولوا الإصلاح وفق منهج الإسلام ونظامه فى الحكم.

شنوا على أولئك جميعًا حملات التشويه والتشكيك، ومنهم من قتلوا ومنهم من سجنوا ومنهم من شردوهم من ديارهم، ومنهم من أنزلوهم من على كراسى الحكم.

٣ - ثم وجهوا ضربات إلى كل حكومة تعلن أنها نظام حكم إسلامى، بدءاً بجمهورية باكستان الإسلامية التى فصلوا عنها بنجلاديش ومن قبل أساءوا القسمة بينها وبين الهند، وخاسوا بما اتفقوا عليه من أن الأقاليم التى تسكنها أغلبية مسلمة تكون تابعة لباكستان والتى تتبعها أغلبية هندوسية تتبع الهند خاسوا.. بذلك فى إقليم كشمير الذى تسكنه أغلبية مسلمة ولكنه قُسم بين الهند وباكستان. ثم الجمهورية الإسلامية فى إيران التى أغروا بها مشئوم العراق فحاربها ما يقرب من تسع سنوات استنزفت الدولتين: الجمهورية الإسلامية فى إيران لأنها إسلامية وجمهورية العراق لأنها قريبة من إسرائيل!!!

٤ - ولقد تعاون اليهود والصليبيون المحدثون على شن حملات التشويه ضد كل ما هو إسلامى من منهج أو نظام أو قيمة أو خلق، من خلال حملات التغريب، والعلمانية، والإباحية، وإثارة النعرات والقوميات المعادية للإسلام، وتشجيع الجماعات والجمعيات

والأفراد الذين يسيئون إلى الإسلام، ويتهجمون عليه وعلى مصلحيه ودعاته فى موجة بدأت بالصحافة ووسائل الإعلام والنشرات والكتب، وانتهت بالجامعات وما يردده فيها الحاقدون على الإسلام الموالون للغرب الذين تعلموا فى جامعاته ووالوا ثقافته واعتبروا الأخذ بحضارته خيرها وشرها ونافعها وضارها هو التقدم وهو الوسيلة للتخلص من منهج الإسلام ونظامه!!!

٥ - وكانت ضربتهم التالية للحركات الإسلامية ذاتها، فضربوا منذ مطلع هذا القرن حركة الدعوة إلى جامعة إسلامية، وحركة الدعوة إلى الوحدة الإسلامية، وحركة النور بتركيا، وحركة الجماعات الإسلامية بباكستان، والحركة الإسلامية بإندونيسيا، وحركة الإخوان المسلمين بمصر وسوريا والعراق والمغرب وتونس وغيرها من بلدان العالم الإسلامى، ثم الحركات الإسلامية التى عُرفت بالجهاد والجماعة الإسلامية والتكفير والهجرة وغيرها، ورميت كل هذه الحركات بتهم التطرف والعنف والإرهاب، واندسَّ فى هذه الحركات بتوجيه من أعداء الإسلام من يقتل الأبرياء والأطفال والنساء ويزعم أنه مسلم!!!

ومن هنا انطلقت تهم الإرهاب وأُلصقت بالإسلام حينا ثم بالمسلمين حينا، ثم تراجعوا وقالوا: الإرهاب والتطرف دون أن يصفوه بالإسلامى!!!

ومنعوا أى حركة إسلامية مهما كان لها من رصيد فى الشعب وتقبُّل من المواطنين وإقبال عليها يلفت النظر وحضور انتخابى أتى ببعضها إلى المجلس النيابى أو رئاسة الحكومة، فمنعوا هذه الحركات من أن تعبر عن نفسها وعن برامجها من خلال القنوات الشرعية وسنوا لذلك قوانين الحظر والتجريم!!!

● هذه العداوات وتلك آثارها وضعت فى طريق العمل الإسلامى مزيداً من العقبات والصعاب نشير إلى بعضها فيما يلى:

أبرز هذه العقبات والصعاب:

كثرت هذه العقبات والعراقيل فى طريق جماعة الإخوان المسلمين فكان عليها أن تعمل ما وسعها لكى تتغلب على هذه العقبات فكانت الثقة المتبادلة بين القائد والجندى هى من خير ما يعين على التغلب على هذه العقبات والصعاب.

ومن أبرز هذه العقبات والصعاب ما نشير إليه فيما يلى:

١ - انتشار البدع والضلالات والأباطيل والخرافات، والإقبال على الملذات والشهوات والمحرمات.

فكان على الجماعة أن تقف من كل ذلك موقفًا يزيل هذه العقبات أو يقلل من خطرها، ففتحت الشعب والأندية الرياضية، وعقدت المحاضرات والندوات والدورات وأقامت المخيمات والمعسكرات والرحلات لتوجد للشباب بديلاً صالحًا عن هذه الشرور والآثام.

٢ - وعَجْزُ البيت المسلم عن أن ينشّئ أبناءه تنشئة إسلامية، كما عجزت المدرسة عن ذلك بل عجز المسجد نفسه عن ذلك، وهذه المؤسسات الثلاثة - البيت والمدرسة والمسجد - هى أهم مؤسسات تربوية إسلامية.

وإنما عجزت هذه المؤسسات لما حدث فيها من سيطرة القيم غير الإسلامية وشيوع المفاسد وإغراء الشباب بها من أولئك المتحررين المبدعين الذين لا يعترفون بقيود على الحرية، حتى يصلوا بالناس إلى الفوضى - كأنهم يجهلون أنه لا توجد حرية مطلقة إلا فى أدمغة المجانين - وضربت المدرسة بالمقررات التى تُخمل الإسلام ومثله وضُيع تدريس الدين فعُهِد به إلى من لا يحسنون القراءة ووضعت حصصه فى آخر اليوم المدرسى، ولم تحتسب له درجات يترتب عليها النجاح والرسوب، وحذت الجامعة حذو المدرسة وسيطر عليها العلمانيون ودعاة حرية مناقشة القرآن الكريم ومناقضة السنة النبوية وتقلد هؤلاء فى الجامعات أرفع المناصب ومنحوا الدرجات العلمية الرفيعة.

ووُظف فى المسجد دعاة وخطباء يرددون ما يملى عليهم مما يريد الحكام أن يقولوه، أما من يتعرض منهم فى خطبة الجمعة لقضية سياسية فمصيره العزل أو الطرد إلى عمل إدارى كما فعل بالمدرسين والمدرسات الإسلاميين والإسلاميات إذ أحيلوا إلى أعمال إدارية وكتابية!!!

- فكان على الجماعة أن تتدارك هذه المؤسسات فجعلت من واجب الأخ المسلم أن ينّشئ أبناءه تنشئة إسلامية، وأعانت على ذلك بمدارس الجيل الجديد وغيرها من المؤسسات التربوية، وأولت المدرسة والجامعة من اهتمامها ما جعلها فى غضون سنوات تغلى كالمرجل بالفكر الإسلامى ومواجهته الأفكار المنحرفة كالشيوعية والإلحادية، وأعدت للمساجد دعاة على أعلى مستوى وأنشأت هى مئات المساجد التى قام عليها دعاة أصلاء.

٣ - وانتشار الجمود والتقليد والتبعية وشيوع القول الفاسد، يسدّ باب الاجتهاد.

- فكان على الجماعة أن تواجه ذلك فواجهته بالعديد من الخطب والمحاضرات والندوات والدورات التى تناقش هذه القضايا وتبين وجه الصواب فيها.

وكانت شعبها ومساجدها منارات تدعو إلى حرية الفكر ودراسة القرآن والسنة وعلومهما وعلوم العربية ليتأهل من أراد أن يجتهد فى أمر ليس فيه نص، إذ يملك الأسباب التى تمكنه من الاجتهاد، وأعلنت الجماعة فى كثير من المقالات التى كانت تنشر فى جريدتها ومجلاتها عن أن باب الاجتهاد لا يمكن أن يُسَدّ وأيَّدَت ما تقول بالأدلة والبراهين، ولا تزال المقالات ماثلة فى تلك الجرائد والمجلات توضح مدى الجهد التى بذلته الجماعة فى هذا المجال.

٤ - وانحراف كثير من المسلمين عن الفهم الصحيح للإسلام منهجًا ونظامًا وأسلوب حياة يومية، لما يزحمهم من مفاهيم خاطئة عن الإسلام وقيمه ومنهجه وسلوكه، لما يبثه أعداء الإسلام حوله من أباطيل وترهات.

- فكان على الجماعة أن تصحح هذا الفهم، وأن تتصدى لمقالات السوء عن الإسلام تفندها وتظهر زيغها وانحرافها فى مقالات ونشرات وكتابات ومحاضرات وندوات وغيرها.

٥ - وانقسام المسلمين إلى فرق وأحزاب وشيع، واختلافهم حول كثير من القضايا، بفعل الدعاية المضادة وتغذية روح الانقسام والشقاق باصطناع الخلافات والصراعات.

- فكان على الجماعة أن تبذل جهداً فى التقريب بين هؤلاء المنقسمين وأولئك المتعصبين، وكان للإمام البنا رحمه الله جهد مشكور فى التقريب بين المذاهب الإسلامية اعترف به الأعداء قبل الأولياء، وعملت الجماعة ما وسعها فى سبيل إزالة أسباب الفرقة والاختلاف.

٦ - وتُعُمِّد عزلُ نظام الحكم عن الإسلام ومنهجه والاحتكام إلى قوانين وافدة من فرنسا وغيرها من بلاد غير المسلمين.

- فكان على الجماعة أن تعيد الأمور إلى نصابها فتطالب الحكومة بدستور إسلامى، وقدم أحد أعضائها مشروع دستور نابع من القرآن والسنة، وظلت الجماعة تحاول فى هذا المجال وينبرى للدعوة إلى الدستور الإسلامى كبار علماء القانون فيها، حتى وضعت الإطار

الذى مكن الحكومة المصرية من أن تنص فى الدستور على أن: الإسلام دين الدولة واللغة العربية لغتها الرسمية، ومبادئ الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسى للتشريع(١).

٧ - وانتشار موجة تميت روح الجهاد فى الناس والتخويف منه وممن يمارسه، وكان وراء هذه الموجة المحتل الإنجليزى الذى يجثم على صدر البلاد، حيث صدرت قوانين بحظر اقتناء السلاح، وضيقت وزارة الداخلية مجال الترخيص بحمل السلاح، وكانت قمة تلك الموجة عقب ثورة سنة ١٩١٩م وعقب ثورة الفلسطينيين ضد اليهود سنة ١٩٣٦م، وفى أثناء الحرب العالمية الثانية من ١٩٣٩ حتى ١٩٤٥م.

- فكان على الجماعة أن تربى الشباب تربية جهادية تعنى بتقوية البدن والخلق وتدرب الأفراد على كل ما من شأنه أن يجعل منه مجاهداً يعمل على تحرير وطنه من المحتل، وعلى تحرير فلسطين من اليهود.

وبعد هذا الإعداد شارك أفراد الجماعة الذين أُعدوا إعداداً جهاديا فى حرب اليهود فى فلسطين سنة ١٩٤٨م، وفى حرب الإنجليز فى قناة السويس سنة ١٩٥١م، ومما أذكره لفؤاد سراج الدين - وكان وزيراً للداخلية سنة ١٩٥١م - أن أعطى للمجاهدين عدداً من الأسلحة التابعة لوزارة الداخلية ليتدربوا عليها ويحاربوا أعداء بلادهم، ويومها أثنى على الفدائيين وما يقومون به من أعمال، ومن عجب أنه بعد أربعة عشر عاماً من هذا التاريخ قامت حكومة عبد الناصر بمحاكمة هؤلاء الفدائيين واعتقلت فؤاد سراج وسألته عن هذه الأسلحة!!!

وعذبت الفدائيين فى السجن الحربى وعذبت فؤاد سراج الدين!!

- هذه العقبات وتلك الصعاب واجهت الجماعة فى داخل الأوطان العربية والإسلامية التى كانت الجماعة تمارس فيها نشاطها، فضلاً عن العقبات والصعاب التى كان يتفنن فيها المحتل الإنجليزى لكثير من بلدان العالم العربى وكذلك المحتل الفرنسى والمحتل الهولندى وغيرهم.

ولم يكن أمام الجماعة ما تستعين به على إزالة هذه العقبات والمصاعب مثل التعاون بين

---

(١) دستور جمهورية مصر العربية الصادر سنة ١٣٩١ هـ ١٩٧١ م والمعدل بناء على الاستفتاء الذى أُجرى على تعديل الدستور يوم ٢٢ من مايو سنة ١٩٨٠م والصادر فى الجريدة الرسمية فى العدد ٢٦ فى ٢٦ يونيو ١٩٨٠م.

قادة العمل فى مرافق الجماعة والجند الذين يمثلون عصب هذا العمل، ولم يكن شيء أفضل فى ذلك من تبادل الثقة بين القائد والجند للتغلب على هذه العقبات.

ثم يختم الإمام البنا كلامه عن نتائج الثقة بقوله: ﴿ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ (٢٠) طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ﴾ [محمد: ٢١].

والآية الكريمة فى الاستشهاد بها فى هذا السياق - تعنى فى تصورى: أن الجنود فى هذه الظروف وأمثالها، أولى لهم وأكرم بهم وبجنديتهم طاعة قيادتهم، وقول معروف يتوجهون به إلى هذه القيادة.

- إن القيادة بغير طاعة الجند لها لا فاعلية لها ولا تأثير كما أوضحنا ذلك آنفًا.

- والقيادة بَشَر، والبشر يخطئون ويصيبون إذ لا عصمة من الخطأ إلا للرسول الخاتم عليه الصلاة والسلام، فلو أخطأت القيادة - ولن يكون الخطأ فى الدين أو الشريعة - وإنما يكون فى السياسة، أو فى فقه الموازنات أو فقه الأولويات، فإن الجنود يجب عليهم أن يمتنعوا عن التجريح والاتهام وسوء الظن وإنما الأولى لهم مع القيادة هو القول المعروف.

● والقول المعروف فى مثل هذه الظروف يتدرج من:

- حسن الظن بالقيادة لأن هذا حقها شرعًا - كما أوضحنا،

- والتساؤل الهادئ الهادف عما حدث لعل له سببا يبرره،

- وتقديم النصيحة فى السرّ،

- ثم الحوار الهادئ الذى يستهدف إيضاح الرؤية وتعديل فقه الموازنات أو فقه الأولويات.

● إن الجنود فى مثل هذه الأحوال أولى لهم طاعة وقول معروف، وما لم يكن ذلك كذلك توقف موكب العمل، وأثم الجند، وربما ضلوا الطريق.

إن كل جندى يجب أن يصبح ويمسى وهو يردد فى داخله وعلى لسانه: «أولى لهم طاعة وقول معروف».

وأما القادة فى مثل هذه الظروف فإن الأولى بهم أن يستمعوا إلى النصيحة وأن يتقبلوها بقبول حسن وأن يشكروا من أسداها، عملوا بها أو لم يعملوا.

وعلى القادة قبل اتخاذ القرار أن يستشيروا ويستخيروا، ويبحثوا عن الصواب والمناسب، فمن أين أتاهم ذلك أخذوا به ولو كان من أصغر الجنود، فالحكمة ضالة المؤمن أنَّى وجدها فهو أحق الناس بها.

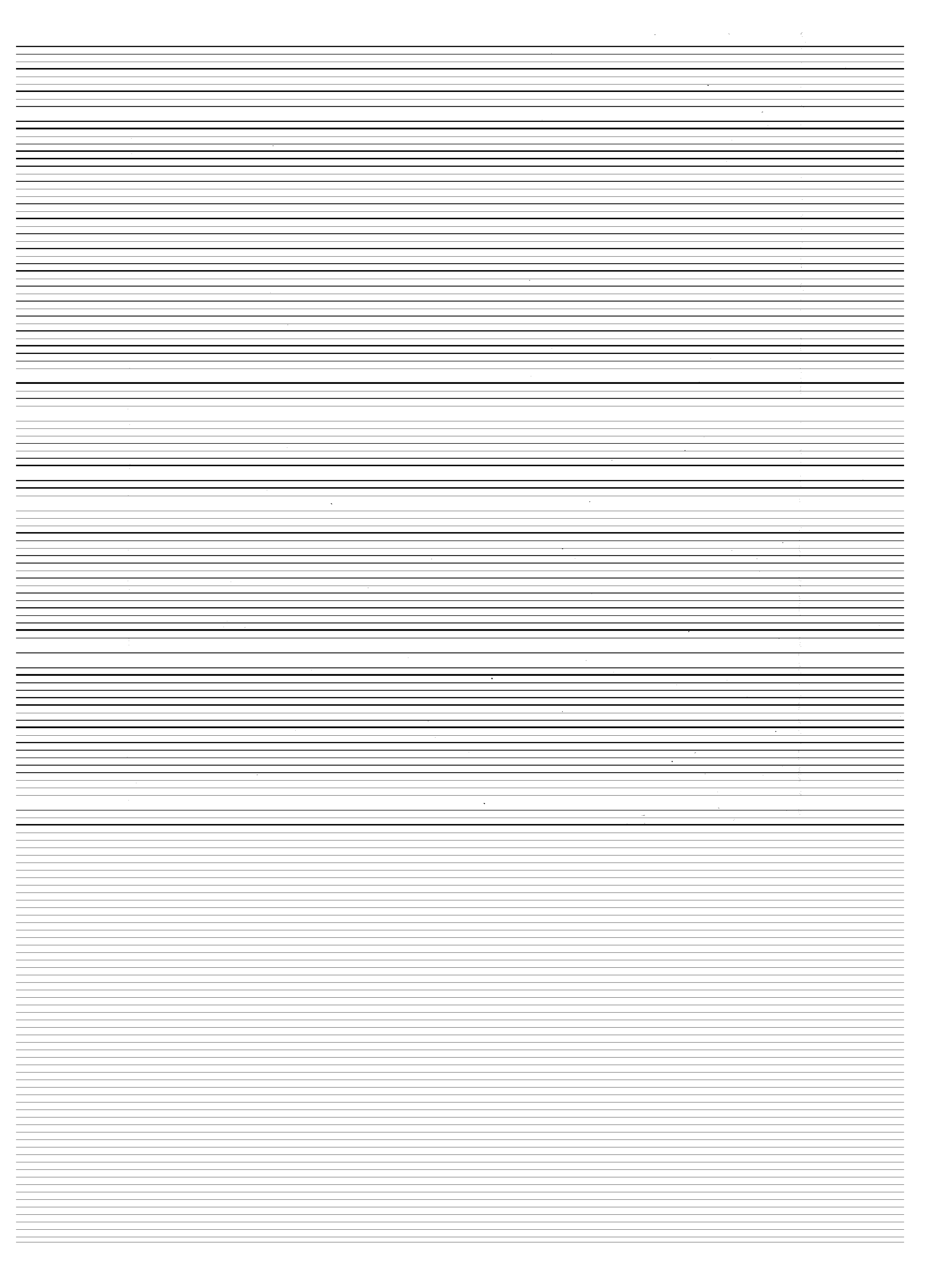
وعليها أن تحسن الظن بجنودها، فهذا حق الجندى على قائده.

– ولا يستمر الموكب فى طريقه ولا يستطيع أن يحقق أهدافه إلا بأن يتبادل القائد والجندى الثقة فيما بينهم.

ذلك شأن المسلمين الفاهمين الذين يتصدون للعمل من أجل الإسلام وهم على فقه وبصيرة.

والله من وراء القصد وهو الهادى إلى سواء السبيل.

وبعد: فإلى الفصل الثانى من هذا الباب، وهو: حقوق القيادة فى الدعوة إلى الله، سائلاً الله تعالى العون والسداد.



الفصل الثانى

حقـوق القيادة فى الدعوة إلى الله

وفيه : أربع نقاط :

النقطة الأولى :

حق الوالد بالرابطة القلبية .

والنقطة الثانية :

حق الأستاذ بالإفادة العلمية .

والنقطة الثالثة :

حق الشيخ بالتربية الروحية .

والنقطة الرابعة :

حق القائد فى مجال السياسة العامة للدعوة .

وتلك هى أسباب نجاح الدعوات .

تمهيد لهذا الفصل

نحاول – والحول من الله – فى هذا الفصل المعنون: «حقوق القيادة فى الدعوة إلى الله» أن نوضح فيه هذه الحقوق من خلال كلمات الإمام البنا رحمه الله تعالى، مع تأصيل هذه الحقوق ببيان أصلها الذى أخذت عنه من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. وبيان مرجعياتها فى تراثنا الإسلامى من كلمات الصحابة والتابعين والعلماء المبرزين والمصلحين المجددين.

ولابد لنا فى هذا التمهيد أن نؤكد أن كل حق للقيادة إنما أصبح حقا لها من خلال ما دلَّتْ عليه النصوص الإسلامية فهو حق لا ينبغى أن يُتنازع فيه، ولا أن يقصر أحد فى أدائه، لأن أداء الجند لهذه الحقوق نحو قيادتهم استجابة لأمر الله تعالى، ولما دلت عليه سنة رسوله ﷺ، وما دام أداء هذه الحقوق استجابة لأمر الله فهو طاعة لله يثيب الله تعالى عليها من أدَّاها.

ولابد لنا كذلك من بيان أن كل حق يقابله واجب، فللقيادة هذه الحقوق الأربعة: حق الوالد وحق الأستاذ وحق الشيخ وحق القائد، ولكن على القيادة فى مقابل ذلك واجبات هى: واجب الوالد نحو ولده، وواجب الأستاذ نحو تلميذه، وواجب الشيخ نحو مريده، وواجب القائد نحو جنده.

فإذا استطعنا بعون من الله أن نوضح هذا أكدنا أن ممارسة الحقوق وأداء الواجبات المتبادل بين القيادة والجند، هى من أهم أسباب نجاح الدعوات الإصلاحية التجديدية، بل هى من أهم أسباب النجاح فى أى عمل يستدعى أداؤه قادة وجنوداً والله تعالى يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم.

النقطة الأولى:

للقائد على الجندى حق الوالد

القائد بمثابة الوالد لجنده، هذه حقيقة يحس بها، ويسلم بصحتها المنصفون الفاهمون من العاملين فى مجالات الدعوة الإسلامية، ويعترف بها الجنود فى صفوف هذه الأعمال، فيعاملون قادتهم كما يعامل الولد أباه طاعة وبرا وحسن استجابة وسرعة أداء لكل ما يأمر به الوالد.

ومن هنا يحاط العمل فى مجالات الدعوة إلى الله بسياج من الثقة فيما يتضمنه أمر الوالد لولده، فليس من الجائز أن يأمر والد ولده بغير ما ينفعه فى دينه ودنياه، وليس من الجائز أن يعصى الولد والده أو يتراخى فى طاعته.

– ومادام حق الأبوة للقائد، فلابد أن يكون حقًا مرعيا محترمًا يسرع الجندى إلى أدائه طاعة لدينه وبرًا بقائده.

– ومادام هذا الحق مقرراً شرعًا – كما سنوضح – فإن فى مقابله واجبًا على الوالد نحو ولده هو حبه والإشفاق عليه وتسديد خطاه ومعاونته بعد توجيهه.

● ومن خلال تبادل هذه الحقوق والواجبات بين الوالد وولده يكون نجاح العمل، ويكون رضا الله تبارك وتعالى.

– فمن أين جاءت للقائد صفة الوالد فى الإسلام؟

● نؤكد أن كل صفة وُصف القائد بها فى كلمة الإمام البنا رحمه الله إنما أخذها من نصوص الإسلام، وصفة الوالد إحدى هذه الصفات.

– لقد نظر الإمام البنا إلى سيرة الرسول ﷺ وعرف هذه الحقوق الأربعة – على نحو ما سنبين – فالرسول ﷺ هو القائد الأول للمسلمين جاءهم يقودهم إلى دين الحق وينشر فيهم مبادئه، ويأمرهم بنشر هذا الدين فى كل مكان، ويجمعهم ويوحد صفوفهم للدفاع عن الحق إن تعرض له أعداؤه.

– ولقد جمع الله تعالى لرسوله ﷺ من الصفات كل ما يحتاج إليه القائد ليؤدى عمله فى جنده بنجاح.

– لذلك كان من حسن توفيق القائد أن يتعرف صفات الرسول ﷺ وأن يتحلى بها ما استطاع لكى ينجح فى قيادته، ويحقق أهداف عمله، فالرسول ﷺ هو القدوة الواجب على كل مسلم أن يقتدى بها، فقد جاء فى ذلك قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً**﴾

[الأحزاب: ٢١].

● وصفة الوالد للقائد، إنما جاءت من صفات الرسول ﷺ، فقد روى أبو داود بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إنما أنا لكم مثل الوالد أعلمكم؛ إذا ذهب أحدكم إلى الخلاء فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها، ولا يستنج بيمينه، وكان يأمر بثلاثة أحجار، ونهى عن الروث والرِّمة».

– فالقائد والد والوالد معلم يعلم ولده كل ما يحتاج إليه، ولا يستحى من تعليمه شيئًا ربما استحى من تعليمه لغير ولده، وتلك سنة الحياة فى الأبوة والنبوة، لابد أن يعلم الأب ابنه وإلا قصر فى حقه، ووجهه دون أن يدرى إلى البحث عن مصادر غير موثوقة للعلم والمعرفة، وتلك قضية من أهم قضايا التربية.

– ولقد أثار تعليم القائد لجنده هذه الأمور التى يراها الناس بسيطة، وهى عند التحقيق أساس الحياة لأنها ترتبط بالطهارة والنظافة وعباده الله، لقد أثار ذلك بعض المشركين، فقال متندراً أو مستهزئًا يخاطب سلمان الفارسى رضى الله عنه، كما روى ذلك ابن ماجة بسنده عن سلمان رضى الله: وإنى أرى صاحبكم يعلمكم كل شىء حتى الخِرْءَة – وفى رواية الخراءة –! قال له سلمان أجل: أمرنا أنْ لا نستقبل القبلة ولا نستنجى بأيماننا ولا نكتفى بدون ثلاثة أحجار، ليس فيها رجيع ولا عظم.

فالقائد والد يعلم جنوده كل ما هم بحاجة إليه دون خجل، حتى فى الأمور البسيطة التى تخرج من الإنسان مخرج العادة وتجرى مجرى الفطرة التى فطر الله الناس عليها.

مجمل حقوق الوالد على ولده

● القائد إذن والد كما كان الرسول ﷺ والدا. فما حق الوالد على الولد؟ أو القائد على الجندى؟

– مجمل هذه الحقوق أربعة – كما ظهر لى فى هذا المجال – وهى:

١ – من حق القائد على الجندى البِرّ:

أى أن يبرَّ الجندى قائده كما يبر الولد أباه.

وفى مقابل البرّ الذى يجده القائد من الجندى، فإن واجب القائد نحو جنوده الحب والإشفاق كالوالد نحو أبنائه.

– والبرّ هو: مراعاة الحقوق الواجبة، والقيام بهذه الحقوق على الوجه الذى أمر الله به.

– والبِرّ: الخير عمومًا، والوفاء والصدق والإحسان والطاعة وبر الوالدين هو التوسع فى الإحسان إليهما ووصلهما.

– وبر الجندى للقائد هو طاعته والتوسع فى الإحسان إليه لأنه والد وهذا هو بر الوالد، روى الترمذى بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ فقلتُ: يا رسول الله أى الأعمال أفضل؟ قال: «الصلاة لميقاتها» قلتُ: ثم ماذا يا رسول الله؟ قال: «بر الوالدين» قلتُ: ثم ماذا يا رسول الله؟ قال: «الجهاد فى سبيل الله» ثم سكت عنى رسول الله ﷺ، ولو استزدته لزادنى.

وروى الترمذى بسنده عن أبى الدرداء رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «الوالد أوسط أبواب الجنة، فإن شِئْتَ فَأَضع هذا الباب أو احفظه».

وروى الترمذى بسنده عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «رضا الرب من رضا الوالد، وسخط الرب فى سخط الوالد».

● وبرّ الجندى لقائده له مردود حسن على كل ما يحيط بالعمل والعامل والقائد، وله عند الله أجزل الثواب وأحسنه.

فالجندى البارّ بقيادته مطيع لربه متقرب إليه بهذه الطاعة، مأجور بإذن الله تعالى على هذا البِرّ.

وهذا البِرّ ينعكس على الجنود إحساسًا بالرضى لأداء واجب أوجبه الله تعالى وشعورًا بالراحة والطمأنينة.

وينعكس على العمل إجادة وإحسانًا وقدرة على بلوغ الهدف، وينعكس على القائد نفسه حبا لجنوده وحسن تقدير لهم، وثقة فيهم، ودفعا بهم وبأعمالهم إلى الأمام.

– والبِرّ كما جاء فى أحاديث النبى ﷺ– يهدى إلى الجنة، ويزيد فى العمر بركة، ويسرع بصاحبه إلى ثواب الله تعالى وحسن جزائه.

وكل أنواع البر إيجابية فى العمل تثريه وفى القائد ترضيه، وفى الجندى تزكيه وتقربه إلى الله.

وعند توقف هذا البر تبدو سلبيات هذا التوقف فى العمل تعطله أو تفسده، وفى القائد لا تسره ولا تزيده حبا فى جنوده، وفى الجنود تشعرهم بالإحباط والفشل والبعد عن طاعة الله تعالى.

٢ - ومن حق القائد على الجندى الطاعة :

فقد أوجب الإسلام على الجندى أن يطيع قائده فى طاعة الله تعالى إلى أن يؤمر بمعصية - ولن يؤمر بذلك - فعندئذ لا تجب الطاعة فى معصية الله أو فى غير معروف .

وفى مقابل هذا الحق؛ على القائد رحمة الجند وتقدير ظروفهم وأمرهم بما يستطيعون، وتوظيفهم فيما يحسنون ويحبون .

● والطاعة حق للقائد أوجبه الله تعالى فى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ . . .** ﴾ [النساء : ٥٩] .

وأوجبته سنة رسول الله ﷺ فى عدد من الأحاديث النبوية الشريفة .

روى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أطاعنى فقد أطاع الله، ومن عصانى فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعنى، ومن يعصى الأمير فقد عصانى » .

وروى مسلم بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية - فإذا أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » .

وروى مسلم بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : كنا إذا بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة يقول لنا : « فيما استطعتم » .

وروى مسلم بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من خلع يداً من طاعة لقى الله يوم القيامة ولا حجة له، ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » وفى رواية : « ومَنْ مات وهو مفارق للجماعة فإنه يموت ميتة جاهلية » .

وروى البخارى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « من كره من أميره شيئًا فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية » .

● والقائد فى الجماعة أمير على ما يقوم به من عمل فى مجالات الدعوة والحركة والتربية والتنظيم، فله فى كل هذه المجالات الطاعة، ما لم يأمر بمعصية أو بغير معروف .

- الطاعة حق للقائد على الجندى، وتعتبر واجباً يؤديه الجندى نحو قائده .

وما لم يعط الجندى قائده هذا الحق فإنه يحرج نفسه مع الله، بالمعصية والإثم، ويحرج نفسه مع قائده بمنعه حقًا له، ويحرج العمل الذى يقوم به بأن يعوقه أو يضيعه.

ثم يخطئ خطئًا كبيرًا فى حق إخوانه فى العمل وفى مجالاته كلها إذ يحرمهم بموقفه هذا من أن يروا ثمرة عملهم فى الدعوة والحركة والتربية والتنظيم.

ويخطئ فى حق قائده وفى حق نفسه، وفى حق حاضر العمل من أجل الإسلام وفى حق مستقبله.

٣ - ومن حق القائد على الجندى النصيحة:

والنصيحة كما يعرف المسلمون هى حق لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، كما نطق بذلك المعصوم ﷺ.

والقائد فى العمل من أجل الإسلام والد وأمير ومسئول، فله حق النصيحة على كل من يعملون معه، وأقرب العاملين إليه هم جنده فهم ألصق به من سواهم.

وواجب القائد فى مقابل هذا الحق، تقبل النصيحة والفرح بها وشكر من قدمها، والأخذ بما فيها إن كان مما يخدم العمل وينميه ويساعده على تحقيق أهدافه، بعد أن يستشير غيره فى هذه النصيحة.

- ولابد أن أنبه إلى أن بعض القادة الذين وُسدوا قبل أن ينضجوا، ووثقوا قبل أن يكونوا أهلاً للتوثيق - وهذا يحدث أحيانًا - بعض هؤلاء القادة قد يرون أنهم فوق النصيحة، لإحساسهم الكاذب بالمزيد من الثقة فى النفس أو الغرور، إذ يرون الناصح أقل خبرة وتجربة منهم - وهم فى ذلك مخطئون كل الخطأ، وهذا النوع من القادة الذى أخذ صفة القائد ومهامه دون أهلية لها، سريعًا ما يفقد هذه الصفة وهذا العمل الذى يقوده، لأنه رجل لا يقبل النصيحة وحسبه ذلك لتأكيد أنه لا يصلح لقيادة غيره من الناس.

- ومن فضل الله على الدعوة والدعاة أن مثل هذه القيادة نادرة فى مجال العمل من أجل الإسلام، فإن وجدت دَلَّ وجودها على خلل فى ترشيحها وتوثيقها وتصعيدها.

- والنصيحة حق للقائد على جنديه، ولكن على الجندى أن يقدمها لقائده بالأسلوب الإسلامى، وبالشروط الإسلامية لها، فقد أوجب الإسلام فى النصيحة:

- أن تكون فى السرّ، فإن أعلن عنها الناصح تحولت إلى فضيحة، وللإمام الشافعى رحمه

الله فى ذلك كلمة يقول فيها: مَنْ وعظ أخاه فى السرّ فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه.

والإمام الغزالى رحمه الله فى ذلك يقول: «إن الله تعالى يعاتب المؤمن يوم القيامة تحت كنفه فى ظل ستره، فيوقفه على ذنوبه سراً، وقد يدفع كتاب عمله مختومًا إلى الملائكة الذين يمضون به إلى الجنة، فإذا قاربوا باب الجنة أعطوه الكتاب مختومًا ليقرأه. وأما أهل المَقْت فينادَون على رءوس الأشهاد، وتستنطق جوارحهم بفضائحهم فيزدادون بذلك خزيا وافتضاحًا»(١).

– وأن تخلو النصيحة من مداهنة المنصوح، أى نصحه من أجل مصلحة للناصح، وذلك أن مبنى النصيحة على الإخلاص، والمداهنة تناقض الإخلاص وتفسده.

– وأن يتمهل بها الناصح إلى حين، إغضاء، كرما وحرصا على المنصوح، لعله فى هذا التمهل يرجع عن غلطه، وهذا التمهل نوع من الستر على المنصوح، والمسلم مطالب بأن يستر أخاه المسلم.

– وأن يكون العيب الذى يجده الناصح فى المنصوح من العيوب التى لا يعرفها المنصوح عن نفسه، فالمؤمن مرآة أخيه، إذا وجد فيه أذًى وجب عليه أن يزيله، وعلى المسلم عموما والقائد لأى عمل على وجه الخصوص أن يرحب بمن يهدى إليه عيوبه.

– وأن تكون النصيحة يحركها حب الناصح للمنصوح وحب المنصوح للناصح.. يحب من ينصحه لذلك يحرص على أن يخلصه من عيوبه، والمنصوح يحب الناصح ولذلك يستهديه عيوبه.

وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يستهدى إخوانه عيوبه، ومن كلماته فى ذلك قوله: رحم الله امرأ أهدى إلى أخيه عيوبه. ومن مواقفه فى ذلك أن قال لسلمان الفارسى رضى الله عنه، وقد قدم عليه: ما الذى بلغك عنى مما تكره؟ فاستعفاه سلمان فرفض عمر إعفاءه، فقال له سلمان: بلغنى أن لك حُلَّتَيْن تلبس إحداهما بالنهار والأخرى بالليل، وبلغنى أنك تجمع إدامين على مائدة واحدة.

---

(١) الإمام الغزالى أبو حامد: إحياء علوم الدين: ٢/١٦٠ ط الحلبى – مصر ١٣٥٢ هـ – ١٩٣٣م.

فقال عمر: أما هذان فقد كُفيتهما[١]، فهل بلغك غيرهما؟

قالا: لا.

تلك صورة مجملة لشروط النصيحة وآدابها في الإسلام، لو التزم بها المسلمون فيما بينهم حكامًا ومحكومين لأمكن من خلال النصيحة أن يتخلص الناس من كثير من عيوبهم إن لم يتخلصوا منها جميعًا.

٤ - ومن حق القائد على جنوده أن يعاونوه

والتعاون في الإسلام واجب على البر والتقوى بين المسلمين جميعًا، وحرام على المسلمين جميعًا إذا كان تعاونًا على الإثم والعدوان.

فإذا كان التعاون بين قائد لأى مجال من مجالات العمل من أجل الإسلام وبين جنده كان أوجب وكان القيام به مُقَرِّبا إلى الله بما افترض على عباده، وداعيا لأن يحب الله عبده الذى تقرب إليه بما افترض عليه وفى مقابل هذا الحق للقائد على الجندى؛ فإن من واجب القائد نحو جنوده فى هذا المجال أن يكلفهم بما يستطيعون وأن يعينهم ما وسعه على أداء ما كلفوا به، إذ ليست القيادة فى الإسلام استعلاء على الجنود وإصدار الأوامر لهم ثم تركهم لينفذوا دون عون أو دعم أو توجيه، وإنما تعاون أى يعين الجند القائدَ ويعين القائدُ الجندَ.

- ولا يجوز لجندى أن يتخلى عن معاونة قائده فى أى أمر يكلفه به أو يندبه إليه، فإن تخلى عن هذا التعاون فقد وقع فى الحرج والإثم والخطأ فى حق الله تعالى وحق قيادته وحق إخوانه فى الصف وحق العمل وحق الدعوة إلى الله على نحو ما بينا آنفًا ونحن نتحدث عن الطاعة بوصفها حقًا من حقوق القيادة على الجنود.

- وروح التعاون ومُخُّه وجوهره هو أن يتعاون الجندى مع قائده فيما كلف به أو ندب إليه دون أن تطلب منه القيادة ذلك فضلاً عن أن تلح عليه وتكرر الطلب.

ثم يترقَّى التعاون عند الجندى فيصبح رغبة أكيدة فى مساندة كل عمل يستطيع أن يساند فيه، ثم يرقى إلى أن يعرض الجندى على قائده ما لديه من وقت وجهد ومال ويطلب من قيادته أن توظف ذلك فى صالح العمل، كما كان يفعل الصحابة فى كثير من المواقف رضى الله عنهم، فما أروع موقف أبى بكر الصديق رضى الله عنه وعمر بن الخطاب رضى الله

---

(١) أى لن يكون ذلك بعد اليوم.

عنه حينما قدم كل منهما إلى رسول الله ﷺ عونا فى تجهيز جيش العسرة وكذلك سائر الصحابة.

قال محمد بن عمر الواقدى رحمه الله (١٣٠ – ٢٠٧ هـ)[١]: حضَّ رسول الله ﷺ على الصَّدقات فجاءوا بصدقات كثيرة، فكان أول من جاء أبو بكر الصديق رضى الله عنه – جاء بماله كله أربعة آلاف درهم، فقال رسول الله ﷺ: «هل أبقيت لأهلك شيئًا»؟، فقال: أبقيت لهم الله ورسوله.

وجاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه بنصف ماله، فقال رسول الله ﷺ: «هل أبقيت لأهلك شيئًا؟

قال: نعم، مثل ما جئت به.

وكذلك فعل الصحابة رضوان الله عليهم.

أما عثمان بن عفان رضى الله عنه فقد جهز ثلث هذا الجيش حتى إنه كان يقال: ما بقيت لهم حاجة حتى كفاهم شُنُقَ[٢] أسقيتهم.

هكذا كان الصحابة رضوان الله عليهم يسرعون إلى التعاون على البر والتقوى، والجهاد فى سبيل الله.

وبعد: فإن للقائد حق الوالد بالرابطة القلبية؟ فما حقه هذا من خلال الرابطة القلبية بين والد وولد؟

– العلاقة بين الوالد والولد تنبع من قلب كل منهما نحو الآخر، حبا وشفقة وحنانا وخوفا من المخاطر من جهة الوالد، وحبا وتعلقا واحتياجا وانتماء وبرا من جهة الولد.

– والذى يعنينا هنا أن نوضح الرابطة القلبية التى يحس بها الولد نحو والده، وتلك الرابطة هى جملة أحاسيس ومشاعر تملأ على الولد قلبه ونفسه وعقله، ومنها:

أ – إحساس الولد بأن والده هو المثال وهو القدوة وهو الملجأ والملاذ فى الشدة والرخاء؛ ولذلك قد لا يرى الولد فى والده عيوبا ولا يحصى عليه أى نوع من التقصير – لا

---

(١) جاء ذلك فى كتابه: المغازى النبوية – غزوة تبوك.

(٢) الشُّنُق: جمع شِنَاق وهو الحبل أو السير الذى يشد به الشىء ويعلق، والمعنى أنه جهز ثلث الجيش من كل ما يحتاج إليه المقاتل من مركب وسلاح وزادٍ..... إلخ.

بسبب أنه طفل، لأننا نتكلم عن ولد راشد مدرك لما يجب وما لا يجب، وما يجوز وما لا يجوز، ومع وعيه وإدراكه ورشده فقلَّ ما يعترف بأن فى والده عيبا من العيوب حتى ما كان ظاهراً من هذه العيوب!!!

وربما كانت هذه فطرة عند أكثر الناس فى نظرهم لآبائهم منذ الأزل البعيد، وربما إلى الأبد البعيد أيضًا، فقد كان الناس فى الجاهلية عندما يُدعون إلى دين الحق وإلى الصراط المستقيم يقولون: ﴿ ... **إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ** ﴾ [الزخرف: ٢٢]. أو يقول المترفون منهم: ﴿ **إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ** ﴾ [الزخرف: ٢٣]. بل يصل الأمر ببعض الأبناء أن يظلوا على الشرك لأن آباءهم ماتوا عليه، كما يحكى القرآن الكريم عنهم ذلك الموقف فى قوله تعالى: ﴿ **أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ ...** ﴾ [الأعراف: ١٧٣].

ب - وثانى هذه الأحاسيس من الولد نحو والده، أنه يحبه حبا غير محدود، حبا يغفر له كل عمل غير صالح يأتيه.

وهذا الحب من الولد لوالده فطرة فطر الله الناس عليها، وكان الناس جميعًا هكذا حتى جاء الإسلام فهذبهم ونَقَّى الحب من عيوبه وشوائبه، فجعله يتوجه إلى من كان فى طاعة الله من والد أو غيره، وأحلَّ محله الكراهية لمن كان فى معصية الله، مهما تكن علاقته وقرابته.

- والقائد والد، والأصل فيه أن يكون موضع حب ولده، وبخاصة عندما يكون الأب طائعًا لله صالحًا داعيًا إلى الخير عاملاً من أجل الإسلام، محببا ولده فى البر والخير وكل ما يرضى الله تبارك وتعالى.
- تلك هى الرابطة القلبية التى تربط بين الولد ووالده وهى التى تعتبر من حق الوالد على ولده، أو القائد فى العمل الإسلامى على جنده.

آثار الرابطة القلبية بين القائد وجنده

- ولهذه الرابطة القلبية آثار نشير إليها فيما يلى:

- هذه الرابطة القلبية تجعل الولد سعيدا راضيا كلما كان قريبا من أبيه، أو كان موضع رضا أبيه ومحل ثقته، فضلاً عن شعوره بأن أباه يحبه ويؤثره ويعجب به.

- وجندى العقيدة يحب أن يشعر بذلك مع قائده، يدنو منه ويأتنس به، فهذا القائد رجل

حكيم صالح واع يدعو إلى الخير ويأمر به، فهو كما جاء فى الحديث الشريف « كحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة » رواه بتمامه الإمام مسلم بسنده عن أبى موسى رضى الله عنه. فالقائد المسلم بهذه الصفات هو الجليس الصالح الذى يشبه حامل المسك.

– وهذه الرابطة القلبية: تجعل الولد راغبا فى أن يكون موضع رضا أبيه، وهذا يحمله على أن يكون ملتزمًا بما أمره الله تعالى به منتهيا عما نهاه عنه، حريصا على حسن الخلق، وحسن السمعة حتى يكون جديراً برضا أبيه عنه، وهذه الرغبة عند الولد تحمله على أن يجيد ويحسن كل عمل يقوم به.

● وهكذا جندى العقيدة عليه أن يكون حريصا على أن يرضى عنه قائده، لأنه يراه مرضيا لله تعالى مقبلا على أداء عمله مجيداً محسنا مخلصا فى أداء هذا العمل.

– والرابطة القلبية: تجعل الولد حريصا على أن يرى أباه فى أحسن صورة وأكملها فى سمته وكلامه وعمله وتعامله مع الناس، فيبذل ما وسعه من جهد ليحول بين والده وبين أن تهتز صورته أو ينتقص منها ومن جمالها وكمالها، فإن استطاع أن يعينه فى العمل أعانه وإن استطاع أن يمنعه عن عمل مًا منعه، وهو فى كل ذلك مدفوع بمشاعره وحرصه على أن يرى والده فى أكمل صورة.

وجندى العقيدة مطالب بأن يفعل هذا وأكثر منه فى سبيل أن يظل قائده فى أكمل صورة وأجملها، لكن ذلك مشروط بشرطين:

أولهما: أن يتعامل مع والده بأدب الإسلام الذى أوجب له الاحترام والتقدير.

والآخر: أن لا يجامل فى الحق أحداً ولو كان أباه، لأن الحق أحق أن يتبع.

وما لم يفعل جندى العقيدة ذلك فقد أساء إلى نفسه وإلى والده قائده وإلى الدعوة التى ينتمى إليها.

– والرابطة القلبية: تجعل الولد يوقر أباه ويجله ويشيد به، ويدافع عنه – فى الحق طبعًا– ويبحث له عن مبررات لأعماله التى لا يفهمها للوهلة الأولى، ويحسن الظن بقوله وفعله وتعامله معه ومع غيره من الناس.

● وجندى العقيدة مطالب بكل ذلك فى إطار ما شرع الله وما أباح، فمهما كانت عواطف

الجندى جياشة نحو قائده، فلا يسمح له بأن يغالط من أجل حبه لقائده، أو أن يدافع عنه بغير وجه حق، لأن الإسلام دين العدل والإحسان وإكبار الحق والاعتزاز به أكثر من أى شيء ومن أى قرابة.

– وهذه الرابطة القلبية: تجعل الولد البار حريصا على أن يحمل عن والده كل ما يستطيع أن يريحه منه، أو أن يجنبه مشقة القيام مهما حرص الأب على أن يقوم بهذا العمل، هذا خلق الإسلام فى الولد نحو والده.

● وجندى العقيدة يجب أن يكون هذا موقفه من قائده يحمل عنه ويجنبه المشقة والعنت، ويسارع دائمًا فى التخفيف عنه، وهو بالنسبة لقائده ولده، وما يليق بولد أن يدع والده يتعب وهو قادر على أن يجنبه هذا التعب. إن كثيراً من القادة فى العمل من أجل الإسلام دعوة وحركة وتربية وتنظيما، يمارسون من الأعمال ما لا ينبغى لهم ممارسته لأنه فوق طاقتهم، لأنهم يحرصون على العمل ويخشون إن تركوه ضاع فلم يقم أحد به، والجندى فى هذه الأحوال يجب أن يكون مفتوح العين والقلب على قائده يحمل عنه أى عناء يستطيع حمله.

● وما لم يفعل ذلك جندى العقيدة فقد تخلى عن التخفيف عن والده، وحسبه ذلك إثما وتقصيراً وإغضاباً لله تعالى!!!

والنقطة الثانية:

للقائد على الجندى حق الأستاذ

الأستاذ كلمة معرَّبة معناها: المعلم.

ومن معانيها: المعلم الماهر فى صناعته، ثم أصبحت لقبا رفيعا بل أرفع الألقاب فى الجامعات المعاصرة.

– والقائد فى مجالات العمل من أجل الإسلام أستاذ معلم ذو خبرة ومهارة فى عمله وعلمه فى مجالاته وهى: الدعوة إلى الله والحركة بهذا الدين والتربية وفق قيمه ومبادئه والتنظيم من أجل التمكين لدين الله فى الأرض.

– ولهذا الأستاذ المعلم حق وَثيقٌ على كل من علمه، أو لهذا القائد المعلم حق فى عنق من قاده ومن عَلَّمه، وإذا كان يعلم علم الدين وعلم الدنيا معًا ازداد حقه قوة ووثاقة.

● وعلم الدين أو علومه له مصدران أساسيان هما:

القرآن الكريم

والسنة النبوية المطهرة.

وقد يضاف إليهما ما يجتهد المسلمون فى تفسيره من هذين المصدرين، وما يمكن أن يجمع عليه علماء المسلمين فيقررره، من جلب مصلحة أو دفع مضرة.

● وعلم الدنيا أو علومها عمدتها البحث والتدقيق واتباع المنهج العلمى فى البحث، ومصادر هذه العلوم ومرجعياتها أوسع من كل تصور، وأرحب من كل خيال.

– والقائد فى العمل الإسلامى معلم للدين وعلومه فى حدود ما له فى الدين من بصيرة – والأصل أنه لا يتولى قيادة فى العمل من أجل الإسلام إلا إن بلغ درجة النظر(١).

ودرجة النظر تعنى أن ينظر فى الكتاب والسنة فيستطيع أن يستنبط الأحكام ويعرف المقاصد.

● القائد فى الدعوة معلم أو أستاذ والجندى متعلم أو تلميذ، والمعلم المسلم مأمور أن يعلّم غيره، لأن الله تعالى إذا أعطى أحداً من العلم أوجب عليه تعليم غيره، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ** ...... ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

– والمتعلم المسلم لا يشبع من العلم وطلبه مادام حيّاً، فقد روى الترمذى بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يشبع المؤمن من خير يسمعه – أى علم – حتى يكون منتهاه الجنة».

وروى البخارى بسنده عن معاوية رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به

---

(١) ولبلوغ درجة النظر لابد له من أدوات تعينه على ذلك منها:

– المداومة على تلاوة القرآن الكريم وتدبر مقاصده.

– والمطالعة المستمرة فى كتب السنة التى تعين يقينا على فهم مقاصد الإسلام فى الحياة الإنسانية كلها.

– ومصاحبة السير النبوية مع ضرورة التأمل فى أحداثها ومواقفها.

– والمعرفة الجيدة لعلوم اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة فهى مفاتيح فهم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

– والإلمام الجيد بعلم أصول التفسير وأصول الحديث وأصول الفقه والفقه نفسه.

– والمعرفة الجيدة بالشعر العربى القديم فهو أيضاً مفتاح فهم اللغة العربية.

خيراً يفقهه فى الدين».

وفى رواية للطبرانى فى المعجم الكبير زاد بعده: «ويلهمه رشده».

● فالقائد معلم والجندى متعلم، وكلاهما بسبب طلب العلم وتعليمه من خير الناس، فقد روى ابن عبد البر[1] بسنده عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «عليكم بالعلم قبل أن يقبض، وقبل أن يرفع ثم جمع بين إصبعيه الوسطى والتى تلى الإبهام، ثم قال: إن العالم والمتعلم شريكان فى الأجر، ولا خير فى سائر الناس بعد».

وروى الدارمى بسنده عن الحسن رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من جاءه أجله وهو يطلب العلم ليحيى به الإسلام فبينه وبين النبيين درجة واحدة».

● وأى إحياء للإسلام يماثلُ هذا العلم الذى يعلمه القائد فى الدعوة إلى الله لجنده؟

إنه علم وثيق الصلة بالدعوة إلى الله وهداية الناس إلى الحق وإلى الطريق المستقيم.

– وإذا كان بعض العلماء يطلبون بعلمهم الجاه والمال، أو يتقربون به إلى السلطان، أو ليباهوا به، أو للتعالم والتفاصح، أو لتبدو عليهم سيماء الزهادة والتصوف... إذا كان هؤلاء كذلك، فإن علماء الدعوة إلى الله وقادة العمل فيها أبعد الناس عن ذلك فيما نحسب – ولا نزكى على الله أحداً.

علماء الدعوة هؤلاء هم أدرى الناس بالحديث الشريف الذى رواه ابن عبد البر بسنده عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنزل الله فى بعض الكتب – أو أوحى إلى بعض الأنبياء – قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل، ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة، يلبسون للناس مسوك الكباش[2] (أو صوفها) وقلوبهم كقلوب الذئاب وألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم أمر من الصبر، إياى يخادعون وبى يستهزئون، لأتيحن لهم فتنة تذر الحليم فيهم حيرانا.

وبعد: فإذا كان الأستاذ يقدم فائدة علمية لتلاميذه، فماذا يقدم القائد لجنده من إفادة علمية؟

---

(١) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البرّ أندلسى من كبار حفاظ الحديث (٣٦٨ – ٤٦٣ هـ) له مؤلفات جيدة فى الفقه وعلم الرجال والحديث، والسيرة النبوية وله فى سير الصحابة رضى الله عنهم كتابه الشهير: الاستيعاب. مطبوع.

(٢) أى صوف الكباش (الخراف) زهدا.

الإفادة العلمية التي يقدمها القائد لجنده

إن للقائد في الدعوة إلى الله حق «الأستاذ» بالإفادة العلمية، وذلك أنه يعلم علوم الدين وعلوم الدنيا معًا.

– وإذا كانت علوم الدين هي العلم بما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسيرته، من فقه العقيدة وفقه العبادات والمعاملات، والتعريف بالقيم التي جاء بها الإسلام والأخلاق التي أقرها وما يتصل بذلك كله من فروع؛ فإن القائد في الدعوة إلى الله يعلّم ذلك كله لجنده، لأنه يعرف ذلك بل يجيده، وهذه المعرفة هي التي هيأت أن يكون قائدًا في الدعوة إلى الله.

– وإذا كانت علوم الدنيا – وهي كل ما يحتاج إليه المسلم في حياته الدنيا من ماديات وأسباب عيش – وما لها من فروع كثيرة.. لا تقبل حصرًا سريعا، لأنها تتصل بالإنسان بدنه وعقله وثقافته وطعامه وشرابه، وملبسه ومسكنه، وكل ما يتصل بحياته السياسية، والاقتصادية والاجتماعية، وما يتصل بتاريخ الإنسان في هذه الأرض وكيف تعامل معها وسخرها برًا وبحرًا وجوًا وفضاءً، من خلال فروع من العلم كثيرة[1].

● إن القائد في الدعوة إلى الله إذا لم يكن يعلم بعض هذه العلوم فإنه يُوجّه إلى تعلمها، بل يطلب من جنوده أن يتخصصوا في بعضها، لأن المسلم مطالب بأن يطلب العلم ما عاش على الأرض، وبأن يطلبه مهما كان بعيداً، وبأن يعتبره ضالته التي يبحث عنها، وذلك أن القرآن الكريم يمنّ على الناس بأن الله تعالى مكّنهم من عمارة الأرض واستثمار ما فيها والانتفاع بخيراتها، في قوله تعالى: ﴿ **وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ** ﴾ [هود: ٦١].

● إن الإفادة العلمية التي يقدمها قائد من قادة العمل الإسلامي في أي موقع من مواقع العمل كبيرة يحوطها الإخلاص، لذلك أوجبت له حق الأستاذ على تلميذه.

● وليس من المبالغة في شيء القول بأن الإسلام دين العلم أو دينٌ يفرض طلب العلم

---

(١) تفرعت العلوم اليوم بشكل لافت وعلى سبيل المثال فإن تحت علم الاجتماع عشرين علما تتفرع منه، وتحت علم النفس خمسة عشر علما تتفرع منه وهكذا وهكذا.

على كل مسلم ومسلمة، فقد روى ابن ماجة بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «طلب العِلْم فريضة على كل مسلم...».

ولا يكفى طالب العلم أن يتعلمه ثم يكتمه وإنما عليه أن يعلمه وينشره فى الناس، روى ابن عبد البر بسنده عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ من معادن التقوى تَعَلُّمَكَ - إلى ما قد علمتَ - علمَ ما لم تكن تعلم، والنقص فيما علمتَ (هو) قلةُ الزيادة فيه، وإنما يُزَهِّدُ الرجلَ فى علم ما لم يعلم، قلةُ الانتفاع بما قد علم».

ورواه الخطيب البغدادى بسنده.

- ومعنى هذا الحديث الشريف: أن من تقوى الله أن يتعلم المسلم فى كل يوم جديداً يضيفه إلى علمه، وأن قلة الازدياد من العلم، تعد نقصا فى العلم الذى حصَّله، وأن قلة انتفاع الإنسان بما علم هى التى تزهده فى العلم الجديد، لأن العلم الصحيح النافع يدعو بعضه إلى بعض.

- وأن المطلوب من كل مسلم أن يتعلَّم ويعلَم ويعمل بما يعلم ويعلّم غيره من الناس.

- وقد يتهم بعض علماء الحديث هذا الحديث. بضعف السند لأن فيه راويا ضعيفا، ولكن المعنى أو المعانى التى اشتمل عليها الحديث جاءت فى أحاديث صحيحة، على سبيل المثال:

فقد روى البخارى ومسلم بسنديهما عن معاوية رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين» وهذا هو معنى وجوب إقبال المسلم على التعلّم.

وفى الاستزادة من العلم روى الترمذى بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يشبع المؤمن من خير يسمعه حتى يكون منتهاه الجنة».

وروى الطبرانى بسنده - فى الأوسط - عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا أتَى علىّ يوم لا أزداد فيه علمًا يقربنى إلى الله عز وجل، فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم».

- ولأسلافنا من العلماء كلمات مضيئة فى العلم ومكانته:

- سئل ابن المبارك (١١٨ - ١٨١ هـ) الحافظ المجاهد: مَنْ الناس؟

فقال : العلماء، قيل : فمن الملوك؟ قال : الزُّهَّاد، قيل : فمن السِّفْلة؟ قال : الذين يأكلون الدنيا بالدين.

– وللإمام الغزالى (٤٥٠ – ٥٠٥ هـ) فى التعليق والتوضيح لكلمة ابن المبارك :

إن ابن المبارك لم يجعل غير العالم من الناس، لأن الخاصية التى يتميز بها الإنسان عن سائر البهائم هى العلم، فالإنسان إنسان بما هو شريف لأجله، وليس ذلك بقوة شخصه فإن الجمل أقوى منه، ولا بِعِظَمِه فإن الفيل أعظم منه، ولا بشجاعته فإن السبع أشجع منه، ولا بأكله فإن الثور أوسع بطنا منه، ولا لأنه يجامع فإن أخسَّ العصافير أقوى على السِّفاد(١) منه، بل لم يُخلَق إلا للعلم»(٢).

– والقائد فى الدعوة إلى الله معلم بكل معنى من معانى التعليم، وبكل مستوى من مستوياته، فهو يعلم من علوم الدين ومن علوم الدنيا ويرشد ويوجه إلى الاستزادة من العلم، ويقدم كل ما يعلم لجنوده أى تلاميذه، وذلك من صميم الإفادة العلمية. وهو فى ذلك يستجيب لما أمره به دينه :

فقد روى الحافظ ابن عساكر (٤٩٩ – ٥٧١ هـ) – فى تاريخ دمشق – بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من عَلَّم آية من كتاب الله أو بابا من علم أنمى الله أجره إلى يوم القيامة».

وروى أبو نعيم – فى الحلية – بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «ما أتَى اللهُ عالمًا علمًا إلا وأخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين أن يبينوه للناس ولا يكتمونه».

وروى ابن عبد البر بسنده عن الحسن رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من الصدقة أن يتعلم الرجلُ العلم فيعمل به ثم يعلمه».

وروى الطبرانى – فى الكبير – بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتطوى عليها، ثم تحملها إلى أخ لك مسلم تعلمها إيّاه، تعدل عبادة سنة».

---

(١) السِّفاد : مصدر الفعل سفد أى نزا ذكر الحيوان على أنثاه.

(٢) الإمام الغزالى أبو حامد : إحياء علوم الدين : ١ /٧ ط العثمانية المصرية بالقاهرة ١٣٥٢ هـ – ١٩٣٣م.

وروى ابن ماجة بسنده عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم فرأى مجلسين: أحدهما: يدعون الله عز وجل ويرغّبون إليه، والثانى: يعلمون الناس فقال: «أمَّا هؤلاء فيسألون الله تعالى، فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وأما هؤلاء فيعلمون الناس، وإنما بعثتُ معلما، ثم عدل إليهم وجلس معهم.

الصفات التى يجب أن تكون فى القائد ليكون معلما

الإفادة العلمية التى يقدمها القائد فى الدعوة إلى الله لا يمكن أن تأتى من فراغ، ولا يمكن أن يقدمها القائد لجنده إلا إن توافرت فيه صفات بعينها، نذكر منها ما لابد منه لكى يتمكن القائد من الإفادة العلمية فى مجالات العمل الإسلامى؛ دعوةً وحركةً وتربيةً وتنظيما، وهى صفات تمثلتْ فى القائد الأول والمعلم الأول النبى الخاتم محمد ﷺ.

ومن هذه الصفات:

١ - طهارة الخُلُق:

بمعنى أن يتحلى بالفضائل ويتخلى عن الرذائل، حتى يجد فيه المتعلمون أو الجند قدوة وأسوة، ويستطيعون أن يلمحوا فيه تشابها فى أخلاقه مع أخلاق الرسول ﷺ الأسوة المعتمدة للمسلمين جميعًا.

ومن طهارة خلقه أن يعلّم ما علم وعمل والتزم به، أما أن يكتفى بأن يعلّم دون أن يكون عاملا بما يعلّم فهذه من صفات المنافقين أعاذنا الله منها.

٢ - والإخلاص فى تعليم غيره:

والإخلاص شرط فى التعلم والعلم والتعليم وكل قول أو عمل يصدر عن المسلم، لأن قصد الله تعالى بالعمل هو الذى يزكيه ويباركه وينفع به فى الدنيا والآخرة.

والقائد فى الدعوة لا يبغى من وراء تعليمه جاها ولا مالاً ولا ثناءً من أحد - أحسبه كذلك ولا أزكى على الله أحدا - فإن دخل من ذلك فى شىء فقد دخل بابا من أبواب الشرك أعاذنا الله منه.

ولما كان التعليم من أشرف الأعمال وأفضلها كان الإخلاص فيه ملائمًا لشرف مكانته وعلو منزلته.

٣ - والاستمرار في التعليم:

تعليم الجند بالنسبة للقائد وظيفة مستمرة لا تتوقف بحال، كما أن تعلم القائد يوجب أن يكون مستمرا كذلك، فهو يأخذ ليعطى أما إن أعطى دون أن يأخذ فلابد أن ينفد ما عنده.

وكذلك شأن الجندى يستمر في التعليم ويحرص عليه، ولنتذكر هنا كلمة أبى الدرداء رضى الله عنه: «لأنْ أتعلَّم مسألة أحَبُّ إليّ من قيام ليلة».

وقيل لأبى عمرو بن العلاء (٧٠ - ١٥٤هـ) أحد القراء السبعة ومن أعلم الناس بالقرآن الكريم واللغة: هل يحسن بالشيخ أن يتعلم؟ قال: إن كان يحسن به أن يعيش فإنه يحسن به أن يتعلم.

وسئل ابن المبارك (١١٨-١٨١هـ): إلي متى تتعلَّم؟ فقال: لعل الكلمة التى أنتفع بها لم أسمعها بعد.

● فالتعليم في المصطلح الإسلامى تعليم مستمر وتعليم للكبار والصغار على السواء، وقد حَثَّ الإسلام على ذلك قبل أن يسمع كثير من علماء التربية المعاصرين عنه.

● والتوقف عن التعلُّم يصيب القلب بالصدأ والعقل بالجمود والتبلد، ولقد كان وما زال لنا في رسول الله أسوة حسنة، بل سيظل ذلك الاقتداء به ﷺ إلى يوم الدين، وقد خاطبه الله سبحانه وتعالي بقوله: ﴿ . . .وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤].

٤ - وأن يحب من يعلمه ويجعله بمثابة ولده:

وذلك معناه أن يؤثره وأن يحرص على نفعه في دينه ودنياه، وقد تحدثنا عن ذلك في النقطة الأولي من هذا الفصل حين تحدثنا عن حق القائد على الجند كحق الوالد على الولد، وقد ذكرنا هناك من الآيات والأحاديث النبوية، ما لا يسمح لنا بإعادته ولكننا نذكّر بما رواه أحمد والنسائى وأبو داود بأسانيدهم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وإنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم».

فإن فقدت هذه الصفة في المعلِّم فقد التعليم كثيرا من أهدافه، ومن مقاصده الإسلامية النبيلة.

٥ - وأن يكظم غيظه وهو يعلّم:

وكظم الغيظ يقصد به الحلم وسعة الصدر، والتقبل لكل سؤال يطرحه المتعلم - على أن السائل ملتزم بأدب الإسلام في طرح السؤال في وقته ومكانه ونوعه إلى آخر ما أوضحنا آنفا- وللمعلم في سعة الصدر وكظم الغيظ أسوة برسول الله ﷺ في تلقى الأسئلة وفي توجيه الإجابة دون إحراج للسائل أو لغيره من السامعين.

وما أحكم قوله ﷺ عندما يجيب أو يوجه إلى ترك عمل بعينه أو فعل عمل بعينه: «ما بال أقوام أوأناس يفعلون كذا وكذا...».

- على أن ضيق صدر المعلم بالمتعلم يفسد التعليم والتعلم معًا ويضيع على الطرفين معًا فرصة التقرب إلى الله بمدارسة العلم لأن مدارسته عبادة.

- وما أظن أحداً من قادة العمل من أجل الإسلام إلا وهو واسع الأفق يجيد كظم غيظة، ويحرص على إفادة جنوده والله تعالى أعلم بهم، ولكنى أحسبهم كذلك ولا أزكى على الله أحداً.

وبعد:

فما هي حقوق القائد - أستاذًا - على جنوده؟

حقوقه كثيرة - تحدثنا عنها بالتفصيل فى الفصل الأول من هذا الباب - لكن نذكّر بمجملها هنا، والله المستعان.

وجملة هذه الحقوق هي: الحب، والتقدير، والاحترام، والطاعة، والحرص على الاستفادة منه.

وأذكر فى هذه الحقوق بما يلى:

- حب الجندى للقائد أو التلميذ للمعلم، يترجم إلى مفردات أهمها:

- استمرار هذا الحب فى الله مادام القائد فى طاعة الله،
- والتسامح مع القائد فيما يمكن أن يكون محل عتاب،
- وأن يظن بقيادته الخير دائمًا،
- والامتناع عن البحث عن أخطاء القيادة أو هفواتها،

– وأن يفترض فى قيادته الصواب وفى نفسه الخطأ.

وتلك أخلاق الإسلام التى أقرها بين الجندى وقائده أو معلمه.

● وتقدير الجندى لقائده أو معلمه ينعكس أثره فى أمور منها:

– اعتراف الجندى أو المتعلم بفضل قائده أو معلمه فى مجالات إفادته علميا وعمليا.

– والاعتراف بكفاءة قائده وإخلاصه فى علمه وعمله،

– والاعتراف للقيادة بما وصلت إليه من مكانة فى قيادة العمل الذى تقوم به،

– والموافقة بل سرعة الاستجابة لما تصدره القيادة من أوامر وما تقرره من مسائل وما تتصوره من حلول لهذه المشكلات،

– والتسليم للقيادة بما تراه من تعديل أو تغيير فى مجال العمل ليكون أحسن وأكمل.

● واحترام الجندى أو التلميذ لقائده ومعلمه، وله مظاهر من أهمها:

– الترفق فى سؤاله، وترك مجادلته أو مماراته،

– والتواضع له وتوقيره،

– والمحافظة على سرّه،

– وردّ غيبته،

– والسعى فى قضاء احتياجاته دون أن يطلب.

● والطاعة: أى طاعة الجندى أو المتعلم لقائده ومعلمه، ولها أيضًا مفردات هى:

– المبادرة بطاعته فى المعروف وفى غير المعصية،

– ورضا الجندى فى أن يُحكِّم قيادته فى أمره كله، حتى ما كان شخصيا من هذه الأمور،

– وقبول رأى القيادة فيما اجتهدت فيه من غير تردد أو مراجعة أو شك أو حرج،

– واعتبار رأى القيادة هو الصواب – ما لم يقم دليل قاطع على غير ذلك.

– والتقرب: إلى الله تعالى بطاعة قائده أو معلمه.

● والحرص على الاستفادة من القيادة، وذلك عن طريق:

- المسارعة إلى الاستفادة العلمية بحسن الإنصات والدقة فى تسجيل ما يسمع من قائده أو معلمه.
- والمسارعة إلى الاستفادة العلمية من قائده أو معلمه، والأخذ به فى مجالات العمل التى يقوم بها الجندى أو المتعلم،
- والثقة فيما تقول القيادة أو تخبر به، لأن القائد خبرة وكفاءة وإخلاص وسابقة عمل.
- والاستفادة من قائده فى خلقه وسلوكه فى مجالات العمل التى يقودها.
- والاستفادة من قائده ومعلمه فى أسلوبه فى حل المشكلات والتغلب على العقبات، فله فى ذلك رصيد كبير.

وبعد: فهذا حق القائد «أستاذًا» على جنوده «تلاميذ له» فى مجال الفائدة العلمية.

والنقطة الثالثة:

للقائد على الجندى حق الشيخ

الشيخ هو: من تقدمت به السنُّ فأدركته الشيخوخة.

والشيخ هو: ذو المكانة فى العلم والفضل والرياسة.

والشيخ عند طلاب العلم والعلماء هو: من كثر علمه لطول ممارسته العلم، وكثرة تجاربه فيه.

وللكلمة مدلولات أخرى هى التى تعنينا فى هذا المجال التربوى وفى هذه النقطة من حق القائد على الجندى.

ولبيان ذلك نقول: إن بين الشيخ والمتصوف والعارف والولى تداخلات.

- فكلمة الشيخ تعنى: المربِّى الروحى عند الصوفية[1].
- وكلمة المتعلم عندهم تعنى: المرِيد. أى من يريد المعرفة على يد شيخه، أو من يريد شيخه على اعتبار أن شيخه رمز للصلاح والتقوى وقيادة الروح إلى الخير والهدى.

---

(١) الصوفية لا يعيبها إلا الجاهلون بها الذين ينسبون إلى رجالها صفات هى فى الحقيقة ليست فيهم، فإن وُجدت فى أحدهم فهو غير متصوف مهما ادعى، ومن هذه الصفات التى يدعونها: ادعاء علم الغيب، والقدرة على ما ليس من شأنه أن يقدر عليه العباد، والتخلى عن التكاليف الشرعية، ولبس المرقعات وعدم الاغتسال...... إلخ.

– وكلمة المتصوف تعنى أنه جامع لصفات عشر كما حددها الإمام الجنيد رحمه الله (توفى ٢٩٧ هـ) عندما سئل عن ذلك فقال :

أولاً : التصوف اسم جامع لعشرة معان :

١ – التقلل من كل شيء : من الدنيا، من التكاثر فيها،

٢ – واعتماد القلب على الله عز وجل، من السكون إلى الأسباب،

٣ – والرغبة فى الطاعات، من التطوع فى جود العوافى .

٤ – والصبر عن فقد الدنيا، من الخروج إلى المسألة والشكوى .

٥ – والتمييز فى الأخذ عند وجود الشيء .

٦ – والشغل بالله عز وجل عن سائر الأشغال .

٧ – والذكر الخفى عن جميع الأذكار .

٨ – وتحقيق الإخلاص فى دخول الوسوسة .

٩ – واليقين فى دخول الشك .

١٠ – والسكون إلى الله عز وجل من الاضطراب والوحشة .

● وهذه المعانى كلها تؤخذ من أن التصوف سلوك لا يُخرج صاحبه عن الشريعة أبداً .

وقد عرّفَ الجنيد التصوف مرة أخرى بقوله : «الخروج عن كل خُلُق دَنِيّ، والدخول فى كل خلق سَنِيّ» فإذا استجمع هذه الصفات استحق هذا الاسم (المتصوف) وإلا فهو كاذب .

ثانياً : بين الشيخ والمتصوف والعارف :

● وهناك ألقاب تطلق على المتصوف أهمها :

لقب العارف،

ولقب الولى .

– فالعارف :

هو الذى عرف الله عز وجل، وعرف مراد الله عز وجل، وعمل بما أمر الله وأعرض عما نهى الله، ودعا عباد الله إلى الله عز وجل .

وما يقال عن العارف غير هذا فهو خبط وتخبط وجهل.

- والوَلِىّ:

هو الرجل الصالح الذى يوالى الله عز وجل، أى يلتزم بأمره ونهيه، أو هو المحب لله عز وجل، والمؤمن ولىّ الله والله تعالى يحب أولياءه.

• وقد ذكر رسول الله ﷺ أولياء الله ووصفهم، فقد روى ابن ماجة بسنده عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن يَسير الرياء شرك، وإن من عادى لله وليا فقد بارز الله بالمحاربة، إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا، وإن حضروا لم يُدْعوا ولم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة».

وروى أحمد بسنده عن أبى أمامة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أغبط أوليائى عندى مؤمن خفيف الحاذ، ذو حظ من صلاة، أحسن عبادة ربه، وكان فى الناس غامضًا لا يشار عليه بالأصابع، فعجلت منيته وقل تُراثه وقلّت بواكيه».

• وهذا التحديد النبوى للوَلِىّ هو الحق الذى لا يقبل مسلم سواه، أما يُنسَب إلى الأولياء من أعمال خارقة، فإن صحت نسبة هذه الأعمال الخارقة إليهم وثبت حدوثها فهى من باب الكرامة. وبشرط أن لا تعارض شيئًا من الدين.

• والشيخ قريب فى عمله وصلاحه وتقواه من المتصوِّف والعارف والوَلِىّ، ولذلك كان للشيخ على تلميذه أو مريده أو المتعلم على يده حقوق كثيرة تليق بمكانته فى الدين ومكانه فى التعليم على نحو ما نُبَيِّن فيما يلى:

- للشيخ - القائد - على جنده أو تلاميذه ومريديه؛ كلُّ حقوق الوالد التى تحدثنا عنها، إذ هو والد لمن يعلّمه ويهديه ويسدّد على طريق الحق خطاه، ويربى روحه ومشاعره.

- وللشيخ على جنوده أو مريديه كلُّ حقوق الأستاذ، إذ هو الذى تتم على يديه الإفادة العلمية فى كل مجال من مجالات الدين والدنيا، فهو يربى المريد عقليا ومعرفيا وثقافيا.

- وللشيخ على جنوده بالإضافة إلى حق الوالد وحق الأستاذ؛ كلُّ حقوق الشيخ، لأنه يعتنى بتربية روحه وتصفيتها من الشوائب ويجعل ذلك همه وهدفه.

ثالثًا: التربية الروحية التى يمارسها الشيخ فى جنوده:

● فما هى التربية الروحية؟

ذلك ما نحاول الإجابة عنه فى إيجاز شديد فى الكلمات التالية:

– الروح أهم مكونات الإنسان وأشرفها، إذ هى نفخة من روح الله تبارك وتعالى.

وبالروح تستمر حياة الإنسان فى الدنيا، وبدونها لا حياة لجسده ولا حركة لجوارحه.

– والإنسان روح وبدن، أو روح ومادة، ولابد له مع ذلك من وسط اجتماعى أو مجتمع يعيش فيه يتعامل معه ويتبادل وإياه أسباب المعيشة، يؤثر فيه ويتأثر به.

– هذا الإنسان لا يستطيع أن يشق طريقه فى الحياة دون أن يتربى تربية تمكّنه أولاً من عبادة الله، وبعد ذلك تمكّنه من ممارسة حياته ليعبر عن طاقاته التى أودعها الله فيه وعن أفكاره وعواطفه ورؤيته للناس والأشياء.

– ومن المعروف أن كل الأديان حاولت أن تربى الإنسان تربية تتناول روحه وعقله وبدنه وأخلاقه ليمارس حياته عابداً لله وحده متعاملا مع الإنسان الذى يشاركه هذه الحياة.

غير أن ما أدخله بعض الناس على الأديان التى سبقت الإسلام فى الظهور على الأرض من تغيير وتبديل جعل تلك الأديان تعجز عن تربية الإنسان هذه التربية الصحيحة المتكاملة الشاملة.

فلما جاء الإسلام خاتم الأديان ونزل آخر الكتب السماوية وأتمها وأكملها، وتكفل الله بحفظ كتابه دون تغيير أو تبديل، وجاء هذا القرآن تبيانا لكل شيء، وجاءت السنة النبوية لتبين للناس ما نزل عليهم، وأوتى النبى ﷺ مع القرآن مثله من سننه، استطاع الإسلام أن يربى الإنسان تلك التربية للمتكاملة.

– فقد جاء الإسلام بتربية الإنسان من جميع نواحيه – كما أوضحنا ذلك فى سلسلتين:

الأولى منهما: سلسلة التربية فى القرآن[1].

---

(١) صدرت هذه السلسلة بجميع حلقاتها السبع: التربية الإسلامية فى سورة المائدة، وفى سورة النور، وفى سورة آل عمران، وفى سورة الأنفال، وفى سورة الأحزاب، وفى سورة النساء، وكان آخرها: التربية الإسلامية فى سورة التوبة. طبعتها وتوزعها دار النشر والتوزيع الإسلامية بمصر بالقاهرة.

والأخرى: سلسلة مفردات التربية الإسلامية[1].

رابعًا: التربية الروحية التى جاء بها الإسلام:

– فما هى التربية الروحية التى جاء بها الإسلام؟

يربى الإسلام روح الإنسان لينقذه من الشرك والضلال ومن عبادة غير الله، ليخرجه بذلك من الضلال والكفر إلى الهدى والإيمان، فيكفل له بذلك سعادة الدنيا والآخرة.

– ومعنى تربية الإسلام للروح أن يصفيها من الشوائب والأكدار ومن الشركاء والأغيار، وأن يوجهها إلى الله وحده، تخشع له وتعبده وتتلقى عنه وحده، وتؤمن به وتتوكل عليه، وتتقرب إليه بما افترض عليها، وتقدسه وتسبحه وتذكره ذكرًا كثيرًا وتشتاق إلى لقائه وتهفو إلى رضاه.

إن الإسلام جاء بتربية للروح تقيمها على الجادة وعلى الصراط المستقيم، وتعمّق صلتها بالله، وتزيدها إحساسا بوجوده وبمراقبته، ليعينها ذلك على رجائه وعلى الخوف من عذابه والطمع فى رضاه وثوابه.

– غير أن بعض الناس قد يلتبس عليهم الأمر فى التفريق أو التوفيق بين الروح والقلب والنفس والعقل، فكان لابد من كلمة فى هذا تحت عنوان:

خامسًا: الترادف أو التقارب بين الروح والقلب والنفس والعقل:

لابد أن ننبه إلى أن الروح والقلب والنفس والعقل قد تتداخل مفاهيمها وتتشابك وتتشابه، وقد يخفى الفارق بينها على كثير من الناس، بل على بعض العلماء أحيانًا.

- وللإمام أبى حامد الغزالى رحمه الله كلام جيد فى هذا الموضوع، نسوقه مختصرًا فيما يلى؛ قال:

– «القلب قد يراد به العضو الخاص فى جسم الإنسان الذى يضخ الدم فيه.

- وقد يراد به تلك اللطيفة الربانية الروحانية التى لها بهذا القلب العضوى تعلق.

---

(١) صدر من هذه السلسلة الحلقات التالية:
– التربية الروحية.
– والتربية الخلقية.
– والتربية العقلية.
سنوالى نشر باقى حلقاتها إذا مد الله فى العمر ووفق وأعان وهيأ الأسباب.

● وهذا القلب بهذا المعنى هو حقيقة الإنسان وهو: المُدْرِكُ، العالِمُ، العارف، بل هو المخاطب المكلف.

– والشيخ هو الذى يربى هذا القلب.

– والنفس: قد يراد بها المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة فى الإنسان، وهذا المعنى هو الغالب على أهل التصوف، إذ يقولون: لابد من مجاهدة النفس وكسرها.

● وقد يراد بها: اللطيفة الربانية الروحانية التى هى القلب، أو هى الإنسان على وجه الحقيقة، وعلى هذا؛ فالقلب والنفس بمعنى واحد أى مترادفان.

– والشيخ هو الذى يربى هذه النفس.

– والعقل: قد يراد به العلم بحقائق الأمور، فهو صفة العلم الذى محله القلب.

● وقد يراد به المدرِك للعلوم، فيكون هو القلب أو النفس. وهو بذلك اللطيفة الربانية الروحانية التى هى الإنسان المخاطب بالتكاليف.

– والشيخ هو الذى يربى هذا العقل بهذا المعنى الأخير.

– أما الروح: فقد يراد بها جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسمانى فينتشر بوساطة العروق الضوارب إلى سائر أجزاء البدن وجريانه فيه، وفيضان أنوار الحياة والحس والسمع والبصر والشم منها على أعضائها فيضان النور من السراج الذى يدار فى زوايا البيت، فإنه لا ينتهى إلى جزء من البيت إلا ويستفيد منه.

والحياة مثالها النور الحاصل فى الحيطان، والروح مثالها السراج، وسريان الروح وحركته فى الباطن مثاله: حركة السراج فى جوانب البيت بتحريك محركه.

● وقد يراد بالروح: اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان وهى القلب، وهو الذى أراده الله تعالى بقوله: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٨٥]».

هذا تعريف الإمام الغزالى لهذه الكلمات وتوضيحه لما بينها من ترادف أو تقارب وجزاه الله خير الجزاء.

● وأقول:

الروح اسم للنفس التى تحصل بها الحياة والتحرك واستجلاب المنافع واستدفاع المضار،

وهى المذكورة فى قوله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الإسراء: ٨٥].

فالأرواح مخلوقة قبل خلق الأبدان وهى التى تُنفخ فى الأبدان، وهذا هو المفهوم من كلام النبى ﷺ، فيما رواه مسلم بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه ملكا، ويؤمر بأربع كلمات ويقال له: اكتب عمله ورزقه وأجله وشقى هو أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح» فالروح موجودة من الأزل كوجود الملائكة والشياطين.

– واتفق العلماء على أن الأرواح باقية بعد فناء أجسادها، وأنها تحضر يوم الحساب.

● هذه هى الروح التى يربيها الشيخ فى جنوده أو مريديه. هذه الروح وهى أشرف ما فى الإنسان، جاء الإسلام بتربيتها تربية تيسر السبيل أمامها لمعرفة الله تعالى، وتدريبها بل تعويدها على القيام بأعباء عبادة الله تعالى وتنفيذ تكاليفه.

– وإن إهمال تربية الروح أو التقصير فى تربيتها إفساد للإنسان كله، روحه وعقله وقلبه وبدنه، وخُلُقه، وكيانه الاجتماعى كله، لأنها أهم ما فى الإنسان، أو هى قلب الإنسان كما أوضحنا.

– وإصلاح الروح بتربيتها إصلاح للإنسان كله، كما أن إفسادها إفساد للإنسان كله.

روى البخارى ومسلم بسنديهما عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «... ألا إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهى القلب».

لذلك كانت تربية روح الإنسان تربية للإنسان نفسه وتربية للمجتمع الذى يعيش فيه، وتربية لحاضره ومستقبله.

سادسًا: دعائم التربية الروحية فى الإسلام:

● وتربية الروح فى الإسلام تقوم على ركائز ودعائم لا تتم إلا بها، وهذه الركائز أو الدعائم هى:

١ – الأذكار والأوراد والأدعية.

٢ – والتربية العملية بأداء الفرائض والإكثار من النوافل.

٣ – والتزام سمت المؤمنين بالتحلى بصفات بعينها والتخلى عن صفات أخرى.

وذلك ما نحاول أن نوضحه فيما يلى:

١ – الأذكار والأوراد والأدعية:

وهى التى تصقل الروح، وتعمرها بذكر الله أثناء الليل والنهار، ودعائه والطلب منه والتضرع إليه، وفى هذا تربية لها وترقية.

– فالأذكار: جمع ذكر وهى الصلاة لله ودعاؤه والتوجه إليه.

● والذكر هو: تسبيح الله وتحميده وتكبيره وتوحيده والثناء عليه، بذكر أسمائه الحسنى وصفاته العليا بشرط حضور القلب، والتنبه والتدبر فيما يقوله الذاكر.

● والذكر نوعان:

أحدهما: بالقلب، وهو خطور هذه الأذكار فى القلب لتحركه نحو خالقه سبحانه وتعالى.

والآخر: باللسان، ينطق بهذه الأذكار ويرددها ويتدبر فيها، وكل ذلك مطلوب لتصفية الروح من الشوائب والأوضار والأغيار.

– والأوراد: جمع ورد وهو الذكر فهو مرادف له، غير أن له معانى أخرى منها:

● أنه: جزء من الليل يكون على الإنسان أن يحييه بالعبادة من صلاة وتلاوة قرآن وتفكر وذكر، وكل ذلك مطلوب أيضاً لتربية الروح وصقلها وتصفيتها من الشوائب كما قلنا.

● أو أنه: الوظيفة التى يوظفها الإنسان على نفسه ليلتزم بها، من أنواع عبادة الله تعالى التى أشرنا إليها من قبل من أداء الفرائض والنوافل..... إلخ.

– والأدعية: جمع دعاء، وهو سؤال الله تعالى أو الاستغاثة به، والدعاء كالذكر مطلب شرعى أمرنا الله تعالى به أو حثنا عليه فى آيات قرآنية كثيرة، منها:

● قوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [الأنفال: ٤٥].

● وقوله جلا وعلا: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً**﴾ [الأحزاب: ٢١].

● وقوله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (41) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٤١].

وفى هذه الآيات الثلاث طولب الإنسان بذكر الله ذكراً كثيراً، مما يدل على أنه أهم زاد يتزود به الإنسان فى الطريق إلى الله تعالى، وجاء طلبه بصيغة الأمر مما يدل على أهميته وضرورته.

– وذكر الله تعالى أفضل عمل يقوم به المسلم، كما نطق بذلك المعصوم ﷺ، فقد روى الترمذى بسنده عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها فى درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة والورق[١]، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؛ ذكر الله».

وروى الإمام أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما عمل ابن آدم عملاً أنجى له من عذاب الله، من ذكر الله».

وروى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلاّ ذكر الله وما والاه، وعالما أو متعلما».

● وكل هذه الأذكار والأوراد والأدعية إنما يعلمها الشيخ لجنوده أو مريديه، ويتعهدها فيهم، ويربيهم عليها تربية لأرواحهم وتصفية لها من الشوائب والأوضار والأغيار.

– والأذكار بالنسبة للمسلم عمل دائم مستمر؛ فى صحته ومرضه، وعند موته، وفى نعمته وبؤسه، وفى أمنه وخوفه، وفى رضاه وغضبه، وفى صلاته وزكاته وحياته وحجه وعمرته، وفى جهاده لعدوه، وفى إقامته وسفره، وفى طعامه وشرابه وجماعه، وفى تحيته لغيره وفى استئذانه وعطاسه، وكل حال من أحواله.

– ولهذه الأذكار والأوراد والأدعية آداب ونظم معروفة فى الإسلام[٢].

٢ – والتربية العملية للروح:

وذلك بتطبيق الجانب النظرى الذى ذكرناه فى الأذكار والأوراد والأدعية تطبيقاً عملياً،

---

(١) الورق: الفضة مضروبة – مسكوكة – كانت أو غير مضروبة والمقصود فى الحديث نوعاها معًا.

(٢) انظر فى ذلك كتاب: الأذكار للنووى.

أى ممارسة .

ويعتبر التطبيق العملى والممارسة ترجمة صادقة للإيمان .

– والذى يتولى ذلك ويشرف عليه وينظم أوقاته هو الشيخ مع مريديه أو جنوده .

ولهذه التربية العملية مفردات عشرة اتفق عليها المربون المسلمون، وهى :

١ – أداء الفرائض،

٢ – والإكثار من النوافل،

٣ – وتلاوة القرآن الكريم،

٤ – وممارسة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر،

٥ – والوصول بالعمل إلى منزلة الإحسان،

٦ – ودراسة السنة والسيرة النبوية ودراسة مواقف،

٧ – وممارسة أعمال الدعوة إلى الله،

٨ – وممارسة الاجتماع على ذكر الله بقيام الليل،

٩ – والتفكر فى خلق السموات والأرض،

١٠ – وزيارة القبور،

وهناك غيرها كثير، ولكل منها تفصيلات وتنوعات .

● وكل هذه المفردات فى تربية الروح يرعاها الشيخ ويشرف على جنوده ومريديه ويشاركهم فى أدائها، ويعلمهم حضور القلب وإخلاص النية .

– وكل واحدة من هذه المفردات عند ممارستها تحقق فوائد جمة فى تربية الروح، ومن هذه الفوائد :

● تنضج الروح وترقيها فى الطريق إلى الله .

● وتربيها على الحق والخير والهدى .

● وتزيدها صفاءً، ونقاءً وشفافية .

● وتخلصها من الأوشاب والأوضار والأغيار وما يعكرها .

● وتقربها من خالقها سبحانه وتعالى،

● وتطرد عن الروح الخواطر التى تشغلها عن عبادة الله، وهذه الخواطر نوعان:

– شواغل خارجية: تقتحم على الإنسان روحه، وهى المرئيات والمسموعات، إذ يجب كف البصر عنها، ومنع الأذن من الاستماع إليها.

– وشواغل داخلية: تأتى للإنسان من داخل نفسه وعقله بسبب تعلقه الشديد بالدنيا وأسبابها، وهذه يمكن تجنبها بصرف الروح عنها، ومقاومة وسوسة الشيطان بها، وذلك بالمزيد من ذكر الله تعالى وتذكر الموت والحياة الآخرة.

٣ – والتزام سمت المؤمنين

سمت المؤمن يعنى ظاهره الذى يراه الناس، كما يعنى باطنه الذى يراه الله تعالى، ويعرفه الإنسان من نفسه.

– والتربية الإسلامية للروح تحاول صقل المسلم فى روحه وسلوكه ليكون كما كان عليه النبى ﷺ من صفات وأخلاق وسلوك.

ولتفصيل ذلك نقول:

– هناك صفات يجب أن يتحلى بها المسلم، وهى صفات أوضحها القرآن الكريم فى كثير من آياته الكريمة، ومن أجمع الآيات لها:

١ – صفات «عباد الرحمن» فى الآيات من: ٦٣ إلى ٧٦ من سورة الفرقان.

٢ – صفات السائرين فى الطريق إلى الله، فى الآيات من: ٢٣ إلى ٣٩ من سورة الإسراء.

٣ – صفات المتوكلين على الله، فى الآيات من ٣٦ إلى ٤٣ من سورة الشورى.

٤ – صفات أهل الوفاء بالعهد، فى الآيات من ٩١ إلى ٩٧ من سورة النحل.

٥ – صفات المؤمنين المفلحين، فى الآيات من ١ إلى ١١ من سورة «المؤمنين».

٦ – صفات المصلين الدائمين على الصلاة، فى الآيات من ١٩ إلى ٣٥ من سورة المعارج.

٧ – وصفات أهل البر، فى الآية ١٧٧ من سورة البقرة.

٨ – وصفات المتذكرين أولى الألباب، فى الآيات من ١٩ إلى ٢٢ من سورة الرعد.

٩ – وصفات أصحاب الدرجات عند الله تعالى، فى الآية ٣٥ من سورة الأحزاب.

١٠ – وصفات المحسنين إلى غيرهم فى الآية ٣٦ من سورة النساء.

١١ – وصفات الذين باعوا أنفسهم لله تعالى، فى الآيتين ١١١ إلى ١١٢ من سورة التوبة.

١٢ – وصفات الذين يعقلون والذين يتذكرون والذين يتقون، فى الآيات من ١٥١ إلى ١٥٣ من سورة الأنعام.

● كما أن التربية الإسلامية للروح تستلزم أن يتخلى المسلم عن صفات بعينها هى من الرذائل والدنايا، وهى صفات المشركين والكافرين والمنافقين والفاسقين والفجار، التى وصفوا بها فى القرآن الكريم، وهى آيات كثيرة، تكاد لا تخلو منها سورة من سور القرآن الكريم، على كل مسلم أن يتخلى عنها وعن الاتصاف بها، مهما وسوس الشيطان بهذه الصفات وزينها.

● كما أن التربية الإسلامية للروح، تضع أمامها صفات عالية رفيعة القدر وتوجب عليه أن يتطلع إليها ويتصف بها فى حدود ما تطيقه بشريته، ويستطيع المسلم أن يتعرف على هذه الصفات بالتدبر والتفكر فى صفات الله تعالى التى وصف بها نفسه سبحانه وتعالى أو سمى بها ذاته سبحانه وتعالى.

وصفات اتصف بها النبى ﷺ يمكن معرفتها من خلال القراءة المتأنية المتدبرة للسنة النبوية والسيرة العطرة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام[١].

● ومن مجمل هذه الصفات فى: التحلى بها، أو التخلى عنها، أو التطلع إلى الاتصاف بها يتكون للمؤمن سمته الخاص الذى يميزه عن غيره من الناس.

وإن ثمرة ذلك فى روح المسلم تتمثل فى أفضل نتائج تحصل عليها روح المسلم، وهى:

● إحساس هذه الروح إحساساً عميقاً بوجود الله تعالى فى كل موقف يستدعى عملاً أو تركا، وكلاماً أوصمتا.

● وشعور هذه الروح بأن الله تعالى يراقبها فى كل أمرها،

● ومراقبتها لله تعالى فى كل أقوالها وأعمالها،

● وإقبالها على الله تعالى بالإكثار من أداء النوافل،

● وحبها للناس، وحبها الخير لهم،

---

(١) أنصح فى هذا المجال بكتاب جليل القدر فى هذا هو: أخلاق النبى ﷺ للأصبهانى.

● وثقتها فى الله وفي استجابته سبحانه وتعالى للدعاء.

● ورضاها بقضاء الله وقدره خيره وشره.

● وهذه التربية للروح بصورها العديدة وشعبها الكثيرة لا يمكن أن يمارسها الإنسان وحده فينجح فيها النجاح المطلوب، بل لابد لذلك من شيخ يرشد ويوجه ويعين ويدرب ويشجع، هذا الشيخ هو المربى لمريديه أو جنوده، وعلى قدر ما بذل ويبذل هذا الشيخ من جهد ومعاناة فى هذه التربية، تجب له حقوق على مريديه وجنوده، نذكرها بإيجاز فيما يلى:

سابعاً: حقوق الشيخ عند الجندى أو المريد:

وهى حقوق كثيرة تضاف إلى حب الولد لوالده، وحب التلميذ لأستاذه، ونذكر منها ما يلى:

- حب الشيخ:

وهو حب فى الله ينبع من قلب الجندى أو المريد، عرفاناً بما يغذيه به الشيخ من كل ما ينفعه فى دينه ودنياه، فالشيخ يغذى مريده غذاء روحياً وعلقياً وخلقياً، وكل ذلك عند النظر الفاحص الدقيق قد يكون أهم من غذاء البدن الذى يمسك عليه الحياة.

- والإقبال عليه:

وذلك بالحرص على القرب منه قرباً مادياً بمجالسته ومحادثته وسؤاله، ومعنوياً بتنفيذ ما يطلبه منه، فالشيخ تترسم خطاه إذ هى خطا الواثق المطمئن إلى صحة ما يقوم به من عمل وإلى سلامة هذا العمل وموافقته للشريعه الإسلاية.

- والثقة فيه:

بقبول كل ما يأمر به على أنه فى صالح دين المريد ودنياه، إذ هو فى كل ما يأمر به، إنما يصدر عن تجربة وخبرة وسابقة فى العمل بما يرضى الله تعالى، فليس من أمره شيء إلا وهو موضع ثقة واطمئنان.

إن عبادة الشيخ لله تضفى عليه تقبلاً وحباً عند كل من يراه من الناس، فضلاً عمن يتعامل معه، فضلاً عن مريده وجنديه.

- **والالتزام بتوجيهاته:**

وتوجيهات الشيخ فى مجال الدعوة إلى الله أو الحركة بدينه فى الناس والآفاق، أو فى التربية عموماً وفى تربية الروح على وجه الخصوص، دائماً مستقاة من شريعة الله تعالى ومنهجه ونظامه.

والالتزام بهذه التوجيهات فيه سعادة الدين والدنيا معاً.

- **والحرص على التعلم منه:**

فهذا الشيخ مدرسة كاملة، منهج وكتاب ومعلم ذو خبرة وسابقة فى العمل من أجل الإسلام، فكل كلمة يقولها وكل عمل يقوم به يجب أن يتدبره المريد فيتعلمه اليوم ويعلمه غداً، لأن كل كلمة يقولها أو عمل يعمله إنما استوحاه من كتاب الله الكريم وسنة رسوله ﷺ وسيرته.

ولقد كنا نشعر فى بعض الأحيان ونحن نتلقى على بعض الشيوخ أن هذا الشيخ إسلام يسعى على قدمين، وكنا نتساءل: متى يمكن الوصول إلى تلك المكانة؟ وكيف؟

وكان فى بعض الشيوخ قدرة على التعليم لنا من خلال نظرة عينيه أو إغماضها، وكان من هؤلاء بل فى مقدمتهم الإمام حسن البنا رحمه الله تعالى رحمة واسعة وجزاه عنا أحسن الجزاء.

والنقطة الرابعة:

للقائد على الجندى حق القيادة فى السياسة العامة للدعوة:

تلك هى النقطة الأخيرة فى حقوق القائد على جنده كما يراها الإمام البنا رحمه الله تعالى:

فقد قرر له حق الوالد، وحق الأستاذ، وحق الشيخ، وبقى أن يوضح له حق القائد فى السياسة العامة للدعوة، وذلك أن القائد فى أى مجال من مجالات الدعوة إلى الله شريك فى رسم السياسة العامة للدعوة إذ هو أحد أركان هذه الدعوة وأحد واضعى هذه السياسة بحكم موقعه من القيادة، وهو من قبل ومن بعد أحد المشرفين على تنفيذ هذه السياسة العامة للدعوة، فلابد لنا من إلقاء بعض الضوء على السياسة العامة للدعوة، نوضح فيها واجبات هذا القائد، وحقوقه فى مجال السياسة العامة للدعوة.

أولاً:

السياسة العامة للدعوة

السياسة العامة للدعوة هي: التدبير الحكيم والنظر العميق الدقيق فى كل ما يتعلق بتحقيق الأهداف العامة للدعوة، وفى كل ما يتصل بالوسائل التى تعين على تحقيق هذه الأهداف، ورسم الخطوط العامة، والمعالم الرئيسة التى يجب أن تميز كل مرحلة من مراحل العمل من أجل تحقيق أهداف هذه المرحلة أولاً، ثم تحقيق الأهداف العامة.

ومما هو وثيق الصلة بالسياسة العامة للدعوة:

- التوضيح المستمر للمبادئ العامة التى يقوم عليها الإسلام فى مجالات العقيدة والعبادة والخلق، مما يمثل الثوابت فى المبادئ الإسلامية.
- والتوضيح المستمر للمبادئ الخاصة والمرحلية لأنواع العمل التى تمارسها القيادة، والأفراد فى كل مرحلة من المراحل فى المدى الزمنى المقرر للمرحلة أو للعمل، وفى المكان الملائم، على أساس الدراسة الموضوعية لكل ذلك.

وتحديد الخطوط العريضة لمفردات كل عمل من هذه الأعمال.

- ورسم الأبعاد الدقيقة لكل نوع من أنواع العمل الذى يتصل بالدعوة أو بالحركة أو التربية أو التنظيم، حتى تستطيع هذه الأعمال أن تنجح وتؤدى وظائفها وتحقق أغراضها.
- وإلقاء ضوء كاشف على الظروف التى تحيط بكل عمل من أعمال الدعوة إلى الله مثل:
  - توضيح الإيجابيات التى تعين العامل على أداء عمله وتصنيفها وترتيب أولوياتها.
  - ورصد السلبيات والمعوقات التى تحول بين العامل وأداء عمله، رصداً دقيقاً مستوعباً.
  - ووضع الحلول التى من شأنها أن تزيل هذه العقبات من طريق العمل أو تذللها إن لم يمكن التخلص منها.
- ووضع إطار عام للموازنات بين أنواع العمل فى كل مرحلة من مراحل العمل، مع رسم خريطة دقيقة للأولويات التى يبدأ بها فى هذه الأعمال.
- وإعداد تقويم دقيق لكل عمل يمارسه القائد والجنود فى كل موقع من مواقع العمل، على أن يكون هذا التقويم شاملاً ومفصلاً، وشهرياً على أبعد مدى، حتى يتسنَّى تلافى القصور أو التقصير قبل الوقوع فى الخطأ أو الانحراف عن الهدف.

– وإحكام المتابعة للقائد والجند، وفق معايير منضبطة تضع فى حسبانها:

- الأهداف العامة للدعوة،
- والأهداف المرحلية،
- والأهداف الخاصة،
- ووسائل تحقيق هذه الأهداف،
- والإطار الزمنى الملائم لكل هدف من هذه الأهداف،
- والمكان الملائم لممارسة العمل صغيراً كان أو كبيراً،
- والأفراد الملائمين للعمل.
- وفى صورة مجملة؛ فإن السياسة العامة للدعوة هى وضع النظرية السياسية للعمل، ووضع الخطة التنفيذية لأداء هذا العمل، وترشيح العاملين وتوثيق أهل الثقة منهم للقيام بالعمل على أحسن وجه ممكن.

– وإذا كانت هذه هى السياسة العامة للدعوة، فإن على القائد واجبات لابد أن يقوم بها فى وضع هذه السياسة، وله حقوق على العاملين معه أو تحت قيادته نرجو أن نوضحها فيما يلى:

أ – واجبات القائد فى السياسة العامة للدعوة:

على القائد فى أى مجال من مجالات العمل الذى يقوده أن يشارك مشاركة فعالة فى وضع السياسة العامة للدعوة فى كل ما يتصل بالمتغيرات، أما الثوابت – التى أوضحنا آنفاً – فهى مستمرة غير قابلة للتعديل أو التبديل.

– وإنما تكون هذه المشاركة فعالة ومؤثرة على قدر إخلاص هذا القائد لدعوته ولعمله.

– والأصل أن يعطى القائد لعمله وللدعوة إلى الله جزءاً أساسياً من وقته ومن جهده ومن ماله، وخبرته، إذ من المؤكد أن إعطاء الفائض من الوقت أو الجهد أو المال للدعوة لا يكفل للعمل نجاحاً ولا قدرة على الوصول إلى هدفه، فضلاً عما فيه من إثم البخل بالوقت أو الجهد أو المال على الدعوة إلى الله.

– وهذه المشاركة منه فى السياسة العامة للدعوة تقتضى منه على سبيل المثال:

١ - تحديد أنواع العمل: دعوة وحركة وتربية وتنظيماً وتقويماً ومتابعة،

٢ - وتحديد الصفات التى يجب أن تتوافر فى القائد لأى عمل من هذه الأعمال، وفى العاملين الممارسين،

٣ - وتوثيق القائد بعد ترشيحه، وكذلك توثيق العامل وفق المعايير الإسلامية للترشيح والتوثيق،

٤ - وتحديد الوعاء الزمنى لكل عمل، وتحديد مكان تنفيذه،

٥ - وتحديد العمل التالى للعمل الذى ينفذ، لكى يمكن الانتقال إليه بمجرد الانتهاء من العمل الذى سبقه،

٦ - وتوضيح الأهداف التفصيلية لكل مرحلة من مراحل تربية الأفراد ابتداء من مرحلة التعريف إلى مرحلة المحافظة على التمكين،

٧ - ووضع المعايير الدقيقة التى يُختار على أساسها قادة هذه المراحل أو العاملون فيها، وهى جميعاً أسس ومعايير نابعة من الإسلام وقيمه ومبادئه أى من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

٨ - وتحديد أنواع النشاط التى يمارسها كل قسم من الأقسام التى أنشأتها الجماعة: كقسم نشر الدعوة وقسم التربية وغيرها[1]. تحديداً يلائم المستجدات فى عمل كل قسم، وكيفية مواكبتها وأسلوب العمل ووسائله فى القسم، مع بيان الغرض من إنشاء كل قسم وصفات العاملين فيه، مع تأكيد ضرورة توثيقهم قبل ممارسة العمل، وغير ذلك من الشروط.

ب - حقوق القائد على جنده فى السياسة العامة للدعوة

حقوق القائد فى هذا المجال أخص وأدق من حقوقه العامة التى ذكرنا آنفاً، وهى حق الوالد، وحق الأستاذ وحق الشيخ، لذلك كان لابد من تحديدها بعض التحديد، وهى:

أولاً:

حق الطاعة فى المنشط والمكره، والعسر واليسر:

الطاعة فى غير معصية، الطاعة المبصرة لا العمياء، الطاعة من غير تردد ولا مراجعة ولاشك ولا حرج.

---

(١) انظر فى هذه الأقسام وهى عشرة: كتابنا: منهج التربية عند الإخوان المسلمين: الجزء الأول: ٢٥٠ وما بعدها.

ثانياً :

حق التأييد والمناصرة :

التأييد له في خطته التي وضعها للعمل،

والتأييد له في الإطار الزمني الذي اختاره أي معاونته على أن يتم العمل في هذا الإطار، والصبر والاحتمال والاستمرار في العمل حتى يصل إلى غايته.

ثالثاً :

حق المعاونة والمشاركة :

المعاونة والمشاركة في تنفيذ العمل وفق ظروفه وشروطه، والمعاونة والمشاركة في دعم العمل بالجهد والوقت والخبرة والمال، والمعاونة في إزالة العقبات عن الطريق.

رابعاً :

حق النصيحة :

النصيحة للقائد وفق شروطها وآدابها، النصيحة له في كيفية أداء العمل، والنصيحة في اختيار العاملين، والنصيحة في تحديد مجالات العمل.

خامساً :

حق المشورة :

حقه في أن يطلب المشورة ممن يشاء من جنوده، وحقه في أن يقدموا له مشورتهم بغير تباطؤ، وحقه في أن يأخذ من المشورة بما يرى فيه المصلحة العامة، دون تثريب عليه.

جـ - دعوتنا تجمع هذه المعاني جميعاً

المعاني التي تجمعها الدعوة في هذا المجال هي : حقوق القائد على جنده بوصفه :

- والداً : له حق الوالد من البر والطاعة والنصيحة والمعاونة،
- وأستاذاً : له حق الحب والتقدير والاحترام والطاعة والحرص على الاستفادة منه ومن علمه.
- وشيخاً : له حق الحب والإقبال عليه والثقة فيه والالتزام بكل ما يأمر به أو ينهى عنه.

– وقائداً: له على جنده حق الطاعة والتأييد والمناصرة والمعاونة والمشاركة، والنصيحة والمشورة.

● هذه المعانى جميعاً تجمعها الدعوة إلى الله تعالى، وكلها معان جاء بها الإسلام، وأقرها أسلوباً فى تعامل الجندى المسلم مع قائده فى أى مجال من مجالات العمل من أجل الإسلام، بل أوجبها إيجاباً وجعلها من مفردات الدين ومعالمه.

– وبالتمسك بهذه المعانى استطاع المسلمون على عهد رسول الله ﷺ أن يقيموا صرح الدين وأن يرسوا دعائمه على الرغم من كثرة ما كان يحيط بهم من مصاعب ومشقات.

– وبالتمسك بهذه المعانى استطاع الصحابة رضوان الله عليهم أن ينشروا هذا الدين فى الناس والآفاق، حتى لم يمض نصف قرن على وفاة الرسول ﷺ إلا وكانت دعوة الإسلام وحركته قد انتشرت فيما يقرب من نصف الأرض المسكونة آنذاك.

وليس فى كلامنا شىء من المبالغة، فذلك ما قرره أعداء الإسلام أنفسهم، والذى ينظر فى خريطة العالم الإسلامى فى القرن الأول الهجرى يجد مصداقاً لما تقول[1].

– وبالتمسك بهذه المعانى نجحت دعوات إسلامية إصلاحية كثيرة فى تاريخ المسلمين، ولايزال التمسك بهذه المعانى قادراً على أن يمد دعوة الإسلام وقيمه ومبادئه وعدالته واحترامه لحقوق الإنسان لتصل إلى أى بقعة فى العالم، فتجد آذاناً صاغية وقلوباً وعقولاً راغبة فى هذا الدين العظيم.

● وعندما تُتجاهل هذه القيم وتلك المبادئ التى جاء بها الإسلام ويأخذ المسلمون بقيم أخرى ومبادئ مغايرة يكون الانتكاس ويكون الضياع وتصبح الدولة لأعداء المسلمين على المسلمين.

● بل إن الدعوة إلى الله تجمع إلى جانب تلك المبادئ والقيم، منهجاً متكاملاً لنظام حكم عادل، ونظام حياة إنسانية كريمة، ويحتوى كل ما يحتاج إليه الحاكم والمحكوم فى مجتمع إنسانى فاضل تتبادل فيه الحقوق والواجبات، وتُحترم فيه حقوق الإنسان احتراماً حقيقياً، وليس مجرد شعارات يلوح بها الأقوياء للضعفاء حتى إذا التمسوها أو احتاجوا إليها لم يجدوا شيئاً للضعفاء ووجدوا كل شىء للأقوياء، حتى حق الاعتراض على أى قرار ليس

---

(١) انظر فى ذلك: أطلس تاريخ الإسلام، وطريقة انتشار الإسلام لعدد من العلماء على رأسهم د. حسين مؤنس، دار الزهراء للإعلام ط أولى ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م.

فيه مصالح الأقوياء!![1].

إن هذه المعانى التى جاء بها الإسلام؛ إنسانية الاتجاه عالمية الطابع عميمة العدالة، تحافظ على حقوق غير المسلمين كما تحافظ على حقوق المسلمين، لا تسمح باستغلال ولا باستبداد.

● ونرجو أن نكون قد أوضحنا ما يتعلق بالسياسة العامة للدعوة من خلال ما يجب للقائد على جنده من حقوق، فإذا كان ذلك قد حدث بفضله وتوفيقه، فنختم هذا الفصل: بالحديث عن أسباب نجاح الدعوات عموماً وهى الثقة المتبادلة بين القائد والجندى، فنقول:

ثانياً:

أسباب نجاح الدعوات هى الثقة

يرى الإمام البنا رحمه الله أن ثقة الجندى فى القائد هى كل شىء فى نجاح الدعوات، وهذه الثقة – كما أوضحها هو نفسه – هى: اطمئنان الجندى إلى القائد على اعتبار أن القائد جزء من الدعوة، وأنه لا دعوة بغير قيادة، وأنه على قدر الثقة المتبادلة بين القائد والجند تكون قوة نظام الجماعة وإحكام خططها ونجاحها فى الوصول إلى غاياتها، وتغلبها على ما يعترضها من عقبات وصعاب.

وأن الثقة بهذا القائد فى الدعوة لا تكون إلا بإعطائه حق الوالد وحق الأستاذ وحق الشيخ وحق القائد.

– الثقة على هذا النحو كانت هى كل شىء فى نجاح الدعوة إلى الله.

● ونحاول فى هذه الصفحات أن نلقى ضوءاً على أثر هذه الثقة وانعكاس هذا الأثر على القائد وعلى العمل الذى يقوده، وعلى نجاحه ونجاح الدعوة كلها.

---

(١) تأمل ما يحدث اليوم فى أخريات القرن العشرين الميلادى، مما تفعله الولايات المتحدة الأمريكية بوصفها الدولة الأقوى، من تحكم واعتساف وتجبر، واستباحة ضرب أى دولة فى العالم وتجويعها وحرمانها من الدواء وإغلاق سمائها ومياهها ومنع معظم الدول من التعامل معها، لا تفرق فى ذلك بين بلد آسيوى أو إفريقى أو أوربى فأيديها ملطخة بدماء كل دولة لا تسعى فى ركابها.

وتأمل ما تدبره الولايات المتحدة الأمريكية للبلدان الإسلامية من حرب ظاهرة ومستترة.

بل تأمل واعجب ما شئت من سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية على هيئة الأمم المتحدة، حتى ليقال: إنها هيئة الأمم المتحدة ضد من لا ترضى عنه الولايات المتحدة الأمريكية!!

ولبيان ذلك نتحدث عن أمرين:

– أثر الثقة فى القائد على القائد نفسه،

– وأثر الثقة فى الجندى على الجندى نفسه.

أ – الثقة فى القائد:

إذا وثق الجند بالقائد فإن ذلك يعطى القائد ثقة فى نفسه، وفى قدرته على العمل وكفاءته، ويعطيه حباً لجنده واعتزازاً بهم وثقة فيهم.

– وعندما يثق القائد فى نفسه وفى عمله وفى جنده، فإنه يحقق نجاحاً كبيراً فيما عهد إليه من عمل يقوده ويلى عليه، فالمردود إذن يعود على العمل أى على الدعوة نجاحاً وتوفيقاً وتحقيقاً للأهداف.

– وعندما تهتز ثقة الجند فى القائد أو تنعدم فإن فرص النجاح فى العمل تقل وربما تضيع وثقة القائد فى نفسه وفى جنده تهتز كذلك وربما تفقد، هذا ما لا يختلف عليه الناس العاملون فى مجال الدعوة إلى الله.

*** فقد هذه الثقة فى القائد يترك آثاراً ثلاثة:**

أحدهما: فى القائد نفسه، فقد يتردد فى اتخاذ قراره فى كثير من الموقف والأعمال، وإذا حدث تردد فى اتخاذ القرار ضاعت الفرصة المناسبة، فأصبح النجاح أبعد ما يكون.

وإذا تردد القائد اضطرب الجنود وأصيبوا بالحيرة وبالبلبلة ثم بالتوقف عن العمل فيما بعد.

وإذا توقف الجندى عن العمل فماذا بقى مما يربطه بالصف؟

والآخر: فى العمل نفسه: فعندما يفقد القائد الثقة فى نفسه لأنه فقدها عند جنده، فإنه يفقد الثقة فى عمله فيغير فيه ويبدل ويزيد اليوم ما نقصه بالأمس، وهذا يجعل الجنود مترددين، أيقومون بالعمل، أم ينتظرون حتى يحدث التبديل والتغيير، ومعنى ذلك أنه لا عمل.

والثالث: فى الجنود: فالقائد الذى فقد ثقة جنده فيه، لابد أن يفقد هو ثقته فى جنده، وعندئذ لا يكلفهم بالعمل إذ كيف يكلف من ليسوا أهلاً لثقته؟

وإذا لم يكلف الجنود بالعمل فمن يكلفهم به؟ وعندئذ نتساءل: أين العمل نفسه؟

ومعنى ذلك عجز الدعوة عن تحقيق أغراضها.

- والجندى الذى يفقد ثقة قائده فيه يتراخى فى العمل أولاً، ثم يهمل بعد ذلك، وأضعف الإيمان أن يجىء عمله عن غير إجادة ولا إتقان!!

● أعود فأؤكد أن الثقة المتبادلة بين القائد والجندى هى فعلاً كل شىء فى نجاح الدعوة إلى الله.

ب - الثقة فى الجندى:

ثقة القائد فى الجندى تعطيه ثقة فى نفسه وثقة فى قيادته وثقة فى عمله الذى يقوم به، فينطلق فى أداء عمله مخلصاً فى أدائه مجيداً محسناً مجوداً ما وسعه الإحسان والتجويد، وعندئذ ينجح العمل وتنجح الدعوة وتتحقق الأغراض التى جاء من أجلها الإسلام.

● أما إذا فقد القائد ثقته فى جنده، فإن لذلك أسوأ النتائج على الجندى نفسه، وعلى القائد وعلى العمل ذاته.

- فالجندى الذى يفقد ثقة قيادته فيه يكون عرضة لواحد من المواقف التالية: وكلها سيئ:

● وقد يتوقف عن العمل: إذ كلما هَمَّ بعمل قال فى نفسه: وكيف أقوم به على وجهه وأنا لست أهلاً لثقة قيادتى فيه؟ فيتوقف خشية الفشل والإخفاق.

● وقد يتراخى عن العمل فيؤديه فى غير وقته أو بعد وقته، وإذا فقد العمل دقة التوقيت، ضاع وعجز عن أن يحقق الهدف منه، لأن التوقيت معامل نجاح فى كل عمل.

● وقد يصاب الجندى باليأس والإحباط، فيؤثر الانكماش والانطواء على نفسه والابتعاد عن إخوانه والانكفاء على آلامه، وإذا حدث هذا جاء ذئب الإنسان فافترسه إذ وجده فى الجهة القاصية، وعندئذ تفقد الدعوة أحد العاملين فيها وهى خسارة لا يعرفها إلا من عانى فى تربية جندى للدعوة.

- والقائد الذى فقد ثقته فى جنديه، قد خسر أحد جنوده وحرم نفسه من معين ناصح أمين، وحرم العمل الذى يقوم به من أحد عناصره الأساسية.

وربما اتهم القائد نفسه ودخل معها فى لوم وعتاب متسائلاً: لماذا تركت هذا الجندى يفعل ما يفعل حتى فقدتُ ثقتى فيه؟ لماذا لم أوجه؟ لماذا لم أهتم؟ لماذا لم أسدّد؟ ويظل هكذا حتى يتبدد فكره ويتعب عقله وقلبه، ويشعر بالخسران، هذا إذا كان قائداً بحق فى

- والعمل نفسه حينما تفقد الثقة فيه، فإن ذلك ينعكس على العامل الذى يقوم به دون شك، وهنا نرى كل السلبيات التى ذكرنا آنفاً عن شعور الجندى بأن قيادته لا تثق فيه، ولابد أن تنعكس هذه السلبيات على العمل بأسوأ الآثار، إن الدعوة تفقد العامل والعمل معاً إذ لا انفكاك بين العامل والعمل .

● لكن المؤكد لدينا أن ثقة الجندى بالقائد أهم من ثقة القائد بالجندى وإن كانت الثقتان ضرورتين، وسبب هذه الأهمية لثقة الجندى فى قائده، أن الجندى إذا فقد ثقته فى قيادته فقد ثقته فى الدعوة نفسها أو فى جزء منها لأن القيادة جزء من الدعوة ورمز لها، وما بالنا بمن فقد الثقة فى دعوته وفى رموزه؟

والقيادة فى الدعوة إلى الله من أولى الأمر الذين تجب طاعتهم، فكيف يفقد الإنسان ثقته فى ولى أمره ومن أمر بطاعته؟

● إن ثقة الجندى بالقائد هى التى تثمر الطاعة - وقد عرفنا فى ركن الطاعة من هذه السلسلة كل ما يمكن أن يحتاج إليه المسلم ليطيع قائده امتثالاً لأمر ربه سبحانه وتعالى وتقرباً إليه .

وهنا نقول : إن طاعة القائد طاعة لله ورسوله واستجابة لما يوجبه العمل من أجل الإسلام .

والنصوص الإسلامية الدالة على ذلك كثيرة معروفة، استقصينا معظمها فى ركن الطاعة، ونذكّر هنا ببعضها، فيما يلى :

● قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً** (٥٩) ﴾ [النساء : ٥٩] .

- ومن أولى الأمر - بكل تأكيد وعند معظم العلماء - قادة العمل الإسلامى، ومن أولى الأمر : العلماء الذين يفتون الناس فى أمور دينهم .

والطاعة - كما نعرف - فى غير معصية وإنما هى فى المعروف، والطاعة كذلك فى حدود استطاعة الجندى .

● وروى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ قال : « من

أطاعنى فقد أطاع الله، ومن عصانى فقد عصى الله، ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى، ومن عصى أميرى فقد عصانى »، وفى رواية : « ومن يطع الأمير فقد أطاعنى، ومن يعص الأمير فقد عصانى ».

● وروى البخارى ومسلم والنسائى بأسانيدهم عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة ».

ثم نقول : إن الدعوة إلى الله واجب شرعى على كل قادر عليها بدليل قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨)** ﴾ [يوسف : ١٠٨].

● والدعوة إلى الله لا تتم إلا بأن يكون للعمل فيها نظام، ويكون للعاملين فيها تجمع يخضع لنظام، وما من نظام إلا ويعتمد فى بنائه على قيادة وجنود، ومن هنا كان القائد جزءاً من الدعوة إلى الله، وكان الجند جزءا منها، وكان النظام جزءاً كذلك.

● ولا يقوى هذا النظام إلا بالثقة المتبادلة بين القائد والجندى كما أوضحنا ذلك آنفاً.

– والثقة فى القيادة هى كل شىء فى نجاح الدعوات.

كلام صائب فيه حكمة، إذ كيف لنا أن نتصور أن الدعوة إلى الله – على ما فى العمل فيها من فروع ومفردات – ليس لها قائد، أو ليس لها نظام، أو ليس لها جنود؟

كيف يصح هذا؟ وكيف يخرج عمل الدعوة إلى حيز التنفيذ؟ وكيف ينجح؟ وكيف يحقق غرضه الأسمى وهو : التمكين لدين الله فى الأرض؟

● من نافلة القول أن أقول : إن فشل أى عمل فى مجال الدعوة إلى الله لابد أن يصحبه أو يتسبب فيه فقد الثقة بين القائد والجند، أى فقد الثقة بالنظام الذى وضعته القيادة بعد حوار وشورى وتَحَرٍّ لما هو صالح ويفيد.

ثم فقد الثقة ببرامج العمل وأنواعه التى اجتهدت القيادة وتحاورت وتشاورت فوجدتها موصلة للأهداف محققة للأغراض، وفقد الثقة بالعمل وبرامجه إضعاف للعمل وتشتيت لجهود العاملين فيه، كثيراً ما يؤدى إلى انهيار العمل نفسه.

وبعد : فمن نافلة القول أيضاً أن أعود فأكرر أن أهم أسباب النجاح فى الدعوات هو الثقة المتبادلة بين القائد والجند أولاً، ثم تأتى بعد ذلك سائر الأسباب من:

وضع خطة محكمة شاملة،

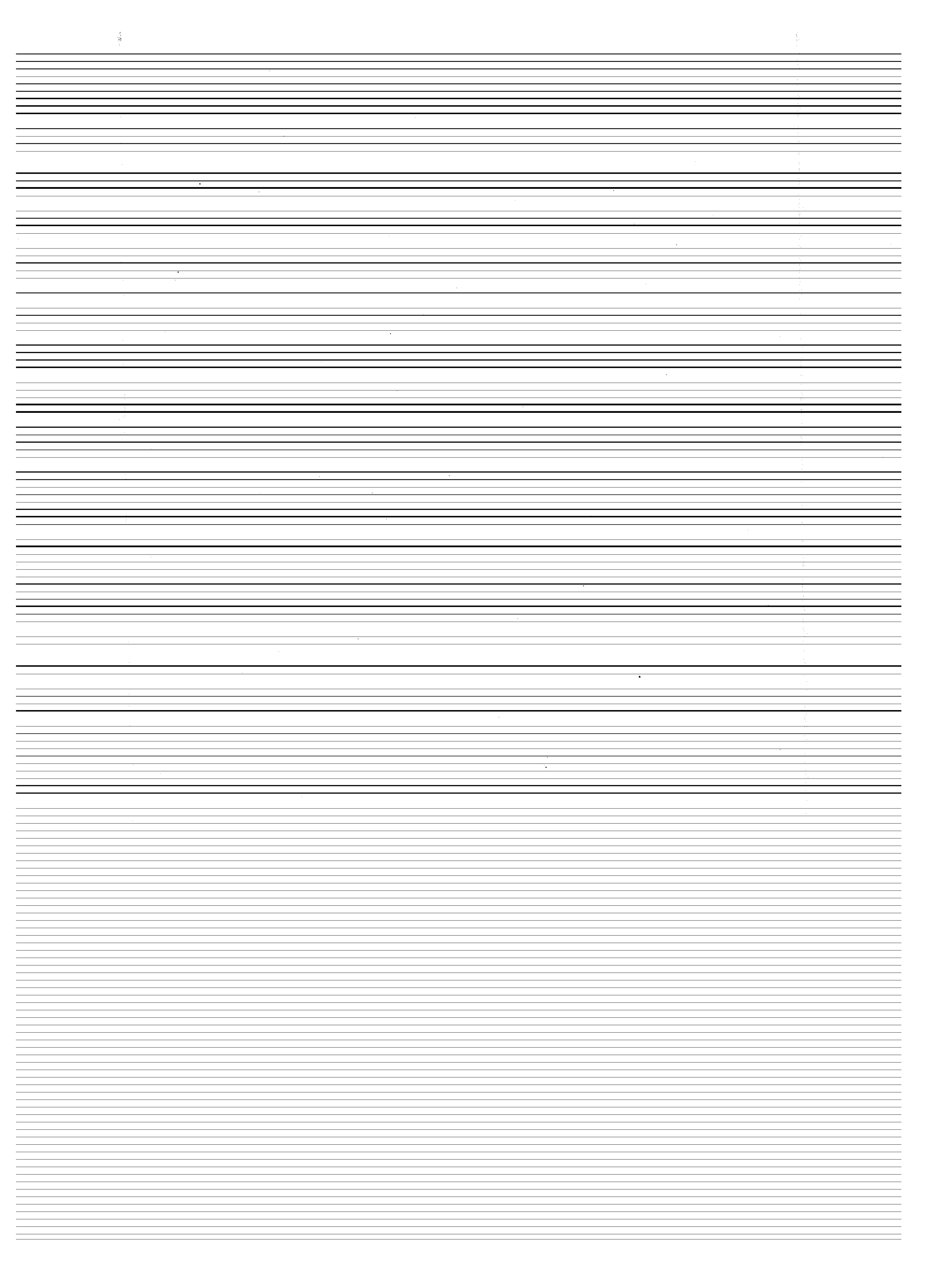
وحسن اختيار للجند والقادة،

ودقة فى تقسيم العمل وتنويعه وجعله مراحل،

وتحديد طبيعة كل مرحلة وأبعادها،

وتحديد أهداف كل مرحلة، وتحديد وسائلها، من إدارة محكمة راشدة، ومدها بالمال وبكل ما تحتاج إليه من دعم وتأييد مادى أو معنوى.

وفوق كل ذلك وقبله وبعده توفيق الله تعالى وعونه، وما يكون ذلك كذلك إلا إذا كان العاملون فى الدعوة قادة وجنوداً على مستوى الميراث من رسول الله ﷺ الداعية الأول والقائد الأول والدال على الصراط المستقيم.



الفصل الثالث

واجبات الأخ الصادق نحو قيادته

وفيه ست نقاط :

النقطة الأولى :

التعارف الوثيق بين الجندى والقائد .

والنقطة الثانية :

الثقة فى كفاءة القيادة وإخلاصها .

والنقطة الثالثة :

طاعة القيادة فى غير معصية وحدودها .

والنقطة الرابعة :

التسامح الواعى مع القيادة .

والنقطة الخامسة :

إخضاع الجندى ظروفه الشخصية للدعوة والقيادة .

والنقطة السادسة :

الترجيح بين المصلحة الشخصية والمصلحة العامة .

تمهيد لهذا الفصل

بعون من الله نرجوه، وبتسديد منه ندعو به، نحاول - في هذا الفصل الثالث الأخير من هذا الكتاب - أن نكشف عن ثقة الجندى فى قيادته، مداها وقدرها وأثرها، ووسيلتنا فى هذا الكشف هى طرح تلك الأسئلة التى طرحها الإمام البنا رحمه الله على هذا الأخ الصادق، ليجيب عنها ويعرف من خلال إجابته مدى ما عنده من ثقة فى قيادته، لتتاح له فرصة بينه وبين نفسه، وأمام الله تعالى أن ينمى هذه الثقة فى القيادة إن وجدها بحاجة إلى أن تنمو وتكبر، ويقويها إن رآها بحاجة إلى أن تقوى وتعظم، لأن الأصل فى هذه الثقة أن تكون واسعة المدى بالغة القوة من أجل تحقيق أهداف كبرى بهذه الثقة المتبادلة بين الجندى وقيادته، تلك الأهداف هي:

- الحب الوثيق بين الجندى وقيادته.
- والتعاون الكبير فى القيام بأعباء العمل،
- والمضى بموكب الدعوة إلى الأمام دون عوائق،
- والتغلب على المصاعب والعقبات التى توجد فى الطريق،
- ومقاومة أسباب الجمود أو التراجع أو النكوص التى قد تُفرض على الدعوة من خارجها من أعدائها المتربصين، أو من داخلها من بعض أفرادها غير الناضجين، أو الذين فاتتهم فرص التربية الجيدة،
- والتغلب على جمود النظام أو تقادمه وطول العهد به،
- والوصول إلى الفقه الصحيح للدعوة والدعاة والمدعويين، لكى يصبح العمل مبنياً على الفهم محوطاً بالإخلاص محفوفاً بالتضحية مدعوماً بالجهاد والطاعة والثبات والتجرد، تربطه الأخوة فى الله، ليكون من هذا المزيج كله ثقة الجندى فى القائد وثقة القائد فى الجندى، فيصل موكب الدعوة إلى الله إلى مرحلة التمكين لدين الله فى الأرض.

● ونتناول فى هذا الفصل نقاطاً ستَّةً، تتضمن كل واحدة منها سؤالاً من الأسئلة الستة التى طرحها الإمام البنا رحمه الله والله تعالى هو الموفق المعين.

النقطة الأولى

التعارف الوثيق بين الجندى وقائده

هذا التعارف شرط أساسى وركن ركين تقوم عليه العلاقة بين الجندى والقائد، وعنه يتولد الحب والاحترام والتقدير، وعن ذلك تتولد الثقة، فلا ثقة إلا بعد حب وتقدير، ولا حب إلا بعد تعارف دقيق وثيق بين الجندى والقائد.

وهذا هو الذى طرحه الإمام البنا على هيئة سؤال هو:

«هل تعرَّف – الجندى – إلى قائده من قبل ودرس ظروف حياته»؟

- إذا كانت الإجابة عن هذا السؤال: بنعم، جاء الحب فجاءت الثقة بين الجندى وقائده وأخذت طريقها إلى النمو والقوة، مما يمكّن موكب الدعوة – وهو قائد وجنود – من المضى فى طريقها محققة أهدافها.
- وإذا كانت الإجابة عن هذا السؤال: بلا، أو بأن ذلك التعاوف لم يتم بعد؛ فإن عقبة كئوداً قد وُضعت فى طريق نجاح الدعوة، وإن إثماً كبيراً قد ارتكبه الجندى فى حق قائده وفى حق دعوته، إذ كيف لا يتعرف إلى قائده الذى يقوده فى العمل من أجل الإسلام؟ وكيف يتسنى له أن يشارك فى عمل من أعمال الدعوة إلى الله دون أن يعرف قيادته؟
- إن العمل من أجل الإسلام بين قائد وجنود لا يعرفونه معرفة وثيقة لا يستطيع أن يثمر ويشق طريقه إلا إذا كان الجندى يعرف قائده ويحبه ويثق فيه، ومن هنا كان على الجندى ومن بين واجباته أن يتعرف إلى قيادته.

واجب الجندى نحو قيادته

هذا الواجب كبير ومتشعب ولكنه لابد منه إذ هو واجب، فالأصل فى الجندى المسلم أن يطمئن إلى قائده فى كفاءته وإخلاصه، وأن هذا الاطمئنان إلى القائد يجب أن يتولد عنه الحب والتقدير، والاحترام والطاعة، فكيف يتسنى له هذا – مع وجوبه – وهو لا يعرف قائده؟

– وكيف يسهم الجندى فى دعم أعمال الدعوة إلى الله بتقوية نظامها، وإحكام خططها، ونجاحها فى الوصول إلى غاياتها، وإقدارها على التغلب على ما يعترضها من عقبات وصعاب – وهو ملزم بهذا الإسهام إلزاماً – دون أن يتعرف إلى فائدة؟

– وكيف يعطى الجندى قائده حقوقه العديدة؛ حق الوالد وحق الأستاذ وحق الشيخ وحق القائد فى السياسة العامة للدعوة؛ دون أن يكون على معرفة بهذا القائد الذى سلَّمَ له بكل هذه الحقوق؟

– وإذا كان الجندى مطالباً بأن يمهد الأسباب لنجاح الدعوة إلى الله، وأن يقدم لها كل ما يستطيع من أنواع الدعم:

يدعمها بمواقفه الواعية الحكيمة الثابتة على الحق، حيناً،

ويدعمها بفقهه للدعوة ومتطلباتها حيناً آخر،

وبطاعته المبصرة للقيادة، حيناً ثالثاً،

وبثقته فى قيادته فى كل حين...

كيف يستطيع أن يقوم بذلك كله أو بعضه وهو لا يعرف قائده المعرفة التى يوجبها فقهه لدعوته ومعرفته الواسعة بقيمة التعارف وأثره فى توثيق الروابط؟

فما هذا التعرف إلى القائد؟

وكيف يدرس الجندى ظروف حياة قائده؟

ذلك ما نحاول أن نجيب عنه فى هذه الصفحات سائلين الله تعالى التوفيق والسداد.

أولاً: تعرّف الجندى إلى قائده:

تعرَّف إلى فلان: قدَّم نفسه إليه وجعله يعرفه.

والمعنى: أن الجندى مطالب بأن يقدم نفسه لقائده ليتيح له فرصة يعرفه فيها بوصفه جندياً تحت قيادته.

وربما كان هذا المعنى غريباً على بعض القراء، لما درجوا عليه من أن: « التعرف إلى فلان » معناه أن يعرف هذا الفلان، لا أن يعرفه بنفسه!!

ولكن هذا المعنى لم يكن خافياً على الإمام البنا رحمه الله وهو من رجال اللغة العربية والمتمكنين منها ومن فقهها ونحوها وصرفها ووضعها ودلالاتها، كما تنطق بذلك كتاباته وخطاباته ومحاضراته ومذكراته، لذلك فإن الإمام البنا رحمه الله قصد بهذا التعرف إلى القائد، أن يتيح الجندى للقائد قدراً كافياً من معرفته بجنديه، ومن خلال ذلك التعرف يعرف الجندى عن قائده كثيراً مما تجب معرفته، ومن خلال هذا التعارف يدرس الجندى ظروف حياة قائده، ويدرس القائد ظروف حياة جنديه، إذ التعاوف تبادل المعرفة بين الطرفين.

– ومما أكدنا – آنفاً – أنه لا تتولد ثقة فى قائد نحو جنديه إلا إذا كان يعرفه حق المعرفة،

وكذلك لا تتولد فى الجندى ثقة نحو قائده إلا إن كان يعرفه حق المعرفة.

● وهناك نوعان من التعرُّف:

– تعرف الجندى إلى قائده، أى تقديم نفسه إليه وشرح ظروفه ، ليعرفه قائده.

– وتعرف القائد إلى جنديه ليعرفه ويعرف ظروف حياته.

وباجتماع هذين النوعين من التعرف يحدث التعارف الوثيق بين الجندى وقائده.

● ولنوضح أبعاد كل نوع من هذين النوعين من التعرف:

أولا:

تعرف الجندى إلى قائده:

وذلك بأن يتحين الجندى فرصة أو أكثر يقدم فيها نفسه لقائده، ويحاول أن يكون قريبا منه متصلا به اتصالا وثيقا؛ لأن القائد – لكثرة مشاغله – قد لا تتاح له فرصة يعرف فيها جميع من يقودهم معرفة تفصيلية دقيقة – وإن كان يغلب على الظن وعلى طبيعة العمل وعلى قدرات القائد أن يكون على علم بذلك – وإنما يكون تقديم الجندى نفسه لقائده، لا بمجرد الكلام، وإنما بأسلوب عملى يتمثل فى:

– إجادته لعمله وإخلاصه فيه، فإن ذلك من شأنه أن يلفت نظر القائد إلى جنديه، فيزداد به معرفة، ثم يزداد له حبا وتقديرا، فليس أقرب إلى مشاعر القائد وعقله مثل الجندى المجيد المتقن لعمله المخلص فيه، وهذا الشعور يولد فى نفس القائد الثقة فى جنديه.

والجندى الذى لا يفعل هذا يحرم نفسه ويحرم قائده من هذه المعرفة التى تعد أساساً فى مجال العمل الإسلامى.

– وسرعة استجابة الجندى إلى تنفيذ ما يعهد إليه به من أعمال، يرى نفسه قادراً على أدائها بإتقان مهما تكن هذه الأعمال قليلة الشأن أو بسيطة، لأن بساطتها قد تكون – عند القائد – تمهيدا لتكليفه بأعمال أكثر بعد نجاحه فى هذه الأعمال البسيطة. فإذا كلف الجندى بالعمل الكبير شمَّر ورحَّب وأجاد وأتقن، دون أن يرى ذلك العمل الكبير أكبر من قدراته، لأن القائد لا يمكن أن يكلف جنديه بما ليس فى وُسْعه، وإلا ظلمه ومنع العمل من أن يتم على وجهه الصحيح.

وعندما يكون من شأن الجندى أن يقدم نفسه لقائده من خلال سرعة استجابته لتنفيذ ما

كلف به ، فإن ذلك من شأنه أن يمكن القائد من معرفته ومعرفة صفاته وأخلاقياته ونشاطه وإقباله على العمل بحماس، وتلك من أنجح الأساليب العملية فى تعريف القائد بجنديه .

– ونشاطه فى أداء ما كلف به، وفاعليته وأثره وتأثيره، فمن شأن من يقوم بأداء العمل بفاعلية ونشاط أن يلفت نظر من يراه من إخوانه القريبين منه، وأن يلفت نظر قائده، وأن ينال إعجابه ورضاه وحبه وثقته .

وهذا ينعكس بأكبر الفائدة على العمل نفسه إذ يعلم قائده علما عمليا مشاهداً أن كل عمل يحتاج إلى نشاط وفاعلية فإن الأولى به هذا الجندى ذاته، وهذا من شأنه أن يزيد رصيد الجندى عند قائده فى الحب والتقدير والثقة .

– ومد قائده – فى كل حين – بما يراه مناسبا من اقتراح أو أكثر لتحسين العمل أو تطويره أو تيسير القيام به على المكلفين بأدائه . فهذه الاقتراحات سوف تَلْقَى قبولا عند القائد، وتحظى لديه بمزيد من الدرس والتمحيص والأخذ بما هو صالح منها .

وفى تقديم الجندى لهذه الاقتراحات دليل على اهتمامه بل انشغاله بالعمل واهتمامه بتذليل العقبات التى تعترضه، وكل ذلك مما يحسب له عند قائده، فيزداد حبا له فى الله وتقديرا له وثقة فيه .

● وفى هذا المجال، أحب أن أنبه إلى عيب شائع بين العاملين فى مجالات الدعوة إلى الله، وهو : أن بعض الجنود قد لا يعجبه الشيء أو الموقف أو العمل أو نوعه أو وسائله، فيأخذ موقف اللائم الناقد للعمل وللقيادة، دون أن يفكر فى اقتراح يتخطى به العمل هذه السلبيات التى رآها!!

وهذا خطأ فادح من الجندى يؤكد سلبيته وسوء فقهه للعمل وللدعوة . . .

– إن القيادة على وجه اليقين بحاجة إلى الرأى والاقتراح والمشورة والنصيحة مادامت قيادة إسلامية . بل إن ذلك من حقها على الجنود كل الجنود، وهو فى ذات الوقت واجب الجندى الذى يؤكد به أنه على مستوى الجندية الواعية البصيرة .

– والجندى الذى يشغل نفسه بتقديم هذه المقترحات، تنصرف نفسه عن الضيق بالقيادة كلما رأى عملا لا يعجبه، وينأى بنفسه عن تصيد أخطاء للقيادة وتعقبه لأى خلل فى العمل، كأن هذا الجندى ليس مسئولا عن العمل وليس مشاركا فيه، وليس مقصرا فى تقديم المقترحات التى يتلافى بها عيوب العمل أو التقصير فيه .

– إن تقديم الجندى لهذه المقترحات لقائده أسلوب جيد فى أن يعرفه قائده عن طريق عمله لا عن طريق كلامه.

- وبذلك يتيح الجندى لقائده فرصة هادئه هادفة لكى يعرف جنديه معرفة جيدة، لا تلك المعرفة التى يصل إليها بعد أن يصله نقده للقائد وللعمل الذى كلفه به.
- والأصل فى القيادة فى أى عمل إسلامى أن تأخذ بالشورى، وألا تنفرد باتخاذ قرار قبل أن تسشير وتستخبر.

ومادامت القيادة تأخذ بالشورى فإن قراراتها تمر بمصفاة تنقيها من الشوائب، وتخلصها من التعجل، وتحول بينها وبين الهوى والغرض الشخصى، وتحول بين هذه القرارات وبين أن يعترض عليها أحد، إذ المعترض حينئذ يعترض على الشورى نفسها وما أفضت إليه من قرارات!!! ولا يستطيع أحد أن يعترض على الشورى إلا إن كانت تحركه الأهواء، أو تسيطر عليه وسوسات الشياطين من الإنس والجن.

– وما دام ذلك هو الأصل فى القيادة، فإن قراراتها شرعية وصحيحة، والمعترض عليها، إما أن يكون جاهلا بالقنوات التى يتخذها القرار حتى يصدر، وإما أن يكون جاهلا بفقه المرحلة التى يعمل فيها وما تقتضيه هذه المرحلة من ظروف أو احتياجات، وإما أن يكون ضيقا بعمله يريد أن يتخلص منه بالاعتراض على قائده، وإما أن يكون سيئ الظن بقيادته. وفى كل هذه الأحوال فإن الضرر يعود على العمل نفسه وعلى الجندى ذاته بأكثر مما يعود على القائد، وإن كل ما يخسره القائد فى هذه المواقف هو أنه يفقد الثقة فى أحد جنوده – وهى خسارة ليست باليسيرة عند القائد، وليست مما يرغب – ومن الصعب على الجندى إن فقد هذه الثقة أن يستعيدها إلا بمزيد من الانضباط والإخلاص والإقبال على العمل، واستعادة فقه العمل وفقه الدعوة وفقه الثقة بالقيادة.

– كما يستطيع الجندى أن يقدم نفسه إلى قائده تقديما عمليا بالالتزام بكل ما من شأنه أن يلتزم به الجندى ، وأنواع الالتزام كثيرة ومنها:

- التزامه بكل ما أمر الله تعالى به أو نهى عنه،
- والتزام بفعل الخير ونشره فى الناس وحبه لهم،
- والتزام بالبعد عن الشرور والمنكرات،
- والتزم بطاعة أميره أو قائده فى غير معصية،

● والتزام بشروط المرحلة التى يعمل فيها وآدابها،

● والتزام بأدب التعامل مع قائده ومع إخوانه،

● والتزام بالعمل الدائب على تحقيق أهداف المرحلة،

● والتزام بأدب التوثيق والتضعيف،

● والتزام بأدب الجماعة وما يسودها من نظم،

● والتزام عام بأخلاق الإسلام.

بهذا الالتزام يستطيع الجندى أن يقدم نفسه لقائده أحسن تقديم، فيحظى من وراء ذلك برضاه وحبه والثقة فيه.

– والانضباط فى أداء العمل المكلف به، انضباطا يجعله مؤديا له على أحسن وجه، وانضباطا فى التوقيت بحيث يؤديه فى وقته المحدد له دون تأخير، وانضباطا فى المكان الذى يؤدى فيه العمل، بل انضباطا فى كل شىء.

إن هذا الانضباط من خير ما يقدم به الجندى نفسه إلى قائده ويتعرف به إليه.

عندئذ يعرفه قائده ويحبه ويقدره ويثق فيه، ومن أجل هذه الثقة يحقق العمل الإسلامى أهدافه.

هذا هو النوع الأول من التعرف.

ثانيا:

درس الجندى لظروف حياة قائده

وهذا النوع من التعارف يتطلب من الجندى أمورا كثيرة تؤدى به –إن أخذ بها– إلى معرفة حياة قائده ظروفها وملابساتها، وهذه المعرفة ضرورية لا يستغنى عنها الجندى لأنها تعينه على حسن تقديره لقائده ودقة فهمه لما يطلبه منه القائد من أعمال.

ومن هذه الأمور:

١– الاقتراب من قائده مع الحرص على التقيد بأدب التعامل مع القيادة فى هذا الاقتراب.

ويحاول من خلال هذا الاقتراب من قائده معرفة معلومات مهمة وضرورية عن قائده منها:

● ظروفه الاجتماعية، عائلته وأبنائه، ومن هم فى إعالته من بنين وبنات وظروفهم، ومدى

قريبهم أو بعدهم من الدعوة والعمل من أجل الإسلام، ومدى التزام كل منهم بهذه الدعوة، ومكانه منها ومكانته فيها، فإن كان قائده فردا فى عائلة لم يستقل بحياته بعد، عرف عنه مكانه فى هذه العائلة، ومدى تقبل عائلته له ولدعوته، وكل ما له علاقة بظروفه الاجتماعية.

- وظروفه العلمية والعملية: ماذا يحمل من مؤهلات وفى أى تخصص كانت مؤهلاته، وماذا يعمل وأين يعمل، وماذا يجيد من أعمال أخرى لها صلة بمؤهله أو ليست لها صلة به، وما يجيد من أعمال لها صلة بدعوته وبالجانب الذى يقوده من الدعوة إلى الله.

- وظروفه الاقتصادية: موارده ومصارفه، والأعباء الملقاة عليه، ومن يعول من الأفراد، ومسكنه وإمكانات هذا المسكن وماذا يستطيع أن يقدم من معونات أو خدمات لليتامى والأرامل وذوى الحاجة، وكل ما له علاقة بظروفه الاقتصادية.

- وظروفه المزاجية والانفعالية: إزاء المواقف والأحداث العامة، وإزاء ما يواجهه داخل عمل الدعوة إلى الله من مصاعب أو مشقات، ومدى قدرته على الاستماع إلى الشكاوى وإلى النقد، ومدى تقبله للرأى الآخر واهتمامه به.

- وظروفه من حيث عمله فى الجماعة، سابقته فيها وصبره وثباته، وفقهه لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وقدرته على التفقه فى الدين وعلى الاستنتاج من آيات الله وسنة رسوله ﷺ، ومدى دراسته للسيرة النبوية وللفقه الإسلامى، ولتاريخ المسلمين، ومدى ما يجيده من علوم يمكن أن تؤخذ عنه، وأن يجلس منه الآخرون فيها مجلس التلميذ من الأستاذ.

- وظروفه فى مجال الدعوة إلى الله: متى انضم إلى هذا الموكب، وكيف انضم إلى موكب هذه الدعوة إلى الله وماذا واجهه فى سبيل هذا الانضمام من عقبات وصعاب، وكيف تغلب عليها؟ ومن الذين ساعدوه فى التغلب على هذه الصعاب، وماذا أسند إليه من الأعمال قبل أن يتولى القيادة، ومتى أسندت إليه القيادة، وماذا أجاد من مفردات العمل فى الدعوة إلى الله، ومَنْ عَلَّم، وعَمَّن تَعَلَّم.

- وظروفه فى ممارسة العمل القيادى: ما سابقته فيه؟ وكيف رشح لهذا العمل، وكيف وُثِّق؟ وكيف تم اختياره من وجهة نظره هو، إذ قد لا يكون على علم بترشيحه وتوثيقه واختياره، وما وقْعُ الاختيار عليه؟ هل رحّب أم تردَّد أم اعتذر ثم قبل؟! وما أهم ما واجهه

فى عمله القيادى من صدمات فى العمل وفى العاملين؟ وكيف تغلب على ذلك؟ وما أهم ما أعانه على أداء هذا العمل القيادى من علم أو معرفة أو أفراد أو قيادات؟

- وظروفه الثقافية: من حيث ثقافته العامة وروافدها، وأساتذته فيها، ومن حيث ثقافته الإسلامية ومصادرها ومراجعها، وشيوخه فيها، ومن حيث ثقافته الإسلامية المتخصصة، إن وجدت ماذا يجيد منها، وفى أى فرع من فروعها تكون هذه الإجادة؟ وكيف تخصص فى هذا الفرع وعلى يد مَنْ كان هذا التخصص، ومن أى المصادر والمراجع تَلَقَّى؟ وهل توجد فى بيته مكتبة وما أهم ما فى هذه المكتبة من فروع المعرفة الإنسانية؟

- وظروفه والداً: مع أبنائه وعلاقته بهم وماذا يربيهم عليه من قيم إسلامية، ومدى استجابتهم له فى هذه المجالات، ومدى تجاوب أبنائه معه فى مجال التربية، وكم استطاع أن يحفظهم من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، مدى نجاحه معهم فى نقل ما علّمهم إلى غيرهم من الناس؟ ومدى استجابتهم له فى إلحاقهم بموكب الدعوة إلى الله؟

- وظروفه شيخاً: مع مجموعة من الناس يختارهم ويغذى أرواحهم بما يزيدها قربا من الله تعالى، وما يستطيع أن يبثه فيهم من إحساس بوجود الله تعالى وأنه رقيب على خلقه، وأنهم يجب أن يراقبوا الله عز وجل فى أقوالهم وأعمالهم جميعها، ومدى ما يقبل عليه هؤلاء المريدون من النوافل التى تزيدهم من الله قربا، وتجعله سبحانه وتعالى محبا لهم راضيا عنهم؛ يعينهم وينصرهم، ويجعلهم ينظرون ببصره ويسمعون بسمعه؟ وإلى أى مدى يحببهم فى فعل الخير والمعروف فى الناس جميعا.

- وظروفه الصحية والنفسية: ماذا يستطيع وماذا لا يستطيع وماذا يحب وماذا يكره؟ وماذا يغضبه وماذا يرضيه؟ وماذا يفعل عندما يغضب ومتى يئوب إلى الرضا؟ وهل هو ملتزم بأمر الله ونهيه فى غضبه ورضاه، ومتى يغضب لنفسه أو لذويه أو لقومه أو لأهل إقليمه؟ أم أنه لا يغضب إلا لله؟

- وظروفه العامة: أى كل ما يحيط به من أمور وأسباب تحكم علاقته بالناس وبإخوانه وبجنوده وبقيادته هو؟ وكيف تكون علاقة الناس به؟ علاقة مريد بشيخ، أم تلميذ بمعلم، أم أخ بأخيه فى الله، أم جندى بقائده؟

- معرفة كل هذه الظروف ضرورية لتكييف علاقة جنديه به، وعلاقته هو بجنديه، ومن خلال هذه المعرفة المبنية على العلم لا على الظن يكون حب الجند له وحبه إياهم، وعن

هذا الحب تتولد الثقة بينهما.

هكذا يكون التعارف الذى يجب أن يكون بين الجندى والقائد من خلال ما يقدم الجندى به نفسه لقائده، ومن خلال ما يقدم به القائد نفسه لجنديه، كلاهما يدع الكلام ويترك العمل الذى يقوم به يعرف به أخاه، ومن خلال قرب الجندى من القائد وقرب القائد من الجندى.

- وبغير هذا التعارف لن يعقبه تفاهم وتآلف، لن يأتى بعد ذلك تكافل، وكل ذلك إذا امتنع امتنعت الثقة بين القائد والجندى فكان ذلك وبالاً على العمل فى مجال الدعوة إلى الله.

هذا كله واجب الجندى نحو قائده، إذا أداه بسعادة ورضاً، فقد أرضى ربه سبحانه وتعالى، وأرضى دينه ومنهجه فى وجوب زرع الحب والثقة بين القائد والجندى، وأرضى دعوته، فلم يكن أحد الأسباب التى تجمد عملها أو تضع العراقيل فى طريقه، وأرضى قيم الإسلام وأخلاقه، وأدبيات العمل من أجل الإسلام، وأرضى قيادته، وأرضى جنديته، وكان بحق جندى عقيدة ورجل دعوة وحركة وتربية وتنظيم.

والنقطة الثانية:

ثقة الجندى فى كفاءة القيادة وإخلاصها

وهذا هو ما عبّر عنه الإمام البنا رحمه الله بسؤاله الثانى الذى طرحه على الجندى وهو: هل اطمأن إلى كفاءته وإخلاصه؟

- واطمئنان الجندى إلى كفاءة قائده وإخلاصه واجب عليه أن يسعى إلى القيام به، ولعل سبب وجوب ذلك أن الثقة – التى هى سر نجاح الدعوات – لا تكون من الجندى نحو قائده إلا إذا اطمأن إلى كفاءة قيادته فى العمل، ورأى أثر هذه الكفاءة فى نفسه وفى غيره من الأخذ به عن هذه القيادة المتلقين عنها، ثم أحس بإخلاص القيادة فى عملها وفى توجيهها فى كل مجال من مجالات الدعوة إلى الله.
- بالاطمئنان إلى كفاءة القيادة وإخلاصها يثق الجندى فى القائد، وبالتالى يثق القائد فى جنده، ومن خلال هذه الثقة المتبادلة بينهما يكون نجاح العمل فى الدعوة إلى الله.

– فكيف يثق الجندى فى كفاءة قائده وإخلاصه؟

أولا:

كيف تكون الثقة فى كفاءة القائد؟

لا ينبغى للجندى أن يثق فى كفاءة قيادته لأن بعض الناس قال له: إن هذا القائد كفء، ولو فعل فإنها ثقة سريعا ما تزول.

وإنما على الجندى أن يلتمس الشاهد والدليل على كفاءة قيادته للعمل المنوط به، إذ الأصل أن تكون ثقة الجندى فى القائد قائمة على أدلة وبراهين ومشاهدات.

فما تلك الأدلة والبراهين والمشاهدات؟

هى فى إجمال نتيجة لمتابعة العمل الذى نيط بالقائد فى مجال الدعوة إلى الله متابعة دقيقة.

– والمتابعة – كما هو معروف – هى نوع من الرقابة، على نتائج الجهود التى بذلت فى العمل، لبيان ما إذا كان هذا العمل قد حقق أهدافه فى المدى الزمنى الذى حدد له، وفق الخطة الموضوعة لذلك أم لا؟

– وهذه المتابعة يجب أن تشمل – على الأقل – ما يلى:

١– معرفة نوع العمل وكمّه،

٢– ومعرفة مكانة العمل بالنسبة للمرحلة التى يمارس فيها،

٣– ومعرفة مدى نجاح العمل فى تحقيق الأهداف المرجوه منه.

١– أما معرفة نوع العمل وكمه أى مقداره:

فتلك المعرفة ضرورية للمتابعة، حيث لا يمكن مراقبة عمل وتقويمه ومتابعته دون معرفة نوعه.

– والعمل فى مجال الدعوة إلى الله أنواع كثيرة لكنها متكاملة بمعنى أنه لا يغنى بعضها عن بعض، وهذه الأنواع كثيرة نذكر منها:

● **العمل العلمى النظرى:**

وهو يقوم على البحوث والدراسات، فقد يكون وضع خطة أو تحديد أهداف لعمل مّا، أو تعيين وسائل بذاتها لتمارس فى العمل، أو يكون رصد عقبات وصعابا فى طريق العمل،

ووضع تصور للتغلب عليها، وقد يكون نشر فكرة معينة فى أناس معينين فى زمان معين ومكان معين، وقد يكون إزالة شبهات أو دحض مفتريات موجهة ضد الإسلام، أو نحو ذلك من الأعمال العلمية القائمة على البحث والدراسة، وإنما يتصدى لهذا العمل العلمى النظرى أهل الذكر والاختصاص .

وأهم ما يكون العمل العلمى النظرى عندما يتصدى العلماء لشبهة لها مساس بالدين، ويرددها بعض المسلمين عن غير وعي بأبعاد خطرها، لأنهم يقلدون أعداء الإسلام فى دعاواهم ضد الإسلام كتلك الشبهة التى تثار من أعداء الإسلام كلما رأوا من المسلمين إقبالا وحرصا على التمسك بالإسلام وهى شبهة أن السنة النبوية لا حجية فيها، وحسب المسلمين القرآن الكريم!

هذه الشبهة تحدث عنها النبى ﷺ قبل أن تقع فكانت من معجزاته ﷺ، فقد روى ابن ماجة بسنده عن المقدام به معديكرب الكندى أن رسول الله ﷺ قال : «يوشك الرجل متكئا على أريكته يُحَدَّث بحديث من حديثى فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرَّمناه، ألا وإن ما حَرَّم رسولُ الله ﷺ مثل ما حرم الله» .

– ويدخل فى هذا العمل العلمى رصد ما قاله أعداء المسلمين من اليهود وبعض الصليبيين، وبعض المستشرقين وكثير من المبشرين وكل الملحدين، والرد عليه ودحضه .

● والعمل الحركى التدريبى :

وهو عمل بعيد عن البحث والدراسة والتمحيص العلمى، وإنما هو ميدانى يتمثل فى مجالات عديدة منها :

– ممارسة نشر الدعوة عن طريق المحاضرات والخطب وعقد الندوات والدورات والمخيمات، وغيرها مما يخرج من دائرة العلم النظرى إلى الممارسة والعمل الميدانى .

– وممارسة الحركة بالإسلام فى الناس وفى الآفاق ، فى ارتحال وتنقل من مكان إلى مكان، بحيث ينتقل الدين إلى هؤلاء الناس وتلك الأقطار أخلاقا عملية وسلوكا عمليا فى مجالات الحياة المختلفة .

– وقد يكون هذا العمل الميدانى تربية وتعليما، للصغار وللكبار . والتربية عمل يقوم على

العلم، وتدريب و ممارسة لما تعلمه المتعلم.

– وقد يكون تدريبا على حرفة من الحرف، مما ينفع المسلمين فى دنياهم أو يدفع عنهم ضررا.

– وقد يكون.. وقد يكون مما لا أحصى فى هذه الصفحات.

● وأما معرفة كمّ العمل ومقداره فذلك ضرورى لأن العمل لا ينجح ولا يحقق هدفه إلا إذا حصر فى مدى زمنى بعينه تحدده خطة العمل، وإلا إذا عرف كمّ هذا العمل ومقداره للتأكد من أنه تم على وجهه الصحيح بكمه المطلوب.

● وهذه المعرفة لنوع العمل وكمّه ووعائه الزمنى ومكانه الذى يمارس فيه هى المتابعة كما قلنا آنفا، وكلما كانت المتابعة دقيقة كانت نتائجها حاسمة وصحيحة...

وعند ذلك يمكن الاطمئنان إلى كفاءة القائد فى العمل الذى يشرف عليه ويقود أفراده فيه.

وهذا الاطمئنان هو الذى يولد ثقة الجندى فى قائده.

٢– ومعرفة مكانة العمل بالنسبة للمرحلة التى يمارس فيها وتلك من مفردات المتابعة كما ذكرنا، والمتابعة كما قلنا تؤكد للمتابع وتقدم إليه الدليل والشاهد على صحة العمل أو فساده ونجاحه أو فشله، ومع الصحة والنجاح تكون الثقة فى القائد الذى يقود العمل.

– فقد تكون للعمل أهمية ومكانة بالغة الأثر بالنسبة للمرحلة التى يمارس فيها العمل، وقد لا تكون له هذه الأهمية والمكانة فإذا كانت له أهمية بالنسبة للمرحلة وأولاه القائد من الاهتمام ما يلائم مكانته، و جاءت نتائجه مبشرة، وتحققت أهدافه، بعد أن كان قد أحسن اختيار القائمين عليه، كان ذلك دليلا وشاهداً على كفاءة القائد دون أدنى شك.

– وعلى سبيل المثال:

قد يكون العمل تربية مجموعة قليلة العدد من الأفراد «أسرة» تربية إسلامية متكاملة، وفق وعاء زمنى بعينه، وباختيار مربٍ قادر على العطاء فى هذا المجال، وتكون المرحلة مرحلة «تكوين» مثلا، فيكون للعمل أهمية بالغة بالنسبة لهذه المرحلة.

– وعند رصد نتائج هذا العمل ومتابعته نقف على النتائج التالية:

أ – أنه قد حدث نمو ونضج فى جوانب شخصيات هذه المجموعة من النواحى : الروحية والخلقية والعقلية والثقافية والدعوية والحركية والتنظيمية، والاجتماعية.

ب – وأنه قد وضح عند هؤلاء الأفراد الالتزام والانضباط .

ج – وأنهم أصبحوا منتمين لهذا الدين قيمه ومبادئه وليس للقادة أو الزعماء أو من يقدمون إليهم الخدمات والمنافع.

د – وأنهم قد اتصفوا بصفات التضحية والطاعة والثبات والتجرد والأخوة.

هـ ـ وأن هذا النمو وتلك التغييرات حدثت فى الوعاء الزمنى الذى حددته الخطة لهذه المرحلة ولهذا العمل فيها.

و – وأن هذا العمل قد حقق أهدافه.

عندئذ يستطيع الجندى الذى يلحظ هذا أن يقول : إن هذا القائد ذو كفاءة ومقدرة، لأنه قد ملك على قوله هذا الأدلة والشواهد والبراهين.

٣– ومعرفة مدى نجاح العمل فى تحقيق أهدافه.

وذلك عنصر من عناصر المتابعة – كما قلنا – وهذا يتطلب جهوداً غير يسيرة فى معرفة ما يلى :

أ – ما هى الأهداف التى حددتها الخطة لهذا العمل؟

ب – ومدى تحقق هذه الأهداف فى العمل والعامل والزمان والمكان.

ج – ومدى نجاح هذا العمل فى الالتزام بالوعاء الزمنى الذى حددته الخطة.

د – وقدرة القائد على أن يجعل الأهداف تتحقق بالطاقات التى أتاحتها الخطة مادية وبشرية.

عندئذ يستطيع الجندى الذى يتابع أو أى متابع لعمل هذا القائد أن يقول : إنه ذو كفاءة ومقدرة فى أداء عمله، ومعه على ذلك الأدلة والبراهين.

● وهذا الذى يكوّن الثقة فى القائد، ثقة لها مبرراتها وقد قامت عليها أدلتها وشواهدها.

فكيف تكون الثقة عند الجندى فى إخلاص القائد؟

ثانيا:

كيف تكوّن الثقة فى إخلاص القائد؟

إحساس الجندى بل اقتناعه بإخلاص قائده شرط جوهرى لثقة الجندى فى القائد وفى العمل كله بل فى الدعوة إلى الله كلها.

- ولأن الإخلاص محله القلب فلا يعلمه علم اليقين إلا الله تبارك وتعالى ، كان الاطلاع عليه أو معرفته من الأمور غير الميسورة إلا لمن ألقى الله فى قلبه نورا وجعله من الموفقين .
- غير أن بعض الناس قد يدل على إخلاصهم سلوكهم وعملهم وتعاملهم مع الناس ومع ما يكلفون به من أعمال، والقائد واحد من هؤلاء؛ يكشف عمله وخلقه وتعامله عن إخلاصه.
- لذا كان من واجب الجندى أن يثق فى إخلاص قائده ابتداء، وإلا وقع فى سوء ظنه بأخيه المسلم.

غير أنّ مما يعين الجندى على معرفة هذا الإخلاص فى قائده والإحساس به أمور منها:

– ملاحظة أو مشاهدة توفيق الله تعالى للقائد فى العمل الذى يقوده، ومظاهر توفيق الله تعالى منها:

- سهولة إنجاز العمل وسلاسة المضى فى خطواته،
- وقلة العقبات والصعوبات فى طريقه أو انعدامها،
- وبلوغه أهدافه فى الزمن المحدد لذلك أو فى أقل منه،
- وسرعة التغلب على أى عائق.

ومن كان من الموفقين فهو مخلص فى عمله ولا نزكى على الله أحدا.

– وملاحظة أو مشاهدة حسن اختيار العاملين القائمين على هذا العمل، ومظاهر توفيق الله للقائد وهو يختار جنوده منها:

- ملاءمة العاملين للعمل الذى ا ختيروا له،
- وإقبال العاملين على العمل بسعادة وانشراح،
- وإعطاؤهم العمل مزيداً من أوقاتهم وجهودهم برغبة وحب،

● وإنجازهم العمل فى زمنه المحدد له أو فى أقل منه.

وتلك كلها من مظاهر توفيق الله تعالى للقائد، وما أظن التوفيق من الله إلا مع الإخلاص - ولا نزكى على الله أحدا.

- وملاحظة أو مشاهدة هذا العمل وقد كمل واستوفى عناصر نجاحه، وتحققت أهدافه على يد هذا القائد، فذلك من توفيق الله تعالى له، والتوفيق يحتاج إلى إخلاص لله تعالى ومن وفق كان من المخلصين.

● الجندى المسلم مطالب بأن يثق فى إخلاص قائده أو قيادته حتى لو لم تكن له هذه الملاحظات والمشاهدات وعلامات التوفيق لأن ذلك حقه عليه، إذ لو اعتبره غير مخلص لأساء به الظن وعند ذلك يقع فيما حرم الله.

● والجندى المسلم مطالب بأن يثق فى إخلاص قيادته وكفاءتها؛ لأن هذه الثقة تعطى القائد ثقة فى نفسه وحبا فى عمله ورغبة فى الاجتهاد والتجويد، وثقة فى العاملين أنفسهم.

● ومن تبادل الثقة فى الجندى والقائد يكون نجاح العمل والتوفيق فيه وفى سائر أعمال الدعوة إلى الله.

● فإذا قصر الجندى فى القيام بواجبه هذا اهتزت ثقته فى كفاءة قائده وإخلاصه وعندئذ تتوالى الانعكاسات السيئة على ذلك القائد نفسه بالإساءة إليه وسوء الظن به،وتعريضه لسوء الظن بجنوده، ثم قد يسىء الظن بنفسه وعمله، وكل ذلك من المثبطات التى تعد عقبات يجب أن يخلو منها طريق العمل فى الدعوة إلى الله.

● والأصل أن طريق الدعوة إلى الله وإن اعترضته بعض العقبات إلا أنه يجب أن يكون محفوفا دائما بالانشراح بأداء العمل والسرور بالإقبال عليه والحماس له ، وحسن الظن بالله تعالى وبتوفيقه وعونه ومدده.

روى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : قال الله عز وجل: «أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه حيث يذكرنى . . . » .

وروى مسلم بسنده عن جابر رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل وفاته بثلاث يقول : «ألا لايموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله» .

- فحسن الظن بالله وفى توفيقه وتأييده مطلب شرعى، وحسن الظن بالمسلمين بعضهم

ببعض مطلب شرعي آخر، وحسن الظن بين الجندى والقائد هو الذى يولد الثقة، والثقة المتبادلة بين القائد والجندى هى التى تبعث على تجويد العمل والإحسان والاستمرار والثبات وتَحَمُّل المتاعب، وبذل التضحيات برضى وتفاؤل وتقرب إلى الله.

- وإن من أوليات فقه العمل وأولوياته أن يتعاون العاملون قادة وجنودا على إحاطة العمل فى الدعوة بكل الظروف التى تيسره وتبسط القيام به، والابتعاد به عن التزمت والتشدد. وما يكون ذلك بشيء مثل ما يكون بالثقة المتبادلة بين القائمين بالعمل واطمئنان كل منهم إلى كفاءة أخيه وإخلاصه.

وبعد:

فتلك واجبات الجندى ليعرف مدى ثقته فى قائده، فإذا عرفها وتأكد منها، فإن النجاح مكتوب لهذا العمل الإسلامى كله، وللدعوة إلى الله بكل مجالات العمل فيها بإذن الله تعالى.

والنقطة الثالثة:

طاعة القيادة فى غير معصية وحدود هذه الطاعة:

طاعة الجندى لقيادته – فى المعروف – استجابة لأمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ – كما أوضحنا من قبل – و استجابة للمصلحة العامة للمسلمين جميعا فى كل عصر وفى كل مكان، لأنه لا إسلام إلا بجماعة ولا جماعة إلا بإمارة ولا إمارة إلا بطاعة؛ كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه عندما رأى الناس يتطاولون فى البنيان إقبالا على الدنيا وملذاتها؛ متجاهلين ما يجب عليهم من تقليل تعلقهم بالدنيا وزيادة تعلقهم بالآخرة؛ فردهم بهذه الكلمات الجامعة الحكيمة إلى قيم الدين ومنهجه ونظامه وإلى الصواب، حيث أكد لهم أن وجودهم فى الحياة الدنيا أعزَّة كرماء، يعرفون لهذه الحياة الدنيا قدرها دون تزيد فيها، وللآخرة قدرها دون انتقاص منها، يوجب عليهم أن يتذكروا بأنهم لاوجود لهم مع الكرامة والتكريم إلا بالإسلام، ولا إسلام يطبق إلا بإمارة وقيادة تطبق شرع الله ونظامه، ولا إمارة إلا بطاعة من الجنود للقيادة، أى لا كيان للمسلمين ولا وجود لهم بكرامة إلا بطاعة أمرائهم وقادتهم، واحتساب هذه الطاعة عند الله تعالى عملا صالحا، ودرجة تقربهم من الله تعالى.

● إن من واجبات الأخ المسلم الصادق المجاهد أن يطيع قيادته فى غير معصية ، وأن يسلم لها بما تأمر به من غير جدل ولا تردد، ولا انتقاص و لا تحوير لأوامرها.

– وقد طرح الإمام البنا ذلك الواجب على هيئة سؤال وجهة للأخ الصادق المجاهد هو: هل هو مستعد لاعتبار الأوامر التى تصدر من القيادة – فى غير معصية طبعا – قاطعة لا مجال فيها للجدل ولا التردد ولا للانتقاص ولا للتحوير؟

مع إبداء النصيحة والتنبيه إلى الصواب؟!

● هذه الثقة الواجبة على الجند نحو قيادتهم ، لها شرطان:

الأول: اعتبار أوامر القيادة – فى غير معصية – قاطعة.

والثانى: تقديم النصيحة للقيادة وتنبيهها إلى الصواب.

ولبيان ذلك وتوضيحه نقول:

أولا:

اعتبار أوامر القيادة – فى غير معصية – قاطعة.

ومعنى أن أوامر القيادة قاطعة هو وجود الالتزام بها، وأخذها مأخذ التطبيق والتنفيذ، إذ الأمر القاطع هو النافذ الماضى.

● والقيادة لا تكون قيادة مؤثرة وفاعلة إلا إذا كانت أوامرها قاطعة – أى نافذة ماضية – بشرط ألا تكون فى معصية.

● والجندى لا يكون جندى عقيدة صادقا مجاهدا إلا إذا أخذ أوامر قيادته مأخذ القطع والجد والتنفيذ.

فما معنى أن تكون أوامر القيادة قاطعة بالنسبة للجندى؟ معنى ذلك أن يتقبل الجندى أوامر قيادته تقبلا يخلو من صفات أربع هى:

الجدل،

والتردد،

والانتقاص،

والتحوير.

الصفة الأولى:

الجدل: وهو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة[1]، وجدل الجندى أو جداله لأوامر قيادته معناه أن الجندى غير مقتنع بهذه الأوامر، فهو يجادل فيها لعله يردها على قيادته ولايلتزم بتنفيذها.

وهذا الجدل مرفوض من الجندى ما دام جنديا صادقا، لما يدل عليه من عدم نضج الجندى فى فقه الدعوة ، وقلة فقهه للإسلام، ومن جادل فى أوامر قيادته فإنه يسىء إلى القيادة مع أنه مطالب بطاعتها والإحسان إليها ، بل إنه بهذا الجدل ينفى القيادة نفيا، ويعطلها عن أداء واجبها، لما سبق أن أوضحناه من أنه لا قيادة إلا بطاعة.

وكيف يستسيغ الجندى أن يجادل فى أوامر قيادته وهى دائما فى غير معصية؟

أيخاف أن يكلفه تنفيذ الأوامر - دون جدل - جهدا أو وقتا أو مالا؟

وماله يخاف ذلك وهو جندى عقيدة تقوم جنديته على الطاعة والتضحية؟

وكيف يجادل فى أمر إنّ نَفَّذه كان تنفيذه إياه قربة . إلى الله تعالى، وسببًا فى نجاح دعوته؟

وكيف يجادل فى أوامر القيادة وقد ربى تربية إسلامية صحيحة حتى وصل إلى رتبة جندى فى صفوف هذه العقيدة؟

لقد علم أصول الإسلام كلها ومن بينها طاعة الله ورسوله وأولى الأمر، ورُبِّىَ على عدم الاكتفاء بأداء الفرائض وإنما عليه أن يشفعها بأداء النوافل، فكيف يجادل فى فريضة هى طاعة القيادة؟

وماذا يتوقع أن يفضى إليه الجدل فى أوامر القيادة غير أن يعطلها، فيعطل موكب الدعوة عن المضى فى طريقه، ويعجزه عن أن يصل إلى أهدافه؟

والصفة الثانية:

التى يجب أن يخلو منها تَقَبُّل الجندى لأوامر قيادته هى: صفة التردد فى قبول الأمر وفى تنفيذه.

- والتردد هو تأخير التنفيذ لأوامر القيادة بعض الوقت لأنه يشتبه فى الأمر، أو يشك فى صحته، مع أنه يعلم أن هذا الأمر كغيره من الأوامر قد مَرَّ بمصفاة الحوار والشورى.

---

(١) فى معاجم اللغة : جَدَلَ الرجل الرجلَ صرعه وأسقطه على الجدالة وهى الأرض الصلبة.

● والجندى الصادق المجاهد يكون دائما على انتظار لأوامر قيادته حتى يشملها بالتنفيذ، فكيف يبيح لنفسه أن يتردد فى التنفيذ فيتأخر فيه ساعة أو بعض ساعة، وهو يعلم أن الأوامر دائما مرتبطة بتوقيت خاص إذا لم تنفذ فيه فقدت فاعليتها، وضَلَّت عن أهدافها وغاياتها؟!

– ليس جنديا صادقا مخلصا من يتردد فى تنفيذ أوامر قيادته وإنما هو مرتكب لأخطاء عديدة بهذا التردد ، ومن هذه الأخطاء:

● تأخير التنفيذ وما يترتب عليه من تفويت المصالح التى صدر الأمر من أجلها، إنه يتراخى عن جلب مصلحة وعن دفع مضرة!!!

● وقد أخطأ فى حق قيادته إذْ افتات على حق أساسى للقيادة وهو طاعة الجنود لها فى كل أمر تصدره فى المعروف.

● وأخطأ فى حق نفسه إذ يعرضها بهذا التردد للمؤاخذة والحساب أمام الله تعالى يوم القيامة، وأمام قيادته وإخوانه.

● وأخطأ فى حق إخوانه إذ أخذ من دونهم موقفا مخالفا لمواقفهم فشَذَّ عنهم، ومعلوم لنا فى ديننا أن من شذ عن الجماعة شذ إلى النار، فقد روى الترمذى بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله لا يجمع أمتى – أو قال أمة محمد – على ضلالة، ويد الله على الجماعة، ومنْ شَذَّ شذ إلى النار».

وروى الترمذى بسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله وهو يخطب المسلمين بالجابية عن رسول الله ﷺ قال: « .. عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة ، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، مَنْ أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة».

فلا يجوز للجندى الصادق المجاهد أن يقابل أوامر قيادته بأدنى تردد.

والصفة الثالثة:

التى يجب أن يخلو منها تقبل الجندى لأوامر قيادته هى:

انتقاص الأوامر عندما تصدر إليه: بمعنى أن ينفذ جزءاً منها، ويدع جزءاً، فيرتكب بذلك نفس الأخطاء التى ارتكبها المتردد أو المجادل، بل يضاف إليها خطأ آخر هو أن هذا الجندى عندما انتقص الأمر أعطى نفسه من الحق ومن السلطة ما ليس له، فأقام من نفسه قاضيا

يفصل في أوامر القيادة فيجيز لهذا الجزء من الأمر أن ينفذ ولذلك الجزء ألا ينفذ ، وتلك غفلة منه تؤدى به إلى الغرور.

– و نستطيع أن نطرح على هذا الجندى عددا من الأسئلة توقظه من غفوته وتخرجه من غفلته إذا تدبر فيها وهى :

- بأى كتاب أم بأية سنة سَوَّغْت لنفسك أن تنتقص أوامر القيادة فتؤدى بعضها دون بعض؟
- وهل فاضلت بين هذه الأوامر، فنفذت الفاضل منها وتركت المفضول؟ وكيف تيسر لك ذلك وبأى حق؟
- وماذا تركت للقيادة من حرية اتخاذ قرار وإصدار أمر؟
- وهل شعرت وأنت تنتقص الأمر أن هذا أنفع للدعوة؟ أم شعرت أنه أنفع لك شخصيا؟
- وهل لك أن تُدْخِل منفعتك الشخصية فى موازاة المنفعة العامة للدعوة؟ من أين جئت بهذا الفقه؟ وعلى أى شيخ تربيت؟

وما معنى الجندية الصادقة وما واجباتها، إذا كان الجندى له أن ينتقص أوامر قيادته؟

والصفة الرابعة:

التى يجب أن يخلو منها موقف الجندى من أوامر القيادة هى : التحوير لأوامر القيادة.

والتحوير : هو التغيير أو التبديل لأوامر القيادة، وهذا التحوير يصرف الأوامر عن غاياتها وأهدافها ، أو فيه تحميل الأوامر ما لا تحتمل، ومعنى ذلك أن أوامر القيادة ليس لها عند الجندى ما يجب أن يكون لها من احترام وتقدير.

- والجندى عندما يُحَوِّر أوامر القيادة يقع فى نفس الأخطاء التى وقع فيها المجادل والمتردد والمنتقص من أوامر القيادة،ويضاف إلى هذه الأخطاء أن هذا الجندى المحوّر لأوامر القيادة أعطى لنفسه حقا لا يمكن أن يكون له أبدا، لأن التحوير والتبديل من حق القيادة وحدها بعد الحوار والشورى، فهو حق جماعى لا فردى، وحق قيادة لاحق جندى.
- فإن كان المحوِّر يلجأ إلى ذلك لهوى شخصى فهو آثم حسابه على الله تعالى.
- وإن كان يحوّر من أجل إحداث فتنة فى الصف نتيجة للاضطراب والخلل الذى أحدثه تحويره، فتلك مصيبة كبرى بل خيانة لا تصدر إلا من عدو، وما أظن أن فى الصفوف من يرغب فى ذلك، فإن كان فقد وجب خلعه والاحتياط منه، والصبر عليه حتى يهديه الله

ويصلح حاله، وما هو بجندى فى صفوف الدعوة إلى الله وهو بهذه الصفات.

● إنَّ أى جندى يحاول أن يحوّر أوامر القيادة دون أن يلجأ إلى القنوات الشرعية فى التحوير والتغيير، ظالم لنفسه ظالم لقيادته ظالم لإخواته ظالم لدعوته، وهو بهذا يجعل كل من يعرفه يشك فى إخلاصه ويرتاب فى جنديته.

وبعد:

فتلك هى الصفات الأربعة التى يجب أن يخلو منها موقف الجندى من أوامر القيادة: الجدل والتردد والانتقاص والتحوير، فإن خلا منها موقفه، فقد كان جندى عقيدة حقا وكان من الصادقين المجاهدين الذين تحدث إليهم الإمام البنا فى هذه الرسالة الجامعة «رسالة التعاليم».

وبالابتعاد عن هذه الصفات تصبح أوامر القيادة قاطعة لا يدخل عليها الجندى شيئا من هذه الصفات.

ثانيا:

تقديم النصيحة للقيادة وتنبهها إلى الصواب

من واجب الجندى نحو قيادته أن يقدم النصيحة لقيادته، كلما أتيح له أن يقدم نصيحة يراها جديرة بالنظر فيها، لما تتضمنه من فائدة تعود على الدعوة إلى الله.

● ومن نافلة القول أن نقول: إن النصيحة واجب شرعى، موجهين ذلك إلى جندى فى صفوف العاملين من أجل الإسلام، فهو على وجه اليقين يعلم هذا علم اليقين. ولكنها قضية التذكير، والتذكير بالحق وبالخير نافع للمسلمين على كل حال.

– فمن المعروف للمسلمين أن النصيحة واجبة شرعا لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم، وأنها تقدم إليهم طلبوها أو لم يطلبوها، وسواء أكان مقدم النصيحة يعلم أنه سيؤخذ بنصيحته أم لا يؤخذ بها.

– والنصيحة – كما نعرف – هى: قول فيه دعوة إلى الصلاح أونهى عن الفساد، إرشاد إلى الحق والصواب أو تحذير من الباطل والخطأ.

– والنصيحة واجب على المسلم نحو أخيه المسلم، ولكنها فى الوقت نفسه حق للمسلم على أخيه المسلم أيًّا كان موقع الناصح أو المنصوح.

– والنصيحة تقدم إلى كل منصوح لكن بما يليق بمكانه ومكانته وفى الوقت المناسب والمكان المناسب وبالأسلوب المشروع وبشروطها وآدابها التى سنشير إلى بعضها فيما بعد.

● وقد نبهنا فيما مضى من هذا الكتاب إلى أن الجندى يجب أن يتلقى أوامر قيادته على أنها طاعة لله ولرسوله ولقيادته، ولذلك وجب أن يخلو تلقيه لهذه الأوامر من الجدل والتردد والانتقاص والتحوير، ونقول هنا:

إن الجندى – وهو يتلقى أوامر قيادته – إن حاك فى صدره شيء –أدنى شيء– فى هذه الأوامر مضمونها أو شكلها، توقيتها أو مكان القيام بها أو أشخاص القائمين بها وجب عليه أن يبادر إلى تقديم النصيحة فى ذلك إلى قيادته، ليبرئ ذمته من إثم السكوت عن النصيحة، ويعطى قيادته حقها فى أن تُنَبَّه أو تُنْصَح.

● ونذكر هنا بما وعدنا التذكير به من شروط النصيحة وآدابها، والذكرى تنفع المؤمنين:

– يجب أن تكون النصيحة فى السِّرّ لا فى العلن، وأن تقدم للمنصوح وهو منفرد عن الآخرين، فإن قدمت إليه أمام أحد فهى فضيحة لا نصيحة، ولا يجوز ذلك شرعا كما أوضحنا ذلك فيما مضى من هذا الكتاب.

– ويجب أن يصاحبها ويصاحب تقديمها الإخلاص وحسن النية والرغبة الصادقة فى الإصلاح، وفى مقاومة الفساد.

– ويجب أن تكون فى لغة رقيقة رفيقة إذ الرفق خلق الإسلام، وألا تتضمن لفظا جارحا أو معنى فيه تورية وغمز ونحوه.

– وأن يكون المحرك لها هو الحب، حب الناصح للمنصوح وحرصه على أن يجنبه ما لا يحبه لنفسه، ومع هذا الحب يجب أن تكن المصلحة العامة للدعوة إلى الله هدفا لهذه النصيحة.

● ومن المسَلَّم به عند المسلمين أن كل ابن آدم خطاء، وأن العصمة من الخطأ ليست إلا للأنبياء وعلى رأسهم خاتمهم محمد ﷺ.

● ومن المسلم به فى مجال العمل فى الدعوة إلى الله أن أوامر القيادة ليست معصومة من الخطأ أو من مخالفة الأولى، لأن القيادة من البشر، وكل البشر يخطئون ويصيبون، واحتمال الخطأ فى أوامر القيادة وارد على الرغم من اتباع الشورى منهجا فى اتخاذ القرار.

– وعندئذ يكون واجب الجندى أن ينبه إلى الصواب وأن يوجه النصيحة فيما يرى أنه خطأ. يكتفى بالتنبيه ولا يتجاوزه إلى الإلحاح أو الإصرار على الأخذ بما نبه إليه أو نصح به.

– والخطأ الوارد فى أوامر القيادة لايمكن أن يتضمن معصية لله تعالى، ولا أمراً بمنكر، ولا نهيا عن معروف، وإنما قصاراه أن يكون خطأ فى بعض الأمور الاجتهادية مثل:

● الخطأ فى توقيت إصدار الأوامر، بحيث يكون الأصوب التبكير بإصدارها، حرصا على الوصول إلى الزمن الأمثل فى إصدار القرار.

وعندئذ يجب تقديم النصيحة والتنبيه إلى الصواب فى هذا التوقيت.

● وقد يكون الخطأ فى مكان إصدار الأمر أو القرار، فما يصلح فى مكان قد لا يصلح فى مكان آخر، وهنا يجب أن ينبه الجندى وينصح.

● وقد يكون الخطأ فى أن الأوامر مجملة غامضة تحتمل أكثر من تفسير، لأنها لم تُصغ الصياغة الواضحة الدقيقة المفصلة التى تزيل اللبس والإبهام.

وهنا يجب على الجندى أن ينبه وينصح بما يحتاج إليه هو وأمثاله من التفسيرات والشروح.

● وقد يكون الخطأ فى إسناد تبليغ الأوامر لرجل غير دقيق فى التبليغ، أو لغير حكيم رفيق، فمن كان غير دقيق بلغ بعض ما لم يؤمر بتبليغه أو أهمل ما أمر بتبليغه.

ومن كان غير حكيم رفيق كان مُنَفِّرًا للناس، بل صارفًا لهم عن تلقى الأوامر تلقيا حسنا مشمولا بالتنفيذ.

– ومن هذه الأخطاء وأمثالها تبدو أوامر القيادة كما لو كانت خالية من روح الإسلام وأدبياته، فتجد من يتحداها ويقف ضدها – أو على أقل تقدير تجد من لا يتحمس لأدائها – وفى كل تلك الأحوال فإن الموقف الصحيح هو أن ينبه من أَحَسَّ بهذه الأخطاء وينصح، ويتوقف عند حد التنبيه والنصيحة لا يتجاوزهما إلى الحديث عن ذلك مع الآخرين، فضلا عن التشهير والنقد للقيادة، إذ لو فعل هذا التجاوز لكان من الآثمين.

● ونرجو أن نختم هذه النقطة الثالثة – أو السؤال الثالث الذى طرحه الإمام البنا على الجندى ليعرف به الأسباب التى تقربه إلى قائده، وتجعله يطمئن إلى كفاءته وإخلاصه – نختم ذلك بسؤال نطرحه على الجندى حينما تَرِدُ إليه أوامر القيادة فيجد نفسه غير قادر

على تنفيذها لأنها فوق طاقته وإمكاناته.. هل يرفض هذه الأوامر متعللا بقوله تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

والجواب: لا، وإنما يبحث فى هذه الأوامر عما يستطيع تنفيذه فينفذه، ويدع ما لا يستطيع لأن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها، ولقد هدانا إلى هذا الفقه رسولنا ﷺ، كأنه كان يعرف ما قد يحدث من بعض المسلمين، فقد روى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم...».

والنقطة الرابعة:

توقير الجندى للقيادة بأن يفرض فى نفسه الخطأ وفى القيادة الصواب عندما تتعارض أوامر القيادة مع ما تعلم الجندى من المسائل الاجتهادية.

- على كل جندى يعمل فى الدعوة إلى الله أن يسأل نفسه: هل هو مستعد لأن يفرض فى نفسه الخطأ وفى قيادته الصواب؟

ليس دائما عندما تتعارض أوامر القيادة شكلا أو موضوعا مع ما تعلمه الجندى- وهو يُعَدّ

- فى مرحلة التكوين قبل أن ينتقل إلى مرحلة التنفيذ التى هو فيها والتى سمى فيها بالأخ الصادق المجاهد - من المسائل الاجتهادية التى لم يرد فيها نص شرعى.

عند هذا التعارض، فإن حق القيادة عليه أن يفترض فى رأيها الصواب وفى رأيه هو الخطأ، هذا حق القيادة، وهو فى الوقت نفسه واجب الجندى.

وهذا الأدب أو ذلك الخلق يتطلب من جندى العقيدة الصادق المجاهد موقفين، يؤكد بهما حسن جنديته، ومدى التزامه لأدبيَّات العمل فى الدعوة إلى الله، على النحو التالى:

أولاً:

أن يفترض فى نفسه الخطأ خصوصا، وفى قيادته الصواب عموما.

- ولهذا الافتراض مبرر منطقى؛ هو أن الجندى يعبِّر عن رأيه الشخصى، فى حين تعبر القيادة عن رأى جماعى، وبالضرورة لابد أن يكون رأى الجماعة أصوب من رأى الفرد، وأن يكون رأى الفرد أكثر تعرضا للخطأ من رأى القيادة.

- وله مبرر آخر يقضى به العقل أيضا، وهو أن الجندى يتكون رأيه من خلال رؤيته الشخصية فى حين يتكون رأى القيادة من خلال الحوار والشورى والاستماع إلى الرأى الآخر، وفى

هذا الفرق بين الرأيين ما يجعل الجندى يبادر إلى اتهام رأيه بالخطأ، ويرى أن رأى قيادته هو الصواب.

– والجندى الذى يفترض فى نفسه الخطأ وفى قيادته الصواب، يؤكد أنه على صفات حسنة مطلوبة فى الجندى هى:

السماحة والتسامح،

وسعة الأفق والكياسة،

والبعد عن ثورة الانفعالات.

وكل هذه من الصفات المحببة فى المؤمن، فقد روى أحمد بسنده عن شداد بن أوس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الكَيِّس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله».

● وإنما يأخذ الجندى الصادق هذا الموقف ويتهم نفسه لا قيادته عند الاختلاف فى الأوامر المجملة أو الغامضة عند تفسيرها أو تفصيلها، فما حكم هذا الاختلاف وما مدى ما يكون فيه بين المسلمين أو بين الجندى وقائده؟

– أما حكمه: فإن كان فى الفروع والتفصيلات فجائز بل لا بأس به لما يترتب عليه من إنضاج الرأى بالرأى، والتفاضل بين الحجة والحجة. وإن كان الاختلاف فى الأصول والثوابت من شئون العقيدة والعبادة والقيم الخلقية فلا يجوز.

وأما مدى هذا الاختلاف، فما دام فى الفروع والتفضيلات، فليس له حد يقف عنده وإنما يتسع مداه إلى كل مجال يكون الاختلاف فيه بين وجهات النظر مفيداً للمسلمين.

– وسعة هذا المدَىَ من رحمة الله تعالى بالمسلمين ومن دلائل مرونة هذا الدين وسعته وتقبله لكثير من المتغيرات والمستجدات، ولنا على ذلك دليل فيما رواه الإمام أحمد بسنده عن عائشة رضى الله عنها عندما سألها رجل قائلاً: هل كان رسول الله ﷺ يرفع صوته من الليل إذا قرأ؟ قالت: نعم، ربما رفع صوته وربما خفض، قال: الحمد لله الذى جعل فى الدين سعة. ثم سألها: هل كان يوتر من أول الليل؟ قالت: نعم، وربما أوتر فى آخره. قال: الحمد لله الذى جعل فى الدين سعة. فأقرته أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها على تعليقه على عمل رسول الله ﷺ بقوله: الحمد لله الذى جعل فى الدين سَعَة، ولم تنكر عليه ذلك ولا عدلته له، بما يؤكد مرونة الدين وسعته.

– وربما كان الخلاف حول أوامر القيادة والجندى فيما هو أقل من ذلك كتوقيت عمل، أو

اختيار من يقوم به، أو كان في وجهة نظر سياسية مما يكثر فيها اختلاف وجهات النظر، فعند وقوع مثل ذلك من الاختلافات، فإن الجندى الصادق جندى العقيدة يبادر إلى اتهام نفسه لا قيادته ويُخطئ رأيه لا رأى قيادته ، فإن اتهم قيادته لانفسه، وخطأ رأيها لا رأيه فقد ارتكب أخطاء عديدة أوضحناها آنفا.

● ولابد لنا أن نتساءل قائلين:

مَنْ ذلك الجندى الذى يرى نفسه على صواب ويرى قيادته على خطأ؟

وفى أى مدرسة من مدارس الدعوة إلى الله تربَّى؟

وعلى يد أى شيوخها لُقِّن وتعلم؟

وما الأسباب التى جعلته يفعل ذلك ويستمر عليه حتى بلوغ مرحلة التنفيذ؟

وأين الخلل الذى أدى به إلى ذلك؟ أفى المدرسة أم فى الشيخ أم فى أسباب أخرى؟

وهذه التساؤلات هدفها البحث عن العلاج لهذا الجندى المتسلل إلى غير مكانه الذى اجتاز مرحلتى التعريف والتكوين دون أهلية ودون توثيق صحيح.

– إن أدب الاختلاف عند أئمتنا رحمهم الله – أبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد أئمة المذاهب – أن كل واحد منهم كان يقول : رأيى صواب يحتمل الخطأ، ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب!!! يقولون ذلك وهم أئمة الدين وفقهاؤه، فما بال من سواهم من المسلمين؟

– وربما احتدم الخلاف بين اثنين منهم واشتد، فلا يتجاوز الأمر بينهما هذه المقولة، فلا يخطِّئ مخالفه تخطيئا مطلقا، ولا يصوّب رأى نفسه تصويبا مطلقا، وإنما يدع الاحتمال فى الخطأ والصواب قائما وحاكما.

وهذه المواقف منهم – رحمهم الله – تدل على عظمة نفوسهم وعلى رجاحة عقولهم وعلى حسن تقديرهم لقرنائهم من العلماء ، وتؤكد إمامتهم فى الدين.

ثـانياً:

أن يراجع الجندى نفسه فيما تَعَلَّمه وعُلِّمه من المسائل الاجتهادية التى لم يرد فيها نص شرعى.

– عليه أن يستحضر فى ذهنه هذه المسائل التى لابد أن يكون قد عُلِّمها، ويعرض أوامر

القيادة الصادرة إليه على تلك المسائل ويقارن ويناظر، فإن كانت أوامر القيادة تنتمى إلى هذه المسائل أو أمثالها حمد الله على ذلك وعرف بدقة حجم هذه الاختلافات وآثارها وأبعادها، ثم عليه أن يعود فيتهم نفسه بالخطأ ويصف أوامر قيادته بالصواب.

● ولقد أكدَّ هذه المعانى الإمام البنا عليه رحمة الله فى الركن الأول من أركان البيعة: «ركن الفهم». ونص على ذلك فى الأصل الخامس من الأصول العشرين التى ينبغى أن يفهم من خلالها الإسلام كله، حيث يقول فى هذا الأصل: «ورأى الإمام أو نائبه فيما لا نص فيه، وفيما يحتمل وجوهاً عِدَّة، وفى المصالح المرسلة؛ معمول به ما لم يصطدم بقاعدة شرعية، وقد يتغير بحسب الظروف والعُرْف والعادات».

– فكيف يثور اختلاف بين جندى العقيدة وقائده فيما لا نص فيه أو فيما يحتمل وجوها عِدَّة أو فى المصالح المرسلة ونحوها من سد الذرائع والاستحسان؟

كيف يثور هذا الاختلاف مع التسليم بأن رأى الإمام أو نائبه – أى القيادة – معمول به ما لم يصطدم بقاعدة شرعية؟

كيف يثور هذا الاختلاف، وهو حول رأى قد يتغير بتغير الظروف والعرُف والعادات؟

● ويقول الإمام البنا رحمه الله فى الأصل السادس من الأصول العشرين للفهم: «وكل واحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم ﷺ، وكل ما جاء عن السلف رضوان الله عليهم – أنا أضيف هنا، وما جاء عن القيادة – موافقا للكتاب والسنة، قبلناه، وإلاَّ فكتاب الله وسنة رسوله ﷺ أولى بالاتباع، ولكنا لانعْرِض للأشخاص فيما اختلف فيه بطعن أو تجريح، ونكلُهم إلى نياتهم...».

– علام الاختلاف إذن، وأدب الاختلاف معروف فى الإسلام وحدوده، ومعالمه واضحة؟

– وعلام اتهام القيادة وأوامرها والأمور واضحة والقضايا محدودة، والطريق ذات معالم معروفة؟

– وعلام الاختلاف واتهام القيادة والإسلام يمنع من مجرد التعريض بمن كان معهم الاختلاف فضلا عن طعنهم وتجريحهم؟!!!

● ثم يحسم الإمام البنا رحمه الله مدى هذا الاختلاف الفقهى فى الفروع فقط فيقول فى الأصل الثامن من أصول الفهم: «الخلاف الفقهى فى الفروع لا يكون سببا للتفرق فى

الدين، ولا يؤدى إلى خصومه وبغضاء ، ولكل مجتهد أجره .

ولا مانع من التحقيق العلمى النزيه فى مسائل الخلاف، فى ظل الحب فى الله والتعاون على الوصول إلى الحقيقة، من غير أن يجر ذلك إلى المراء المذموم والتعصب » .

● ولابد لى هنا أن أذكر هذا الجندى التى يتردد فى اتهام نفسه، ويسرع فى اتهام قيادته عند اختلاف أوامر القيادة عما تَعلَّمه فى المسائل الاجتهادية . لابد أن أذكره بأدب الاختلاف فى الإسلام ليلتزمه عند اختلافه مع قيادته أو مع غيرها من إخوانه، فهو أدب عالٍ رفيع القدر والقيمة نقل فى تراثنا الدينى عن الصحابة رضوان الله عليهم وعن التابعين وأهل القرون الثلاثة الأولى؛ خير القرون.

فأقول :

إن الخلاف الفقهى فى الفروع وارد بين المسلمين عموماً قادة وجنداً وعلماء وفقهاء ومفسرين للقرآن الكريم ومحدِّثين عن رسول الله ﷺ، وذلك كله غير ذميم إذا التُزم فيه أدب الإسلام فى الاختلاف . وإنما الذميم بل الحرام هو ما يصدر عن بعض المختلفين من تجريح واتهام لمن اختلفوا معهم دون أن يقوم على تجريحهم واتهامهم دليل أو برهان .

فما أدب هذا الاختلاف فى الفروع؟

١- ألا يكون هذا الاختلاف سببا فى التفرق فى الدين، لأن هذا التفرق يؤدى إلى التنازع والتخاصم والشقاق، بل الحروب والكروب فى بعض الأحيان .

وكيف ذلك أو شيء منه والله تعالى يقول : ﴿ **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [الأنفال : ٤٦] .

٢- وعلى المسلمين أن يحترم كل منهم رأى من اجتهد فى أمر من أمور الدين التى لم يرد فيها نص شرعى، مهما أخطأ فى اجتهاده لأنه مأجور عند خطئه ويثاب مرتين إن أصاب فى اجتهاده، فكيف يخاصم وينازع ويعادى ويبغض وهو مأجور عند الله تعالى؟

٣- وعلى المسلمين أن يتسامحوا فيما اختلفوا فيه من فروع، وهذا التسامح لا يمنع من قيام بعض علماء المسلمين بالتحقيق العلمى النزيه فى المسائل المختلف فيها، على أن يكون رائد المحققين من العلماء هو الحب فى الله والتعاون فيما بينهم من أجل إظهار الحقيقة، والدعوة إلى الالتزام بها .

٤- وترك المراء والجدل العقيم الذى يستهدف غلبة الخصم والظهور عليه، فى أى مسألة خلافية من الفروع، لما يعرفه المسلمون عن المراء وسوء أثره فى الممارى ، فقد روى الدارمى بسنده قال: كان مسلم بن يسار يقول: «إياكم والمراء فإنها ساعة جهل العالِم، وبها يبتغى الشيطان زلته».

٥- ولا يجوز أن يجر الخلاف بين المسلمين فى الفروع إلى التعصب؛ أى أن يتعصب كل فريق لرأى يراه، فإن التعصب دائما يعمى عن الحق.

ولنا فى أسلافنا رحمهم الله وتاريخهم المشهود والمشهور ما ينفرنا من التعصب وآثاره الوخيمة.

- ولابد لى كذلك من ضرب أمثلة فى بعض المسائل الاجتهادية فى مجال العمل فى الدعوة إلى الله ، ليكون القائد والجندى كلاهما على بصيرة من أمره، وعلى علم وفقه بما يفعل عند وقوع هذا الاختلاف فى الأمور الفرعية، وأنا على يقين بأن كلا منهما يحاول الوصول إلى الحق والاهتداء إلى الصواب - ولا أزكى على الله أحدا وإنما أحسبهما كذلك - والله تعالى يقول الحق ويهدى إلى الصراط، وذلك فيما يلى:

ثالثا:

نماذج من المسائل الاجتهادية:

من هذه المسائل الاجتهادية التى تتحمل الاختلاف دون أن يؤدى الاختلاف فيها إلى فرقة وشقاق ما نسوق بعضه فيما يلى:

أ - مسألة التوثيق أو التضعيف للعاملين فى الصفوف:

- يرى بعض العاملين فى مجال الدعوة إلى الله أن انقضاء المدى الزمنى للعامل فى إحدى المراحل شرط جوهرى لجواز انتقاله إلى المرحلة التى تليها، بالإضافة إلى وجوب أن يكون قد استوعب متطلبات المرحلة وأنجزها بنجاح وفق اختبار واختيار وترشيح، ثم توثيق حتى ينتقل إلى المرحلة التالية.

- ويرى بعضهم أن انقضاء المدى الزمنى على العاملين فى إحدى المراحل مع انجازهم لمتطلباتها يعد بمثابة توثيق لهم، يتيح لهم أن ينتقلوا إلى المرحلة التالية.

فالخلاف بين هؤلاء وأولئك على التوثيق: هل هو عمل مستقل بذاته وله صفاته الخاصة ودلائله التى ترشح له، أم أنه عمل يكفى فيه اجتياز المرحلة والنجاح فى استيعاب متطلباتها؟

● وقد أشاروا إلى هذه الدلائل التى تؤهل للترشيح من أجل التوثيق فيما يلى:

١- قيام دلائل على الإخلاص فى العمل والتفانى فيه والتحمس لأدائه، والتضحية من أجله بالجهد والوقت والمال، والطاعة والثبات والتجرد، لكى يرشح فيوثق فينتقل.

٢- ووجود دلائل على الكفاءة والإجادة للعمل فى المرحلة التى هو فيها، إجادة مبنية على الفهم والعمل والجهاد، لا على مجرد ممارسة العمل.

٣- ووجود دلائل على عمق الفهم للأخوة فى الدين ما لها وما عليها، بحيث يكون لديه التزام بواجبات الأخوة فى الله لكى يمارس حقوقه فيها، وذلك أن كل مرحلة تالية تحتاج إلى أخوة أعمق وأكبر من سابقتها(١).

٤- وتوفر دلائل قوية على نقاء صفحات عمله فى الدعوة إلى الله فى المرحلة التى هو فيها، دون شوائب من كسل أو تراخ أو عدم اهتمام، أو تقديم مصلحته الشخصية على مصلحة العمل دون استشارة قيادته.

فمن وجدت فى صفحاته هذه الشوائب بقى فى مرحلته حتى تنقى صفحاته بمضاعفة الجهد والعمل الصالح الذى يجبر ما كان فى صفحاته من شوائب.

وغير ذلك من الدلائل التى تؤهله إلى أن يرشح إلى المرحلة التالية لمرحلته.

● فإن لم تقم هذه الدلائل فلا يرشح وبالتالى يوثق ولا ينتقل، وحسبه أن يبقى فى مرحلته التى هو فيها حتى يزداد نضجا وقدرة على الفهم والإخلاص والعمل والجهاد والتضحية.. إلخ.

● وإذن فهما مدرستان فى التوثيق، وكل منهما تجتهد فى تصور ما يعتبر أسبابا لترشيحه ثم توثيقه، وفى هذا الاجتهاد فى تلك المدرسة أو تلك، لا نستطيع أن نقول: إن إحداهما متساهلة والأخرى متشددة، فلكل منهما مبررات لما ذهبت إليه، فهل يجوز أن يؤدى

---

(١) انظر: ركن الأخوة، الركن التاسع من هذه السلسلة. نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م - وهو غير كتاب: فقه الأخوة فى الإسلام. لنا أيضا.

الاختلاف بين هاتين المدرستين إلى حدوث شقاق ونزاع وفرقة؟ اللهم لا.

ب ـ مسألة التصعيد إلى أى عمل قيادى:

— ترى طائفة من فقهاء الدعوة إلى الله أن للقائد — أى قائد — صفات عديدة بعضها يمكن اكتسابه، كما أوضحت ذلك وثائق الجماعة، وكل هذه الصفات لابد أن تتوفر فيمن يتحمل أى مسئولية قيادية ليرشح ثم يوثق ثم ينتقل إلى تسلم أى عمل قيادى، مع التأكيد على أن كل عمل قيادى يحتاج إلى صفات تخص هذا العمل بعينه(١).

وترى هذه الطائفة ضرورة استكمال هذه الصفات، فإن تخلفت إحداهما بقى العامل فى مكانه حتى يستوفيها مهما طالت مدة بقائه فى مكانه.

وحجة هؤلاء أن القيادة — أى قيادة — تحمل على عاتقها أعباء الدعوة إلى الله فى مجالها، فلابد لهامن جدارة تتمثل فى اجتماع هذه الصفات، وكل تساهل فى شىء منها تعويق للعمل ومخالفة لفقه القيادة فى مجال الدعوة إلى الله.

— وترى طائفة أخرى من فقهاء الدعوة إلى الله، أن بعض هذه الصفات المكتسبة — لا الفطرية — يمكن أن تكتسب بعد التصعيد، وبعد تولى القيادى.

ويقولون فى تبرير اجتهادات مَنْ ينطوى اجتهاده على نوع من المرونة والتساهل النسبى: إننا لو اشترطنا استكمال جميع صفات القائد — وهى كثيرة — لاحتجنا إلى زمن أطول، وضاعت علينا فرصة ترشيح قيادات يحتاج العمل إليها، ويتأثر سلبا بفقدها، وفى هذا تعويق للعمل من جانب وتكثيف للأعباء الملقاة على عاتق من توفرت فيه الصفات من جانب آخر إذ سيُولىَّ أكثر من عمل قيادى، وفى ذلك ما فيه من السلبيات، وهذه المسألة بين هاتين الطائفتين من فقهاء الدعوة مسألة اجتهادية لو أُخذ برأى إحداهما فلن يكون ذلك الأخذ حراماً، ولكنه قد يخالف الأولى من وجهة نظر الآخرين.

● وبين الموازنات فى احتياجات العمل وأولويات العمل دائما تجاذبُ وجهات نظر أو تنافرُها، وشدٌ أو تراخ، ربما يصل إلى سوء تفاهم لكنه لن يصل إلى تفرق وخصام فهى مسائل اجتهادية فى قضايا فرعية، لا حرج على مجتهد فيما اجتهد فيه، وكيف يكون عليه حرج وهو مأجور من الله تعالى؟

---

(١) انظر لنا فى ذلك كتابنا: فقه الدعوة إلى الله، كتاب موسع من جزءين. الباب الخاص بفقه الدعاة إلى الله، نشر دار الوفاء بمصر ١٤١٠هـ — ١٩٨٩م.

ج – مسألة التعيين فى المجالس أو الانتخابات :

وهى مسألة فرعية اجتهادية، إذ الأصل أن كل من يمثل غيره فى مجلس من المجالس أن يكون قد حظى باختيار من سيمثلهم فى هذا المجلس أيا كان مستوى هذا المجلس.

غير أن العاملين فى مجال الدعوة إلى الله انقسموا فى هذه المسألة إلى فريقين:

– فريق يرى أن الترشيح لتمثيل آخرين وإجراء انتخاب لاختيار من يزكيه إخوانه ويرونه أهلا لأن يمثلهم هو الأصل الذى لا يجوز العدول عنه؛ إذ هو ممارسة عملية للشورى، ويخلو تماما من الافتيات على إرادة الناخبين بفرض واحد عليهم بالتعيين لم يختاروه وربما لا يعرفونه أصلا.

وهذه المجالس كثيرة ومتعددة المستويات وعلى جانب كبير من الأهمية؛ إذ هى التى ترسم سياسة العمل فى المرحلة أو فى المكان أو فى الدعوة إلى الله بعد الدراسة والاستشارة، وتلك شرعية فى منهج ديننا لا يمكن التقليل من شأنها أو استبدالها إلا عند ضرورة وفى ظروف نادرة.

ولهذا الفريق حجج وبراهين وشواهد من التاريخ ذات نَصَاعَةٍ وإقناع.

– وفريق آخر يرى أن التمثيل فى المجالس لابد أن يتم بعضه عن طريق التعيين والاختيار بالإضافة إلى من انتخبوا .

وحجة هؤلاء أن الانتخابات ربما لا تأتى بالكفاءات العلمية والفنية التى تحتاج إليها مجالات العمل فى الدعوة إلى الله، وذلك إن حدث ، خلل لا يُسَدُّ إلا بتعيين هذه الكفاءات التى يحتاج إليها العمل.

ولعل هذا الفريق متأثر فى رأيه هذا بما هو ذائع فى كثير من بلدان العالم الإسلامى التى تسيطر عليها حكومات مستبدة بالرأى لأنها عسكرية أو بوليسية محترفة فى مجال قمع الرأى الآخر واتهامه وتجريمه، وحرمان الناخبين من حقهم فى الاختيار، افتياتا من هذه الحكومات على مبدأ الشورى ومبدأ حقوق الإنسان التى أبسطها أن يعبر عن رأيه وعن اختياره.

وإذ تَبنَّت هذا التعيين حكومات ظالمة لتكون لها السلطة على المجالس، فليس من السائغ أن تأخذ بذلك طائفة من العاملين فى مجالات الدعوة إلى الله، أولئك الذين يدينون دين الحق وينهجون منهجه ويحترمون كافة حقوق الإنسان.

● إن العناصر التى تقول بهذا التعيين تحب الاستبداد بالرأى وتتأثر بالمعطيات السيئة التى تسود مجتمعاتهم، هذا رأى الفريق الأول فيهم ، ويضربون على ذلك عشرات الأمثال من أفراد عينوا فى بعض المجالس لا لكفاءتهم . ولكن لقربهم من بعض القادة، وهو نزاع نرجو أن يكون قد انتهى منذ زمن، وإن كنت لم أستطع التماس الشواهد والأدلة على انتهائه فى أوراق الجماعة ووثائقها التاريخية التى استطعت الوصول إليها .

● ولكنها – على الرغم من أهميتها – مسألة فرعية فى فقه السياسة العامة للدعوة إلى الله، ولكنها قذىً فى عيون كثيرين من العاملين فى الدعوة إلى الله، ومصدر قلق واضطراب فى نفوس عدد غير قليل من الطامحين إلى أن يعينوا ثم لم يعينوا، وسبب من أسباب إضعاف الشورى، ومصدر ضيق لكثير من العاملين فى مجالات الدعوة إلى الله ، حتى لقد قال بعضهم متندرا : إنه ما بقى على قيادات العمل الإسلامى إلا أن تزور الانتخابات كما تفعل كثير من الحكومات!!!

هذه أيضا مسألة اجتهادية فى تاريخ العمل فى الدعوة إلى الله، تقبل الرأى والرأى الآخر، وما يجوز لرأى أن يصادر الآخر، إنما يحاوره ويحاول إقناعه .

● وفى جميع الأحوال، وفى مختلف المسائل الاجتهادية ما ينبغى أن يصل اختلاف الرأى إلى فرقة أو انقسام، حتى تظل ثقة الجندى بالقائد قائمة لا تهتز ولا تتزعزع، وإنما واجب الجندى كما قلنا هو أن ينصح وينبه إلى الصواب .

والنقطة الخامسة :

والنقطة السادسة :

إخضاع الجندى ظروفه الحيوية الشخصية لتصرف الدعوة

وإعطاء القيادة حق الترجيح بين مصلحته الشخصية والمصلحة العامة للدعوة

وقد صاغ الإمام هذا الواجب على هيئة سؤال طرحه على الجندى الصادق المجاهد، ومن هذه الصيغة أخذنا العنوان لهاتين النقطتين .

وصيغة السؤال هى : « هل هو مستعد لوضع ظروفه الحيوية تحت تصرف الدعوة؟ وهل تملك تلك القيادة فى نظره حق الترجيح بين مصلحته الخاصة ومصلحة الدعوة العامة »؟

وعند نظرنا وتحليلنا لهذه النقطة أو هذا السؤال وجدناه متضمنا نقطتين اثنتين تترتب

الثانية منهما على الأولى ، فإذا كان الجندى على استعداد لهذه وتلك ، فذلك هو الجندى الصادق المجاهد الذى يثق فى قيادته، ويهيئ بثقته هذه للدعوة إلى الله أهم أسباب النجاح.

لذلك جعلنا هذا السؤال نقطتين اثنتين هما:

الخامسة والسادسة:

فالنقطة الخامسة:

إخضاع الجندى ظروفه الحيوية للدعوة وقيادتها.

الظروف الحيوية للإنسان هى الظروف المهمة فى حياته كظروفه الشخصية وظروفه الاجتماعية وظروفه العملية.

– ولا يكون الجندى جندى عقيدة صادقا مجاهدا إلا إذا وضع ظروفه الحيوية تحت إمرة القيادة تتصرف فيها بما تمليه عليها مصلحة الدعوة ، وذلك أن الجندى – على وجه الحقيقة – جزء من الدعوة لا تقوم الدعوة إلا به وبإخوانه ، كما أنه وإخوانه لا كيان لهم عند الله إلا بانتمائهم إلى هذه الدعوة. ولا يعد الجندى جزءا من الدعوة ينمو بنموها وينجح بنجاحها إلا إذا كان متجردا لها، منتميا إليها دون سواها فهى دعوة الله، فهو بانتمائه إليها ينتمى إلى الله عز وجل ويعد من أوليائه، وهذا شرف لا يطاوله شرف على الإطلاق.

– والجندى بتجرده لدعوته أو للإسلام الذى تمثله هذه الدعوة فكرا ومنهجا ونظام حياة ، لابد أن تتوفر فيه صفات ومظاهر تؤيد هذا التجرد، منها:

أ – الولاء للدعوة أى للإسلام:

وليس الولاء كلمة تقال أو شعارا يرفع ، أو دعوى تُدَّعَى، وإنما الولاء: إيمان وإسلام وخلق وسلوك.

– إيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، والتعبير عن ذلك بالعمل الصالح.

– وإسلام لله ولمنهجه، والتزام بما أمر وانتهاء عما نهى، وتطبيق لأركان الإسلام من نطق بالشهادتين وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً.

– والتزام بأخلاق الإسلام التى تمثلت فى أخلاق الرسول ﷺ.

– وعمل صالح وفق ما شرع الله ، وحب للناس وحب للخير للناس، وتعاون على البر والتقوى.

– وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر.

– وجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا.

– وإيثار للحق على الخلق:

هذا الولاء للدعوة أو للإسلام.

ب – البراء أو البراءة من الكفر والكفار والشياطين وأعداء الله تعالى:

ولهذا البراء دلائل ومظاهر منها:

– التبرؤ من غير الله تعالى، فهو سبحانه الإله الرب الخالق الرازق له الأسماء الحسنى والصفات العلى، ورفض التلقى عن غيره سبحانه وتعالى، تلقى أى منهج وأى نظام تقوم عليه الحياة الدنيا والحياة الآخرة.

– والتبرؤ من أعداء الله المشركين والكافرين الذين يعبدون مع الله إلها آخر أو آلهة أخرى.

– والتبرؤ من الكبائر والمعاصى وكل ما يغضب الله تعالى أو يخالف أمر ونهيه، وقد حرمها الله تعالى وأجملها فى هذه الكبائر العشر، ويحب بعض العلماء أن يسموها: «الوصايا العشر» وقد جمعتها ثلاث آيات من القرآن الكريم من سورة الأنعام هى: ﴿ **قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ .

[الآيات: ١٥١ –١٥٣].

وهذه الجرائم أو الكبائر أو المحرمات هى – كما جاءت فى الآيات الكريمة –:

١– الشرك بالله،

٢- وعقوق الوالدين،

٣- وقتل الأولاد بسبب الفقر أو خوفه،

٤- وإتيان الفواحش ما ظهر منها وما بطن،

٥- وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق،

٦- وأكل مال اليتيم إلا بالتى أحسن،

٧- وتطفيف الكيل وإخسار الميزان،

٨- وممارسة الجور فى القول أو فى الفعل والعمل،

٩- ونقض العهود والمواثيق،

١٠ - واتباع منهج غير منهج الله أو صراط غير صراطه،

- والتبرؤ من كل عصبية لقوم أو جنس أو أرض أو قبيلة أو عشيرة، التبرؤ من كل ذلك إذا اعتُبر بديلا عن الإسلام، لكن إن كان دعما للإسلام فلا بأس لكن بغير عصبية.

- والتبرؤ من التعصب للرأى والهوى وبخاصة أهواء الذين لا يعلمون.

- والتبرؤ من التعنت والتشدد فى الدين أو الغلو فيه.

- والتبرؤ من اليأس من روح الله ورحمته، أو فقد الأمل في تأييده ونصره مهما اشتدت المحنة، لأن اليأس من روح الله عمل الكافرين.

● هذا هو التجرد للدعوة إلى الله، ولاءً وبراءً على النحو الذى أوضحناه مجملا، وأين تكون المصلحة الخاصة لجندى العقيدة الصادق المجاهد مع هذا التجرد ولاءً وبراءً؟! إنها قطرة من بحر ودزة من جبل.

ولكن لا يطلب من الجندى أن يتجاهل مصلحته أو ظروفه الحيوية فإن الإسلام يقدر هذه الظروف ويحترمها ويدعو إلى العمل والسعى وإعمار الكون من أجلها ومن أجل المصلحة العامة للدعوة إلى الله.

● وليس الجندى فى الدعوة إلى الله مطالبا بألا يعمل من أجل مصلحته الخاصة، فهذا غير معقول وغير مقبول، لأن للإنسان حاجات ضرورية فى عيشه لا يحيا إلا بها بل له حاجات كمالية وأخرى تحسينية وكلها مما تقوم بها حياة الإنسان، وكلها قد طولب المسلم أن

يسعى في الأرض ويضرب في مناكبها من أجل أن يحقق لنفسه ولغيره من الناس حياة إنسانية كريمة ، ولكن في ظل الشرعية التي أحل الله فيها السعي في الحياة.

– فإذا تحقق لجندى العقيدة تأمين مصالحه الشخصية، كان عليه أن يعمل ما وسعه في تأمين حاجات العمل في الدعوة إلى الله، فإن حدث تعارض بين مصالحه الحيوية ومصالح الدعوة إلى الله تعالى فإنه يوازن ويلائم بين المصلحتين، ويحسب له عند الله أجر كبير إن هو غلب مصلحة الدعوة على مصالحه الحيوية، إذ هو في هذه الحالة في منزلة رفيعة عند الله هي منزلة الذين يوثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، وهي منزلة الأنصار رضى الله عنهم الذين قدموا إخوانهم المهاجرين على أنفسهم ولو كان بهم حاجة إلى ما قدموا ففازوا عند الله بالفلاح. قال الله تعالى: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [الحشر: ٩].

– وإذا جاء على جندى العقيدة وقت وجد فيه أن المطلوب منه هو أن يخضع مصالحه الحيوية للدعوة وقيادتها، فليس له أن يتوانى في ذلك أو يتراجع، وإنما يلتزم ويحتسب عند الله وله عنده الأجر العظيم.

على أن قيادة الدعوة لن تجور على مصالحه الحيوية أو تظلمه في حقٍّ هو له، فضلا عن أن تضيع مصالحه الحيوية؛ لأنها قيادة عمل إسلامي تحتكم إلى قيم هذا الدين العظيم ومنهجه ونظامه العادل الرحيم.

● ولنضرب لذلك مثلا أو نذكر أنموذجا:

قد يكون جندى هذه الدعوة يؤدى في حياته العملية عملا يوفر به، احتياجاته ويحقق من خلاله مصالحه الحيوية ضرورية وكمالية، ثم وجد نفسه لظرف أو آخر مطالبا بأن يقوم للدعوة إلى الله بعمل يحقق للدعوة أهدافا كبيرة، ورأت قيادته أن تختار له عملا آخر تفيد منه الدعوة إلى الله أولا، ثم ليستفيد منه هو أولا ليستفيد، عندئذ ليس لهذا الجندى إلا أن يُخضِع ظروفه الحيوية للدعوة وقيادتها، فيقبل هذا العمل الجديد، بل يخلص في أدائه ويعطيه من جهده ووقته ما وسعه متقربا بذلك إلى الله محتسبا أجره عنده متمثلا موقف الصديق رضى الله عنه عندما أتى بكل ماله في تجهيز جيش العسرة فسأله النبي ﷺ، ماذا تركت لأهلك؟ فقال: تركت لهم الله ورسوله. وعندئذ سوف تتولى قيادة الدعوة كفالته وذويه، لأن له على القيادة حق التكافل، والتكافل ضلع من مثلث: «التعارف والتفاهم

والتكافل» وهو ما تقوم عليه العلاقة الوثيقة بين العاملين فى الدعوة إلى الله، بل من خلال هذه الأضلاع الثلاثة تتولد الثقة المتبادلة بين العاملين فى الدعوة إلى الله وبينهم وبين قيادة الدعوة إلى الله.

- وربما كانت كفالة القيادة لهذا الجندى الصادق جزاء دنيويا هو من حقه، ولكنه الجزاء الأخروى عند الله تعالى أكبر من ذلك بكثير، إذْ ما ظننا بجندى أدى عملا جليلا وواجبا ضخما من أجل دعوته؟ فأتاح لها أن تشق طريقها بغيرمعوقات وأسهم إسهاما حقيقيا فى دفع موكب الدعوة إلى الله إلى الأمام!!!

إنه بهذا العمل جندى مخلص بل متجرد لدينه ودعوته، وجزاؤه عند الله هو أحسن الجزاء. إنه جزاء الله تعالى للمخلصين من عباده وحسبهم به جزاء.

- وهل تنجح الدعوات إلا بهؤلاء الجنود وأمثالهم؟
- وهل تنجح الدعوات إلا بهذه التضحيات؟
- وهل تنجح الدعوات إلا بهذه الطاعة؟
- وهل تنجح الدعوات إلا بهذا الإخلاص؟!!!
- وهل يدل على إخلاص الجنود وتجردهم لدعوتهم إلا هذه المواقف؟

والنقطة السادسة:

أن يعطى الجندى قيادته حق الترجيح بين مصلحته الخاصة ومصلحة الدعوة العامة.

- فهل يكون جندى العقيدة على استعداد لأن يعطى قيادته هذا الحق؟
- وهل يكون بذلك راضياً؟

– إذا كان الجواب: نعم، كان دليلا قاطعا على أن هذا الجندى مخلص صادق الإخلاص لدينه ولدعوته، والفضل لله والحمد له.

– وإذا كان الجواب: لا، كان هذا الجندى بحاجة إلى أن يستعيد تعلم أصول الدعوة إلى الله، وأركانها وأبعاد العمل فيها وأهدافها ووسائلها، وأسباب نجاحها والمعوقات التى قد تؤدى إلى فشل الجنود فى الفهم والإخلاص والعمل والجهاد والتضحية والطاعة والتجرد والثبات والأخوة والثقة... أى أن هذا الجندى بحاجة إلى أن يُسَكَّن فى مرحلة التعريف مع أنه تجاوز هذه المرحلة من سنوات وتخطى بعدها مرحلة التكوين!!!

إنه يحتاج إلى التأنى فى تعليمه وتربيته، ويحتاج إلى أن يُعتَنَى له بربط العمل بالعلم، ويحتاج إلى أن يُدَرَّب على فقه التضحية والطاعة، وليس هذا بصعب أو مستحيل، وما هو بكارثة فى مجال التربية، وإنما الكارثة فى تركِ هذا الجندى دون إعادة لكل ما علم ودون مراجعة لكل ما فقه وكل ما عمل.

- إن إعطاء الجندى قيادته حق الترجيح بين مصلحته الخاصة ومصلحة الدعوة العامة محك دقيق واختبار واعٍ لثقة الجندى فى قيادته؛ فإن أعطاها هذا الحق فقد نجح وفاز، وقدم لدعوته ولدينه ما يجب أن يقدمه.

- وإن عليه أن يتقبل قرار القيادة وهى ترجح.

- وإعطاء القيادة هذا الحق فى الترجيح بين المصالح الشخصية والمصالح العامة، له دليل فى القرآن الكريم، وفى سيرة الرسول ﷺ.

– أما فى القرآن الكريم فقوله تبارك وتعالى فى توضيح حق القيادة وتحديد بعاد هذا الحق: ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [النساء: ٦٥].

فهذه الآية الكريمة تنفى الإيمان عن فئات من المؤمنين هى:

– مَنْ لم يُحَكِّم رسول الله ﷺ فيما شجر بينه وبين غيره من خلاف أو تخاصم.

– ومَنْ حكَّمه ﷺ ولكنه لم يرض بحكمه.

– ومَنْ لم يُسَلِّم تسليما مطلقا بحكم رسول الله ﷺ.

وإذا نفى الإيمان انكشف النفاق أو الكفر، وكلاهما سبب لعقاب الله تعالى.

- وهذا الأصل فى الدين المأخوذ من هذه الآية الكريمة يجعلنا نقول مطمئنين: إن إعطاء القيادة فى العمل من أجل الإسلام حق الترجيح بين المصلحة الخاصة والمصلحة العامة حق أصيل لها، وواجب من واجبات الجندى الصادق فى الدعوة إلى الله.

– وأما فى السيرة النبوية فقد أقر رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضى الله عنه حينما قتل رجلا رفض حكم رسول الله ﷺ، فلو كان هذا الرافض لحكم رسول الله ﷺ مؤمنا ما قتله عمر رضى الله عنه، ولا أقره النبى ﷺ، ولا سكت عن قتله.

ولتلك الحادثة قصة رواها علماء أسباب نزول القرآن الكريم نذكرها للتدبر والتأمل

والمعرفة الصحيحة بهذا الدين العظيم:

- ذكر الواحدى عن الكلبى عن أبى صالح[1] عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: نزلت هذه الآية فى رجل من المنافقين كان بينه وبين يهودى خصومة، فقال اليهودى: انطلق بنا إلى محمد، وقال المنافق: بل نأتى كعب بن الأشرف - وهو الذى سماه الله الطاغوت - فأبى اليهودى إلا أن يخاصمه إلى رسول الله ﷺ، فلما رأى المنافق ذلك أتى معه إلى رسول الله ﷺ، فاختصما إليه، فقضى رسول الله ﷺ لليهودى، فلما خرجا من عنده لامه المنافق وقال: ننطلق إلى عمر بن الخطاب، فأقبلا إلى عمر - رضى الله عنه - فقال اليهودى: اختصمنا أنا وهذا إلى محمد - ﷺ - فقضى عليه، فلم يرض بقضائه، وزعم أنه مخاصم إليك وتعلق بى فجئت إليك معه.

فقال عمر - رضى الله عنه - للمنافق: أكذلك؟ قال: نعم، فقال لهما: رويداً حتى أخرج إليكما، فدخل عمر وأخذ السيف فاشتمل عليه - أى تقلده - ثم خرج إليهما، وضرب به المنافق حتى بَرَد، وقال: هكذا أقضى لمن لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله ﷺ.

ونزلت هذه الآية: ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [النساء: ٦٥].

- هذا هو الأصل الذى أُخِذَ منه إعطاء الجندى قيادته حق الترجيح بين مصلحته الخاصة ومصلحة الدعوة العامة.

- وهنا نقطة بالغة الأهمية فى المقارنة بين رفض حكم الرسول ﷺ، ورفض إعطاء القيادة حق الترجيح بين المصالح الخاصة للجنود والمصالح العامة للدعوة.

- ذلك أن رفض حكم رسول الله ﷺ أو رفض التحاكم إليه نفى للإيمان عن هذا الرافض، وذلك كفر صراح لأن الرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى، ولأن كل ما يحكم به أو يأمر به أو ينهى عنه يجب قبوله والعمل به بنص القرآن الكريم، فقد قال الله تعالى فى شأن محمد ﷺ: ﴿ **مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ** ﴾ [النجم: ٢-٤]. وقال جل شأنه: ﴿ ... **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ [الحشر: ٧].

---

(١) هو أبو صالح السمان، اسمه ذكوان، تابعى من أهل المدينة المنورة، أخذ عن عدد من الصحابة منهم عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما. توفى أبو صالح سنة ١٠١هـ بالكوفة وهو من الثقات.

- أما رفض إعطاء القيادة حق الترجيح بين المصالح الخاصة للجنود والمصالح العامة للدعوة، فلا ينفى الإيمان، ولا يدخل فى الكفر، وإنما يدل على نقص فى الولاء للدعوة وللعمل من أجل الإسلام، كما يدل على سوء تقديره للقيادة، بإغماطها حقها فى الطاعة وحقها فى هذا الترجيح، ويدل على عدم نضج الجندى وقصور فى علمه وثقافته، وسوء فقهه للدعوة وما يوجبه عليه هذا الفقه من تعامل مع قيادته.

- ثم فى موقف الجندى نفسه فى العمل، فالجندى الذى لا يعطى القيادة حقها فى الترجيح يقدم الدليل على أنه صُعِّد إلى مكان لا يستحقه لأنه لم يكتمل نضجه ليبلغ هذا المكان، ولا روعيت أهليته قبل تصعيده.

- ثم فى موقف الجندى بمن صعدوه إلى هذا المكان، فهم بغير شك فى غفلة عن الشروط والآداب، وفى ذهول عن أصول التوثيق، إن مكان هذا الجندى فى مرحلة التنفيذ موصوفا فيها بأنه من الصادقين المجاهدين يدل على خلل عظيم فى الترشيح والتوثيق والتصعيد، وكل ذلك من الخلل الشائن فى كل من شارك فى ترشيحه أو توثيقه وتصعيده، خلل يجب أن يُتلافَى فى أقصر زمن.

- ثم فى موقف الجندى نفسه، حيث أساء إلى نفسه فوق إساءته إل قيادته ودعوته، وهذه الإساءة إلى النفس تتمثل فى أنه أوقع نفسه فى مآزق ومحاذير ما كان أغناه عنها، ومن ذلك:

- أنه حرم نفسه من المعين القادر على نظرة حيادية موضوعية ليرجح له بين مصالحه الشخصية والمصالح العامة للدعوة.
- وأنه انفرد بهذا الترجيح، وما يتوقع منه مع هذا الانفراد إلا أن يرجح مصلحته الخاصة على المصلحة العامة للدعوة.
- وأنه أعطى الشيطان فرصة لينفرد به لأن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، فلابد أن يزين له مصلحته الخاصة على أى مصلحة.
- وأنه بحرمانه قيادته من حق الترجيح بين مصلحته الخاصة ومصلحة الدعوة العامة قد انتكس فى مجال الجندية وفى مجال الأخوة، وفى مجال فقه الدعوة عموما، وفقه المرحلة التى هو فيها على وجه الخصوص.
- ولابد أن نشير هنا إلى أن ذلك الجندى الذى حرم قيادته من حقها فى الترجيح بين

المصالح الخاصة للجنود والمصالح العامة للدعوة، ليس أهلاً لأن توجه إليه رسالة التعاليم التى شرحناها فى هذه الكتب العشرة، وبينما فيها موقف الإمام البنا من فقه الإصلاح والتجديد، لأن هذه الرسالة تقوم على عشرة أركان لم يعترف بها هذا الجندى، ولم يبايع عليها ولم يلتزم بها.

١ - فهذه الرسالة الجامعة تقوم على: الفهم.

- فهم الإسلام أركانه وشروطه وآدابه، وفهم ظروف العمل فى الدعوة إلى الله، وما يتطلبه ذلك من صفات روحية وخلقية وعقلية وفقهية وانضباطية فى كل من يحظى بعضوية هذه المرحلة المتقدمة من مراحل الدعوة إلى الله.

وفهم حقوق القيادة فى الدعوة إلى الله من حب واحترام وتقدير وثقة، وأبسط هذه الحقوق أن تعطى هذه القيادة حقها فى الترجيح بين المصالح الخاصة والمصلحة العامة للدعوة.

٢ - وتقوم هذه الرسالة على: الإخلاص.

الإخلاص لله ولدينه ومنهجه وكتابه ورسوله فى كل كلام أو صمت، وفى كل عمل أو ترك.

وعن صميم الإخلاص إخلاص الجندى لقيادته وإخوانه، ومن أبسط أنواع الإخلاص للقيادة التسليم لها بحقها فى الترجيح بين المصالح الخاصة والمصالح العامة للدعوة إلى الله.

٣ - وتقوم هذه الرسالة على: العمل.

- العمل الذى هو ثمرة الفهم والإخلاص، والذى يشمل العمل على إصلاح النفس، وتكوين البيت المسلم، وإرشاد المجتمع بنشر دعوة الخير فيه، وتحرير الوطن من كل سلطان أجنبى، وإصلاح الحكومة، وإعادة الكيان الدولى للأمة الإسلامية وأستاذية العالم بنشر دعوة الإسلام فى ربوعه.

٤ - وتقوم هذه الرسالة على: الجهاد.

- الجهاد بكل مراتبه من إنكار القلب إلى القتال فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا، وما بينهما من: جهاد النفس، وجهاد اللسان وجهاد القلم وجهادة اليد، وكلمة الحق عند السلطان الجائر.

● بل إن الدعوة إلى الله تعتبر الجهاد هو سبيلها فى إحقاق الحق والتمكين لدين الله فى الأرض.

٥ - وتقوم هذه الرسالة على: التضحية.

- التضحية بالنفس والمال والجهد والوقت وكل شىء فى سبيل الغاية، والتضحية قرينة الجهاد وملازمة له، فلا جهاد بغير تضحية.

ومن فقه التضحية أن القعود عنها إثم ومعصية لله تعالى ولكتابه ورسوله ﷺ ومنهجه ونظامه.

٦ - وتقوم هذه الرسالة على: الطاعة.

- الطاعة بامتثال الأمر وتنفيذه توًا فى العسر واليسر والمنشط والمكره، والطاعة فى كل مرحلة من المراحل تقادَر بقدرها.

● **ففى مرحلة التعريف**: تكون الطاعة باحترام النظم والمبادئ العامة للجماعة.

● **وفى مرحلة التكوين**: تكون الطاعة كاملة، لأن نظام الدعوة فى هذه المرحلة صوفِى بحت من الناحية الروحية، وعسكرى بحت من الناحية العملية، وشعار هاتين الناحيتين «أمر وطاعة».

● **وفى مرحلة التنفيذ**: كمال الطاعة.

لأن المرحلة مرحلة جهاد لا هوادة فيه، وعمل متواصل فى سبيل الوصول إلى الغاية، وامتحان وابتلاء لا يصبر عليهما إلا الصادقون، ولذلك سمى الإمام البنا هذه المرحلة «الإخوة الصادقين مرة، والإخوة المجاهدين مرة أخرى».

٧ - وتقوم هذه الرسالة على: الثبات.

- ثبات على العقيدة والمبدأ، وثبات على الجهاد والصبر والتحمل فى سبيل الله، والثبات على الحق والاستمرار فى الدفاع عنه والثبات على الدعوة إلى الله والحركة بدينه فى الناس والآفاق وتربية الناس تربية إسلامية.

والثبات على ما أمر الله به، والثبات على اجتناب ما نهى الله عنه والثبات على أخلاق الإسلام وآدابه مهما تغير الناس وندوا عن ذلك المنهج الذى جاء به خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ.

٨ – وتقوم هذه الرسالة على : التجرد :

– التجرد للدعوة إلى الله من كل فكرة سواها ومن كل مبدأ غيرها، ومن كل زعيم أو قائد ليس عاملاً بمنهج الإسلام فى حياته ونظام حكمه.

والتجرد من كل موازين أو معايير غير موازين الإسلام ومعاييره، وللإسلام معايير ثابتة وموازين عادلة فى معاملة أصناف الناس الستة : المسلم المجاهد، والمسلم القاعد، والمسلم الآثم، والذمى المعاهد، والمحايد، والمحارب.

٩ – وتقوم هذه الرسالة على : الأخوة :

– الأخوة بين العاملين فى الدعوة التى تربط بين قلوبهم وأرواحهم برباط العقيدة وهو أوثق الروابط وأغلاها وأبقاها، وغرس معانى الأخوة فى الدين بين المسلمين جميعًا لا فى داخل العاملين فى الدعوة إلى الله وحدهم.

الأخوة التى تجعل منهم صفًا واحداً يجمعهم ويقويهم ويوحدهم، وتغرس فى نفوسهم الحب الذى يصل إلى حد الإيثار.

الأخوة التى تجعل الأخ يرى إخوانه أولى بنفسه من نفسه، لأنه إن لم يكن بهم فلن يكون بغيرهم، وهم إن لم يكونوا به كانوا بغيره.

١٠ – وتقوم هذه الرسالة على : الثقة :

– الثقة بمعنى اطمئنان الجندى إلى القائد فى كفاءته وإخلاصه اطمئنانًا ينتج الحب والتقدير والاحترام والطاعة.

وطاعة القائد واجبة لأنه جزء من الدعوة ومكون من مكوناتها، فلا دعوة بغير قيادة.

وعلى قدر الثقة المتبادلة بين الجندى والقائد تكون قوة النظام فى الجماعة وإحكام خططها ونجاحها فى الوصول إلى أغراضها وتغلبها على ما يعترضها من عقبات وصعاب.

وتقدير للقيادة فى الدعوة فإن لها حق الوالد وحق الأستاذ وحق الشيخ وحق القائد.

والثقة بالقيادة هى كل شىء فى نجاح الدعوات.

● وكل ركن من هذه الأركان العشرة التى وجهها الإمام البنا إلى أعضاء مرحلة التنفيذ، ينطق بما للقيادة فى الجماعة من حق على الجنود، وكل تقصير فى إعطاء القيادة حقها فى

الترجيح بين المصالح العامة للدعوة إخلال بكل ركن من أركان البيعة على حدة، وإخلال بها جميعًا دفعة واحدة.

- إن رسالة التعاليم لا يكتمل استيعاب ما فيها من أركان البيعة العشرة إلا إذا التزم الأخ المجاهد الصادق بهذه الأركان، والتزامه هذا يكمل إيمانه ويحسنه ويقويه.

- وهذه الواجبات التى أوجبتها رسالة التعاليم على الإخوة المجاهدين الصادقين، فأجملها الإمام البنا فى صفحات الرسالة التى لم تتجاوز ست ورقات[١]، عاد الإمام البنا ففصل هذه الواجبات فى ثمانية وثلاثين واجبًا[٢].

وبهذه الأركان وتلك الواجبات يكون الإمام البنا رحمه الله قد أعذر إلى كل من أراد أن يعرف الدعوة إلى الله تعالى، ورغب فى أن ينضم إلى موكب الدعوة، إيثاراً لما عند الله من ثواب عظيم، وأجر كبير.

- وعند التأمل فى هذه الواجبات نجدها برنامجًا تربويًا متكاملاً يتناول إعداد الروح والبدن والعقل، والسلوك والخلق، لذلك آثرت أن أنقل لك أيها القارئ الكريم هذه الواجبات فى ختام هذا الكتاب الأخير من تلك السلسلة، والله تعالى يقول الحق وهو يهدى إلى سواء الصراط.

- **وتلك الواجبات هى:**

واجبات الأخ الصادق

أيها الأخ الصادق:

إن إيمانك بهذه البيعة يوجب عليك أداء هذه الواجبات حتى تكون لبنة قوية فى البناء:

١ - أن يكون لك «ورد» يومى من كتاب الله لا يقل عن جزء، واجتهد ألا تختم فى أكثر من شهر ولا فى أقل من ثلاثة أيام.

٢ - أن تحسن تلاوة القرآن والاستماع إليه والتدبر فى معانيه، وأن تدرس السيرة المطهرة وتاريخ السلف بقدر ما يتسع له وقتك، وأقل ما يكفى فى ذلك كتاب «حماة الإسلام»

---

(١) وقد فصلنا فى هذه السلسلة: «فى فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام حسن البنا» كل ركن من الأركان العشرة فى كتاب مستقل نرجو الله أن ينفع بإجمالها وتفصيلها.

(٢) تحتاج هذه الواجبات إلى تفصيل وتأصيل، ونسأل الله أن يتيح لنا هذه الفرصة إذا مدَّ فى العمر، وبارك فيه.

وأن تكثر من القراءة فى حديث رسول الله ﷺ؛ وأن تحفظ أربعين حديثًا على الأقل ولتكن الأربعين النووية، وأن تدرس رسالة فى أصول العقائد ورسالة فى فروع الفقه.

٣ – أن تبادر بالكشف الصحى العام وأن تأخذ فى علاج ما يكون فيك من أمراض، وتهتم بأسباب القوة والوقاية الجسمانية وتبتعد عن أسباب الضعف الصحى.

٤ – أن تبتعد عن الإسراف فى قهوة البن والشاى ونحوها من المشروبات المنبهة فلا تشربها إلا لضرورة، وأن تمتنع بتاتًا عن التدخين.

٥– أن تعنى بالنظافة فى كل شيء: فى المسكن والملبس والمطعم والبدن ومحل العمل، فقد بنى الدين على النظافة.

٦ – أن تكون صادق الكلمة فلا تكذب أبداً.

٧ – أن يكون وفيًا بالعهد والكلمة والوعد، فلا تخلف مهما كانت الظروف.

٨ – أن تكون شجاعًا عظيم الاحتمال، وأفضل الشجاعة الصراحة فى الحق وكتمان السر، والاعتراف بالخطأ والإنصاف من النفس وملكها عند الغضب.

٩ – أن تكون وقوراً تؤثر الجد دائمًا، ولا يمنعك الوقار من المزاح الصادق والضحك فى تبسم.

١٠– أن تكون شديد الحياء دقيق الشعور، عظيم التأثير بالحسن والقبح تسر للأول وتتألم للثانى، وأن تكون متواضعًا فى غير ذلة ولا خنوع ولا ملق، وأن تطلب أقل من مرتبتك لتصل إليها.

١١– أن تكون عادلاً صحيح الحكم فى جميع الأحوال، لا ينسيك الغضب الحسنات ولا تغضى عين الرضا عن السيئات، ولا تحملك الخصومة على نسيان الجميل، وتقول الحق ولو كان على نفسك أو على أقرب الناس إليك وإن كان مرًا.

١٢– أن تكون عظيم النشاط مدربًا على الخدمات العامة، تشعر بالسعادة والسرور إذا استطعت أن تقدّم خدمة لغيرك من الناس، فتعود المريض وتساعد المحتاج وتحمل الضعيف وتواسى المنكوب ولو بالكلمة الطيبة، وتبادر دائمًا إلى الخيرات.

١٣– أن تكون رحيم القلب كريمًا سمحًا تعفو وتصفح وتلين وتحلم وترفق بالإنسان

والحيوان، جميل المعاملة، حسن السلوك من الناس جميعًا، محافظًا على الآداب الإسلامية الاجتماعية فترحم الصغير وتوقر الكبير وتفسح فى المجلس، ولا تتجسس ولا تغتاب ولا تصخب، وتستأذن فى الدخول والانصراف، إلخ.

١٤- أن تجيد القراءة والكتابة، وأن تكثر من المطالعة فى رسائل الإخوان وجرائدهم ومجلاتهم ونحوها، وأن تكوّن لنفسك مكتبة خاصة مهمًا كانت صغيرة، وأن تتبحر فى علمك وفنك إن كنت من أهل الاختصاص، وأن تلم بالشؤون الإسلامية العامة إلمامًا يمكنك من تصورها والحكم عليها حكمًا يتفق مع مقتضيات الفكرة.

١٥- أن تزاول عملاً اقتصاديًا مهما كنت غنيًا، وأن تقدم على العمل الحر مهما كان ضئيلا، وأن تزج بنفسك فيه مهما كانت مواهبك العلمية.

١٦- ألا تحرص على الوظيفة الحكومية، وأن تعتبرها أضيق أبواب الرزق ولا ترفضها إذا أتيحت لك، ولا تتخل عنها إلا أن تعارضت تعارضًا تامًا مع واجبات الدعوة.

١٧- أن تحرص كل الحرص على أداء مهنتك من حيث الإجادة والإتقان وعدم الغش وضبط الموعد.

١٨- أن تكون حسن التقاضى لحقِّك، وأن تؤدى حقوق الناس كاملة غير منقوصة بدون طلب، ولا تماطل أبدًا.

١٩- أن تبتعد عن الميسر بكل أنواعه مهما كان المقصد من ورائها، وتتجنب وسائل الكسب الحرام مهما كان وراءها من ربح عاجل.

٢٠- أن تبتعد عن الربا فى جميع المعاملات وأن تطهر منه تمامًا.

٢١- أن تخدم الثروة الإسلامية العامة بتشجيع المصنوعات والمنشآت الاقتصادية الإسلامية، وأن تحرص على القرش فلا يقع فى يد غير إسلامية مهما كانت الأحوال، ولا تلبس ولا تأكل إلا من صنع وطنك الإسلامى.

٢٢- أن تشترك فى الدعوة بجزء من مالك، تؤدى الزكاة الواجبة فيه، وأن تجعل منه حقًا معلومًا للسائل والمحروم مهما كان دخلك ضئيلاً.

٢٣- أن تدخر للطوارئ جزءًا من دخلك مهما قلّ، وألا تتورط فى الكماليات أبدًا.

٢٤- أن تعمل ما استطعت على إحياء العادات الإسلامية وإماتة العادات الأعجمية فى كل مظاهر الحياة، ومن ذلك التحية واللغة والتاريخ والزى والأثاث، ومواعيد العمل والراحة، والطعام والشراب، والقدوم والانصراف، والحزن والسرور... إلخ، وأن تتحرى السنة المطهرة فى كل ذلك.

٢٥- أن تقاطع المحاكم الأهلية -وكل قضاء غير إسلامى، والأندية والصحف والجماعات والمدارس والهيئات التى تناهض فكرتك الإسلامية- مقاطعة تامة.

٢٦- أن تديم مراقبة الله تبارك وتعالى، وتذكر الآخرة وتستعد لها، وتقطع مراحل السلوك إلى رضوان الله بهمَّة وعزيمة، وتتقرب إليه سبحانه بنوافل العبادة ومن ذلك صلاة الليل وصيام ثلاثة أيام من كل شهر على الأقل، والإكثار من الذكر القلبى واللسانى، وتحرِّى الدعاء المذكور على كل الأحوال.

٢٧- أن تحسن الطهارة وأن تظل على وضوء فى غالب الأحيان.

٢٨- أن تحسن الصلاة وتواظب على أدائها فى أوقاتها، وتحرص على الجماعة والمسجد ما أمكن ذلك.

٢٩- أن تصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا، وتعمل على ذلك إن لم تكن مستطيعًا الآن ذلك.

٣٠- أن تستصحب دائمًا نية الجهاد وحب الشهادة وأن تستعد لذلك ما وسعك الاستعداد.

٣١- أن تجدد التوبة والاستغفار دائمًا وأن تتحرز من صغائر الآثام فضلاً عن كبارها، وأن تجعل لنفسك ساعة قبل النوم تحاسبها فيها على ما عملت من خير أو شر، وأن تحرص على الوقت فهو الحياة فلا تصرف جزءاً منه فى غير فائدة، وأن تتورع عن الشبهات حتى لا تقع فى الحرام.

٣٢- أن تتجنب الخمر والمسكر والمفتر وكل ما هو من هذا القبيل كل الاجتناب.

٣٤- أن تبتعد عن أقران السوء وأصدقاء الفساد وأماكن المعصية والإثم.

٣٥- أن تحارب أماكن اللهو فضلاً عن أن تقربها، وأن تبتعد عن مظاهر الترف والرخاوة جميعًا.

٣٦- أن تعرف أعضاء كتيبتك فرداً فرداً معرفة تامة، وتعرفهم نفسك معرفة تامة كذلك، وتؤدى حقوق أخوتهم كاملة من الحب والتقدير والمساعدة والإيثار، وأن تحضر اجتماعاتهم فلا تتخلف عنها إلا بعذر قاهر، وتؤثرهم بمعاملتك دائماً.

٣٧- أن تتخلى عن صلتك بأية هيئة أو جماعة لا يكون الاتصال بها فى مصلحة فكرتك وبخاصة إذا أمرت بذلك.

٣٨- أن تعمل على نشر دعوتك فى كل مكان وأن تحيط القيادة علماً بكل ظروفك ولا تقدم على عمل يؤثر فيها تأثيراً جوهرياً إلا بإذن، وأن تكون دائم الاتصال الروحى والعملى بها، وأن تعتبر نفسك دائماً جندياً فى الثكنة تنتظر الأمر.

أيها الأخ الصادق:

هذا إيضاح مجمل لدعوتك، وبيان موجز لفكرتك، وتستطيع أن تجمع هذه المبادئ فى خمس كلمات:

الله غايتنا. والرسول قدوتنا. والقرآن شرعتنا. والجهاد سبيلنا. والشهادة أمنيتنا.

وأن تجمع مظاهرها فى خمس كلمات أخرى:

البساطة. والتلاوة. والصلاة. والجندية. والخلق. فخذ نفسك بشدة بهذه التعاليم، وإلا ففى صفوف القاعدين متسع للكسالى والعابثين.

واعتقد أنك إن عملت بها وجعلتها أمل حياتك وغاية غاياتك، كان جزاؤك العزة فى الدنيا والخير والرضوان فى الآخرة، وأنت منا ونحن منك، وإن انصرفت عنها وقعدت عن العمل لها فلا صلة بينا وبينك، وإن تصدرت فينا المجالس وحملت أفخم الألقاب وظهرت بيننا بأكبر المظاهر، وسيحاسبك الله على قعودك أشد الحساب. فاختر لنفسك، ونسأل الله لنا ولك الهداية والتوفيق.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ

١ - تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ

٢ - وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ:

١ - يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

٢ - وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ.

٣ - وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ

٤ - وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصف : ١٠ - ١٣].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ [الصف : ١٤].

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فإنى أرجو الله تبارك وتعالى أن أكون قد وفقت فى شرح ركن الثقة، آخر أركان البيعة، كما أرجوه سبحانه وتعالى أن يتقبل هذا العمل، وأن يتجاوز لى عما وقع منى فيه من خطأ أو قصور، إنه على ما يشاء قدير.

الخاتمة

نحمد الله تعالى كل الحمد، ونثنى عليه كل الثناء أنْ مَنَّ علينا بالصحة وبارك فى الجهد والوقت، ويسر لى أن أكملت شرح هذه السلسلة : «فى فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام حسن البنا رحمه الله تعالى رحمه واسعة» فى أجزائها العشر الذى يعد هذا الكتاب : «ركن الثقة» جزءها العاشر والأخير، فللّه الحمد على هذه المنة العظيمة.

وأذكر فى هذه الخاتمة بأن «رسالة التعاليم» أهم وثائق الجماعة على الإطلاق، فهى قد كتبت بعد سنة ١٣٦٢هـ - ١٩٤٣م وكانت الجماعة قد غبرت من عمرها خمسة عشر عامًا، تعلَّمت منها وعلَّمت فيها.

وهذه الرسالة - فى تقديرى - هى قمة الرسائل التربوية وأجمعها.

بل هى تاريخيًّا من أهم وثائق الجماعة الدالة على خطة التربية الإسلامية للجماعة فى أعلى مراحلها التربوية - مرحلة التنفيذ - والمعبرة عن أهداف التربية عند الجماعة.

كما تأتى أهمية هذه الرسالة من نوعية الناس الذين وجهت إليهم وسابقتهم فى الدعوة إلى الله وهم المنتمون إلى مرحلة التنفيذ بعد أن اجتازوا مرحلتى التعريف والتكوين. لذلك سماهم الإمام البنا : الإخوان الصادقين حينًا، والإخوان المجاهدين حينًا آخر. وماذا فوق الصدق والجهاد من منازل؟

كما أن من أسباب أهميتها أنها أسلوب عمل وتنفيذ سبقه طريق علم وتكوين، فهى تربية عملية سبقتها تربية نظرية. وما كان لهذه الرسالة إلا أن تأتى فى قمة رسائل الجماعة فى التربية.

ونسأل الله تعالى أن يثيبنا على هذا الجهد بما يكافئه عنده تعالى وهو الكريم الحليم الغفور الودود الرحيم، غافر الذنب وقابل التوب.

وأرجو من إخواننا القراء ألا ينسونى من صالح دعائهم لأنفسهم وللمسلمين.

وسبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك.

القاهرة فى الثامن من شهر ربيع الأول من عام ١٤٢٠هـ - الموافق ٢٢ / ٦ / ١٩٩٩م

ثبت موضوعات الكتاب

الفصل الثانى

مفهوم الثقة فى تاريخ المسلمين

الباب الثانى

الفصل الأول

فى مفهوم الثقة وأبعادها عند الإمام البنا

الفصل الثانى

حقوق القيادة فى الدعوة إلى الله

الفصل الثالث

واجبات الأخ الصادق نحو قيادته

قائمة بأعمال المؤلف المنشورة

أولا:

فى الفكر الإسلامى وقضاياه:

١ – مع العقيدة والحركة والمنهج. نشر دار الوفاء القاهرة.

٢ – الغزو الصليبى والعالم الإسلامى. نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٣ – المسجد وأثره فى المجتمع الإسلامى. نشر دار المنار بالقاهرة.

٤ – الغزو الفكرى وأثره فى المجتمع الإسلامى. نشر دار المنار بالقاهرة

٥ – التراجع الحضارى فى العالم الإسلامى وطرق التغلب عليه. نشر دار الوفاء بمصر.

٦ – التعريف بسنة الرسول ﷺ، أو علم الحديث دراية. نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٧ – نحو منهج بحوث إسلامى. نشر دار الوفاء بالقاهرة.

٨ – السلفية ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب. نشر دار عكاظ بالسعودية.

ثانيا:

أ – فى التربية الإسلامية:

٩ – تربية الناشئ المسلم. نشر دار الوفاء بالقاهرة.

١٠ – منهج التربية عند الإخوان المسلمين. نشر دار الوفاء بالقاهرة.

١١ – وسائل التربية عند الإخوان المسلمين. نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.

ب – سلسلة التربية فى القرآن الكريم:

١٢ – التربية الإسلامية فى سورة المائدة. نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.

١٣ – التربية الإسلامية فى سورة النور. نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.

١٤ – التربية الإسلامية فى سورة آل عمران .	نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية .
١٥ – التربية الإسلامية فى سورة الأحزاب .	نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية .
١٦ – التربية الإسلامية فى سورة الأنفال .	نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية .
١٧– التربية الإسلامية فى سورة النساء	نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية .
١٨– التربية الإسلامية فى سورة التوبة	نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية .

جـ – سلسلة مفردات التربية الإسلامية :

١٩ – التربية الروحية .	نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية .
٢٠ – التربية الخلقية .	نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية .
٢١ – التربية العقلية .	نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية .

ثالثًا :

فى فقه الدعوة الإسلامية :

٢٢ – فقه الدعوة إلى الله .	نشر دار الوفاء بالقاهرة .
٢٣ – فقه الدعوة الفردية .	نشر دار الوفاء بالقاهرة .
٢٤ – المرأة المسلمة وفقه الدعوة إلى الله .	نشر دار الوفاء بالقاهرة .
٢٥ – عالمية الدعوة الإسلامية .	نشر دار الوفاء بالقاهرة .
٢٦ – التوثيق والتضعيف بين المحدثين والدعاة .	نشر دار الوفاء بالقاهرة .
٢٧ – فقه الأخوة فى الإسلام .	نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية .
٢٨ – فقه المسئولية .	نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية .

رابعًا :

سلسلة فى فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام حسن البنا .

٢٩ – ركن فهم أصول الإسلام	نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية .
٣٠ – ركن الإخلاص فى مجال العمل الإسلامى .	نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية .

٣١ – ركن العمل أو منهج الإصلاح الإسلامى.	نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.
٣٢ – ركن الجهاد أو الركن الذى لا تحيا الدعوة إلا به.	نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.
٣٣ – ركن التضحية أو بذل النفس والمال وكل شىء في سبيل الله تعالى.	نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.
٣٤ – ركن الطاعة.	نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.
٣٥ – ركن الثبات.	نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.
٣٦– ركن التجرد.	نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.
٣٧– ركن الأخوة.	نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.
٣٨– ركن الثقة.	نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.

خامساً:

في الأدب الإسلامي:

٣٩ – مصطفى صادق الرافعى والاتجاهات الإسلامية فى أدبه.	نشر دار عكاظ بالسعودية
٤٠ – جمال الدين الأفغانى والاتجاهات الإسلامية فى أدبه.	نشر دار عكاظ بالسعودية

سادساً:

في الدراسات الأدبية:

٤١ – القصة العربية فى العصر الجاهلى.	نشر دار المعارف بمصر.
٤٢– النصوص الأدبية، تحليلها ونقدها.	نشر دار عكاظ بالسعودية.

سابعًا:

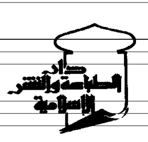
كتب معدة للنشر إذا أذن الله تعالى:

١ – التربية الإسلامية فى المدرسة.

٢ – التربية الإسلامية فى المجتمع.

٣ – باقى سلسلة مفردات التربية الإسلامية «سبع حلقات».

رقم الإيداع ١٦٩٣٩ / ٩٩
الترقيم الدولى .I.S.B.N
977- 265 – 268 – 4



مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية
العاشر من رمضان المنطقة الصناعية ب ٢ - تليفاكس : ٣٦٣٣١٤ - ٣٦٢٣١٣
مكتب القاهرة : مدينة نصر ١٢ ش ابن هانيء الأندلسي ت : ٤٠٣٨١٣٧ - تليفاكس : ٤٠١٧٠٥٣